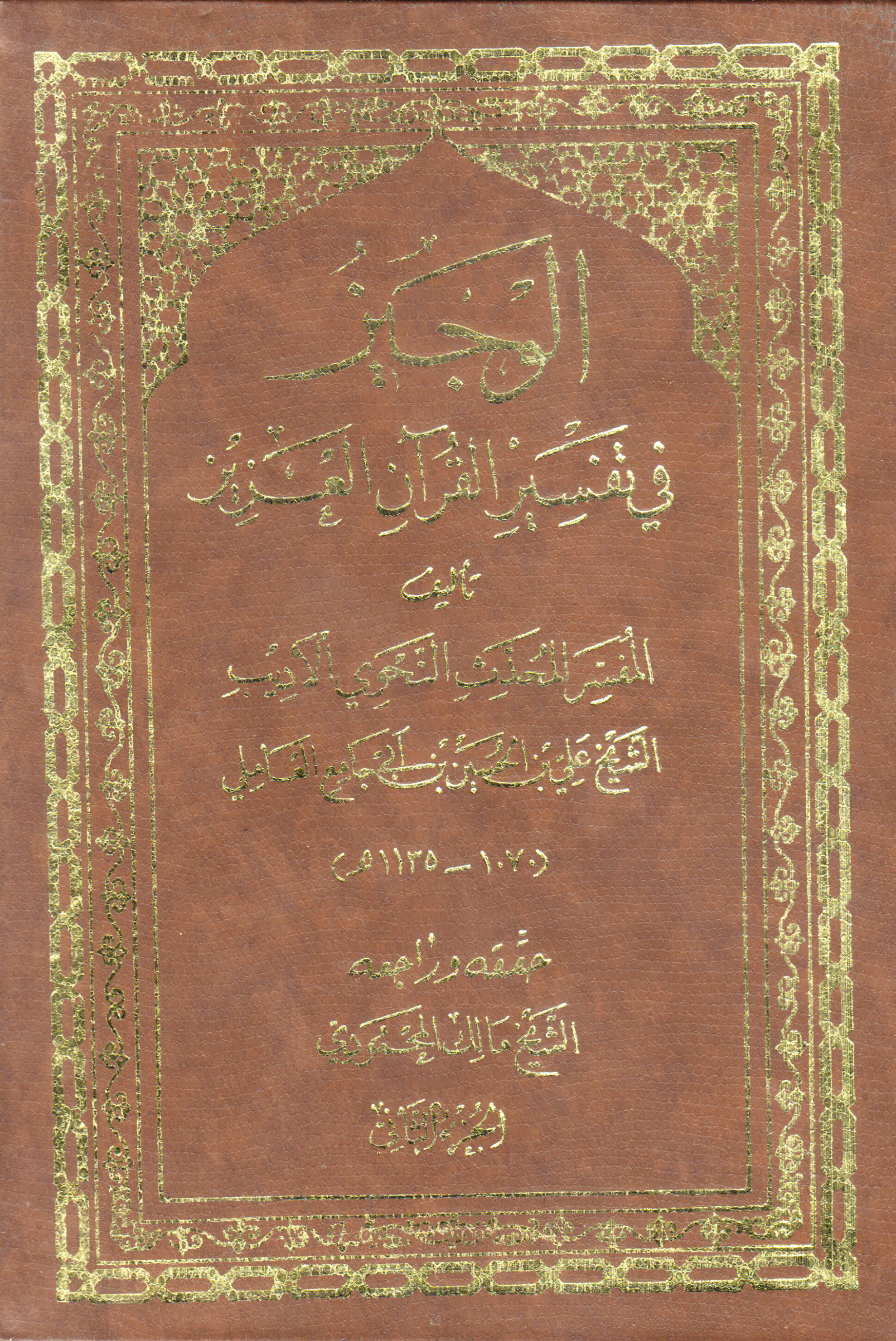
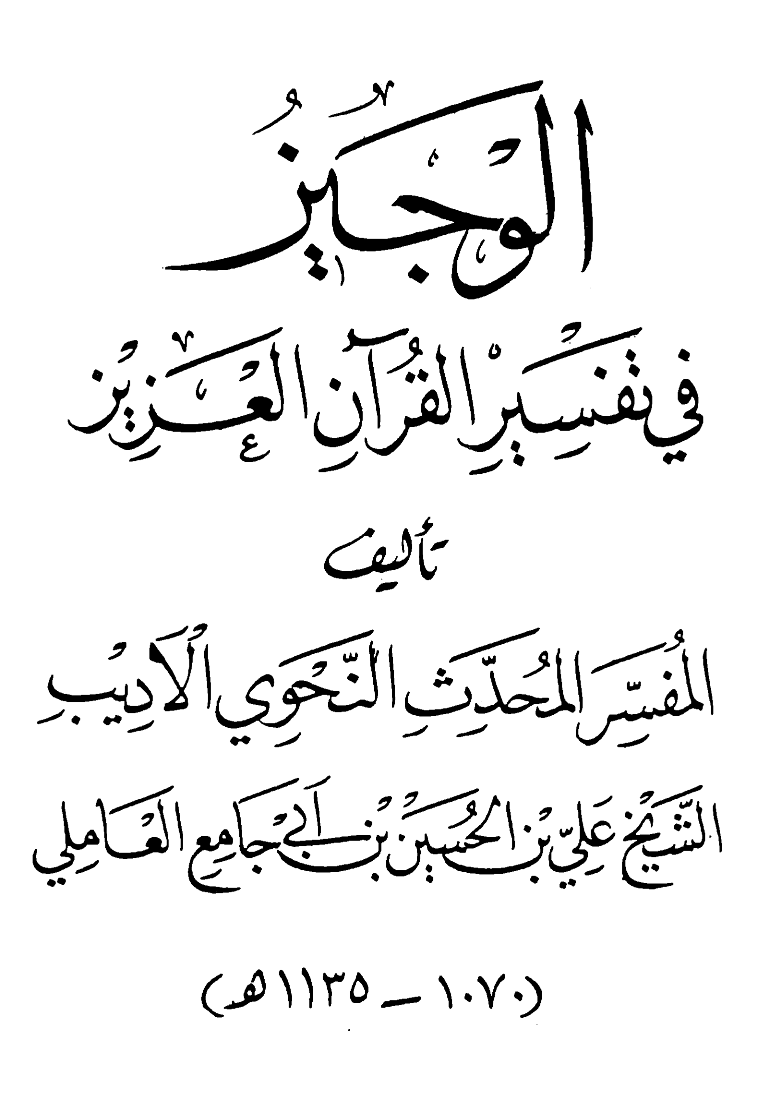

الوجيز
في تفسير القرآن العزيز
تأليف
المفسر المحدث النحوي الأديب
الشيخ علي بن الحسين بن ابي جامع العاملي
(١٠٧٠ ـ ١١٣٥ هـ)
حققه وراجعه
الشيخ مالك المحمودي
الجزء الثاني



الوجيز

في تفسير القرآن العزيز



حقّقه وراجعه

الشّيخ مالك المحموديّ

الجزء الثّاني

الوجيز في تفسير القرآن العزيز/ج ٢	**علي بن الحسين بن جامع العاملي**
التحقيق:	الشيخ مالك المحمودي
تنضيد الحروف والإخراج الفني:	دارالقرآن الكريم
الطبعة:	الأولى
ليتوگرافى:	حميد - قم
المطبعة:	نگين - قم
تاريخ الطبع:	١٤١٧ هـ
عدد النسخ:	١٠٠٠
الناشر:	دارالقرآن الكريم

قم المقدّسة صندوق البريد : ١٥١

سورة التوبة

[٩]

مائة وثلاثون آية مدنية وقيل : إلا آيتين آخرها .[١]

وتسمى سورة «**براءة**» وسورة « **العذاب** » و «**الفاضحة**» و «**المقشقشة**» لذكر التوبة فيها ، وافتتاحها ببراءة ، ونزولها بعذاب الكفار وفضيحتهم .

والقشقشة من النفاق أي البراءة منه ، ولها أسماء أخر .[٢]

وتركت البسملة فيها لأنها أمان ، وبراءة نزلت لرفعه إذ قيل هي آخر ما نزل .[٣]

[١] ـ ﴿ **بَرَاءَةٌ** ﴾ أي هذه براءة واصلة ﴿ **مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلى الَّذِيْنَ عاهَدْتُم مِن الْمُشْرِكِيْنَ** ﴾ الناكثين أي خروج من عهودهم .

[٢] ـ ﴿ **فَسِيحُواْ** ﴾ أيها المشركون أي سيروا آمنين ﴿ **في الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ** ﴾ أولها يوم النحر وهو يوم تبليغها ، وقيل : شوال لنزولها فيه ، [٤] أي : فإذا انقضت هذه

---

(١) نقل هذا القول الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٣ : ١ ـ والبيضاوي في تفسيره ٢ : ٢٧٤ .

(٢) انظر الأسماء الاخرى لهذه السورة في تفسير مجمع البيان ٣ : ١ ـ وتفسير الكشّاف ٢ : ٢٥ ـ .

(٣) في تفسير مجمع البيان ١:٣ ـ قال قتادة ومجاهد: هي آخر مانزلت على النبي (ص) في المدينة ـ .

(٤) قاله ابن عباس والزهري ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ٣ .

المدة فلان أمان لكم .

روي انها لما نزلت ، بعث بها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم « أبا بكر » ليقرأها على أهل الموسم بمنى ، فنزل جبرئيل عليه السلام وأمره برده وأخذها منه وقال له : لا يؤدي عنك إلاّ أنت أو رجل منك ، فأتبعه علياً عليه السلام فأخذها ورده ، ومضى فقرأها عليهم يوم النحر ونادى : أن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان .(١)

وعزل أبي بكر يقتضي عدم صلاحيته لأداء سورة فكيف للإمامة ؟

ودعوى انه ولاه الحج وأردفه بعليّ لقراءتها ـ لأن عادة العرب أن لا يتولى العهد ونقضه إلاّ صاحبه أو رجل منه ـ ممنوعة ، ولو سلم توليته الحج لم تنف عزله عن السورة الثابت بإجماع المفسرين وأهل السير .

وبعث علي عليه السلام إنما كان بأمر جبرئيل لا جرياً على عادة العرب وليس الغرض من قراءتها مجرد العهد بل فوائد أخر ﴿ **وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ** ﴾ غير فائتيه ﴿ **وَأَنَّ اللهَ مُخْزِي الْكافِرِيْنَ** ﴾ مذلهم بالقتل والأسر في الدنيا والنار في الآخرة .

[٣] ﴿ **وَأَذانٌ** ﴾ عطف على « براءة » أي وإعلام ﴿ **مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ** ﴾ يوم النحر ، لأن الأذان كان فيه ، ولأن فيه معظم أفعال الحج .

وقيل : يوم عرفة لأن الوقوف للحج فيه .(٢)

ووصف الحج بالأكبر لتسمية العمرة حجاً أصغر ، ولإجتماع المسلمين والمشركين في ذلك الحج ﴿**أَنَّ**﴾ أي بأن ﴿**اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشرِكينَ**﴾ أي من عهودهم ﴿**وَرَسُولُهُ**﴾ عطف على المستكن في «بريء»، ونصبه «يعقوب» عطفاً على الإسم،(٣)

---

(١) ينظر تفسير البيضاوي ٢ : ٢٧٥ وتفسير مجمع البيان ٣ : ٣ ـ ٤ .

(٢) قاله عمر وسعيد بن المسيب وعطاء وطاووس ومجاهد ، وروي ذلك عن علي عليه السلام ورواه المسور بن مخرمة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ٥ .

(٣) تفسير مجمع البيان ٣ : ٤ .

أو بواو المعية . وما سبق إخبار بثبوت البراءة ، وهذا إيجاب للإعلام به ﴿ فَإِنْ تُبْتُمْ ﴾ من الشرك ﴿ فَهُوَ ﴾ فتوبتكم ﴿ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ عن الإيمان ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ ﴾ غير فائتيه في الدنيا ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أخبرهم ﴿ بِعَذَابٍ أليم ﴾ في الآخرة .

[٤] ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ عاهَدْتُّمْ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ﴾ استثناء من المشركين ، أو استدراك ، أي ولكن من عاهدتم منهم ﴿ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً ﴾ من شروط العهد ﴿ وَلَمْ يُظاهِرُوا ﴾ يعاونوا ﴿ عَلَيْكُمْ أَحَداً ﴾ من عدوكم ﴿ فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلى مُدَّتِهِمْ ﴾ الى انقضاء مدتهم التي عاهدتم عليها ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ بإتمام العهد .

[٥] ـ ﴿ فَإِذا انْسَلَخَ ﴾ انقضى ﴿ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ ﴾ التي هي مدة الأمان للناكثين ، وقيل ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب [١] وفيه ما فيه ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾ الناكثين ﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ من حل وحرم ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ وأسروهم ﴿وَاحْصُرُوهُمْ ﴾ وامنعوهم دخول مكة ، أو من الخروج إن تحصنوا ﴿ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ طريق يسلكونه. ونصب ظرفاً أو بنزع الجار ﴿فَإِنْ تابُوا﴾ من الشرك ﴿ وَأَقامُوا الصَّلوةَ وَءاتَوُا الزكوةَ ﴾ أي التزموا فعلهما وقبلوه ﴿ فَخَلُّوا سَبِيْلَهُمْ ﴾ دعوهم ولا تتعرضوا لهم .

ويفيد أن تاركهما لا يخلى ﴿ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيْمٌ ﴾ يغفر لهم ويثيبهم ان تابوا .

[٦] ـ ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ﴾ المأمور بقتلهم ، رفع بما يفسره ﴿ اسْتَجارَكَ ﴾ استأمنك ﴿ فَأَجِرْهُ ﴾ فأمنه ﴿ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ﴾ ويتدبره ﴿ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ موضع أمنه ، أي وطنه إن لم يؤمن ﴿ ذَلِكَ ﴾ الأمن ﴿ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ ﴾ الإيمان ، فأمنهم حتى يسمعوا فيعلموا :

[٧] ـ ﴿ كَيْفَ ﴾ انكار أي لا ﴿ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ ﴾ يفون به لهما مع إضمارهم الغدر ، أو يفيان لهم به وهم نقضوه ﴿ إِلاَّ الَّذِيْنَ عَاهَدْتُّمْ عِنْدَ

---

(١) تفسير مجمع البيان ٣ : ٧.

الْمَسْجِدِ الْحَرامِ ﴾ هم المستثنون قبل ، ومحله نصب بالإستثناء ، أو جر بالبدل ، أو رفع على الاستدراك ﴿ **فَما اسْتَقامُواْ لَكُمْ** ﴾ على العهد ﴿ **فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ** ﴾ على الوفاء به . و « ما » شرطية ﴿ **إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِيْنَ** ﴾ فسر .[١]

[٨] ـ ﴿ **كَيْفَ** ﴾ يكون لهم عهد وحذف للعلم به . كرر انكار وفائهم بالعهد ، أو بقاء حكمه مع ما يفهم العلة ﴿ **وَإِنْ يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ** ﴾ يظفروابكم والواو للحال ﴿ **لا يَرْقُبُوا** ﴾ لا يرعوا ﴿ **فِيكُمْ إلاًّ** ﴾ قرابة أو حلفاً ﴿ **وَلا ذِمَّةً** ﴾ عهداً فلا يبقون عليكم بجهدهم ﴿ **يُرْضُونَكُم بِأَفْواهِهِمْ** ﴾ يظهرون لكم الموالاة بكلامهم ﴿ **وَتَأبى قُلُوبُهُمْ** ﴾ إلا العداوة والغدر ﴿ **وَأَكْثَرُهُمْ فاسِقُونَ** ﴾ متمردون ، لا وفاء لهم .

[٩] ـ ﴿ **اشْتَرَوا بِآياتِ اللهِ** ﴾ القرآن أي استبدلوا باتباعه ﴿ **ثَمَناً قَلِيلاً** ﴾ عوضاً يسيراً، وهو اتباع الشهوات ﴿ **فَصَدُّواْ** ﴾ الناس ، أو أعرضوا ﴿ **عَنْ سَبِيلِهِ** ﴾ دينه ، والفاء تؤذن بسببية اشترائهم للصدّ ﴿ **إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾ عملهم هذا ، وما بينه[٢] قوله :

[١٠] ـ ﴿ **لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إلاًّ وَلا ذِمَّةً** ﴾ فلا تكرار والأول عام ، وهذا يخص المشترين وهم من جمعهم أبوسفيان وأطعمهم، أو اليهود ﴿ **وَأُوْلئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ** ﴾ في الطغيان .

[١١] ـ ﴿ **فَإِنْ تابُواْ وَأَقامُواْ الصَّلوةَ وَءَاتَواْ الزَّكوةَ فَإِخْوانُكُمْ** ﴾ فهم اخوانكم ﴿ **فِي الدِّيْنِ** ﴾ كسائر المؤمنين ﴿ **وَنُفَصِّلُ الآياتِ** ﴾ نبيها ﴿ **لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ يتأملونها .

[١٢] ـ ﴿ **وَإِنْ نَكَثُواْ أَيْمانَهُمْ** ﴾ مواثيقهم ﴿ **مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ** ﴾ عقدهم ﴿ **وَطَعَنُواْ فِي دِيْنِكُمْ** ﴾ عابوه ﴿ **فَقاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ** ﴾ وضعوا موضع المضمر

---

(١) في سورة آل عمران : ٧٦/٣ .

(٢) كذا في النسخ ، . والصحيح أو ما بيّنة بقوله : . . . إلى آخره ، أي ساء عدم مراقبتهم في مؤمن الاّ ولا ذمّة ، فلا يكون تكراراً بل يكون تفسيراً لما ساء من عملهم ـ ينظر تفسير البيضاوي ٢ : ٢٧٧ ـ .

لصيرورتهم بذلك رؤساءه .

وقيل : هم رؤساء الكفرة فتخصيصهم لأن قتلهم أهمّ .[١] وحقق الهمزتين « عاصم » و «ابن عامر» و « حمزة » و « الكسائي » ولحّن القلب ياء [٢] ﴿ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمانَ لَهُمْ ﴾ لا يحفظون أيمانهم . وكسره « ابن عامر » وكذا عن الباقر عليه السلام أي : لا أمان أو لا إسلام [٣] ﴿ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ أي قاتلوهم قاصدين انتهاءهم عن الشرك .

[١٣] ـ ﴿ أَلا ﴾ للتحضيض ﴿ تُقاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُواْ أَيْمانَهُمْ ﴾ التي عقدوها معكم فأعانوا بني بكر على حلفائكم خزاعة ﴿ وَهَمُّواْ بِإِخْراجِ الرَّسُولِ ﴾ من مكة حين اجتمعوا بدار الندوة .

وقيل : هم اليهود نكثوا عهده صلى الله عليه وآله وسلم وهموا بإخراجه من المدينة [٤] ﴿ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ بالقتال يوم بدر ، أو لحلفائكم فما يمنعكم أن تقاتلوهم ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ ﴾ فتتركون قتالهم ﴿ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ ﴾ في ترك أمره ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ ﴾ فإن المؤمن لا يخشى إلاّ الله .

[١٤] ـ ﴿ قاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ ﴾ يقتلهم ﴿ بِأَيْدِيْكُمْ وَيُخْزِهِمْ ﴾ يذلهم بالقهر والأسر ﴿ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِيْنَ ﴾ خزاعة ، أو ناس من اليمن أسلموا بمكه فإذا هم أهلها .

[١٥] ـ ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ حنقها لما فعل بهم وقد وفى بما وعدهم ، ففيه اعجاز ﴿وَيَتُوبُ اللهُ عَلى مَنْ يَشاءُ﴾ ممن يتوب مخلصاً منهم ﴿وَاللهُ عَلِيْمٌ﴾ بمن يتوب

---

(١) ذكر هذا القول الطبرسي في جوامع الجامع ٢ : ٤١ والزمخشري في تفسير الكشاف ٢ : ٣٠ .

(٢) حجة القراءات : ٣١٥ .

(٣) نقل البيضاوي هذا المعنى على أساس قراءة ابن عامر ولم ينسبه ، ينظر تفسير البيضاوي ٢ : ٢٧٨ .

(٤) نقله البيضاوي في تفسيره ٢ : ٢٧٨ .

﴿ حَكِيمٌ ﴾ في أحكامه .

[١٦] ـ ﴿ أَمْ ﴾ بل أ ﴿ حَسِبْتُمْ ﴾ انكار ، خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين [١] ﴿ أَنْ تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِيْن جاهَدُواْ مِـنْكُمْ ﴾ ولم يـظهر المجاهدون منكم بإخلاص من غيرهم .

وأريد بنفي العلم نفي المعلوم مبالغة فـإنه مـهما كـان شـيء عـلمه الله ﴿ وَلَـمْ يَتَّخِذُواْ ﴾ من الصلة ﴿ مِنْ دُونِ اللهِ وَلا رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَلِيجَةً ﴾ بطانة يناجونهم ﴿ وَاللهُ خَبِيْرٌ بِما تَعْمَلُونَ ﴾ يعلم ما قصدتم به .

[١٧] ـ ﴿ مَا كانَ ﴾ ما صحّ ﴿ لِلْمُشْرِكِيْنَ أَنْ يُعْمُرُواْ مَساجِدَ اللهِ ﴾ شيئاً منها ، أو المسجد الحرام وجمع لأنه قبلة المساجد فكأنه الجميع ، ويعضده أن أفرده « ابن كثير » و « أبو عمرو » [٢] ﴿ شاهِدِيْنَ ﴾ حال من الواو ﴿ عَلى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ ﴾ أي يدل قولهم وفعلهم على كفرهم ﴿ أُولئِكَ حَبِطَتْ ﴾ بطلت ﴿ أَعْمالُهُمْ ﴾ التي هـي مـن جنس الطاعة لفقد شرطها ﴿ وَفِي النَّارِ هُمْ خالِدُونَ ﴾ .

[١٨] ـ ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَساجِدَ اللهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقامَ الصَّلَوةَ وَءَاتَى الزَّكوةَ ﴾ أي لا يعمرها إلا من جمع هذه الكمالات العلمية والعملية .

وعمارتها : رمها وكنسها وفرشها والإسراج فيها ، وزيارتها وشغلها بالعبادة والذكر ودرس العلم وصونها من أعمال الدينا ﴿ وَلَمْ يَخْشَ ﴾ في أمر الدين ﴿ إِلاَّ اللهَ ﴾ فلا يلحظ سواه ﴿ فَعَسى أُولئِكَ أَنْ يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِيْنَ ﴾ الى طريق الجنة أي هم منهم، لانّ « عسى » من الله وجوب ، وفيها ردع للمؤمنين أن يغترّوا بحالهم .

[١٩] ـ ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ وَعِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ ﴾ أي أهل السقاية أي السقي وأهل العمارة ﴿ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ وَجاهَدَ فِي سَبِيْلِ اللهِ ﴾ أو جعلتم

---

(١) تفسير البيضاوي : ٢ : ٢٧٨ .

(٢) حجة القراءات : ٣١٦.

السقاية والعمارة كإيمان من آمن . والإضمار لأنهما مصدران لا يشبهان بالجثث .

الآية نزلت حين قال طلحة بن شيبة مفاخراً : أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه ، وقال العباس : أنا صاحب السقاية .

وقال علي عليه السلام : لا أدري ما تقولان ، لقد صلّيت الى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد ﴿ **لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ** ﴾ تقرير لإنكار التشبيه ﴿ **وَاللهُ لايَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِيْنَ** ﴾ الكافرين ، يتركهم وما اختاروا من الضلال وهو بيان لعدم استوائهم .

[٢٠] - ﴿ **الَّذِيْنَ ءَامَنُواْ وَهاجَرُواْ وَجاهَدُواْ في سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ** ﴾ أعلى رتبة وأكثر فضلاً من غيرهم ﴿ **وَأُولئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾ الظافرون بالبغية

[٢١] - ﴿ **يُبَشِّرُهُمْ** ﴾ وخففه « حمزة »[1] ﴿ **رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيْها نَعِيْمٌ مُقِيْمٌ** ﴾ دائم .

[٢٢] - ﴿ **خالِدِيْنَ فِيْها أَبَداً** ﴾ زماناً لا نهاية له ﴿ **إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيْمٌ** ﴾ لا يقاس به غيره .

[٢٣] - ﴿ **يا أَيُّها الَّذِيْنَ ءَامَنُواْ لا تَتَّخِذُواْ ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوانَكُمْ أَوْلِياءَ** ﴾ يصدونكم عن الدين ، قيل : لما امر الناس بالهجرة فمنهم من تعلق به أبواه وأهله وولده فترك الهجرة لاجلهم فنزلت[2] ﴿ **إِنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ** ﴾ اختاروه ﴿ **عَلى الْإِيمانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ بوضع التولي في غير محله .

[٢٤] - ﴿ **قُلْ إِنْ كانَ ءَاباؤُكُمْ وَأَبْناؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزواجُكُمْ وَعَشِيْرَتُكُمْ** ﴾

---

(١) اتحاف فضلاء البشر ٢ : ٨٩ .

(٢) تفسير مجمع البيان ٣ : ١٦ .

أقرباؤكم وقرأ « أبو بكر » وعشيراتكم [١] ﴿ وأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوها ﴾ اكتسبتموها ﴿ وَتِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها ﴾ عدم نفاقها [٢] ﴿ وَمَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهادٍ فِي سَبِيلِهِ ﴾ فآثرتموه على الهجرة والجهاد ﴿ فَتَرَبَّصُواْ ﴾ فانتظروا ﴿ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ ﴾ بعقوبته أو بحكمه ، تهديد لهم ﴿ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ ﴾ الى ثوابه نسأله العصمة والتوفيق .

[٢٥] ـ ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ في مَواطِنَ ﴾ مواقف للحرب ﴿ كَثِيرَةٍ ﴾ .

عن أهل البيت عليهم السلام: انها ثمانون [٣] ﴿ وَيَوْمَ ﴾ عطف على محل «مواطن» أو بتقدير «واذكر يوم» ﴿حُنَيْنٍ﴾ واد بين مكة والطائف، أي يوم حربكم فيه لهوازن وثقيف وكان في شوال سنة ثمان ﴿ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُم ﴾ بدل من « يوم » : حتى قال أبوبكر ـ وقيل غيره ـ «لن نغلب اليوم من قلة» وكانوا اثنى عشر ألفاً ممن حضروا فتح مكة ومن صحبهم من طلقائها وهم ألفان والعدو أربعة آلاف [٤] ﴿ فَلَمْ تُغْنِ ﴾ تدفع ﴿ عَنْكُم ﴾ كثرتكم ﴿ شَيْئاً ﴾ من السوء ﴿ وَضاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ ﴾ برحبها أي مع سعتها فلم تطمئنوا الى موضع تفرّون إليه لشدة خوفكم ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُم ﴾ العدو ظهوركم ﴿ مُدْبِرِيْنَ ﴾ منهزمين ، تمرون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو ثابت على بغلته البيضاء في تسعة من بني هاشم ، منهم العباس آخذاً بلجامه ، وعاشرهم أيمن بن أم ايمن ـ وقتل يومئذ ـ وعلي عليه السلام يقاتلهم بالراية بين يديه في نفر قليل .

فنادى العباس المنهزمين بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فردّوا .

[٢٦] ـ ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ ﴾ بعد الهزيمة ﴿ سَكِيْنَتَهُ ﴾ طمأنينته ورحمته ﴿ عَلى رَسُولِهِ

---

(١) حجة القراءات : ٣١٦ .

(٢) النفاق : الرواج .

(٣) راجع الأخبار في تفسير نور الثقلين ٢ : ١٩٦ .

(٤) جوامع الجامع ٢ : ٤٦ وتفسير الكشاف ٢ : ٣٣ .

وَعَلى الْمُؤْمِنِيْنَ ﴾ حين رجعوا ، أو الثابتين منهم ﴿ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها ﴾ من الملائكة والتقى الجمعان ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : الآن حمي الوطيس . [١]

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب

ثم رماهم كفاً من التراب فانهزموا ﴿ وَعَذَّبَ الَّذِيْنَ كَفَرُواْ ﴾ بالقتل والأسر ﴿ وَذَلِكَ ﴾ التعذيب ﴿ جَزَاءُ الْكافِرِيْنَ ﴾ في الدنيا .

[٢٧] - ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلى مَنْ يَشاءُ ﴾ ممن يتوب منهم مخلصاً ﴿ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيْمٌ ﴾ يغفر للتائب وينعم عليه .

قيل أتى ناس منهم ، النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأسلموا وسألوه سباياهم وأموالهم، فخيرهم بينهما فاختار السبي فاسترضى المسلمين ، فرضوا فردها عليهم . [٢]

[٢٨] - ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوا إِنَّما الْمُشْرِكُوْنَ نَجَسٌ ﴾ قذر ، مصدر نجس ، ولذا لم يجمع ، وصفوا به مبالغةً وحصر أوصفاهم فيه بالإضافة الى ضده .

قيل أريد نجاستهم عيناً ، [٣] وقيل : حكماً [٤] كشركهم فإنه بمنزلة النجس ، أو لأنهم لا يتطهرون . واختلف فقهاؤهم في الحكم .

وأجمع أصحابنا على نجاسة الكفرة ممن عدا أهل الكتاب وقد يحتج بالآية عليه، وفيه منع ارادة النجس الإصطلاحي لمنع ثبوت الحقائق الشرعية ، ولو سلم فهو أخص من مدّعاهم الشامل للناصب ، لكن بعد اجماعهم لا حاجة الى الآية .

واشتهر بينهم نجاسة أهل الكتاب للآية وشركهم لقوله تعالى : ﴿ سبحانه عما

---

(١) حمى الوطيس : اشتدّ الحرب .

(٢) تفسير الصافي : ٢ : ٣٣٣ .

(٣) تفسير ابي الفتوح ٥ : ١٥٦ .

(٤) في هامش « ب » مايلي : جعل الفخر الرازي الحصر للنجس في المشركين وشنّع على ابي حنيفة بأنه عكس حكم الله وقال : لا ينجس الا المسلم لتنجيسه مستعمله في رفع الحدث وتطهيره مستعمل المشرك لبقاء حدثه . فهو وان اخطأ في توجيه الحصر لكنّه اصاب في التشنيع .

يشركون ﴾ [١] بعد حكاية قولهم بالولد ، وفيها ما مرّ واخبارنا مختلفه **﴿ فَلا يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدِ الْحَرامَ ﴾** أي فامنعوهم عنه ، والنهي عن القرب للمبالغة أو للمنع من دخول الحرم **﴿ بَعْدَ عامِهِمْ هذا ﴾** عام براءة ، سنة تسع **﴿ وإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ﴾** فقراً بانقطاع متاجرهم عنكم **﴿ فَسَوْفَ يُغْنِيْكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾** بوجه آخر ، وقد أغناهم بالغيوب والغنائم والجزية وتوفيقه أهل جدة وجرش للإسلام فماروهم **﴿ إِنْ شاءَ ﴾** قيّد به لقطع الآمال إلا إليه تعالى **﴿ إِنَّ اللهَ عَلِيْمٌ ﴾** بالمصالح **﴿ حَكِيْمٌ ﴾** في تدبيره .

[٢٩] - **﴿ قاتِلُواْ الَّذِيْنَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾** إيماناً صحيحاً فإيمانهم كلا إيمان **﴿ وَلا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ ﴾** محمد صلى الله عليه وآله وسلم كالخمر وغيره ، أو من زعموا اتباعه ، أي : هم يخالفون دينهم المنسوخ **﴿ وَلا يَدِيْنُونَ دِيْنَ الْحَقِّ ﴾** الثابت الناسخ لغيره **﴿ مِنَ ﴾** بيانية **﴿ الَّذِيْنَ أُوتُواْ الْكِتابَ ﴾** اليهود والنصارى، والحق بهم المجوس ، وروي ان لهم نبياً قتلوه وكتاباً أحرقوه [٢] **﴿ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ ﴾** ما ضرب عليهم من المال **﴿ عَنْ يَدٍ ﴾** حال من « الجزية » أي نقداً مسلمة عن يد الى يد ، أو من الواو ، أي منقادين أو مسلمين بأيديهم لا بنائب ، أو عن قهر عليهم ، أي مقهورين . **﴿ وَهُمْ صاغِرُونَ ﴾** أذلاء ، بأن تؤخذ من الذميّ وتُوجأ عنقه وقيل يصفع . [٣]

[٣٠] - **﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ ﴾** - أي بعض أسلافهم أو من بالمدينة - : **﴿ عُزَيْر ابْنُ اللهِ ﴾** إذ أملى عليهم التوراة حفظاً لما احياه الله بعد مائة عام ، ولم يبق فيهم [بعد وقعة [٤]] « بخت نصر » من يحفظها ، فقالوا تعجباً منه : ما هو إلا ابن الله ، ويدلّ على

---

(١) في الآية (٣١) من هذه السورة .

(٢) تفسير نور الثقلين ٢ : ٢٠٢ .

(٣) صفع : ضرب قفاه بجمع كفّه لا شديداً ، وقيل : هو أن يبسط كفّه فيضرب .

(٤) الزيادة من تفسير البيضاوي .

انه قولهم عدم انكارهم له لما سمعوا الآية مع حرصهم على التكذيب .

ونوّنه « عاصم » و « الكسائي »[١] على انه عربي أو أعجمي صرف للخفة ، ولم ينوّنه الباقون لمنع صرفه للعلمية والعجمة ، أو لإلتقاء الساكنين . و « ابن » خبره ﴿وَقالَتِ النَّصارَى﴾ ـ أي بعضهم ـ: ﴿ الْمَسِيْحُ ابْنُ اللهِ ﴾ انكاراً لحصول ولد بلا أب ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ﴾ لا حجة لهم عليه ﴿يُضاهُونَ﴾ يشابهون . وهمزه « عاصم »[٢] أي : يضاهي قولهم ، ﴿قَوْلَ الَّذِيْنَ كَفَرُواْ﴾ فحذف المضاف ونابه المضاف إليه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي اسلافهم ، أو المشركون الذين قالوا : الملائكة بنات الله ﴿ قاتَلَهُمُ اللهُ ﴾ أهلكم أو لعنهم ﴿ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ كيف يصرفون عن الحق مع قيام الحجة .

[٣١] ـ ﴿ اتَّخَذُواْ أَحْبارَهُمْ ﴾ علماء اليهود ﴿ وَرُهْبانَهُمْ ﴾ عباد النصارى ﴿ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ حيث اتبعوهم في تحليل ما حرّم وتحريم ما أحل ﴿ وَالْمَسِيْحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ إذ جعلوه ابنه وعبدوه ﴿ وَما أُمِرُواْ ﴾ في كتابيهم ﴿ إلاّ لِيَعْبُدُواْ ﴾ أي بأن يعبدوه ﴿ إِلٰهاً واحداً ﴾ هو الله تعالى ﴿ لاَّ إِلهَ إلاّ هُوَ ﴾ صفة أخرى ، أو استئناف يقرر التوحيد ﴿ سُبْحانَهُ ﴾ تنزيهاً له ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ عن إشراكهم به .

[٣٢] ـ ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ﴾ يبطلوا برهانه أو دينه، أو القرآن ﴿بِأَفْوَاهِهِم﴾ بتكذيبهم ﴿ وَيَأْبَى اللهُ ﴾ ويمتنع ﴿ إلاّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ ﴾ بإظهار حججه واعزاز دينه ، وصح تفريغ الواجب لتضمنه النفي ﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ ﴾ اتمامه .

[٣٣] ـ ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ ﴾ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ بِالْهُدَى وَدِيْنِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ ﴾ يعلي دين الحق ، أو رسوله ﴿ عَلى الدِيْنِ كُلِّهِ ﴾ اللام للجنس أي على كل الأديان بالحجة والغلبة فينسخها ، أو على أهلها فيقهرهم .

وعن الباقر عليه السلام : إن ذلك يكون عند خروج المهدي من آل

---

(١) اتحاف فضلاء البشر ٢ : ٨٩ وحجة القراءات : ٣١٦ .

(٢) اتحاف فضلاء البشر ٢ : ٩٠ .

محمد صلى الله عليه وآله وسلم [١] ﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ ذلك .

[٣٤] ـ ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُواْ إِنَّ كَثِيْراً مِنَ الأَحْبارِ وَالرُّهْبانِ لَيَأْكُلونَ أَمْوالَ النَّاسِ بِالْباطِلِ ﴾ كالرشى في الحكم .

وسمي الأخذ أكلاً لأن معظمه له ﴿ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ ﴾ دينه ﴿ وَالَّـذِيْنَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ﴾ من المسلمين وغيرهم ، إذ الكفار مخاطبون بالفروع ﴿ وَلا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيْلِ اللهِ ﴾ لا يؤدون زكاتها .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : ما أدي زكاته فليس بكنز ، [٢] أي بكنز أوعد عليه ، والضمير للكنوز أو الأموال أو الفضة ، ويعلم حكم الذهب بالقرينة ، أو الدنانير والدراهم لتبادرهما منهما عرفاً فيشعر باشتراط السكة في الزكاة كما يراه اصحابنا ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيْمٍ ﴾ مولم .

[٣٥] ـ ﴿ يَوْمَ يُحْمَى ﴾ يوقد ﴿ عَلَيْها فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ حتى تصير ناراً ﴿ فَتُكْوَى بِها جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ لأنها أصول الجهات الأربع من مقاديم البدن ومآخره وجنبيه ، فيستوعبه الكي [٣] ﴿ هذَا مَا كَنَزْتُمْ ﴾ بتقدير القول ﴿ لِأَنْفُسِكُمْ ﴾ لنفعها صار ضرراً لها ﴿ فَذُوقُواْ مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ أي وباله .

[٣٦] ـ ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ ﴾ المعتبرة للسنة ﴿ عِنْدَ اللهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً ﴾ ثابتة ﴿ فِي كِتابِ اللهِ ﴾ اللوح أو حكمه ﴿ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَواتِ وَالأَرْضَ ﴾ متعلق بالثبوت المقدر ﴿ مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ محرمة : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي تحريمها ﴿ الدِيْنُ القَيِّمُ ﴾ القويم ، دين ابراهيم ومنه ورثه العرب ﴿ فَلا تَظْلِمُواْ فِيْهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ بالمعاصي ، فإن وزرها فيهن أعظم .

قيل : نسخ تحريم القتال فيها لأن غزاة حنين والطائف في شوال

---

(١) تفسير مجمع البيان ٣ : ٢٥ .

(٢) تفسير نور الثقلين ٢ : ٢١٣ وفيه ، كل مال تؤدى زكاته فليس بكنز .

(٣) الكي : احراق الجلد بحديدة أو نحوها .

وذي القعدة[١] وقيل الضمير لكل الشهور [٢] ﴿وَقاتِلُواْ الْمُشْرِكِيْنَ كافَّةً﴾ جميعاً، مصدر وقع حالاً ﴿كَما يُقاتِلُونكُمْ كَافَّةً واعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِيْنَ﴾ بالنصر والحفظ.

[٣٧] ـ ﴿إِنَّما النَّسِيءُ﴾ مصدر، نسئه أي أخّره، أي تأخير حرمة شهر الى آخر. كانوا إذا هلّ المحرم وهم في حرب أحلوه وحرموا مكانه صفراً وشدّ «ورش» الياء بلا همز، [٣] وعن الصادق عليه السّلام تخفيفها بلا همز[٤] ﴿زِيادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ إذ تحليل ما حرّم الله وتحريم ما أحل الله كفر ﴿يَضِلُّ[٥] بِهِ الَّذِيْنَ كَفَرُواْ﴾ وبناه «حفص» و«حمزة» و«الكسائي» للمفعول [٦] أي يضلهم به كبراؤهم ﴿يُحِلُّونَهُ﴾ أي الشهر المنسي ﴿عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ﴾ يتركونه على حرمته ﴿عَامًا لِيُوَاطِئُواْ﴾ ليوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بدله. ﴿عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللهُ﴾ أي الأربعة الحرم ﴿فَيُحِلُّواْ ما حَرَّمَ اللهُ﴾ إذ لم يراعوا وقت العدّة ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمالِهِمْ﴾ قبيحها، فحسبوه حسناً والمزين الشيطان ﴿وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ لا يلطف بهم، بل يتركهم وما اختاروا من الضلال.

[٣٨] ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوا ما لَكُمْ إِذا قِيْلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيْلَ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ﴾ تثاقلتم، ادغمت التاء في الثاء، ودخلت ألف الوصل أي تباطأتم وملتم ﴿إِلى الْأَرْضِ﴾ والمقام فيها.

نزلت حين أُمروا بغزاة تبوك في وقت عسرة وحرّ مع بعد شقة، فشقّ عليهم ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيوٰةِ الدُّنْيَا﴾ و دعتها[٧] بدلاً ﴿مِنَ الآخِرَةِ﴾ ونعيمها ﴿فَما مَتاعُ الْحَيوٰةِ

---

(١) تفسير البيضاوي ٢ : ٢٨٣.
(٢) وهو قول ابن عباس ـ كما في تفسير القرطبي ٨ : ١٣٤.
(٣) تفسير القرطبي ٨ : ١٣٦.
(٤) تفسير مجمع البيان ٣ : ٢٨.
(٥) في المصحف بقراءة حفص: «يضل» كما سيشير اليه المؤلّف.
(٦) حجة القراءات: ٣١٨.
(٧) الدعة: السكينة، الراحة وخفض العيش ينظر مادة «ودع».

الدُّنْيا﴾ أي فوائدها ﴿فِي الآخِرَةِ﴾ في جنب متاع الآخرة ﴿إِلاّ قَلِيْلٌ﴾ حقير.

[٣٩] ـ ﴿إِلاّ﴾ «إن» الشرطية ادغمت في «لا» كالآتية ﴿تَنْفِرُواْ﴾ الى ما دعيتم إليه ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذابًا أَليماً﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَيَسْتَبْدِلْ﴾ بكم ﴿قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ مطيعين كأهل اليمن أو أبناء فارس ﴿وَلا تَضُرُّوهُ﴾ أي الله ﴿شَيْئًا﴾ بترك نصرة دينه لغناه عن كل شيء، أو لا تضروا الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم فإن الله ناصره ﴿وَاللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ﴾ ومنه نصر دينه ورسوله ببدلكم وبلا مدد.

[٤٠] ـ ﴿إِلاّ تَنْصُرُوهُ﴾ أي الرسول ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي حين ألجأوه إلى الخروج من مكة لما همّوا بنفيه أو حبسه أو قتله ﴿ثانِيَ اثْنَيْنِ﴾ حال أي معه واحد لا غير، والمعنى إنه نصره في مثل تلك الحال فلا يخذله في غيرها ﴿إِذْ﴾ بدل من «إذ أخرجه» ﴿هُمَا فِي الْغَارِ﴾ ثقب في ثور وهو جبل بمكة ﴿إِذْ﴾ بدل ثاني ﴿يَقُولُ لِصاحِبِهِ﴾ ـ وهو أبو بكر، ولا مدح له فيه إذ قد يصحب المؤمن غير المؤمن، ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت﴾[١] ـ: ﴿لاتَحْزَنْ﴾ فإنه خاف على نفسه وقنط واضطرب حتّى كاد أن يدلّ عليهما فنهاه عن ذلك ﴿إِنَّ اللهَ مَعَنا﴾ عالم بنا وبما نسرّ من يقين وشك وأمل وقنوط ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة﴾ الى قوله: ﴿إلاّ هو معهم﴾[٢] أي عالم بهم، أو حافظنا ولا فضل له به، إذ من شأنه تعالى حفظ رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ومن معه من المؤمنين وغيرهم بالتبعية كما أنجى السامري واحزابه تبعاً لموسى عليه السّلام. [٣]

قيل: لمّا دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا بأسفله والعنكبوت نسجت عليه فأتى المشركون ورأوا ذلك فجعلوا يترددون حوله وعموا عن دخوله[٤]

(١) سورة الكهف: ١٨/ ٣٤.
(٢) سورة المجادلة: ٥٨/ ٧.
(٣) ينظر تفسير القمي ٢/ ٦٢.
(٤) قاله الزهري ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٣١ ـ، وانظر تفسير البيضاوي ٢: ٢٨٤.

﴿فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِيْنَتَهُ﴾ طمأنينته ﴿عَلَيْهِ﴾ على الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وافراده بها هنا مع اشتراك المؤمنين معـه بها حيث ذكرت[١] فيه مـا لا يخفى. وجعل الهاء لصـاحبه ينفيه كونها للـرسول قبل وبعد ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّـمْ تَرَوْها﴾ بالمـلائكة في الغـار أو في حروبه أكـان المؤيد الرسول أم صاحبـه. والتعليل باستغنائه صلّى الله عليه وآلـه وسلّم عنها وحاجـة ذاك اليها لخوفـه فاسد، إذ لا غنى لأحـد عن لطفه تعـالى، كيف وقد انـزلها عليـه وعلى المـؤمنين بعـد ذلـك كيوم حنيـن وغيره، فهـل احتـاجها بعـد استغنـائه ﴿وَجَعَلَ﴾ بنصره لرسوله ﴿كَلِمَةَ الَّذِيْنَ كَفَرُواْ السُّفْلَى﴾ أي الشرك أو دعـوته ﴿وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ أي التوحيـد أو دعوة الإسلام ونصب «يعقوب» «كلمـــة الله»[٢] والرفع أبـــلغ ﴿وَاللهُ عَزِيْزٌ﴾ فـــي أمـــره ﴿حَكِيْمٌ﴾ في صنعه.

[٤١]ـ ﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً﴾ نشاطاً وغيره نشاط، أو ركباناً ومشاةً أو أغنياء وفقراء أو صحاحاً ومرضى. ونسخ بآية ﴿ليس على الأعمى﴾[٣] و﴿ليس على الضعفاء﴾[٤] ﴿وَجاهِدُواْ بِأَمْـوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيْلِ اللهِ﴾ بما أمكـن منهما ﴿ذَلِكُمْ خَيـْرٌ لكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخير، علمتم انه خير.

[٤٢] ـ ﴿لَوْ كانَ﴾ ما دعـوا إليه ﴿عَرَضًا قَرِيبًا﴾ غنيمة سهلـة المأخذ ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ وسطاً ﴿لاَ تَّبَعُوكَ﴾ طمعاً في المال ﴿وَلِكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ المسافة التي يشق قطعهـا ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ﴾ ـ قـائلين اعتـذاراً ـ: ﴿لَوِ اسْتَطَعْنا﴾ الخروج ﴿لَخَرَجْنا مَعَكُمْ﴾ نـاب جـواب القسم، وفيـه إعجـاز إذ وقـع كمـا أخبـر ﴿يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ بالحلف الكاذب، حال من الواو ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾ في حلفهم.

(١) اي السكينة ـ كما ورد في سورة التوبة: ٩/ ٢٦ وسورة الفتح: ٤٧/ ٤و١٨ و٢٦.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٣١.

(٣) سورة النور: ٢٤/ ٦١.

(٤) سورة التوبة: ٩/ ٩١.

[٤٣] ـ ﴿عَفَا اللهُ عَنْكَ﴾ كان صلّى الله عليه وآله وسلّم أذن لجماعة بالتخلف عنه. وكان الأولى ترك الإذن فعوتب عليه، وقدم الدعاء له بالعفو تطميناً لقلبه وتوقيراً له ﴿لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ في التخلف وهلاّ تركتهم ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِيْنَ صَدَقُواْ﴾ في عذرهم ﴿وَتَعْلَمَ الْكاذِبِيْنَ﴾ فيه، قيل: لم يكن يعرف المنافقين يومئذ.

[٤٤] ـ ﴿لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ بإخلاص ﴿أَنْ﴾ في أن ﴿يُجاهِدُواْ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ أو في التخلف عن أن يجاهدوا ﴿وَاللهُ عَلِيْمٌ بِالْمُتَقِينَ﴾ ما ينافي الإخلاص.

[٤٥] ـ ﴿إِنّما يَسْتَأْذِنُكَ﴾ في التخلف ﴿الَّذِيْنَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ وارْتابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ شكت ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ يتحيرون.

[٤٦] ـ ﴿وَلَوْ أَرادُواْ الْخُرُوجَ﴾ معك ﴿لَأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً﴾ أهبتهُ من سلاح وزاد ﴿وَلٰكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ خروجهم لعلمه بما يكون فيه من الفساد ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ فكسّلهم عنه لذلك ﴿وَقِيْلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقاعِدِيْنَ﴾ المرضى والنساءوالصبيان، أي ألقى الله في قلوبهم ذلك، أو أمرهم الشيطان به بوسوسته، أو حكاية قول بعضهم لبعض.

[٤٧] ـ ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيْكُمْ ما زادُوكُمْ﴾ شيئاً ﴿إِلاّ خَبالاً﴾ فساداً وشرّاً، بيان لعلة الكراهة والتثبيط، ﴿وَلَأَوْضَعُواْ خِلالَكُمْ﴾ أسرعوا بإبلهم في الدخول بينكم بالنميمة والتخذيل من أوضعت[1] الناقة أي أسرعت ﴿يَبْغُونَكُمُ﴾ حال يطلبون لكم ﴿الْفِتْنَةَ﴾ بتخويفكم، وإلقاء العداوة بينكم ﴿وَفِيْكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ أي قابلون لقولهم أو عيون ينقلون حديثكم إليهم ﴿وَاللهُ عَلِيْمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ وما أضمروا لكم.

[٤٨] ـ ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ﴾ توهين أمرك وتخذيل أصحابك ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي يوم أحد حين انصرف «ابن أُبيّ» بأصحابه عنك ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ﴾ احالة للرأي في كيدك، وإبطال أمرك ﴿حَتَّى جاءَ الْحَقُّ﴾ نصر الله ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ﴾ على دينه

---

(١) في النسخ: وضعت.

﴿وَهُمْ كارِهُونَ﴾ ذلك.

[٤٩] ـ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائذَنْ لِي﴾ في التخلف، قـاله جـدّ بن قيس ﴿وَلا تَفْتِنِّي﴾ توقعـني في الفتـنة أي الإثـم بمخالفتك، بأن لا تأذن لـي، أو الفتنة بنساء الروم.

قال إني مولع بالنسـاء وأخاف أن افتن ببنات الأصفر[١] ﴿أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوْا﴾ بتخلفهم وخلافهم ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيْطَةٌ بِالْكَافِرِيْنَ﴾ لاخلاص لهم منها.

[٥٠] ـ ﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾ فتح وغنيمـة ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ لحسدهم ﴿وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيْبَةٌ﴾ نكبـة ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَـذْنا أَمْرَنا﴾ حذرنـا بتخلفنا ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قبل المصيبـة ﴿وَيَتَوَلَّواْ﴾ عنك أو عن ناديهم ﴿وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ بما أصابك.

[٥١] ـ ﴿قُلْ لَّنْ يُصِيبَنا إِلاّ مـا كَتَبَ اللهُ لَنا﴾ في اللـوح من رخاء أو شـدة أو في القـرآن من نصر أو شهـادة ﴿هُوَ مَوْلاَنَا﴾ متولي أمرنـا وناصرنا. ﴿وَعَلى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ لا على غيره.

[٥٢] ـ ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾ ـ أصله بتائين، حذفت إحداهما ـ تنتظرون ﴿بِنا إِلاَّ إِحْدَى﴾ العاقبتين ﴿الْحُسْنَيَيْنِ﴾ النصـر أو الشهادة، تثنيـة حسنـى، مؤنـث أحسن ﴿وَنَحْنُ نَتَـرَبَّص بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذابٍ مِـنْ عِنْدِهِ﴾ من السمـاء فيهلككم ﴿أَوْ بِأَيْدِيْنا﴾ بأن يأمرنا بقتلكم ﴿فتَربَّصُواْ﴾ عاقبتنا ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ عاقبتكم.

[٥٣] ـ ﴿قُلْ﴾ ـ جواباً لقول «جـد»: اتركني وأعينك بمالي ـ: ﴿أَنْفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ أمـر معناه الخبـر أي ﴿لَّنْ يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ نفقاتكـم ولن تثابوا عليهـا، انفقتم طائعين أو مكرهين. ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فاسِقِيْنَ﴾ علة لنفي التقبل، يقررها:

[٥٤] ـ ﴿وَمـا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَـلَ مِنْهُمْ نَفَقَـاتُهُـمْ﴾ مفعـول ثانـي وقرأه «حمـزة» و«الكسائي» بالياء[٢] ﴿إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللهِ وبِرَسُولِهِ﴾ فاعل ﴿وَلا يَأْتُونَ الصّلوةَ إِلاَّ وَهُمْ

(١) أي نساء الرّوم.

(٢) حجة القراءات: ٣١٩.

كُسالَى﴾ متثاقلون ﴿وَلا يُنْفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كارِهُونَ﴾ إذ لا يرجون بهما نفعاً ولا يخشون بتركهما ضرّاً.

[٥٥] ـ ﴿ فَلا تُعْجِبْكَ أَمْـوالُهُمْ وَلاَ أَوْلادُهُمْ﴾ لأنها استـدراج لهم ﴿إِنَّما يُرِيْدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ لام العـاقبـة، أو بمعنـى «ان» ﴿بِها فِـي الْحَيوةِ الـدُّنْيا﴾ بمشقة جمعها وحفظها والمصائب فيها ﴿وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ﴾ تخرج ﴿وَهُمْ كافِرُونَ﴾ حال لا تعلق له بالإرادة كه «أريد أن أضربه وهو عاص».

[٥٦] ـ ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ أي مؤمنون ﴿وَما هُمْ مِنْكُمْ﴾ لكفرهم باطناً ﴿وَلكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ يخافون القتل والأسر، فيظهرون الإيمان.

[٥٧] ـ ﴿لَـوْ يَجِـدُونَ مَلْـجَئًا﴾ حـرزاً يلـجئـون إليـه ﴿أَوْ مَغـارَاتٍ﴾ غيـراناً ﴿أَوْ مُدَّخَلاً﴾ سرباً يدخلونه ﴿لَوَلَّواْ﴾ عنكم ﴿إِلَيْهِ وَهُمْ يَجمَحُونَ﴾ يسرعون، لايردهم شيء كالفرس الجموح.

[٥٨] ـ ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ﴾ يعيبك ﴿فِي الصَّدَقاتِ﴾ في قسمها ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْها رَضُواْ وإِنْ لَّمْ يُعْطَـواْ مِنْهَا إِذا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ «إذا» للمفاجاة، نـابت فاء الجزاء، نزلت في «أبي الجوّط»[1] المنافق، عاب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في قسمه الصدقات بأنه لا يعدل، وقيل في غيره[2] عابه في قسمه غنائم حنين.

وقال الصادق عليه السّلام: أهل هذه الآية أكثر من ثلثي الناس.[3]

[٥٩] ـ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ ما ءَاتَـاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾ من الصدقـة أو الغنيمة ﴿وَقالُواْ

---

(١) في «ب» و«ج»: الخوط وفي «ط» الخواط، والصحيح ما اثبتنـاه ـ كما في تفسير الكشّاف ٢ :٤٥ وتفسير البيضاوي ٢ : ٢٨٧ـ.

(٢) وهو ذوالخويصرة التميمي: حرقوص بن زهير ـ كما في تفسير القرطبي ٨ :١٦٦ ـ وانظر تفسير نور الثقلين ٢ : ٢٢٧.

(٣) تفسير نور الثقلين ٢ :٢٢٨ ـ وتفسير مجمع البيان ٣ : ٤١.

﴿حَسْبُنَا اللهُ﴾ كافينا ﴿سَيُؤْتِيْنَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ صدقة أو غنيمة أخرى، ﴿وَرَسُولُهُ﴾ فيوفر حظنا ﴿إِنَّا إِلى اللهِ رَاغِبونَ﴾ أن يغنينا، وجـواب «لو» مقـدار أي «لكان خيـراً لهـم» ثم قطع طمعه ببيان مصرف الصدقات بقوله:

[٦٠] ـ ﴿إِنَّما الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَالْمَساكِيْنِ﴾ أي الزكوات للمـذكورين لا غير. واللام لبيان المصرف فلايجب البسط على الأصناف، وعليه الأصحاب واكثر العامة.

وقيل للملك فيجب البسط عليهم وعليه الشافعي.[١]

واختلف في ان الفقـراء والمساكين واحد أو صنفـان، وفي [ان][٢] ايهما أسـوأ، ولا حاجة هنا الـى تحقيقه إذ المعتبر العجز عن قوت السنة له ولـواجبي النفقة، وهما يشتركان فيه. ﴿وَالْعَامِلِيْنَ عَلَيْها﴾ السعاة في جمعها ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ من الكفار ليسلموا أو ليـذبّوا عـن المسلمين، أو قوم أسلمـوا يعطون لتقـوّى نياتهم، أو ليـرغب نظراؤهم في الإسلام ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ في فكّها بإعانة المكاتبين منها وابتياع المماليك وعتقهم، إذا كانوا في شدة، أو عدم المستحقق وقيل: مطلقاً[٣] وهو ظاهر الآية.

وعـدل عن «الـلام» الـى «في» إيـذانـاً بأن الصـرف فـي الجهـة لا إلى الـرقـاب ﴿وَالْغَارِمِينَ﴾ المديـونين في غيـر معصية، أو تابـوا وليس لهم وفاء، أو فـي إصلاح ذات البين ولـو أغنياء ﴿وَفِي سَبِيْلِ اللهِ﴾ الجهاد وجميع المصـالح ﴿وَابْنِ السَّبِيْلِ﴾ المنقطع في السفر ولـو غنياً في بلده ﴿فَرِيْضَةً مِّنَ اللهِ﴾ أي فرضها لهـم فريضة ﴿واللهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيْمٌ﴾ في تدبيره.

[٦١]ـ ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِيْنَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ باغتيابه ونمّ حديثه ﴿وَيَقُولُونَ﴾ ـ لمن ينهاهم منهم عن ذلك لئلا يبلغه ـ: ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ يسمع كل قول ويقبله، فإذا قلنا له صدّقنا.

---

(١) في تفسير الكشّاف ٢ : ٤٥، وعند الشافعي لابد من صرفها الى الاصناف الثمانية.

(٢) زيادة اقتضاها السياق.

(٣) وقد وردت به رواية ذكرها صاحب تفسير الصافي ٢ : ٣٥٢ عن الصادق عليه السّلام.

سمّي بالجارحة مبالغة كالعين للربيئة، أو من أَذِنَ[1] أُذُناً: إستمع. ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ﴾ مستمع خير ﴿لَّكُمْ﴾ لامستمع شرّ ﴿يُؤْمِنُ بِاللهِ﴾ يصدق به لدلائله ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يصدقهم لخلوصهم. واللام زائدة للفرق بين إيمان الإذعان وغيره ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ وهو رحمة.

وجرّها «حمزة» عطفاً على «خير»[2] ﴿لِلَّذِيْنَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾ ظاهراً إذ يقنع بذلك، ولا يكشف سرّكم رفقاً بكم لاجهلاً بحالكم. ﴿وَالَّذِيْنَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ﴾ ويشمل من يؤذي أهل بيته عليه السّلام بشهادة الأخبار:

«يا علي من آذى منك شعرة فقد آذاني» الحديث.[3]

و«فاطمة بضعة منّي من آذاها فقد آذاني»[4] وغيره[5] ﴿لَهُمْ عَذابٌ أَلِيْمٌ﴾ النار ويحتمل القتل.

[٦٢] ـ ﴿يحلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون أنهم لم يقولوا ما بلغكم عنهم ﴿لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرضُوهُ﴾ بالطاعة. وأفرد الضمير لتلازم الرضائين،

---

(١) الربيئة: الجاسوس.

(٢) حجة القراءات: ٣٢٠ وتفسير مجمع البيان ٣: ٤٣.

(٣) رواه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٤: ٣٧٠ وروى معناه الشيخ جعفر بن احمد القمي في كتابه «المسلسلات» بسبعة اسانيد: الاحاديث ٥ـ١٠ بألفاظ مختلفة.

وقال: قلنا لزيد بن علي عليه السّلام من يعني؟ قال: يعنينا ولد فاطمة عليها السّلام لاتدخلوا بيننا فتكفروا.

(٤) وامّا حديث فاطمة بضعة منّي فقد رواه الكثير من المحدثين فمن رواه من العامة احمد بن حنبل في مسنده ٤: ٥ و٣٢٣ و٣٢٦ و٣٢٨ و٣٣٢ وفي الفضائل برقم ١٣٢٠ و١٣٢٩ و١٣٣٠ و١٣٣٣ و١٣٣٤ و١٣٤٧ والبخاري ٧: ٨٥ و٣٢٧ ومسلم ٤: ٩٠٣ وابوداود ٢: ٢٢٥ و٢٢٦ والترمذي ٥: ١٩٨ والحاكم في المستدرك ٣: ١٥٤ و١٥٨ والهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ٢٣ و٢٠٣ والمحب في ذخائر العقبى ١: ٣٨ وغيرهم.

(٥) في هامش«الف» في هذا الموضع مايلي: وعيد لمؤذي الرسول وعترته عليهم السّلام.

أو على تقدير خبر أحدهما كالمذكور ﴿إِنْ كانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ حقاً.

[٦٣] - ﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ﴾ أي الشأن ﴿مَنْ يُحادِدِ﴾ يشاقق ﴿اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ﴾ فحق أن ﴿لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِدًا فِيْها ذلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ الهوان الفظيع.

[٦٤] - ﴿يَحْذَرُ الْمنافِقُونَ﴾ يخافون، وقيل: بمعنى الأمر[1] ﴿أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ على المؤمنين ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِما فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الشرك فتفضحهم، وقيل أظهروا الحذر فيما بينهم استهزاءاً[2] ﴿قُلِ اسْتَهْزِءُواْ﴾ تهديد ﴿إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ﴾ مظهر ﴿مَّا تَحْذَرُونَ﴾ اظهاره من نفاقكم.

[٦٥] - ﴿وَلَئِنْ﴾ اللام موطئة للقسم ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾ عن استهزائهم بك وبالقرآن ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّما كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ قيل: كانوا يقولون في مسيرهم الى تبوك: «يزعم محمّد أنه يفتح مدائن الروم ما أبعد ذلك» فأخبره الله تعالى فدعاهم وقال: قلتم كذا وكذا، قالوا: «إنّما كنا نخوض ونلعب في الحديث لنقطع به الطريق ولم نك في شأنك»[3] ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾.

[٦٦] - ﴿لاَ تَعْتَذِرُواْ﴾ بالمعاذير الكاذبة ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ﴾ أظهرتم كفركم بما فعلتموه ﴿بَعْدَ إِيمانِكُمْ﴾ بعد إظهاركم الإيمان ﴿إِنْ نَّعْفُ[4] عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ﴾ لتوبتهم وإخلاصهم ﴿نُعَذِّبْ[5] طائِفَةً بِأَنَّهُمْ كانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ مصرّين على نفاقهم، وقرأ «عاصم» بالنون فيهما،[6] والبناء للفاعل، ونصب «طائفة» والباقون، الأول بالياء،

(١) وهو قول الزجاج - كما في تفسير القرطبي ٨: ١٩٥ معناه: ليحذره.

(٢) معناه في تفسير نور الثقلين ٢: ٣٣٧ الحديث ٢٢١.

(٣) نقله الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٦ والبيضاوي في تفسيره ٢: ٢٨٩.

(٤) في «الف» و«ب»: يعف.

(٥) في «الف» و«ب»: تعذَّب.

(٦) حجة القراءات: ٣٢٠ - وعليه المصحف الشريف و«ج» و«ط» -.

والثاني بالتاء وبنائهما للمفعول ورفعهما.[١]

[٦٧] ـ ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ في الدين أي النفاق ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾ الشرك والمعصية ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ الإيمان والطاعة ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ عن الإنفاق في الخير ﴿نَسُواْ اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ تركوا طاعته فتركهم من لطفه ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِيْنَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المتمرّدون في الكفر.

[٦٨] ـ ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِيْنَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نارَ جَهَنَّمَ خَالِدِيْنَ فِيْها﴾ حال مقدرة ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ عقوبة ﴿وَلَعَنَهُمُ اللهُ﴾ ابعدهم عن رحمته ﴿وَلَهُمْ عَذابٌ مُقِيْمٌ﴾ دائم.

[٦٩] ـ ﴿كَالَّذِيْنَ﴾ أي أنتم أيها المنافقون مثل الذين ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وفيه التفات ﴿كانُواْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً﴾ بطشاً ومنعة ﴿وَأَكْثَرَ أَمْوالاً وَأَوْلادًا فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلاقِهِمْ﴾ بنصيبهم من شهوات الدنيا الفانية وآثروها على نعم الآخرة الباقية ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ﴾ أنتم أيضاً ﴿بِخَلاقِكُمْ﴾ وآثرتم الحقير الفاني على الجليل الباقي ﴿كَما اسْتَمْتَعَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ﴾ في الباطل ﴿كَالَّذِي﴾ كالذين ﴿خَاضُواْ﴾ أو كخوضهم ﴿أُوْلئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ﴾ فلا يثابون عليها ﴿فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ وَأُوْلئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ﴾ للدارين.

[٧٠] ـ ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ﴾ خبر ﴿الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أهلكوا بالغرق ﴿وَعادٍ﴾ قوم هود بالريح ﴿وَثَمُودَ﴾ قوم صالح بالرجفة ﴿وَقَوْمِ إِبْراهِيْمَ﴾ بسلب النعم، ونمرود ببعوض ﴿وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾ قوم شعيب بعذاب يوم الظلة[٢] ﴿وَالْمُؤْتَفِكاتِ﴾ قرى قوم لوط، ائتفكت بهم أي انقلبت ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الواضحة فكذبوهم فأهلكوا ﴿فَمَا كانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بإهلاكهم ﴿وَلكِنْ كَانُواْ أَنْفُسَهُمْ

(١) كما اشرنا اليه في الهامش(٤) و(٥) من الصفحة السابقة.

(٢) ينظر الآية ١٨٩ من سورة الشعراء.

﴿يَظْلِمُونَ﴾ إذ عرّضوها للهلاك بكفرهم.

[٧١] ـ ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ﴾ ذكروا في مقابلة أضدادهم المنافقين ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ﴾ السين تؤكد الوقوع ﴿إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾ لا يمنع عما يريد ﴿حَكِيمٌ﴾ يضع كل شيء موضعه.

[٧٢] ـ ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ خالِدِيْنَ فِيْها وَمَساكِنَ طَيِّبَةً﴾ يطيب فيها العيش، قصور من لؤلؤ وياقوت وزبرجد ﴿فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ إقامة وخلد.

وعنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة: النبيين والصدّيقين والشهداء، يقول الله تعالى: طوبى لمن دخلك»[١] ﴿وَرِضْوانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ أي رضاه عنهم أعظم من ذلك كله لأنه الموصل إليه ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿هُوَ الْفَوزُ الْعَظِيْمُ﴾ عن أن يدانيه نعيم الدنيا.

[٧٣] ـ ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَالْمُنافِقِيْنَ﴾ بالوعظ والحجة ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ بالقول والفعل ﴿ومَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئسَ الْمَصِيْرُ﴾ المرجع هي.

[٧٤] ـ ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ ما قَالُواْ﴾ قيل: قال: جلاّس بن سويد: ان كان ما يقول محمّد في إخواننا المتخلفين حقاً فنحن شرّ من الحمير، فبلغ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فأحضره فحلف بالله ما قاله، فنزلت، فتاب.[٢]

وقيل في جماعة شتموه صلّى الله عليه وآله وسلّم وحلفوا ما قالوا[٣] ﴿وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾ أظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام ﴿وَهَمُّواْ بِما لَمْ يَنالُواْ﴾

---

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ٥٠.

(٢) عن الكلبي ومحمّد بن اسحاق ومجاهد ـ كما في تفسير مجمع البيان ـ ٣: ٥١.

(٣) عن الضحاك ـ كما في تفسير مجمع البيان ـ ٣: ٥١.

من قتل النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ليلة العقبة في عوده من تبوك، وهم اثنا عشر، فأخبره الله بذلك، فأمر حذيفة فضرب وجوه رواحلهم فردّوا.

أو اخراجه من المدينة ﴿وما نَقَمُواْ﴾ وما انكروا ﴿إلاّ أَنْ أَغْناهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالغنائم بعد فقرهم وحاجتهم أي لم يصبهم منه إلاّ هذا وليس مما ينقم ﴿فَإِنْ يَتُوبُواْ﴾ عن النفاق ويخلصوا ﴿يَكُ﴾ أي التوب ﴿خَيْرًا لَّهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّواْ﴾ عن الخير ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنيَا﴾ بالقتل ﴿وَالآخِرَةِ﴾ بالنار ﴿وما لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِنْ وَلِيّ﴾ يمنعهم منه ﴿وَلا نَصِيرٍ﴾ يدفعه عنهم.

[٧٥] ـ ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عاهَدَ اللهَ لَئِنْ ءَاتَانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ لنتصدّقنّ ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِيْنَ﴾ قيل سأل ثعلبة بن حاطب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يدعوا الله أن يرزقه، فتوقف عنه فعاوده، وحلف أن يعطى كل ذي حق حقه، فدعا له فاتخذ غنماً، فنمت فضاقت بها المدينة، فتنحى عنها، وانقطع عن الجمعة والجماعة وامتنع أن يعطي الزكاة للمصدّق، وقال: ما هذه إلاّ جزية فنزلت.[١]

[٧٦] ـ ﴿فَلَمَّا ءَاتَاهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ﴾ منعوا حق الله منه ﴿وَتَوَلَّواْ﴾ عن اعطائه ﴿وَّهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ عن الدين.

[٧٧] ـ ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ فاورثهم بخلهم، أو تركهم وما اختاروا فأرونهم فعلهم ﴿نِفَاقًا﴾ ثابتاً ﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ أي جزاء بخلهم، أو الله وهو يوم القيامة ﴿بِما أَخْلَفُواْ اللهَ ما وَعَدُوهُ وَبِما كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ بسبب إخلافهم الوعد وكذبهم.

[٧٨] ـ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ﴾ أي المنافقون ﴿أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ ما يضمرون في أنفسهم ﴿وَنَجْواهُمْ﴾ ما يتناجون به بينهم ﴿وَأَنَّ اللهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ ما غاب عن خلقه.

[٧٩] ـ ﴿الَّذِيْنَ﴾ بدل من الضمير في «سرّهم»، أو ذم مرفوع، أو منصوب

---

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ٥٣ وتفسير البيضاوي ٢: ٢٩١ ـ وتفسير الكشّاف ٢: ٥٠.

﴿يَلْمُزونَ﴾ يعيبون ﴿الْمُطَّوِّعِيْنَ﴾ المتطوّعين ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ فِي الصَّدَقاتِ وَالَّذِيْنَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ﴾ طاقتهم فيتصدقون به.

قيل لمّا نزلت آية الصدقة أتى رجل النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بمائة وسق تمر، فقالوا: إنما أعطى رياءً.

وأتي آخر بصاع تمر، فقالوا: ان الله غني عن صاعه[1] ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ يستهزءون بهم ﴿سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ﴾ جازاهم على سخريتهم ﴿وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيْمٌ﴾.

[٨٠] ـ ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي الامران سواء في عدم نفعهم ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ﴾ أريد بالسبعين المبالغة في الكثرة، لا خصوصيه العدد، وقد شاع استعمالها في ذلك.

وعنه (ص): «لو اعلم أني لو زدت على السبعين غفر (لهم) لزدت».[2]

وحديث «لأزيد على السبعين»[3] ممنوع،[4] ولو سلم جاز أن يكون بشرط التوبة فأخبر بأنهم لن يتوبوا ولن يغفر الله لهم بآية: ﴿سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم﴾[5] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِيْنَ﴾ لا يلطف بهم لإصرارهم على كفرهم.

[٨١] ـ ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ عن تبوك ﴿بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللهِ﴾ بقعودهم خلفه أي بعده ﴿وَكَرِهُواْ أَنْ يُجاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيْلِ اللهِ﴾ ايثاراً للراحة على طاعة الله ﴿وَقَالُواْ﴾ للمؤمنين تثبيطا[6]، أو قال بعضهم لبعض: ﴿لاَ تَنْفِرُواْ

---

(١) نقله المؤلف بالمعنى، ومعناه في تفسير مجمع البيان ٣: ٥٤ وتفسير الكشّاف ٢: ٥٠.

(٢) ينظر تفسير مجمع البيان ٣/ ٥٥.

(٣) ينظر تفسير البيضاوي ٢: ٢٩٢ وتفسير الكشّاف ٢: ٥١.

(٤) وقال الطبري في تفسير مجمع البيان ٣/ ٥٥ في وجه المنع «فإنه خبر واحد لا يعوّل عليه ولا يتضمّن انّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يستغفر لكفّار وذلك غير جائر بالاجماع.

(٥) سورة المنافقون: ٦٣/ ٦.

(٦) التثبيط: الحبس

فِي الْحَرِّ قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً﴾ من الغزو، فهي أولى بالإحتراز عنها ﴿لَوْ كانُواْ يَفْقَهُونَ﴾ أنهم يصلونها بتخلفهم ما تخلفوا.

[٨٢] ـ ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيْلاً﴾ في الدنيا ﴿وَلْيَبْكُواْ كَثِيْرًا﴾ في الآخرة. إخبار عن حالهم بصيغة الأمر ليؤذن بتحتمه ﴿جَزاءً بِمَا كانُواْ يَكْسِبُونَ﴾.

[٨٣] ـ ﴿فَإِنْ رَّجَعَكَ اللهُ﴾ ردّك من تبوك ﴿إِلى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾ ممن تخلف في المدينة من المنافقين ﴿فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ معك إلى غزاة أخرى ﴿فَقُلْ لَّنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقاتِلُواْ مَعِي عَدُوًّا﴾ إخبار معناه النهي معلل بقوله: ﴿إِنَّكُمْ رَضِيْتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي في غزاة تبوك. وسكن «أبو بكر» و«حمزة» و«الكسائي» «ياء» «معي» أبداً[١] وفتح «حفص» ياء معي «عدوّاً»[٢] ﴿فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ المتخلفين لعذر كالنساء والصبيان، أو المخالفين.

[٨٤] ـ ﴿وَلا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَّاتَ أَبَدًا﴾ قيل: ذهب صلّى الله عليه وآله وسلّم ليصلي على «ابن أبيّ» حين مات، فنزلت، وقيل صلى عليه فنزلت[٣] ﴿وَلا تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ﴾ لدفن أو دعاء ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ علة للنهى.

[٨٥] ـ ﴿وَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ إِنَّما يُرِيْدُ اللهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِها فِي الدُّنْيا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كافِرُونَ﴾ فسرت[٤] وكررت تأكيداً أو في فريق آخر.

[٨٦] ـ ﴿وَإِذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾ من القرآن ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿ءَامِنُواْ بِاللهِ وَجاهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُواْ الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ ذووا الغنى ﴿وَقالُواْ ذَرْنا نَكُنْ مَّعَ الْقاعِدِيْنَ﴾ المتخلفين لعذر.

[٨٧] ـ ﴿رَضُواْ بِأَنْ يَكُونُواْ مَعَ الْخَوالِفِ﴾ النساء، جمع خالفة أي المتخلفة،

(١و٢) النشر في القراءات العشر ٢ : ٢٨١ .

(٣) تفسير البيضاوي ٢ : ٢٩٣ وفيه: ثم نزلت.

(٤) في الآية(٥٥) من هذه السورة.

أو السلفة ﴿وَطُبِعَ عَلى قُلُوبِهِمْ﴾ تقدم تفسيره[1] ﴿فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾ ما هو خير لهم.

[٨٨] ـ ﴿لكِنِ الرَّسُولُ وَالَّـذِيْنَ ءَامَنُواْ مَعَهُ جاهَدُواْ بِأَمْـوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُوْلئِكَ لَهُمُ الْخَيْراتُ﴾ حسنات الدارين من الغنائم والثواب، أو الحور ﴿وَأُوْلئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الظافرون بالبغية.

[٨٩] ـ ﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّـاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهـارُ خالِدِينَ فِيْهـا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ لدوامه بالإجلال والإكرام.

[٩٠] ـ ﴿وَجاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرابِ﴾ المقصرّون، من عَذَّر أي قصر، معتذراً ولا عذر له، أو المعتذرون، أدغمت التاء في الذال ونقلت فتحتها الى العين.

قيل: هم من لهـم عذر، وهم نفر مـن بنى غفار[2] ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ بالقعود لعذر باطل أو حق ﴿وَقَعَـدَ﴾ لا لعذر، أو لعـذر باطل ﴿الَّذِينَ كَذَّبُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ بإدعاء الإيمان أو بعذرهم ﴿سَيُصِيبُ الَّذِيْنَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِيْمٌ﴾ القتل والنار.

[٩١] ـ ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَـفَـاءِ﴾ كالشيوخ ﴿وَلا عَلَى الْمَـرْضَى﴾ كالـزمنى[3] ﴿وَلا عَلَى الَّـذِيْنَ لاَ يَجِـدُونَ مـا يُنْفِقُونَ حَـرَجٌ﴾ اثـم في التخلـف ﴿إِذا نَصَحُـواْ للهِ وَرَسُولِهِ﴾ في حال قعودهم بالطاعة وما فيه صلاح الدين ﴿ما عَلَى الْمُحْسِنِيْنَ﴾ بذلك أو الأعم منه ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ طريق بالعقوبة ﴿وَاللهُ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

[٩٢] ـ ﴿وَلاَ عَلَى الَّذِيْنَ إِذا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ على مراكب للغزو معك.

---

(١) يـريد تفسـير الطـبع على القـلب وقد تقـدّم تفسيره في سورة النسـاء: ٤/ ٥٥ وسـورة الاعراف: ٧/ ١٠٠.

(٢) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٥٩.

(٣) الزمنى: جمع الزمن، وهـو: من لزمته الزمانة، وهي: العاهـة او عدم بعض الأعضاء، والأطباء يخصونها بالشلل.

وقيل: على الخفاف والنعال،[1] وهم سبعة من الأنصار أو من قبائل شتى[2] ﴿قُلْتَ لا أَجِدُ ما أَحمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ حال بتقدير «قد» ﴿تَوَلَّواْ﴾ انصرفوا جواب «إذا» ﴿وَّأَعْيُنُهمْ تَفِيْضُ﴾ تسيل ﴿مِنَ الدَّمْعِ﴾ نصب محلاً تمييزاً، أو «من» بيانية ﴿حَزَنًا﴾ مفعول له، أو حال، أو مصدر ﴿أَلَّا يَجِدُواْ ما يُنْفِقُونَ﴾ في الجهاد.

[٩٣] ـ ﴿إِنَّما السَّبِيلُ﴾ بالعقوبة ﴿عَلَى الَّذِيْنَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ بالمال ﴿رَضُواْ بِأَنْ يَكُونُواْ مَعَ الْخَوالِفِ وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ فسر.[3]

[٩٤] ـ ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ في التخلف ﴿إِذا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من «تبوك» ﴿قُلْ لاَ تَعْتَذِرُواْ﴾ بالكذب ﴿لَنْ نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ لن نصدقكم إذ ﴿قَدْ نَبَّأَنا اللهُ﴾ أعلمنا ﴿مِنْ أَخْبارِكُمْ﴾ بعضها وهو ما اضمرتم من النفاق ﴿وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ هل تتوبون، أو تُصرّون على كفركم ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ﴾ أي إلى الله ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالجزاء عليه.

[٩٥] ـ ﴿سَيَحلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ رجعتم من «تبوك» انهم تخلفوا لعذرٍ ﴿لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾ فلا توبّخوهم ﴿فَأَعرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ قذر، خبيثو الباطن لا ينفع فيهم التوبيخ ﴿وَمَأْوَاهُم جَهَنَّمُ جَزاءً﴾ مصدر، أو علة ﴿بِماكانُواْ يَكْسِبُونَ﴾.

[٩٦] ـ ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَواْ عَنْهُمْ﴾ بالحلف ﴿فَإِنْ تَرْضَواْ عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أي رضاكم لاينفعهم مع سخط الله، والمراد النهي عن الرضا عنهم.

---

(١) في«ب»: البغال ـ قلت: المراد بالنعال هي المخصوفة ـ كما في تفسير القرطبي ٨: ٢٢٨ وتفسير البيضاوي ٢: ٢٩٤.

(٢) نقل معناه القرطبي في الجامع ٨: ٢٢٨.

(٣) في سورة النساء: ٤/ ٥٥ وسورة الاعراف: ٧/ ١٠٠.

[٩٧] ـ ﴿الأَعْرابُ﴾ أهل البـدو ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَـاقًا﴾ من أهـل المـدن، لغلظ طباعهم، وبُعـدهم عن سماع القـرآن ومخالطـة أهـل العـلم ﴿وَأَجْدَرُ﴾ وأحق بأن ﴿اَلاّ يَعْلَموا حُدُودَ ما أَنْزَلَ اللهُ عَلى رَسُولِهِ﴾ من الفرائض والسنن ﴿وَاللهُ عَلِيْمٌ﴾ بأحوال خلقه ﴿حَكِيْمٌ﴾ في حكمه فيهم.

[٩٨] ـ ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ﴾ يعدّ ﴿ما يُنْفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿مَغْرَمًا﴾ غرماً وخسراناً إذ لا يرجـو ثواباً بل ينفقه خوفاً وريـاءً، وهـم «اسد» و«غطفان» ﴿وَيَتَرَبَّصُ﴾ ينتظر ﴿بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ صروف الزمان وانقـلابه عليكم ليخلصوا منكم ﴿عَلَيْهِمْ دائِرَةُ﴾ منقلـبة ﴿السَّوءِ﴾ ـ بالفتح ـ: الرداءة، مصـدر، وضمه «ابن كثيـر» و«أبو عمرو »[١] وهـو المكـروه أي ينقلـب عليهم البـلاء والضـرر لا عليكـم ﴿وَاللهُ سَمِيْعٌ﴾ لمقالهم ﴿عَلِيْمٌ﴾ بأحوالهم.

[٩٩] ـ ﴿وَمِنَ الْأَعْرابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ﴾ قيل: هم «جهينة» و«مزينة» ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُباتٍ﴾ سبب تقرب ﴿عِنْدَ اللهِ وَصَلَواتِ الرَّسُولِ﴾ وسبب دعائه له، إذ من سنته الـدعاء للمتصدقيـن ولو بلفظ الصلاة. ومنعُهـا على غيره إلاّ منه ـ لأنها منصبه، فلـه التفضل به على غيـره كما صلى علـى آل أبي أوفى[٢]. مخالف للكتاب والسنة بإعتراف المانع،[٣] وحمله عليه سدّ باب الصلاة على آله منفردين صلوات الله عليهم، وهو محض نصبٍ وعداوة لهم عليهم السّلام، كما يشهد به تركهم الصلاة عليهم بتبعيته صلّى الله عليه وآله مع نقلهم عنـه حين سئل: «كيف نصلي عليك؟» أنه قال:

---

(١) حجة القرءات: ٣٢١.

(٢) كما ورد في تفسير البيضاوي ٢: ٢٩٥ قوله(ص): اللّهم صل على آل أبي أوفى.

(٣) اي من يمنـع الصلاة على غيـر النبي ـ كما عـن بعض العـامة ـ هذا وسيـأتي في ذيل تفسيـر الآية(١٠٣) من هذه السورة تاييداً يذكـره المصنّف لجواز الصلاة على غير النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم.

قولـوا: اللهم صل على محمّد وآل محمّـد . . . إلى آخره»[1] ﴿أَلا إِنَّها﴾ إي نفقتهم ﴿قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾ عند الله. وضم «ورش» الراء[2] ﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ جنته. وعد محقق بالسين ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لمن اطاعه ﴿رَحِيمٌ﴾ به.

[١٠٠] ـ ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ﴾ أهل «بدر» أو من صلّوا القبلتين، أو من أسلمـوا قبل الهجـرة ﴿وَالْأَنْصارِ﴾ أهل بيعـة العقبـة الأولى ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ في العقائد والأعمال الى يـوم القيامة ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بثوابه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهارُ﴾ وقرأ «ابن كثيـر» «من تحتها»[3] ﴿خالِدِيْنَ فِيْها أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٠١] ـ ﴿وَمِمَّنْ حَولَكُمْ﴾ حـول مـدينتكم ﴿مِّنَ الْأَعْرابِ مُنـافِقُونَ﴾ «غفار» و«أسـلم» وغيـرهـم ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَـدِينَةِ﴾ مـنافقـون أيضـاً ﴿مَرَدُوا﴾ مرنـوا وثبتـوا ﴿عَلَى النِّفاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ بأعيانهم ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ بالفضيحة.

أو القتل وعذاب القبر ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلى عَذابٍ عَظِيمٍ﴾ النار.

[١٠٢] ـ ﴿وَءَاخَرُونَ﴾ مبتـدأ، صفتـه ﴿اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ بتخلّفهم. وخبـره ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا﴾ اعترافهم بالذنب أو غيره ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ تخلفهم.

نزلت في «أبي لبابة» وجماعة[4] تخلفوا، فلما سمعوا ما نزل في المتخلفين شدّوا أنفسهم فـي سـواري المسجد، وحلفـوا ان لا يحلهـم إلاّ النبيّ صلّى الله عليه وآلـه وسلّم، وحلف هو أن لا يحلّهـم حتى يؤمر فيهم، فلمّـا نزل: ﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَتُـوبَ عَلَيْهِمْ﴾ حلّهم ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لمن تاب ﴿رَحِيمٌ﴾ به.

---

(١) رواه العامة في كتبهم تعليم النبي صلّى الله عليه وآلـه وسلّم كيفيّة الصلاة عليه بهذا اللفظ او بما يقرب منه، ـ وممن روى ذلك احمد بن حنبل في مسنده ١: ١٦٢ و١٩٩ و٤٣٧و٤٣٩و٢: ٤٤٠ و٤: ١١٨ و١١٩ و٢٤١ و٢٤٣ و٥: ٢٧٣ و٢٧٤ و٣٥٣ و٤٢٤وغيرها.

(٢ـ٣) حجة القراءات: ٣٢٢.

(٤) انظر تفصيل امرهم في تفسير مجمع البيان ٣: ٦٧.

[١٠٣] ـ ﴿خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً﴾ قيل لما حلّهم قالوا يا رسول الله: «خذ أموالنا التي خلّفتنا فتصدق بها فطهرنا، فقال ما أمرت بأخذ شيء من أموالكم» فنزلت، فأخذ الزكاة المشروعة[١] ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ هي أو أنت من ذنوبهم. صفة «صدقة» ﴿وَتُزَكِّيهِمْ﴾ تنمّي حسناتهم ﴿بِها وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ وادع لهم، وجوباً أو ندباً، وكذا الإمام. ويستحب للساعي والفقير ولو بصيغة الصلاة.

وهذا نص في جواز الصلاة على غيره صلّى الله عليه وآله وسلّم منفرداً بل في رجحانها ﴿إِنَّ صَلَوتَكَ﴾[٢] وأفردها «حفص» و«حمزة» و«الكسائي»[٣] ﴿سَكَنٌ لَهُمْ﴾ رحمة أو طمأنينة بقبول التوبة ﴿وَاللهُ سَمِيعٌ﴾ لدعائك ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه.

[١٠٤] ـ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ تقرير وحثّ على التوبة والصدقة ﴿أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ﴾ ضُمِّن معنى التجاوز فعدي بـ«عن» ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقاتِ﴾ يقبلها ﴿وَأَنَّ اللهَ هُوَ التَّوّابُ﴾ يقبل توبة التائبين ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم.

[١٠٥] ـ ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا﴾ ما شئتم ﴿فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ﴾ من خير وشرّ، لا يخفى عليه ﴿وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ أئمة الهدى عليهم السّلام.

إذ ورد عنهم: ان أعمال الأمة تعرض عليهم،[٤] ﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾ بالبعث ﴿إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالمجازاة عليه.

[١٠٦] ـ ﴿وَءَاخَرُونَ﴾ من المتخلفين ﴿مُرْجَئُونَ﴾[٥] ولم يهمزه «نافع»

---

(١) عن الجبّائي واكثر المفسرين ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٦٨ـ.

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «صلاتك» ـ كما سيشير اليه المؤلّف ـ.

(٣) حجة القراءات: ٣٢٢.

(٤) انظر تفصيل الروايات الواردة في هذا المعنى في تفسير الصافي ٢: ٣٧٣ وتفسير البرهان ٢: ١٥٧ـ ١٦٠.

(٥) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «مرجون».

و«الكسائي» و«حفص»، [١] مؤخرون وموقوفون ﴿لِأَمْرِ اللهِ﴾ فيهم ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ والترديد بإعتبار عدم علم العباد بحالهم ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ﴾ بحالهم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يفعل بهم، وهم «مرار بن الربيع» و«هلال بن أُمية» و«كعب بن مالك» تخلفوا كسلاً لانفاقاً، ولم يعتذروا بالكذب، فأمر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم الناس بهجرهم، فبقوا خمسين ليلة حتّى نزلت توبتهم.

[١٠٧] ـ ﴿وَالَّذِينَ﴾ مبتدأ حذف خبره أي: ومن المنافقين الذين، وكذا على قراءة «نافع» و«ابن عامر» بلا «واو» [٢] ﴿اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرارًا﴾ مضارة لأهل مسجد «قبا» بني عمرو بن عوف، إذ بنوه وسألوا النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يأتيهم، فأتاهم فصلى فيه، فحسدهم منافقو بني «غنم بن عوف» وبنوا مسجداً وسألوه صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يصلي فيه، وكان متجهّزاً الى «تبوك» فقال: أنا على جناح سفر ولو قدمنا صلينا فيه إن شاء الله، فلما رجع نزلت. ﴿وَكُفْرًا﴾ لأنهم بنوه معقلا[٣] «لأبي عامر الراهب» إذا قدم وكان ذهب ليأتي بجنود «قيصر» لحرب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بأن يصلي بعضهم في مسجدهم، فتختلف كلمتهم ﴿وَإِرْصَادًا﴾ ترقّباً ﴿لِمَنْ حارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل بنائه وهو أبو عامر الراهب ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنا﴾ ببنائه ﴿إِلاَّ﴾ الخصلة ﴿الْحُسْنَى﴾ من الصلات[٤] والتوسعة على الضعفاء ﴿وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُم لَكاذِبُونَ﴾ في حلفهم.

[١٠٨] ـ ﴿لاَ تَقُمْ﴾ لا تصلّ ﴿فِيهِ أَبَداً﴾ فبعث صلّى الله عليه وآله وسلّم نفراً أحرقوه وهدموه، وصار محلاً للجيف ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ﴾ بني أصله ﴿عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ

---

(١) حجة القراءات: ٣٢٣.

(٢) حجة القراءات: ٣٢٤.

(٣) المعقل: الملجأ والقلعة.

(٤) وفي«الف» و«ب»: الصلاة، ويؤيده ما في تفسير البيضاوي ٢: ٢٩٧: وهي الصلاة والذكر والتوسعة على المصلين.

يَوْمٍ﴾ بني حين قدمت دار الهجرة وهو مسجد «قبا».

وقيل: مسجده صلّى الله عليه وآله وسلّم[١] ﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ أولى بأن تصلي فيه ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُواْ﴾ بالماء عن الغائط والبول، أو من الذنوب وهم الأنصار ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ أصله بتاء أُدغمت بالطاء.

قيل لما نزلت أتاهم صلّى الله عليه وآله وسلّم في مسجد «قبا» فقال: ماذا تفعلون في طهركم، فإن الله تعالى قد أحسن الثناء عليكم، فقالوا: نغسل أثر الغائط بالماء.[٢]

وفي رواية أخرى: نتبع الغائط بالأحجار، ثم نتبع الأحجار الماء، فتلا: «رجال يحبّون» الآية.[٣]

[١٠٩] ــ ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾ وبناه «نافع» و«ابن عامر» للمفعول في الموضعين[٤] ﴿عَلَى تَقْوَى﴾ خوف ﴿مِنَ اللهِ وَرِضْوانٍ﴾ وطلب رضاه ﴿خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى شَفا﴾ شفير ﴿جُرُفٍ﴾ جانب وهو ما يجرفه السيل أي يقلع أصله، وسكّنه «ابن عامر» و«حمزة» و«أبو بكر»[٥] ﴿هَارٍ﴾ متداع الى السقوط، مقلوب هائر ﴿فَانْهارَ بِهِ﴾ سقط ببنائه ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ تمثيل لبناء الدين على ضد التقوى في عدم الثبات، مرشح بسقوطه بالباني في النار، وهو مثل لمسجد الضرار، والأول مثل لمسجد «قبا» ﴿ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ باختيار الكفر أي يتركهم وما اختاروا.

[١١٠] ــ ﴿لاَ يَزالُ بُنْيَانُهُمُ﴾ مبنيهم ﴿الَّذِي بَنَواْ رِيْبَةً﴾ شكّاً ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾

---

(١) قاله زيد بن ثابت وابن عمر وابي سعيدالخدري وروي عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ٧٣.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣ : ٧٣.

(٣) تفسير البيضاوي ٢ : ٢٩٧.

(٤) حجة القراءات: ٣٢٣.

(٥) حجة القراءات: ٣٢٤.

لازديادهم نفاقاً ببنائه وبهدمه ﴿إِلاّ أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ نتقطع بأن يموتوا، وفتح التاء «ابن عامر» و«حمزة» و«حفص»[1] ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ﴾ بضمائرهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في حكمه فيهم.

[١١١] ـ ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ﴾ أي جازاهم على بذلها ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ استئناف يبين ما لأجله الشرى. وقدم «حمزة» و«الكسائي» المبني للمفعول،[2] أي فيقتل بعضهم ويقاتل باقيهم ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مصدران حذف فعلهما ﴿فِي التَّوْراةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْءَانِ وَمَنْ اَوفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ﴾ أي لا أحد أوفى منه ﴿فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ التفات ﴿وَذٰلِكَ هُوَ الْفَوزُ الْعَظِيمُ﴾ بالنعيم الباقي.

[١١٢] ـ ﴿التَّائِبُونَ﴾ خبر محذوف للمدح، أو مبتدأ خبره ما بعده أي التائبون عن الكفر، هم الجامعون لهذه الصفات ﴿الْعابِدُونَ﴾ الله مخلصين ﴿الْحامِدُونَ﴾ له على كل حال ﴿السَّائحُونَ﴾ الصائمون.

وعنه صلّى الله عليه وآله: سياحة أمتي الصوم[3] ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾ أي: المصلّون ﴿الآمِرُونَ بِالمَعْرُوفِ﴾ بالإيمان والطاعة ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ الشرك والمعصية، وعطف فيه إيذاناً بأنهما كخصلة واحدة، وفي: ﴿وَالْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ﴾ بإمتثال أوامره ونواهيه تنبيها[4] على أنّه مجمل ما فصل ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وضع موضع «وبشرهم» تنبيهاً على أن إيمانهم دعاهم الى ذلك، وحذف

---

(١) النشر في القراءات العشر ٢ : ٢٨١.

(٢) حجة القراءات: ٣٢٥.

(٣) تفسير البيضاوي ٢ : ٢٩٨ وفي تفسير مجمع البيان ٣ : ٧٦، سياحة امتي الصيام.

(٤) كذا في النسخ والصحيح: تنبيه.

المبشر به تعظيماً.[1]

[١١٣] ـ ﴿ما كـانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّـذِينَ ءَامَنُواْ أَنْ يَسْتَغْفِـرُواْ لِلْمُشْرِكينَ وَلَـوْ كانُـواْ أُوْلِي قُرْبىٰ﴾ ذوي قرابة ﴿مِنْ بَعْدِ مـا تَبَيَّنَ لَهُـمْ أَنَّهُمْ أَصْحـابُ الْجَحِيمِ﴾ النار، بأن مـاتوا على الشرك.

روى أن المسلمين قالوا للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: ألاّ تستغفر لآبائنا: الذين ماتوا (على الشرك)[2] في الجاهلية، فنزلت.[3] وكونها في استغفاره لعمّه أبي طالب أو لأمّه يدفعه البرهان العقلي والنقلي.[4]

---

(١) في «ط»: للتعظيم.
(٢) مابين القوسين زيادة في «ط».
(٣) تفسير مجمع البيان ٣: ٧٦.
(٤) وقد دافـع الغيارى على التـراث: عن ابي طالـب دفاعاً عـن الحق والحقيقة في كتـب مفصلة، والادلة على ايمانه كثيرة:
منها ماروي عنه من الشعـر في مناسبات مختلفة، وقد جمعت في ديـوان كبير طبع ضمن كتاب نصوص الدراسة في الحوزة العلمية.
ومنها: حب النبي (ص) له ودعـاؤه له وبكاؤه عليه عند سماعه نبأ وفاتـه، وأمره علياً بتغسيله وتشييعه، واستغفاره له، ومن أراد التوسع في معرفة حال أبي طالب فليراجع الكتب التالية:
ـ أبوطالب حـامي الـرسـول صلّى الله عليه وآله وسلّم وناصـره للعلامة نجـم الدين العسكري ط/. النجف ١٣٨٠.
ـ أسنى المطـالب في نجـاة ابي طـالب للعـلامة زيـن الديـن دحلان شيـخ العلماء بمكـة ط/ طهران ١٣٨٢.
ـ أيمان ابي طالب للشيخ المفيد المتوفى سنة ٤٣١/ هـ.
ـ ابوطالب مؤمن قريش للعلامة الخنيزي.
ـ الحجّة على الذاهب للعلامة السيد فخار بن معد الموسوي.
ـ شيخ الابطح للعلامة السيد محمّد علي شرف الدين.
درر السمط في خبر السبط تحقيق السيد محمّد جواد جلالي.
سيد البطحاء للشيخ محمود البغدادي.

[١١٤] ـ ﴿وَما كانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ أي عمه أو جده لأمّه «آزر» ﴿إِلاّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِيّاهُ﴾ بقوله: ﴿لأستغفرن لك﴾[1] بأن توفق للإيمان، أو وعدها إبراهيم أبوه وهي وعده بالإيمان ﴿فَلَمّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ﴾ بالوحى انه لن يؤمن، أو بموته مشركاً ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ ولم يستغفرله ﴿إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوّاهٌ﴾ كثير الدعاء والبكاء، أو رحيم بعباد الله ﴿حَلِيمٌ﴾ صبور على الأذى.

[١١٥] ـ ﴿وَما كانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا﴾ يحكم بضلالهم ﴿بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ﴾ وفّقهم للإسلام ﴿حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ﴾ من العمل فلا يتقوه، فيحكم بضلالهم.

قيل هذا في قوم مضوا على الأمر الاول في القبلة وغيرها ولم يسمعوا النسخ[2] ﴿إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيعلم حالهم.

[١١٦] ـ ﴿إِنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَواتِ وَالْأَرْضِ يُحيِي وَيُمِيتُ وَما لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ حافظ ﴿وَلا نَصِيرٍ﴾ مانع.

[١١٧] ـ ﴿لَقَدْ تابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهاجِرِيْنَ وَالْأَنْصارِ﴾ افتتح به صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنه سبب توبتهم.

وقرأ الرضا عليه السّلام: لقد تاب الله بالنبيّ على المهاجرين والأنصار[3] ﴿الَّذِيْنَ اتَّبَعُوهُ فِي ساعَةِ﴾ في وقت ﴿الْعُسْرَةِ﴾ وهي حالهم في غزوة «تبوك» كان العشرة منهم تعتقب بعيراً واحداً، والرجلان يقتسمان تمرة، وعطشوا في حرّ شديد حتى شربوا الفرث ﴿مِنْ بَعْدِ ما كادَ﴾ أي الشأن أو القوم ﴿تَزِيْغُ﴾ وقرأ «حمزة» و«حفص» بالياء،[4] إذ تأنيث الجمع غير حقيقي أي تميل ﴿قُلُوبُ فَرِيْقٍ مِنْهُمْ﴾ إلى الأنصراف

---

(١) سورة الممتحنة: ٦٠/ ٤.

(٢) قاله الكلبي ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٧٧ و٧٨.

(٣) تفسير الصافي ٢: ٣٨٣ وتفسير مجمع البيان ٣: ٨٠.

(٤) حجة القراءات: ٣٢٥.

عنه لشدّة ما هم فيه ﴿ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ﴾ بثباتهم ﴿إِنَّهُ بِهِم رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ قدّم الأبلغ إذ الرأفة شدة الرحمة للفاصلة.[1]

[١١٨] ـ ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ﴾ وتاب على الثلاثة: «مرار بن الربيع و«هلال بن أمية» و«كعب بن مالك» ﴿الَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ عن الغزو، أو عن التوبة عليهم وهم المرجئون.

وقرأ أهل البيت عليهم السّلام: «خالفوا»[2] ﴿حَتَّى إِذا ضاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي برحبها لهجر الناس لهم، مثل لحيرتهم ﴿وَضاقَتْ عَلَيْهِم أَنْفُسُهُمْ﴾ قلوبهم غماً ووحشة ﴿وَظَنُّواْ﴾ أيقنوا ﴿أَنْ﴾ المخففة ﴿لَّامَلْجَأَ مِنَ اللهِ﴾ من عقابه ﴿إِلاَّ إِلَيهِ﴾ إلاّ التوبة ﴿ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ﴾ وفقهم للتوبة ﴿لِيَتُوبُواْ﴾ أو قبل توبتهم ليثبتوا على التوبة ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ﴾ كثير القبول للتوبة ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده.

[١١٩] ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ﴾ في معاصيه ﴿وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ في الإيمان والقول والعمل.

وعن ابن عباس: «مع عليّ عليه السّلام وأصحابه».[3]

وعن الباقر عليه السّلام: مع آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم.[4]

[١٢٠] ـ ﴿ما كانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِّنَ الأَعْرابِ أَنْ يَتَخَلَّفُواْ عَنْ رَسُولِ اللهِ﴾ إذا غزا. نفي معناه النهي ﴿وَلا يَرْغَبُواْ﴾ منصوب أو مجزوم ﴿بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ بأن يطلبوا لها الدَّعة وهو يكابد[5] المشاق ﴿ذلِكَ﴾ أي النهي عن التخلف ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ عطش ﴿وَلاَ نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَلاَ مَخْمَصَةٌ﴾ جوع ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئاً﴾ لا يدوسون موضعاً ﴿يَغِيظُ﴾ يغضب وطؤه ﴿الْكُفارَ وَلايَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً﴾ قتلاً أو قهراً ﴿إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ﴾ يستحقون عليه

---

(١) أي للفصل بالجار والمجرور بين انّ واسمها من جهة وخبرها من جهة اخرى.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٧٨. (٣و٤) تفسير مجمع البيان ٣: ٨١.

(٥) الدعة: الراحة... والمكابدة: تحمّل المشاق.

الثواب ﴿إِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي أجرهم. وفيه حثّ على الجهاد وأعمال الخير.

[١٢١] ـ ﴿وَلا يُنْفِقُونَ﴾ في سَبِيلِ اللهِ ﴿نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ قليلة ﴿وَلاَ كَبِيرَةً﴾ كثيرة ﴿وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ بسيرهم ﴿إِلاَّ كُتِبَ﴾ أثبت ذلك ﴿لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ﴾ به ﴿أَحْسَنَ ما كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ جزاء، أحسنه.

[١٢٢] ـ ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُواْ كَافَّةً﴾ ما جاز لهم أن ينفروا جميعاً للغزو. كانوا ينفرون جميعاً مع السرايا ويتركون التّفقّه، وذلك لما سمعوا ما نزل في المتخلفين، فنزلت ﴿فَلَوْلا﴾ فهلا ﴿نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ قبيلة ﴿مِّنْهُمْ طائفَةٌ﴾ جماعة وبقيت جماعة ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ﴾ أي الباقون ﴿فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا﴾ بما تعلّموه ﴿قَومَهُم﴾ النافرين ﴿اذا رَجَعُوا إِلَيْهِم﴾ من الغزو ﴿لَعَلَّهُمْ يَحذَرُونَ﴾ ما ينذرونه.

وقيل واو «يتفقهوا» و«ينذروا» للنافرين، والمعنى ليس عليهم أن ينفروا جميعاً الى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لتعلم الدين، بل ينفر من كل جماعة طائفة فتتعلم وترجع فتعلم قومها ماتعلمته.[١] ويفيد حجية خبر الواحد.

[١٢٣] ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾ أي الأقرب منهم فالأقرب داراً أو نسباً. وقيل هم «قريظة» و«النضير» و«خيبر»، وقيل الروم في الشام لقربها من المدينة[٢] ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ شدة أي اغلظوا عليهم ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بعونه ونصره.

[١٢٤] ـ ﴿وَإِذا ما أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ﴾ فمن المنافقين ﴿مَّن يَقُولُ﴾ ـ لباقيهم استهزاءً ـ: ﴿أَيُّكُمْ زادَتْهُ هَذِهِ﴾ السورة ﴿إِيمانًا﴾ تصديقاً ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزادَتْهُمْ

---

(١) قاله الجبّائي ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ٨٤ ـ.
(٢) قاله ابن عمر ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ٨٤ ـ.

﴿إِيْمانًا﴾ بانضمام تصديقهم بها الى إيمانهم ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ فرحاً بها.

[١٢٥] ـ ﴿وَأَمَّا الَّذِيْنَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ شك ﴿فَزادَتْهُمْ رِجْسًا إِلى رِجْسِهِمْ﴾ كفراً بها ضمّوه الى كفرهم ﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ كافِرُونَ﴾ ورسخوا في الكفر حتّى ماتوا عليه.

[١٢٦] ـ ﴿أَوَلاَ يَرَوْنَ﴾ أي المنافقون، وقرأ «حمزة» بالتاء ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ يبتلون ﴿فِي كُلِّ عام مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ بالشدائد أو الغزو مع النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فعاينوا آيات نصره ﴿ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ﴾ من نفاقهم ﴿وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون.

[١٢٧] ـ ﴿وَإِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذكرهم ﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ﴾ تغامزاً يريدون الهرب، يقولون ـ إشارة ـ: ﴿هَلْ يَرَيكُمْ مِّنْ أَحَدٍ﴾ ان قمتم فإن لم يرهم أحد قاموا ﴿ثُمَّ انْصَرفُواْ﴾ عن المجلس خوف الفضيحة ﴿صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عن رحمته. خبر أو دعاء ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾ بسبب عدم تدبرهم.

[١٢٨] ـ ﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ منكم عربي من ولد اسماعيل ﴿عَزِيزٌ﴾ شديد ﴿عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ﴾ عنتكم أي مشقتكم ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أن تؤمنوا ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

[١٢٩] ـ ﴿فَإِنْ تَوَلَّواْ﴾ عن الإيمان بك ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ﴾ كافيّ ﴿لاَ إِلهَ إِلاّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ به وثقت لا بغيره ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ﴾ الملك ﴿الْعَظِيمِ﴾ أو الجسم الأعظم المحيط.

قيل: هاتان الآيتان آخر ما نزل. (١)

(١) قاله قتادة ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٨٦ـ.

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

---

(1) [illegible]

سورة يونس

[١٠]

مائة وتسع آيات مكية إلاّ ﴿فإن كنت في شكّ﴾ الثلاث، أو ﴿ومنهم من يؤمن﴾ الآية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ـ ﴿الٓر﴾ فتحها «ابن كثير» و«قالون» و«حفص»، [١] وأمالها الباقون ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات المنزلة ﴿ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْحَكِيمِ﴾ المحكم أو الجامع للحكم.

[٢] ـ ﴿أَكَانَ﴾ إنكار ﴿لِلنَّاسِ﴾ أهل مكة حال [٢] من ﴿عَجَبًا﴾ خبر «كان»،

---

(١) في تفسير البيضاوي ٣: ٢ فخّمها «ابن كثير» و«نافع» برواية «قالون» و«حفص»، وقرأ «ورش» بين اللفظين، و امالها الباقون اجراءً لألف الراء مجرى المنقلبة من الياء. وفي روح المعاني ١١: ٥٣ بتفخيم الراء المفتوحة وهو الأصل، و امال ابوعمرو وبعض القراء اجراءً لالف الراء مجرى الألف المنقلبة عن الياء، فإنهم يميلونها تنبيهاً على اصلها. وفي الامالة هنا دفع توهم ان «ر» حرف لـ «ما» و «لا» فقد صرحوا ان الحروف يمتنع فيها الامالة وقرأ «ورش» بين بين.

(٢) الظاهر ان الصحيح: واللام حال من «عجباً» ـ كما يظهر من عبارة الآلوسي في تفسيره روح المعاني ١١: ٥٤ وفيه واللام متعلقة بمحذوف وقع حالاً من «عجباً»... وفي تفسير مجمع البيان ٣: ٨٨، واللام في قوله: «للناس» يتعلّق بمحذوف كان صفة لعجب، فلما تقدّم صار حالاً. وفي تفسير الجلالين ١: ١٧١: اي اهل مكة، استفهام انكار.

واسمها ﴿أَنْ أَوْحَيْنا﴾ أي ايحاؤنا ﴿إِلى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

قيل: قالوا: إنّ الله لم يجد رسولاً يرسله الى الناس إلاّ يتيم أبي طالب.

وقيل تعجبوا من إرساله بشراً ﴿أَنْ﴾ مفسرة أو مخففة ﴿أَنْذِرِ النَّاسَ﴾ خوّفهم بالعذاب ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُواْ أَنَّ﴾ بأن ﴿لَهُمْ قَدَمَ﴾ سابقة ﴿صِدْقٍ﴾ أي منزلة رفيعة بما قدموا، أو شفاعة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكافِرُونَ إِنَّ هَذا﴾ القرآن المتضمن ذلك ﴿لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ بيّن، وقرأ «الكوفيون» و«ابن كثير» «لساحرٌ».[1] والإشارة الى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم.

[٣] - ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ في قدرها ولم يخلقهن دفعة مع قدرته على ذلك لِحِكَم، منها إثبات الإختيار، وتعليم خلقه التثبت. ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ فسّر في «الأعراف».[2] ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ يقدره وينفذه على مقتضى حكمته ﴿ما مِنْ شَفِيعٍ﴾ يشفع لأحد عنده ﴿إِلاّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ ردّ لزعمهم أنّ أصنامهم تشفع لهم ﴿ذَلِكُمُ﴾ الموصوف بهذه الصفات ﴿اللهُ رَبُّكُمْ﴾ لا إله ولا ربّ لكم غيره ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ وحده ﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ تتفكرون وتتعظون.

[٤] - ﴿إِلَيْهِ﴾ لا الى غيره ﴿مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ بعد الموت ﴿وَعْدَ اللهِ حَقًّا﴾ مصدران قدر فعلهما ﴿إِنَّهُ يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ﴾ يبتدىء به[3] ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد إفنائه ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحاتِ بِالْقِسْطِ﴾ بعدله، أو: عدلهم أي ايمانهم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ماء في غاية الحرارة ﴿وَعَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفرهم أو بمقابلته.

وعدل عن أسلوب مقابله اشعاراً بأن الغرض بالذات من الابداء والإعادة الإثابة،

---

(١) حجة القراءات: ٣٢٧.

(٢) في تفسير الآية(٥٤) من سورة الاعراف.

(٣) في«ب»: يبتدئه.

والتعـــذيب واقع بـالعرض، ولشـدة اعـــتنائه بالرحمـــة نسب الجــزاء بها لنفسـه بخلاف ضدها .

[٥] ـ ﴿هُوَ الَّذي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً﴾ ذات ضياء، مصدر أو جمع ضوء، وقرأ «قنبل» بهمزتين[1] ﴿وَالْقَمَرَ نُوراً﴾ ذا نور، وهو أعم من الضوء .

وقيل : الـذاتي ضوء، والعرضـي نور، فما في الشمـس فمن ذاتها وما فـي القمر فمكتسب منهـا ﴿وَقَدَّرَهُ﴾ أي كـل واحـد منهمـا من حيـث السيـر ﴿مَنازِلَ﴾ ثمانية وعشرين، أو الضمير للقمر، وخص بالذكر لظهور نزوله بها ﴿لِتَعْلَمُواْ﴾ بذلك ﴿عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ﴾ للأيـام والشهور لمنـافع دينية ودنيـوية ﴿مـا خَلَقَ اللهُ ذلِـكَ إِلاّ﴾ متلبساً ﴿بِالحَقِّ﴾ لا باطلاً ـ تعالى عنه ـ ﴿نُفَصِّلُ﴾ نبيّن، وقرأ «ابن كثير» و«أبو عمرو» و«حفص» بالياء[2] ﴿الآياتِ﴾ الدلالات ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فيتدبرونها .

[٦] ـ ﴿إِنَّ فِي اخْتِلافِ الَّيْلِ وَالنَّهارِ﴾ بالتعاقب والطول والقصر ﴿وَما خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَواتِ﴾ من نيّرات وملائكـة وغيرها ﴿وَالْأَرْضِ﴾ من أجناس الكـائنات ﴿لآياتٍ﴾ لوجوده ووحدانيته وعلمه وقدرته ﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ فيصدّقون بها .

[٧] ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَـرْجُونَ﴾ لا يتوقعـون ﴿لِقاءَنا﴾ بالبعث ﴿وَرَضُواْ بِالْحَيوةِ الدُّنْيا﴾ من الآخرة، لإنكارهم لها ﴿وَاطْمَأَنُّوا بِها﴾ سكنوا اليها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءاياتِنا غافِلُونَ﴾ لايتدبرونها .

[٨] ـ ﴿أُولئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِما كانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ من الكفر والمعاصي .

[٩] ـ ﴿إِنَّ الَّذيـنَ ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـالِحاتِ يَهْـدِيهِمْ رَبُّهِم بِإِيمـانِهِمْ﴾ للجنة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِـمُ الْأَنْهارُ﴾ خبـر ثـان أو حـال من مفعـول «يهـدي» ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعيمِ﴾ حال من «الأنهار» أو متعلق بـ«تجري» :

---

(١) تفسير البيضاوي ٣ : ٣ .

(٢) حجة القراءات : ٣٢٨ .

[١٠] ـ ﴿دَعْوَاهُمْ﴾ دعاؤهم ﴿فِيها سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ﴾ نسبّحك تسبيحاً يا الله ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ﴾ من الملائكة أو فيما بينهم ﴿فِيْها سَلامٌ وَءَاخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ﴾ مفسرة أو مخففة ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي يفتتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتحميد.

[١١] ـ ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ﴾ إذا دعوا على أنفسهم وأولادهم ضجراً ﴿اسْتِعْجَالَهُمْ﴾ أي كتعجيله لهم ﴿بالْخَيْرِ﴾ إذا استعجلوه ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ﴾ وبناه «ابن عامر» للفاعل[١] ونصب ﴿أَجَلُهُمْ﴾ أي لأهكوا، ولكن يمهلهم ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا﴾ لا يتوقعون البعث ﴿فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يتحيرون.

[١٢] ـ ﴿وَإِذا مَسَّ الإِنْسانَ الضُّرُّ﴾ الجهد والبلاء ﴿دَعَانَا﴾ لكشفه ﴿لِجَنْبِهِ﴾ أي مضطجعاً ﴿أَوْ قاعِدًا أَوْ قـائمًا﴾ أي في جميع حالاته ﴿فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ﴾ استمر على طريقته وكفره ﴿كَأَنْ﴾ مخففة واسمها ضمير شأن مقدر، أي كأنّه ﴿لَّمْ يَدْعُنا إِلى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذلِكَ﴾ التزيين ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كـانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ للمشركين عملهم.

[١٣] ـ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾ أهل الأعصر ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ أشركوا ﴿وَجاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ﴾ بالدلائل على صدقهم. حال من الواو بتقدير «قد» ﴿وَما كانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾ لو أبقوا أي: في علمه تعالى ﴿كَذلِكَ﴾ الجزاء أي: إهلاكهم ﴿نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِيْنَ﴾ المشركين.

[١٤] ـ ﴿ثُمَّ جَعَلْناكُمْ خَلائِفَ﴾ خلفاء ﴿فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ بعد القرون التي أهلكناها ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ خيراً أو شراً، فنجازيكم[٢] به.

[١٥] ـ ﴿وَإِذا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَاياتُنا بَيِّنـاتٍ﴾ واضحات، حال، ﴿قالَ الَّذِينَ

---

(١) حجة القراءات: ٣٢٨.

(٢) في «ب»: ليجازوكم.

لا يَرْجُونَ لِقاءَنا ائْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذا﴾ لايتضمن غيب آلهتنا ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ فاجعل مكان آية تتضمن ذلك غيرها ﴿قُلْ ما يَكُونُ لِي﴾ ما يجوز لي. وفتح «الحرميان» و«أبوعمرو» الياء[1] وكذا «ياء» إني أخاف»[2] ﴿أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ﴾ من قبل ﴿نَفْسِي﴾ وخص التبديل بالجواب لشموله الإتيان بقرآن آخر، وفتح «نافع» و«أبو عمرو» الياء [3] ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ ما يُوحَى إِلَيَّ﴾ فليس لي التصرف فيه بوجه ﴿إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بتبديله ﴿عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يوم القيامة.

[١٦] ـ ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرٰيكُمْ﴾ أعلمكم الله ﴿بِهِ﴾ على لساني وقرأ «قنبل» ولأدراكم باللام [4] أي ولاعلمكم به على لسان غيري ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ﴾ مكثت ﴿فِيكُمْ عُمُرًا﴾ أربعين سنة ﴿مِّنْ قَبْلِهِ﴾ قبل القرآن لا آتيكم بشيء ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ تتفكرون بعقولكم لتعلموا انه ليس من قبلي.

[١٧] ـ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ فزعم ان له شريكاً أو ولداً ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ﴾ القرآن ﴿إِنَّهُ لاَيُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون.

[١٨] ـ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ما لاَيَضُرُّهُمْ﴾ إن لم يعبدوه ﴿وَلا يَنْفَعُهُمْ﴾ إن عبدوه، لأنّه جماد وهم الأصنام ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ﴾ الأصنام ﴿شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللهِ﴾ في الدنيا أو في الآخرة إن بعثنا ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ﴾ أتخبرونه ﴿بِمَا لاَ يَعلَمُ﴾ من ان له شريكاً، أو هؤلاءِ شفعاء عنده، أي لو صح ذلك لعلمه ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ﴾ حال من العائد المقدر ﴿سُبحَانَهُ﴾ تنزيهاً له ﴿ وَتَعَالَى عَمّا يُشرِكُونَ﴾ يشركونه معه. وقرأ «حمزة» و«الكسائي» بالتاء.[5]

[١٩] ـ ﴿وَما كانَ النَّاسُ إِلاّ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على الحق من عهد آدم الى نوح، أو

(١) النشر في القراءات العشر ٢ : ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

(٢) الآتي في آخر هذه الآية وانظر المصدر السابق.

(٣ـ٤) النشر في القراءات العشر ٢ : ٢٨٢.

(٥) حجة القراءات : ٣٢٩.

على الكفر في فترة ﴿فَاخْتَلَفُواْ﴾ تفرقوا الى مؤمن وكافر ﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير الجزاء الى يوم الفصل: يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا ﴿فِيْما فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ بإهلاك الكفرة.

[٢٠] ـ ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلا﴾ هلاّ ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ أي مما اقترحوه ﴿فَقُلْ إِنَّما الْغَيْبُ للهِ﴾ لايعلمه إلاّ هو، فلا ينزل إلاّ ما يعلم أن فيه صلاحاً ﴿فَانْتَظِرُواْ﴾ نزولها أو العذاب ﴿إِنّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ لهلاككم.

[٢١] ـ ﴿وَإذا أَذَقْنَا النَّاسَ﴾ الكفار ﴿رَحْمَةً﴾ نعمة وخصباً[١] ﴿مِّنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ﴾ شدة وجدب ﴿إِذا لَهُمْ مَكْرٌ فِي ءَايَاتِنا﴾ بتكذيبها والقدح فيها ﴿قُلِ اللهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ مجازاةً على المكر ﴿إِنَّ رُسُلَنا﴾ الحفظة ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ وقرأ «يعقوب» بالياء.[٢]

[٢٢] ـ ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ﴾ يمكنكم من السير. وقرأ «ابن عامر»: «ينشركم» من النشر[٣] ﴿فِي الْبَرِّ وَالبَحْرِ حَتَّى إذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾ السفن ﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ التفات الى الغيبة، كأنه خوطب غيرهم ليتعجب منهم ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ لينة ﴿وَفَرِحُواْ بِها جاءَتْها﴾ جواب «إذا» ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ شديدة الهبوب ﴿وَجاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ﴾ جهة ﴿وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ فلا مخلص لهم من الهلاك ﴿دَعَوُاْ اللهَ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّينَ﴾ بلا اشراك، بدل اشتمال من «ظنّوا» ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَنْجَيْتَنا مِنْ هذِهِ﴾ الشدّة ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ المؤمنين.

[٢٣] ـ ﴿فَلَمَّا أَنْجاهُمْ إِذا هُمْ يَبْغُونَ﴾ يظلمون ﴿فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ بالشرك والفساد ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما بَغْيُكُمْ﴾ ظلمكم كائن ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ لأن وباله عليها

---

(١) الخصب: الخير

(٢) تفسير البيضاوي ٣: ٦ وتفسير القرطبي ٨: ٣٢٤.

(٣) حجة القراءات: ٣٢٩ والنشر في القراءات العشر ٢: ٢٨٢.

أو على بعضكم ﴿مَتاعُ﴾ خبـر محـذوف، أي هو منفعة ﴿الْحَيوةِ الدُّنْيا﴾ الزائـلة أو خبر «بغيكم» إن تعلق به الظرف، ونصبه «حفص» مصدراً،(١) أي تمتعون متاع ﴿ثُمَّ إِلَيْنا مَرْجِعُكُمْ﴾ في الآخرة ﴿فَنُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالجزاء به.

[٢٤] ـ ﴿إِنَّما مَثَلُ الْحَيـوةِ الدُّنْيا﴾ صفتها فـي سرعة زوالها بعد إقبـالها ﴿كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ بسببه ﴿نَباتُ الأَرْضِ﴾ بعضـه ببعض ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعامُ﴾ من الحبـوب والبقـول والكـلأ ﴿ حَتَّى إِذا أَخَـذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهـا﴾ بهجتها من أصنـاف النبات ﴿وَازَّيَّنَتْ﴾ بالأزهـار. وأصله تزينت وأبـدلت التاء «زاء» وأُدغمت، وجيء بهمـزة ﴿وَظَنَّ أَهْلُها أَنَّهُمْ قـادِرُونَ عَلَيْها﴾ بتحصيل غلتهـا ﴿أَتاهَا أَمْرُنا﴾ حكمنا وعذابنا ﴿لَيْلاً أَوْ نَهاراً فَجَعَلْناها﴾ أي زرعها ﴿حَصِيدًا﴾ كالمحصود بآلة ﴿كَأَنْ﴾ مخففة ﴿لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾ لم تكن من قبل ﴿كَذلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ليعتبروا بها.

[٢٥] ـ ﴿وَاللهُ يَدْعُوا إِلى دارِ السَّلامِ﴾ السلامـة أو دار الله أي الجنة ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾ بلطفه ﴿إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ موصل اليها وهو الإيمان.

[٢٦] ـ ﴿لِلَّذِينَ اَحْسَنُواْ﴾ المثوبة ﴿الْحُسْنَى وَزِيادَةٌ﴾ أضعاف مضاعفـة أو ترك حسابهـم بنعيم الدنيـا ﴿وَلايَرْهَقُ﴾ يغشـى ﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ سـواد ﴿وَلا ذِلَّةٌ﴾ هوانٌ ﴿أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيْها خالِدُونَ﴾.

[٢٧] ـ ﴿وَالَّذِينَ﴾ عطف علـى «للذين أحسنـوا» أي وللـذين ﴿كَسَبُواْ السَّيِّئاتِ جَزاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِها﴾ أو مبتدأ بتقدير و«جزاء الذين» وخبره «جزاء سيئة بمثلها» أو «كأنما اغشيت» وما بينهما اعتراض. «فجزاء سيئة» مبتدأ، وخبره «بمثلها» على زيادة «الباء» أو تقدير «واقع» ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّالَهُمْ مِّنَ اللهِ﴾ من عذابـه أو من جهته ﴿مِنْ عاصِمٍ﴾ مانع ﴿كَأَنَّما أُغْشِيَتْ﴾ ألبست ﴿وُجُوهُهُمْ قِطَعًا﴾ جمع «قطعـة» وسكّنه «ابن كثيـر»

(١) حجة القراءات: ٣٣٠ والنشر في القراءات العشر ٢ : ٢٨٣.

و«الكسائي»[١] أي جزءً ﴿مِّنَ الَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ حال من «الليل» أو «قطعاً» بالتسكين، أو صفته ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾.

[٢٨] ـ ﴿وَيَوْمَ﴾ واذكر يوم ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ أي الخلق ﴿جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِيْنَ أَشْرَكُواْ مَكانَكُمْ﴾ الزموا مكانكم ﴿أَنْتُمْ﴾ تأكيد للضمير فيه ليعطف عليه ﴿وَشُرَكاؤُكُمْ﴾ أي الأصنام ﴿فَزَيَّلْنا﴾ فرّقنا ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بقطع وصلهم ﴿وَقالَ شُرَكاؤُهُمْ﴾ نطّقهم الله: ﴿مَّا كُنْتُمْ إِيَّانا تَعْبُدُونَ﴾ بل عبدتم أهواءكم، أو ما شعرنا بعبادتكم لنا.

وقيل: الشركاء: الشياطين، وقيل الملائكة.

[٢٩] ـ ﴿فَكَفى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ إِنْ﴾ مخففة أي «إنا» ﴿كُنَّا عَنْ عِبادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ اللام فارقة.

[٣٠] ـ ﴿هُنالِكَ﴾ في ذلك المكان ﴿تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ﴾ تُختبر وتُعلم ما عملت. وقرأ «حمزة» و«الكسائي» «تتلو» من التلاوة،[٢] أي تقرأ كتاب عملها، أو من التلو أي تتبع عملها ﴿وَرُدُّواْ إِلَى اللهِ﴾ إلى حكمه ﴿مَوْلاهُمُ﴾ مالكهم ﴿الْحَقِّ﴾ على الحقيقة أو الثابت ﴿وَضَلَّ﴾ بطل ﴿عَنْهُمْ مَّا كانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ يدعون أن له شركاء.

[٣١] ـ ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ﴾ بالمطر والنبات ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ﴾ أي خلق الأسماع ﴿وَالأَبْصارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ من النطفة والبيضة ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ﴾ النطفة والبيضة ﴿مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ أمر العالم ﴿فَسَيَقُولُونَ اللهُ﴾ لوضوح ذلك بحيث لا يمكنهم إنكاره ﴿فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ عقابه فتوحّدونه.

[٣٢] ـ ﴿فَذَلِكُمُ﴾ الفاعل لهذه الأشياء ﴿اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ الثابت ﴿فَماذَا﴾ إنكار أي ليس ﴿بَعْدَ الْحَقِّ﴾ وهو عبادته ﴿إِلاَّ الضَّلالُ﴾ فمن اخطأه ضلّ ﴿فَأَنَّى﴾

---

(١) حجة القراءات: ٣٣٠ والنشر في القراءات العشر ٢: ٢٨٣.

(٢) حجة القراءات: ٣٣١.

فكيف ﴿تُصْرَفُونَ﴾ عن عبادته.

[٣٣] - ﴿كَذلِكَ﴾ أي كما حقت أُلوهيته وربوبيته ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالوعيد **بالنار**، وجمعها «نافع» و«ابن عامر» [١]﴿عَلَى الَّذِينَ فَسَقُواْ﴾ كفروا ﴿أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ **تعليل** لحقية كلمته، أو بدل منها ويراد بها سبق علمه تعالى بعدم إيمانهم.

[٣٤] - ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكاءِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ﴾ فإن أجابوا أو سكتوا، **فأنت** ﴿قُلِ اللهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ تصرفون عن الإيمان.

[٣٥] - ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكاءِكُمْ مَّنْ يَهْدِي إِلى الْحَقِّ﴾ بنصب الحجج أو التوفيق الى النظر ﴿قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ «هدى» يعدّى بـ«إلى» و«اللام» ﴿افَمَنْ يَهْدِي إِلى الْحَقِّ﴾ وهو الله ﴿أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لاَ يَهِدِّي﴾ غيره أو لايهتدي، وسكن الهاء «حمزة» و«الكسائي» وخففا الدال[٢] وشددها الباقـون ففتح «الهاء» «ابن كثير» و«ورش» و«ابن عامر»[٣]، وكسرها «حفص»[٤] وكذا «أبـوبكر» مع كسـر الياء، [٥] وأخفى حركـة الهاء «أبو عمرو» و«قـالون» [٦]﴿إِلاّ أَنْ يُهْدَى﴾ وهـــذا وصف أشرف شركائـهم كـالمسيح والملائكة ﴿فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ بما لا يقبله عقل سليم.

[٣٦] - ﴿وَما يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي كلهم في تدينهم ﴿إِلاّ ظَنًّا﴾ من تقليد آبائهم ﴿إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِـنَ الْحَقِّ﴾ العلم الثـابت ﴿شَيْئًا﴾ مفعول بـه أو مصدر، ويفيـد منع التقليد في الأصول ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِما يَفْعَلُونَ﴾ من الإشراك به، فيجازيهم عليه.

[٣٧] - ﴿وَما كانَ هـذا الْقُرْءَانُ أَنْ يُفْتَرَى﴾ أي افتـراء ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ من غيره ﴿وَلكِن﴾ كان أو أنـزل ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْـنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتـب ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتابِ﴾

(١،٢) حجة القراءات: ٣٣٢.

(٣) حجة القراءات: ٣٣١.

(٤) حجة القراءات: ٣٣٢.

(٥،٦) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٨٣.

وتبيين ما كتب وأثبت من أمور الدين ﴿لَارَيْبَ فِيهِ﴾ خبر ثالث، أو حال من «الكتاب»، أو استئناف ﴿مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خبر آخر، أو متعلق بـ«تصديق» أو «أنزل» المقدر.

[٣٨] ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ بل أيقولون: ﴿افْتَرَاهُ﴾ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ في البلاغة على وجه الإفتراء فإنكم مثلي عرب فصحاء ﴿وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ لمعاضدتكم عليه ﴿مِّنْ دُونِ اللهِ﴾ أي غيره ﴿إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ أنه افتراء.

[٣٩] ـ ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِما لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ﴾ أي بالقرآن قبل أن يتدبروه ويعلموا ما فيه ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ أي لم يقفوا على معانيه، أو لم يأتهم عاقبة ما فيه من الوعيد ﴿كَذلِكَ﴾ التكذيب ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ آخر أمرهم من الهلاك، فكذا عاقبة هؤلاء.

[٤٠] ـ ﴿وَمِنْهُمْ﴾ من قومك ﴿مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ في المستقبل أو في نفسه ويعاند ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ لَاّيُؤْمِنُ بِهِ﴾ حتّى يموت كافراً، أو في نفسه لعدم تدبره ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ من لم يؤمنوا.

[٤١] ـ ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِيّ عَمَلي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ لكل جزاء عمله ﴿أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قيل: نسخ بآية السيف. وفيه: أنه لا تنافي بينهما.

[٤٢] ـ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت القرآن، ولايقبلون ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ أي من هم كالصمّ في عدم الإنتفاع بما تقرأه ﴿وَلَوْ كانُواْ﴾ مع صممهم ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ لايتدبرون بعقولهم.

[٤٣] ـ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ ويرى شواهد صدقك ولا يصدقك ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ من هم، كالعمي في عدم الإهتداء ﴿وَلَوْ كَانُواْ﴾ مع العمي

﴿لايُبْصِرُونَ﴾ لايعتبرون بالبصائر.

[٤٤] ـ ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ بمنعهم الإنتفاع بالحجج ﴿وَلكِنَّ﴾ وخففه «حمزة» و«الكسائي»، [1] ورفعا ﴿النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بترك تدبرها، وهذا يبطل القول بالجبر.

[٤٥] ـ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ وقرأ «حفص» بالياء [2] ﴿كَأَنْ﴾ أي كأنهم لهول ما يرون ﴿لَمْ يَلْبَثُواْ﴾ في الدنيا أو القبور ﴿إِلاَّ ساعَةً مِنَ النَّهارِ﴾ وجملة التشبيه حال من «هم» أو صفة «يوم» أي كأن لم يلبثوا قبله ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعرف بعضهم بعضاً إذا بُعثوا ثم ينقطع التعارف للأهوال. وهو حال مقدرة، أو متعلق الظرف ﴿قَد خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقاءِ اللهِ﴾ بالبعث ﴿وَما كانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ لطريق الصواب.

[٤٦] ـ ﴿وَإِمَّا﴾ إن الشرطية أدغمت في «ما» الزائدة ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ في حياتك ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ من العذاب وجواب الشرط محذوف، أي فذاك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَإِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ﴾ في الآخرة ﴿ثُمَّ اللهُ شَهِيدٌ﴾ مطّلع ﴿عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ فيجازيهم به، و«ثم» لترتيب مقتضى الشهادة وهو عقابهم على رجوعهم.

[٤٧] ـ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم ﴿رَّسُولٌ﴾ يدعوهم الى الله ﴿فَإِذاَ جاءَ رَسُولُهُمْ﴾ اليهم فكذبوه ﴿قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل، فيهلكون وينجو الرسول ومصدقوه.

أو معناه: فإذا جاء رسولهم في القيامة يشهد عليهم، قضي بينهم بإنجاء المؤمن وتعذيب الكافر ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ بعقوبة بغير ذنب.

[٤٨] ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذا الْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه.

[٤٩] ـ ﴿قُلْ لآَ أَمْلِكُ لِنَفْسِيَ ضَرًّا﴾ بدفع ﴿وَلا نَفْعًا﴾ بجلب ﴿إِلاّ مَا شَاءَ اللهُ﴾ ان أملكه فكيف أملك لكم تعجيل العذاب؟ ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مضروب لهلاكهم

---

(١) تفسير القرطبي ٨: ٣٤٧.

(٢) حجة القراءات: ٣٣٢ وتفسير مجمع البيان ٣: ١١٢.

﴿إِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ لا يتأخرون ولا يتقدمون.

[٥٠] ـ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ اخبروني ﴿إِنْ أَتاكُمْ عَذابُهُ﴾ عذاب الله ﴿بَيَاتًا﴾ ليلاً ﴿أَوْ نَهارًا مَّاذا﴾ أيّ شيء ﴿يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ﴾ من العذاب ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ وضع موضع الضمير، وجواب «ان» محذوف أي تندموا على استعجالكم، أو «ماذا» نحو: «إن جئتك ماذا تعطيني».

[٥١] ـ ﴿أَثُمَّ إِذا ما وَقَعَ﴾ أي أبعد وقوع العذاب ﴿ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾ بالله أو العذاب حين لا ينفعكم الإيمان؟ والهمزة لإنكار التأخير ﴿ءَآلآنَ﴾ أي ويقال لكم الآن تؤمنون. و«نافع» يحذف الهمزة ويحرك اللام بحركتها[1] ﴿وَقَدْ كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ استهزاء.

[٥٢] ـ ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذينَ ظَلَمُوا ذُوقُواْ عَذابَ الْخُلْدِ﴾ الدوام ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاّ بِما كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ إلاّ بجزائه.

[٥٣] ـ ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾ يستخبرونك ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ أي ما تعدنا به من البعث والجزاء، أو ما جئت به من القرآن والشريعة. و«حق» خبر مقدم، أو مبتدأ والضمير فاعل سدّ مسدّ الخبر ﴿قُلْ إِيْ﴾ نعم ﴿وَرَبِّي إِنَّه لَحَقٌّ﴾ لا شك فيه. وفتح «نافع» و«أبو عمرو» الياء[2] ﴿وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين العذاب.

[٥٤] ـ ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ أشركت ﴿ما فِي الأَرْضِ﴾ من الأموال ﴿لافْتَدَتْ بِهِ﴾ من العذاب ﴿وَأَسَرُّواْ النَّدامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذابَ﴾ أخفوها كراهة لشماتة الأعداء، أو أخفاها رؤساؤهم عن الأتباع خوف ملامتهم ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الخلائق ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ بالجزاء.

[٥٥] ـ ﴿أَلآ إِنَّ للهِ ما فِي السَّمواتِ وَالأَرْضِ﴾ يفعل به ما يشاء ﴿أَلآ إِنَّ وَعْدَ اللهِ﴾ بالبعث والجزاء ﴿حَقٌّ﴾ كائن لا محالة ﴿وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك لتركهم

---

(١) حجة القراءات: ٣٣٣.

(٢) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٨٨.

النظر المؤدي الى العلم.

[٥٦] ـ ﴿هُوَ يُحْيِي﴾ الخلق بعد كونهم أمواتاً ﴿وَيُمِيتُ﴾ الأحياء ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بالبعث، فيجازى كلاً بعمله.

[٥٧] ـ ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ قَد جاءَتْكُمْ مَّوْعِظَةٌ مِن رَّبِّكُمْ﴾ قرآن يرغب في محاسن الأعمال، ويزجر عن مساويها ﴿وَشِفاءٌ لِمّا فِي الصُّدُورِ﴾ من أمراض الشكوك وسوء الإعتقاد ﴿وَهُدًى﴾ الى الحقّ ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ لنجاتهم به من النار الى الجنة.

[٥٨] ـ ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ بإنزل القرآن. وتعلقت «الباء» بما يفسره[١] ﴿فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ أو بما دلّ عليه «جاءتكم» والفاء زائدة، أو بمعنى الشرط أي إن فرحوا بشيء فبهما ليفرحوا.

وقيل فضل الله: الإيمان، ورحمته: القرآن.

وعن الباقر عليه السّلام: «فضله» رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، و «رحمته» عليّ عليه السّلام[٢] ﴿هُوَ﴾ أي ذلك ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من عرض الدنيا. وقرأ «ابن عامر» بالتاء.[٣]

[٥٩] ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿ما أَنْزَلَ اللهُ﴾ خلق ﴿لَكُمْ مِّنْ رِّزْقٍ﴾ من الزرع والضرع بالمطر وجعله حلالاً ﴿فَجَعَلْتُمْ مِّنْهُ حَرامًا﴾ كالبَحيرة[٤] وغيرها ﴿وَحَلالاً قُلْ ءَاللهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ في التحليل والتحريم، والهمزة للإنكار، أي لم يأذن لكم فيه ﴿أَمْ﴾ بل أ﴿عَلَى اللهِ تَفْتَرونَ﴾ بنسبة ذلك إليه، والهمزة للتقرير.

[٦٠] ـ ﴿وَما ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾ أي شيء ظنّهم به ﴿يَوْمَ

---

(١) كذا في النسخ، وفي تفسير البيضاوي ٣: ١٢: والباء متعلقة بفعل يفسره قوله «فبذلك فليفرحوا».

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ١١٧.

(٣) تفسير مجمع البيان ٣: ١١٦.

(٤) ينظر سورة المائدة: ٥/ ١٠٣.

الْقِيٰمَةِ﴾ أيحسبون أنه لا يـؤاخذهم ﴿إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَـى النَّاسِ﴾ بإنعامه عليهم وإمهالهم ﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ﴾ نعمه.

[٦١]ـ ﴿وَما تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ أمر ﴿وَما تَتْلُواْ مِنْهُ﴾ من الشأن أو الله ﴿مِنْ قُرْءَانٍ﴾ مفعول «تتلـوا» و«من» لتبعيض، أو زائدة ﴿وَلا تَعْمَلُونَ﴾ أي أنت وأُمتك ﴿مِنْ عَمَلٍ إِلاّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ رقباء ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ تخـوضون في العمل ﴿وَما يَعْزُبُ﴾ وما يغيب وما يبعـد، وكسر «الكسائي»: الزاء[1] ﴿عَنْ رَّبِّكَ﴾ عن علمه ﴿مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ﴾ وزنَ نملة صغيرة ﴿فِي الأرْضِ وَلا فِي السَّماءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذٰلِكَ وَلا أَكْبَرَ﴾ فتحا اسمـين لــ«لا» ورفــعهما «حمـزة» على الإبتداء[2] ﴿إِلاَّ فِي كِتـابٍ مُبِينٍ﴾ بيِّن، هو اللوح المحفوظ.

[٦٢]ـ ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِياءَ اللهِ﴾ أهـل طــاعــته ﴿لاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُـمْ يَـحْزَنُونَ﴾ يوم القيامة.

[٦٣]ـ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكانُواْ يَتَّقُونَ﴾ المعاصي صفة «أوليـاء» أو خبر محذوف، أو مبتدأ وخبره:

[٦٤]ـ ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيوٰةِ الدُّنْيا﴾ هي ما بشرّ الله بـه المتـقين في القرآن، أو الرؤيا الصالحة؛ أو بشرى الملائكة عند الموت ﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾ بالجنة ﴿لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللهِ﴾ لا خلف لعداته ﴿ذٰلِكَ﴾ المذكور من البشرى ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[٦٥]ـ ﴿وَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾ تكذيبهم لـك وغيره، وقرأ «نافع»: «يُحـزنك» من أحزن[3] ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ للهِ جَمِيعًا﴾ استئناف معلل كأنه قيل: «لا تحزن لقولهم» لأن الغلبة لله فينصرك عليهم ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ لقولهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بعملهم، فيجازيهم به.

[٦٦]ــ ﴿أَلا إِنَّ للهِ مَـنْ فِي السَّمــواتِ وَمَنْ فِـي الأَرْضِ﴾ من العــقلاء عبيـداً

(١-٢) تفسير مجمع البيان ٣: ١١٨ وحجة القراءات: ٣٣٤.
(٣) تفسير البيضاوي ٣: ١٣.

وملكاً[١] فغيرهم أولى بأن لا يكون شريكاً له ﴿وَمَا﴾ نافية ﴿يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ يعبدون غير ﴿شُرَكَاءَ﴾ له في الحقيقة وان سموهم بذلك، ويجوز نصب «شركاء» بـ«يدعون» وكون «ما» استفهامية مفعول «يتّبع» أو موصولة معطوفة على «من» ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ﴾ في اتخاذهم له شركاء ﴿إِلاَّ الظَّنَّ﴾ ظنهم أنها آلهة تقربهم الى الله ﴿وَإِنْ هُمْ إِلاّ يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في ذلك.

[٦٧] ـ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهارَ مُبْصِرًا﴾ أي يبصر فيه فأُسند إليه الأبصار مجازاً ﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لآيَاتٍ﴾ حججاً على وحدانيته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تعقل.

[٦٨] ـ ﴿قَالُواْ﴾ أي أهل الكتاب، أو مشركو العرب ﴿اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾ قال تعالى: ﴿سُبْحانَهُ﴾ تنزيهاً له عما قالوا ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن كل شيء، فلا يحتاج إلى الولد ﴿لَهُ ما فِي السَّمواتِ وَما فِي الأَرضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿إِنْ﴾ ما ﴿عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطانٍ﴾ حجة ﴿بِهَذا﴾ الذي قلتم ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ ما لاَ تَعْلَمُونَ﴾ توبيخ على قولهم ذلك.

[٦٩] ـ ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾ بنسبة الولد والشريك إليه ﴿لا يُفْلِحُونَ﴾ لا يفوزون بثواب.

[٧٠] ـ ﴿مَتاعٌ﴾ أي لهم متاع ﴿فِي الدُّنْيا﴾ يتمتعون به أياماً قلائل ﴿ثُمَّ إِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ﴾ بالموت ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذابَ الشَّدِيدَ﴾ بالنار ﴿بِما كانُواْ يَكْفُرُونَ﴾ بكفرهم.

[٧١] ـ ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ خبره ﴿إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ يا قَومِ إِنْ كانَ كَبُرَ﴾ عظم ﴿عَلَيْكُمْ مَّقامِي﴾ إقامتي فيكم ﴿وَتَذْكِيرِي﴾ وعظي إياكم ﴿بِآياتِ اللهِ﴾ بحججه ﴿فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ﴾ به وثقت ﴿فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ﴾ اعزموا على أمر تكيدونني به

(١) كذا في النسخ، والصحيح: ومملوكاً.

﴿وَشُرَكاءَكُمْ﴾ أي مع شركائكم. أو هو عطف على «شركائكم» بتقدير وأمر شركائكم. أو منصوب بتقدير «وادعوا» ورفعه «يعقوب» عطفاً على «الواو»[1] ﴿ثُمَّ لا يَكُنْ اَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ مغطى أي أظهروه ﴿ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ﴾ امضوا لما في أنفسكم ﴿وَلاتُنْظِرُونِ﴾ لا تمهلوني فإن الله يعصمني منكم.

[٧٢] ـ ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن نصحي ﴿فَما سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ﴾ ثواب عليه فيثقل عليكم، فتتولوا ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ ـ وفتح الياء «نافع» و«ابن عامر» و«أبو عمرو» و«حفص» حيث وقع ـ [2]ما ثوابي على أداء الرسالة ﴿إِلاَّ عَلَى اللهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ المستسلمين لأمره.

[٧٣] ـ ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ ثبتوا على تكذيبه ﴿فَنَجَّيْناهُ﴾ من الغرق ﴿وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ السفينة وكانوا ثمانين ﴿وَجَعَلْناهُمْ خَلائِفَ﴾ من المغرقين ﴿وَأَغْرَقْنا﴾ بالطوفان ﴿الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآياتِنا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ فليحذر الذين كذبوك أن يهلكوا مثلهم.

[٧٤] ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد نوحٍ ﴿رُسُلاً إِلى قَوْمِهِمْ﴾ كل الى قومه ﴿فَجاءُوهُمْ بِالْبَيِّناتِ﴾ بالمعجزات البيّنة ﴿فَما كانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِما كَذَّبُواْ بِهِ﴾ أي أوائلهم وهم قوم نوح ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبل بعث الرسل ﴿كَذلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ بالكفر. واسناد الطبع إليه تعالى مجاز عن ترك قسرهم الى الإيمان.[3]

[٧٥] ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ بعد أولئك الرسل ﴿مُوسَى وَهَرُونَ إِلى فِرْعَونَ وَمَلاَئِهِ﴾ رؤساء قومه ﴿بِآيَاتِنا﴾ التسع ﴿فَاسْتَكْبَرُواْ﴾ عن الإيمان ﴿وَكانُواْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ عاصين.

---

(١) تفسير مجمع البيان ٣/ ٢٢١ ـ والنشر في القراءات العشر ٢ / ٢٨٦

(٢) تفسير القرطبي ٨ : ٣٦٥ ـ وانظر سورة هود: ١١/ ٢٩.

(٣) تقدم مثل ذلك في سورة الاعراف: ٧/ ١٠٠.

[٧٦] ـ ﴿فَلَمَّا جاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا﴾ المبيّن بالمعجزات ﴿قالُواْ إِنَّ هذا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ واضح.

[٧٧] ـ ﴿قالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جاءَكُمْ﴾ إنّه لسحر، وحذف المقول لقرينة ما قبله ﴿أَسِحْرٌ هذا﴾ استئناف، إنكار ما قالوا ﴿وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ لايظفرون بحجة، فلو كان سحراً لبطل ولم يبطل سحر السحرة.

[٧٨] ـ ﴿قالُواْ أَجِئتَنا لِتَلْفِتَنا﴾ تصرفنا ﴿عَمَّا وَجَدْنا عَلَيْهِ ءَاباءَنا﴾ من الدين ﴿وَتَكُونَ لَكُما الْكِبْرِياءُ﴾ الملك ﴿فِي الأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَما نَحْنُ لَكُما بِمُؤْمِنِينَ﴾ بمصدقين.

[٧٩] ـ ﴿وَقالَ فِرْعَوْنُ ائتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ﴾ وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «سحّار»[1] ﴿عَلِيمٍ﴾ حاذق في السحر.

[٨٠] ـ ﴿فَلَمَّا جاءَ السَّحَرَةُ قالَ لَهُمْ مُوسى﴾ بعد أن خيّروه بين أن يلقى أو أن يلقوا: ﴿أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾.

[٨١] ـ ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ حبالهم وعصيهم ﴿قالَ مُوسَى مَا﴾ الذي ﴿جِئتُمْ بِهِ﴾ هو ﴿السِّحْرُ﴾ وقرأ «أبو عمرو»: «السِّحر» بالمد[2] على ان «ما» استفهامية مبتدأ، وخبره «جئتم» و«السحر» بدل منها، أو خبر محذوف ﴿إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ سيمحقه ﴿إِنَّ اللهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ لا يقوّيه.

[٨٢] ـ ﴿وَيُحِقُّ اللهُ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ﴾ يثبته بمواعيده ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ ذلك.

[٨٣] ـ ﴿فَما ءَامَنَ لِمُوسَى إِلاّ ذُرِّيَةٌ مِّنْ قَوْمِهِ﴾ إلاّ طائفة من أولاد قوم فرعون، ومنهم مؤمن آل فرعون وزوجته وماشطتها وخازنه وزوجته.

أو من أولاد قوم موسى بني إسرائيل ﴿عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَونَ وَمَلاَئِهِمْ﴾ الضمير لـ«فرعون» على أن يراد به آلهة، أو للقوم ﴿أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ يعذبهم فرعون فيصرفهم عن

(١و٢) تفسير مجمع البيان ٣: ١٢٥ وحجة القراءات: ٣٣٥.

دينهم، وإفراد الضمير لأن الخوف من الملأ بسببه ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾ متكبّر ﴿فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ المتجاوزين للحدّ في العتوّ بإدعاء الربوبية.

[٨٤] ـ ﴿وَقالَ مُوسى﴾ ـ لمن آمن به ـ: ﴿يا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ﴾ به ثقوا ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ منقادين لحكمه.

[٨٥] ـ ﴿فَقَالُواْ عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنا﴾ اعتمدنا ﴿رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلْقَومِ الظَّالِمِينَ﴾ لا تسلطهم علينا فيفتنوا بنا.

[٨٦] ـ ﴿وَنَجِّنا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكافِرِينَ﴾ من كيدهم.

[٨٧] ـ ﴿وَأَوْحَيْنا إِلى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا﴾ اتخذا ﴿لِقَوْمِكُما بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ للسكنى أو العبادة ﴿وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ مصلى، إذ منعكم فرعون الصلاة في مساجدكم، أو مساجد نحو القبله أي الكعبة ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلوٰةَ﴾ أديموها ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصر والجنة، خطاب لموسى عليه السّلام أو لمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

[٨٨] ـ ﴿وَقالَ مُوسَى رَبَّنا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَونَ وَمَلأهُ زِينَةً﴾ ما يتزينون به ﴿وَأَمْوالاً فِي الْحَيوٰةِ الدُّنْيا رَبَّنا لِيُضِلُّواْ﴾ اللام للعاقبة أي آتيتهم وعاقبتهم أن يُضلوا ﴿عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنا اطْمِسْ عَلَى أَمْوالِهِمْ﴾ امسخها ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: أهلكهم، أو أخذلهم ﴿فَلا يُؤْمِنُواْ﴾ لهم ﴿حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذابَ الأَلِيمَ﴾ جواب الدعاء أو عطف على «ليضلّوا» وما بينهما اعتراض.

[٨٩] ـ ﴿قالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما﴾ الضمير لموسى وهارون لأنه كان يؤمنّ، فمسخت أموالهم حجارة وأغرقوا ﴿فَاسْتَقِيما﴾ فاثبتا على الدعوة. قيل مكث فيهم بعد الدعاء أربعين سنة ﴿وَلا تَتَّبِعانِّ﴾ وخفف «ابن ذكوان» «النون»[1] ﴿سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ الجهلة في استعجال القضاء.

[٩٠] ـ ﴿وَجاوَزْنا بِبَنِي إِسْرائِيلَ﴾ أي جوّزناهم ﴿الْبَحْرَ﴾ حتّى جازوه ﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾

---

(١) تفسير البيضاوي ٣: ١٦ وتفسير القرطبي ٨: ٣٧٦.

لحقهم ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ مفعول له أو حال ﴿حَتَّى إِذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ﴾ أي بأنهُ وكسرها «حمزة» و«الكسائي» استئنافاً،[1] أو بتقدير وقلت إنه ﴿لاَ إِلهَ إِلاَّ الَّذِي ءَامَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرائيلَ وَأَنا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ لم يؤمن إلاّ حين لم يُقبل الإيمان، فقيل له:

[٩١] ـ ﴿ءَالئَـٰنَ﴾ آمنت ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ﴾ من ﴿قَبْلُ﴾ بالكفر ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بالضلال والإضلال عن الإيمان.

[٩٢] ـ ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ وخففه «يعقوب»[2] نلقيك على نجوة من الأرض،[3] أو نخرجك طافياً على الماء ﴿بِبَدَنِكَ﴾ بجسدك خالياً من الروح، أو بدرعك وكانت من ذهب يعرف بها ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ لمن وراءك علامة، أي بني اسرائيل إذشك بعضهم في موته فأُخرج لهم ليروه.

أو لمن بعدك عبرة فيعرفوا أنك عبد مقهور، ولا يطغوا طغيانك ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَاياتِنا لَغَافِلُونَ﴾ لا يعتبرون بها.

[٩٣] ـ ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنا بَنِي إِسْرائيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ أنزلناهُم منزلاً محموداً وهو مصر والشام ﴿وَرَزَقْناهُمْ مِّنَ الطَّيِّباتِ﴾ اللذيذة ﴿فَما اخْتَلَفُواْ حَتَّى جاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ أي كانوا على الكفر، فلما جاءهم العلم من جهة موسى وكتابه، آمن فريق وكفر فريق، أوكانوا مقرين بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم حتّى جائهم العلم أي القرآن، أو معلومهم اختلفوا في أمره ﴿إِن رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فِيما كانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُون﴾ بإنجاء المحق وتعذيب المبطل.

[٩٤] ـ ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ﴾ من القصص فرضاً ﴿فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فإنه ثابت في كتبهم مطابق لما قصصنا عليك.

---

(١) حجة القراءات: ٣٣٦.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ١٣٠.

(٣) النجوة: ما ارتفع من الأرض.

روي أنه صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: لا أشك ولا أسأل،[١] وقيل: الخطاب له والمراد غيره،[٢] أي إن كنت أيها السامع في شك مما أنزلنا إليك على لسان رسولنا من الهدى فاسألهم يخبروك بصدقه ﴿لَقَد جاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَّبِكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين، إذ لا مجال للشك فيه.

[٩٥]- ﴿وَلا تكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـآيَاتِ اللهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ خطاب له صلّى الله عليه وآله وسلّم والمراد غيره.

[٩٦]- ﴿إِنَّ الَّذينَ حَقَّتْ﴾ وجبت ﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ لعنته أو وعيده ﴿لا يُؤْمِنُونَ﴾ مع قدرتهم على الإيمان.

[٩٧]- ﴿وَلَوْ جاءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ لرسوخهم في الكفر ﴿حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذابَ الأَلِيمَ﴾ ولا ينفعهم حينئذٍ.

[٩٨]- ﴿فَلَوْ لاَ﴾ فهلا ﴿كانَتْ قَرْيَةٌ﴾ من القرى المهلكة ﴿ءَامَنَتْ﴾ قبل حلول العذاب بها ﴿فَنَفَعَها إيمانُها إِلاَّ﴾ لكن ﴿قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُواْ﴾ حين رأوا أمارة العذاب، ولم يؤخروا إلى حلوله ﴿كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيْوةِ الدُّنْيا﴾ وقيل: الجملة بمعنى النفي، والإستثناء متصل، أي ما أهل قرية آمنوا عند نزول العذاب فنفعهم إيمانهم إلاّ قوم يونس ﴿وَمَتَّعْناهُمْ إِلى حِينٍ﴾ إلى آجالهم.

قيل: بعث يونس الى نينوى - قرية من الموصل - فكذبوه، فوعدهم العذاب إلى ثلاثة أيام، فلمّا دنا الموعد غشي مدينتهم غيم أسود، ودخان هائل فأيقنوا صدقه، فطلبوه فلم يجدوه، فبرزوا الى الصعيد بأهاليهم ودوابهم، وفرقوا بين كل ولد وأُمه، وعلا الضجيج، وأخلصوا التوبة وآمنوا وتضرعوا الى الله، فرحمهم وكشف عنهم.[٣]

---

(١) تفسير البيضاوي ٣: ١٧ وتفسير الجلالين ١: ١٨٠.

(٢) تفسير القرطبي ٨: ٣٨٢.

(٣) ذكر قصة يونس كل من الطبرسي فيتفسير مجمع البيان ٣: ١٣٥ والبيضاوي في تفسيره ٣: ١٨.

[٩٩] ـ ﴿وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ مجتمعين على الإيمان أي يقدر على جبرهم على الإيمان لكن لمّا لم ينفع إيمان المُلْجأ لمنافاته التكليف لم يجبرهم ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي تريد إكراههم على الإيمان مع عدم قدرتك عليه. تسلية له صلّى الله عليه وآله وسلّم عن تحسّره وحرصه على إيمانهم.

[١٠٠]ـ ﴿وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إلاّ بِإِذْنِ اللهِ﴾ بلطفه وتوفيقه ﴿وَيَجْعَلُ﴾ وقرأ «أبو بكر» بالنون[1] ﴿الرِّجْسَ﴾ العذاب ﴿عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾ لا يتفكرون في الآيات.

[١٠١] ـ ﴿قُلِ انْظُرُواْ﴾ تفكروا ﴿مَاذا﴾ أيُّ الذي أو أي شيء ﴿في السَّمَواتِ وَالأَرْضِ﴾ من الدلائل على وحدانيته وقدرته ﴿وَما﴾ نفي أو استفهام ﴿تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ﴾ الحجج والرسل ﴿عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾ لا يقبلونها ولا يريدون الإيمان.

[١٠٢] ـ ﴿فَهَلْ﴾ فما ﴿يَنْتَظِرُونَ إلاّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَواْ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي مثل وقائعهم ﴿قُلْ فَانْتَظِرُواْ﴾ ذلك ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ له.

[١٠٣]ـ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ عطف على ما دل عليه الإستثناء، كأنه قيل: نهلك الأمم ثمّ ننجي ﴿رُسُلَنا وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذلِكَ﴾ الإنجاء ﴿حَقًّا عَلَيْنا﴾ مصدر قدّر فعله ﴿نُنَجِّي﴾ وخففه «الكسائي» و«حفص»[2] ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم ومن آمن به إذا أهلكنا المشركين.

[١٠٤]ـ ﴿قُل يا أَيُّها النَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿إِنْ كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي﴾ وحقّيّته ﴿فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ أي الأصنام ﴿وَلكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَتَوَفاكُمْ﴾ يقبض أرواحكم. وفيه تهديد ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ به.

---

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ١٣٦ وتفسير القرطبي ٨: ٣٨٦.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ١٣٧ وحجة القراءات: ٣٣٧ وتفسير القرطبي ٨: ٣٨٧.

[١٠٥] ـ ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ عطف على «أن أكون» أي: وأمرت بالإستقامة في الدين بالإقبال عليه، أو في الصلاة بالتوجه نحو الكعبة ﴿حَنِيْفًا﴾ مائلاً إليه ﴿وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٠٦] ـ ﴿وَلا تَدْعُ﴾ تعبد ﴿مِنْ دُونِ اللهِ مالا يَنْفَعُكَ﴾ إن دعوته ﴿وَلا يَضُرُّكَ﴾ ان تركته ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ دعوته ـ فرضاً ـ ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ أو أريد بخطابه غيره.

[١٠٧] ـ ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ﴾ يصبك ﴿بِضُرٍّ﴾ شدّة وبلاء ﴿فَلا كاشفَ﴾ دافع ﴿لَهُ إِلاّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ نعمة ورخاء ﴿فَلا رَادَّ﴾ مانع ﴿لِفَضْلِهِ﴾ الذي أرادك به ﴿يُصِيْبُ بِهِ﴾ بالخير ﴿مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَهُوَ الغَفُورُ﴾ لذنوبهم ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم.

[١٠٨] ـ ﴿قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكُمْ﴾ رسوله وكتابه ﴿فَمَنِ اهْتَدَى﴾ باتباعه ﴿فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنفسِهِ﴾ لعود نفع اهتدائه اليها ﴿وَمنْ ضَلَّ﴾ عن اتباعه ﴿فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها﴾ لعود وبال ضلاله عليها ﴿وَما أَنا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ وإنّما عليّ البلاغ.

[١٠٩] ـ ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾ بالإمتثال ﴿وَاصْبِرْ﴾ على الدعوة وأذاهم ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ﴾ بنصرك وقهرهم ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ لأنه لا يحكم إلاّ بالعدل، فصبرَ، فحكم الله بقتل المشركين والجزية على أهل الكتاب.

سورة هـود

[١١]

مائة وثلاث وعشرون آية مكية وقيل إلاّ آية ﴿وأقم الصلاة . . . ﴾[١]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ـ ﴿الٓر﴾ مبتدأ ﴿كِتابٌ﴾ خبره، أو خبر محذوف ﴿أُحْكِمَتْ ءاياتُهُ﴾ أُتقنت، فلا خلل فيها من اللفظ والمعنى ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ بُيّنت بالأحكام والمواعظ والقصص ﴿مِنْ لَدُنْ﴾ من عند ﴿حَكِيمٍ﴾ في أفعاله ﴿خَبِيرٍ﴾ بمصالح خلقه أي: لأن، أو: بأن.

[٢] ـ ﴿ألاَّ تَعْبُدُواْ إلاّ اللهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ﴾ بالعقاب لمن كفر ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالثواب لمن آمن.

[٣] ـ ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ﴾ توصّلوا الى المغفرة بالتوبة أو استغفروه عن الشرك ثم ارجعوا إليه بالطاعة ﴿يُمَتِّعْكُمْ﴾ في الدنيا ﴿مَّتاعاً حَسَناً﴾ بأمن وسعة ﴿إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أي الموت ﴿وَيُؤْتِ﴾ في الآخرة ﴿كُلَّ ذِي فَضْلٍ﴾ عمل صالح ﴿فَضْلَهُ﴾ جزاء فضله، أو «الهاء» لله أي: ثوابه ﴿وَإِنْ تَوَلَّواْ﴾ تتولوا أي تعرضوا

(١) قاله قتادة ينظر تفسير مجمع البيان ٣ / ١٦٠ .

﴿فَإِنّي﴾ - وفتح «الحرميان» و«أبو عمرو»: [١] «الياء» وكذا «ياء» ﴿إنّي أعظك﴾؛ [٢] ﴿إنّي أعوذ بك﴾، [٣] ﴿إنّي أخاف﴾، [٤] ﴿شقاقي﴾ - [٥] ﴿أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ يوم القيامة.

[٤] - ﴿إِلى اللهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ رجوعكم في ذلك اليوم ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه الإثابة والتعذيب.

[٥] - ﴿أَلاَ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ يطوونها على عداوة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ﴾ من الله أو النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم.

نزلت في المشركين كانوا إذا مرّوا بالنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم طأطأ أحدهم رأسه وغطاه بثوبه كي لا يراه. [٦]

وقيل: قالوا إذا طوينا صدورنا على عداوة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وأرخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا كيف يَعلم؟ [٧] ﴿أَلاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ﴾ يتغطون بها ﴿يَعْلَمُ﴾ أي: الله ﴿ما يُسِرّونَ وَما يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب.

[٦] - ﴿وَما مِنْ دابَّةٍ فِي الأَرْضِ﴾ تدب عليها ﴿إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُها﴾ معاشها، تَكَفَّلَ به فضلاً منه ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها﴾ موضعها في حياتها أو الصلب ﴿وَمُسْتَوْدَعَها﴾ في مماتها أو الرحم ﴿كُلٌّ﴾ مما ذكر ﴿فِي كِتابٍ مُبِينٍ﴾ بيّن، وهو: اللوح المحفوظ.

[٧] - ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمواتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيّامٍ﴾ في مقدارها من الأحد

---

(١) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٩٢.

(٢) الآية (٤٦) من هذه السورة.

(٣) الآية (٤٧) من هذه السورة.

(٤) الآيتان (٣) و(٢٦) من هذه السورة.

(٥) الآية (٨٩) من هذه السورة.

(٦) تفسير مجمع البيان ٣: ١٤٥ وتفسير البرهان ٢: ٢٠٦.

(٧) نقله البيضاوي في تفسيره ٣: ٢٠.

الى الجمعة بحسب تقديره تعالى ﴿وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ قبل خلقهما، والماء قام بقدرة الله تعالى لا على شيء، وقيل على متن الريح ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ متعلق بـ«خلق» أي: خلقهما وما فيهما من مصالح وفوائد لكم معاشاً ومعاداً ليعاملكم معاملة المختبر، ولتضمنه معنى العلم علّق عن ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ أصوبه وأخلصه، أي عقب بجملة استفهامية حلّت محل ثاني مفعوليه لا التعليق المشهور لعدم حلولها محل المفعولين ﴿وَلَئِنْ قُلْتَ﴾ لهم ﴿إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هذا﴾ ما القول بالبعث، أو القرآن المتضمن له ﴿إِلاّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ تمويه بيّن لا حقيقة له. وقرأ «حمزة» و«الكسائي» «ساحر» [1] والمشار إليه النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم.

[٨] ـ ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ أوقات قليلة.

وعن الصادق عليه السّلام: هي أصحاب المهدي عليه السّلام عدة أهل بدر [2] ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ استهزاءً ﴿ما يَحْبِسُهُ﴾ ما يمنعه من الحلول ﴿أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ العذاب ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ و«يوم» ظرف لخبر «ليس» وتقديمه عليها يسوّغ تقديم خبرها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ ما كانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ من العذاب.

[٩] ـ ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإنْسانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ منحناه نعمةً كصحة وسعة ﴿ثُمَّ نَزَعْناها﴾ سلبناها ﴿مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُسٌ﴾ شديد اليأس من رحمة الله ﴿كَفُورٌ﴾ شديد الكفر به أو بالنعمة.

[١٠] ـ ﴿وَلَئِنْ أَذَقْناهُ نَعْماءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ﴾ بلاء وشدة ﴿مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئاتُ﴾ الشدائد ﴿عَنِّي﴾ فلا تعود اليَّ، ولم يشكر الله تعالى ــ وفتح «نافع»

---

(١) تفسير القرطبي ٩ : ٩ وتفسير روح المعاني ١٢ : ١٢.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣ : ١٤٤ وتفسير البرهان ٢ : ٢٠٨ و٢٠٩.

و«أبوعمر» ياءه، [١] وياء ﴿نصحي ان أردت﴾ [٢] وياء ﴿إني إذا﴾ [٣] وياء ﴿ضيفي﴾ـ [٤] ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ﴾ بطر ﴿فَخُورٌ﴾ على الناس بما أعطى.

[١١] ـ ﴿إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على الضراء رضىً بقضاء الله. استثناء من الإنسان العام باللام، وإن حمل على الكافر فمنقطع ﴿وَعَمِلُواْ الصَّالِحاتِ﴾ شكراً للنعماء ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هو الجنة.

[١٢] ـ ﴿فَلَعَلَّكَ تارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾ فلا تبلغهم إياه لاستهزائهم به ﴿وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ بتلاوته [٥] عليهم كراهة ﴿أَنْ يَقُولُواْ لَوْلا﴾ هلا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ﴾ ينفقه ﴿أَوْ جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ يصدّقه ﴿إِنَّما أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ وما عليك إلاّ البلاغ ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ حفيظ، فيجازيهم بقولهم وفعلهم.

[١٣] ـ ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أي القرآن ﴿قُلْ فَاتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ في البلاغة وحسن النظم ﴿مُفْتَرَياتٍ﴾ مختلقات فإنكم عرب فصحاء مثلي. تحداهم بها ثم بسورة حين عجزوا [٦] ﴿وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ ليعينوكم المعارضة ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ أي غيره ﴿إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ أنّي افتريته.

[١٤] ـ ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ﴾ خطاب للرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم على التعظيم، أو للمؤمنين معه، أو للمشركين، والواو للمدعوين ﴿فَاعْلَمُواْ﴾ أيها المؤمنون أو المشركون ﴿أَنَّما أُنْزِلَ﴾ متلبساً ﴿بِعِلْمِ اللهِ﴾ بمواقع تأليفه في علوّ طبقاته أو بأنه حق

---

(١) النشر في القراءات العشر ـ ٢: ٢٩٢.

(٢) الآية(٣٤) من هذه السورة.

(٣) الآية(٣١) من هذه السورة.

(٤) الآية(٧٨) من هذه السورة، وايضاً في سورة الحجر: ١٥/ ٦٨.

(٥) في«ط»: لتلاوتة.

(٦) التحدي بسورة، ذكرها سبحانه وتعالى في صورة يونس: ١٠/ ٣٨ ـ وورد أيضا في سورة البقرة: ٢/ ٢٣.

من عنده ﴿وَأَنْ﴾ مخففة أي واعلموا أنه ﴿لاَ إِلهَ إِلاّ هُوَ﴾ لعجز غيره عن مثل هذا المعجز ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ثابتون على الإسلام، أو داخلون فيه بعد نهوض الحجة عليكم. أي: أسلموا.

[١٥] ـ ﴿مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَيوٰةَ الدُّنْيا وَزِيْنَتَها﴾ بعمل البرّ، هي في الكفرة أو المرائين ﴿نُوَفِّ﴾ نوصل تماماً ﴿إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيها﴾ جزاءها بالسعة والصحة والأولاد ﴿وَهُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ﴾ لا ينقصون شيئاً من جزائهم.

[١٦] ـ ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ﴾ بطل ﴿ما صَنَعُواْ فِيها﴾ في الآخرة، فلا ثواب لهم لأنهم لم يريدوا به وجه الله ﴿وَباطِلٌ مَا كانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ لأنه لغير الله.

[١٧] ـ ﴿أَفَمَنْ كانَ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ حجة ﴿مِّنْ رَبِّهِ﴾ وهي القرآن، أو دليل العقل، وهو: النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أو المؤمنون ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ يقرؤه أو يتبعه ﴿شاهِدٌ﴾ يصدقه ﴿مِّنْهُ﴾ من الله وهو جبرئيل، أو القرآن.

وعن عليّ والباقر والرضا عليهم السّلام: انه عليّ عليه السّلام يشهد للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو منه[1] ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ قبل القرآن ﴿كِتابُ مُوسَى﴾ التوراة يتلوه أيضاً في التصديق ﴿إِمَامًا﴾ يؤتم به، حال ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به. وخبر «أفمن» محذوف، أي: كمن لا بينة له، وهو مريد الحياة الدنيا ﴿أُوْلئكَ﴾ أي من كان على بينة ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالقرآن أو محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزابِ﴾ فرق الكفار ﴿فَالنَّارُ مَوعِدُهُ﴾ مصيره ﴿فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّنْهُ﴾ من القرآن ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾ لتركهم النظر.

[١٨] ـ ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ فنسب إليه شريكاً أو ولداً ﴿أُوْلئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة فيحبسون ﴿وَيَقُولُ الأَشْهادُ﴾ ـ جمع

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ١٥٠ وتفسير البرهان ٢: ٢١٣ ـ ٢١٤.

شاهد أو شهيد، وهم الملائكة أو الأنبياء أو أئمة الحق في كل عصر ـ: ﴿هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ بكذبهم على الله.

[١٩] ـ ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ دينه ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ ويطلبون لها الإنحراف ويصفونها به ﴿وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ﴾ حال، وكرر «هم» تأكيداً.

[٢٠] ـ ﴿أُوْلَئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ﴾ فائتين الله أن يعذبهم ﴿فِي الأَرْضِ وَما كانَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِياءَ﴾ أنصار يمنعونهم من عذابه ﴿يُضاعَفُ لَهُمُ الْعَذابُ﴾ بكفرهم ومعاصيهم ﴿ما كانُواْ يَسْتَطِيْعُونَ السَّمْعَ﴾ للحق لبغضهم له، فكأنهم لم يستطيعوا سماعه ﴿وَما كانُواْ يُبْصِرُونَ﴾ ما يدل عليه، لتركهم تدبره ويجوز كونه علّة المضاعفة.

[٢١] ـ ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنْفُسَهُمْ﴾ بتعريضها للعذاب الدائم ﴿وَضَلَّ﴾ ذهب ﴿عَنْهُمْ مَّا كانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ من الشركاء لله.

[٢٢] ـ ﴿لاَجَرَمَ﴾ لا محالة أو حقاً ﴿أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾ الأكثر خسراناً من غيرهم.

[٢٣] ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحاتِ وَأَخْبَتُواْ إِلى رَبِّهِمْ﴾ أنابوا، أو اطمئنوا إليه ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾.

[٢٤] ـ ﴿مَثَلُ الْفَرِيْقَيْنِ﴾ صفة الكفرة والمؤمنين ﴿كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ﴾ مثل الكافر في عدم انتفاعه بحواسه ﴿وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ مثل المؤمن في انتفاعه بها ﴿هَلْ يَسْتَوِيانِ﴾ أي الفريقان أو مثلاهما ﴿مَثَلاً﴾ صفة ﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ تتذكرون أي: تعتبرون.

[٢٥] ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحًا إِلى قَوْمِهِ أَنِّي﴾[1] أي بأني، وكسرها «نافع» و«عاصم»

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «إني» ـ كما سيشير اليه المؤلف ـ.

و«ابن عامر» و«حمزة»[1] بتقدير القول ﴿لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ للإنذار.

[٢٦] ـ ﴿أَنْ﴾ أي بأن أو أي ﴿لَا تَعْبُدُواْ إِلَّا اللهَ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

[٢٧] ـ ﴿فَقالَ المَلأُ﴾ الاشراف ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ قَوْمِهِ ما نَراكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنا﴾ لاتفضلنا بشيء يوجب طاعتك علينا ﴿وَما نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَراذِلُنا﴾ اخسّاؤنا الذين لا مال لهم ولا جاه ﴿بادِيَ الرَّأْيِ﴾ ظاهره بلا تعمق، من البدوّ، أو ابتداء من البدء بقلب الهمزة ياء، وهمّزه «أبو عمرو»[2] ونصب ظرفاً بحذف مضاف أي وقت حدوث ظاهر آرائهم أو أوله ﴿وَما نَرَى لَكُمْ﴾ لك ولمن اتبعك ﴿عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ﴾ تستحقون به أن نتّبعكم ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كاذِبِيْنَ﴾ في دعواك الرسالة وزعمهم صدقك. غلّب المخاطب على الغيب.

[٢٨] ـ ﴿قالَ يا قَوْمِ أَرَءَيْتُم﴾ اخبروني ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ حجة تصدق دعواي ﴿مِنْ رَّبِّي وَءَاتانِي رَحْمَةً﴾ نبوّة ﴿مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمِيَتْ﴾[3] خفيت ﴿عَلَيْكُمْ﴾ لقلة تدبركم فيها والضمير لكل من البينة والرحمة.

وضمّ العين «حفص» و«حمزة» و«الكسائي» وشددوا الميم[4] ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ أَنُلْجِئُكم إلى قبولها ﴿وَأَنْتُمْ لَها كارِهُونَ﴾ لا تقبلونها.

[٢٩] ـ ﴿وَيا قَوْمِ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التبليغ ﴿مَالًا﴾ أجراً ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾

---

(١) تفسير البيضاوي ٣ : ٢٤، وفي تفسير القرطبي ٩ : ٢٢ : وقرأ «ابن كثير» و«ابوعمر» و«الكسائي»: «أني» بفتح الهمزة ـ اي: ارسلناه بأني لكم نذير مبين.

(٢) حجة القراءات: ٣٣٨.

(٣) في المصحف الشريف بقراءة «حفص»: «فعمّيت» ـ كما سيشير اليه المؤلف ـ.

(٤) تفسير البيضاوي ٣ : ٢٤ وفي هامش تفسير القرطبي ٩ : ٢٥ ـ ان قراءة: «فعميت» ـ بالتخفيف ـ هي لـ«نافع».

ما ثوابي، وسبق في «يونس» القراءة في الياء[1] ﴿إِلاَّ عَلَى اللهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ كما سألتموني ﴿إِنَّهُمْ مُلاقُواْ رَبِّهِمْ﴾ فيكرمهم ويجازي طاردهم ﴿وَلَكِنِّي أَرٰيكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ الحق وأهله، أو في سؤال طردهم. وفتح «نافع» و«البزي» و«أبو عمرو»: الياء[2] وكذا في «أرٰيكم» الآتية.[3]

[٣٠] ـ ﴿وَيا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللهِ﴾ يمنعني من عذابه ﴿إِنْ طَرَدْتُّهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ تتذكرون أي تتعظون.

[٣١] ـ ﴿وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ اللهِ﴾ مقدوراته أو خزائن رزقه ﴿وَلاَ﴾ أقول إني ﴿أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ حتّى تستعظموا ذلك فتكذبوني ﴿وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ بل أنا بشر مثلكم ﴿وَلا أَقُولُ لِلَّذِيْنَ تَزْدَرِي﴾ تحتقر ﴿أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْراً﴾ فإنه يؤتيهم في الآخرة ثوابه ﴿اللهُ أَعْلَمُ بِمـا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ قلوبهم من إخلاص وغيره ﴿إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ان قلت ذلك.

[٣٢] ـ ﴿قَالُواْ يا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا﴾ خاصمتنا ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في الوعيد.

[٣٣] ـ ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيْكُمْ بِهِ اللهُ إِنْ شَاءَ﴾ فإن تعجيله وتأخيره إليه لا اليّ ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِيْنَ﴾ فائتين الله.

[٣٤] ـ ﴿وَلاَ يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ اَنْ اَنْصَحَ لَكُمْ﴾ جواب الشرط، يُعلم مما قبله، ومِن الشرطية يعلم جواب ﴿إِنْ كانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ والتقدير إنْ كان الله يريد أن يخيّبكم من ثوابه ويعاقبكم لكفركم، أو يهلكم، فإن أردت أن أنصح لكم لاينفعكم نصحي، إذ الشرط بعد الشرط مقدم معنى وان تأخر لفظاً ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾

---

(١) في الآية(٧٢) من سورة يونس.

(٢) النشر في القراءات العشر ٢ : ٢٩٢.

(٣) في الآية(٨٤) من هذه السورة.

مالككم ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فيجازيكم بأعمالكم .

[٣٥] ـ ﴿أَمْ﴾ بل أ﴿يَقُولُونَ﴾ أي كفّار مكة ﴿افْتَرَاهُ﴾ اختلق محمد نبأ نوح ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾ وباله ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ من إجرامكم في نسبة الإفتراء إليّ .

[٣٦] ـ ﴿أُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلا تَبْتَئِسْ﴾ تغتمّ ﴿بِما كانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ من تكذيبك وايذائك . أقنطه الله من إيمانهم فدعا ﴿رَبِّ لاتَذَرْ﴾ إلى آخره،[1] فأجاب دعاءه وقال :

[٣٧]ـ ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ﴾ السفينة ﴿بِأَعْيُنِنا﴾ برعايتنا وحفظنا ﴿وَوَحْيِنا﴾ وتعليمنا ﴿وَلا تُخاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ كفروا بإمهالهم ﴿إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾ لا محالة .

[٣٨] ـ ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾ حكاية حال ماضية ﴿وَكُلَّما مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ﴾ جماعة ﴿مَنْ قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ﴾ هزأوا به لعمله لها في برّ لا ماء عنده، فيتضاحكون ويقولون : صرت نجّاراً بعد النبوة ﴿قالَ إِنْ تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾ إذا غرقتم ﴿كَما تَسْخَرُونَ﴾ اليوم .

[٣٩] ـ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ﴾ أي الذي ﴿يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ﴾ يفضحه وهو الغرق ﴿وَيَحِلُّ﴾ ينزل ﴿عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ﴾ دائم في الآخرة .

[٤٠] ـ ﴿حَتَّى إِذا جاءَ أَمْرُنا﴾ بتعذيبهم، غاية «ليصنع»، وما بينهما حال من فاعله ﴿وَفارَ التَّنُّورُ﴾ ارتفع منه الماء وهو تنّور الخبز. كان في الكوفة [في] موضع مسجدها، أو في الشام، أو الهند وكان ذلك علامة لنوح خارقة للعادة ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيها﴾ في السفينة ﴿مِنْ كُلٍّ﴾ من كل نوعٍ من الحيوان ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ ذكراً وانثى، وهذا على التنوين لحفص[2] وعلى الاضافة لغيره، معناه : من كل زوجين ذكر وانثى

---

(١) وهي الآية(٢٥) من سورة نوح : (٧١) .

(٢) حجة القراءات : ٣٣٩ .

من جميع أنواعهما أحمل اثنين ذكراً وانثى ﴿وَأَهْلَكَ﴾ واحمل أهلك وهم زوجته وبنوه ﴿إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ الوعد بإهلاكه وهو ابنه «كنعان» وأمّه داغلة ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ من غيرهم ﴿وَما ءَامَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ قيل كانوا ثمانين، منهم بنو سام وحام ويافث ونساؤهم وزوجته المسلمة وقيل أقل.

وصنعها من الساج، طولها ألف ذراع وعرضها خمسون ذراعاً، [١] وسمكها ثلاثون.

وعن أهل البيت: أن أبعادها الثلاثة أزيد من ذلك. [٢]

[٤١] ـ ﴿وَقالَ ارْكَبُواْ فِيها بِسْمِ اللهِ مُجْراها وَمُرْسَاها﴾ صلة «اركبوا» حال من الواو، أي قائلين: بسم الله إجراؤها وارساؤها، أي حبسها أو وقتها أو مكانهما.

أو جملة منفكة عما قبلها من مبتدأ وخبر، أي إجراؤها بسم الله. وفتح «حفص» و«حمزة» و«الكسائي»: ميم «مجراها»[٣] ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ إذ نجّانا من الغرق.

[٤٢] ـ ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبالِ﴾ في عظمها وارتفاعها ﴿وَنادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ كنعان ﴿وَكانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ عن نوح أو دينه ﴿يا بُنَيِّ﴾ بكسر الياء ليدل على ياء الإضافة المحذوفة، وفتحها «عاصم»[٤] اكتفاءً بالفتح عن الألف المبدلة من ياء الإضافة ﴿ارْكَبْ مَّعَنا﴾ وادغم الباء «أبو عمرو» و«حفص» و«الكسائي»[٥] ﴿وَلا تَكُنْ مَّعَ الْكافِرِينَ﴾ في الدين والتخلف.

[٤٣] ـ ﴿قالَ سَئَاوِي إِلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ يمنعني من الغرق ﴿قالَ

---

(١) كلمة: «ذراعاً» ليست في «الف» و«ب».

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ١٦٠ وتفسير البرهان ٢: ٢١٩.

(٣) حجة القراءات: ٣٤٠.

(٤) حجة القراءات: ٣٤٠ وتفسير مجمع البيان ٣/ ١٦٠.

(٥) تفسير البيضاوي ٣: ٢٧.

﴿لَاعَاصِمَ الْيَومَ مِنْ اَمْرِ اللهِ إِلاَّ مَنْ رَّحِمَ﴾ إلاّ الراحم وهو الله، أو لكن من رحمه الله بإيمانه فهو المعصوم ﴿وَحالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فكَانَ﴾ فصار ﴿مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾.

قيل: علا الماء قلال الجبال ثلاثين ذراعاً

[٤٤] - ﴿وَقِيْلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ﴾ اشربيه فشربته ﴿وَيا سَماءُ أَقْلِعِي﴾ أمسكي عن المطر، فأمسكت. نُوديا وأُمرا كالعقلاء تمثيلاً لانقيادهما لأمره تعالى بامتثال المطيع السريع إلى الإجابة ﴿وَغِيْضَ الْمَاءُ﴾ نقص، ببلع الأرض ما نبع منها وصار ماء السماء بحاراً وأنهاراً ﴿وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ وقع هلاك من هلك ونجاة من نجا ﴿وَاسْتَوَتْ﴾ واستقرت السفينة ﴿عَلَى الجُودِيِّ﴾ جبل بالموصل أو بـ«آمد». [1] قيل سارت بهم ستة أشهر [2] ﴿وَقِيْلَ بُعْدًا﴾ هلاكاً ﴿لِلْقَومِ الظَّالِمِينَ﴾.

والآية حوت البلاغة بحسن نظمها وجزالة لفظها وبيان الحال بايجاز بلا اخلال.

وبنيت الأفعال للمفعول لتعظيم الفاعل وتعينه إذ لا يقدر على هذه الأمور سوى الله تعالى.

[٤٥] - ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابِنِي مِنْ أَهْلِي﴾ وقد وعدتني أن تنجّيهم ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ الذي لاخلف فيه، فنجّه أو فما حاله ﴿وَاَنْتَ اَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ اعدلهم.

[٤٦] - ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِن أَهْلِكَ﴾ الذين وعدتك نجاتهم، أو أهل دينك ﴿إِنَّه عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ﴾ أي ذو عمل، أو جعل نفس العمل مبالغة. وقرأ الكسائي «عمل» [3] أي عمل عملاً غير صالح ﴿فَلا تَسْئَلْنِ﴾ وشدد النون مكسورة «نافع»

---

(١) تفسير البيضاوي ٣: ٢٧: قيل بالشام وقيل بآمل. وفي معجم البلدان«آمد»... وهي اعظم مدن ديار بكر واجلّها قدراً واشهرها ذكراً.

(٢) تفسير منهج الصادقين ٤: ٤٢٦.

(٣) حجة القراءات: ٣٤١ وتفسير مجمع البيان ٣: ١٦٥.

و«ابن عامر»، [١] ومفتوحةً «ابن كثير»، [٢] وخففها الباقون مكسورة، وأثبت الياء «ورش» و«أبو عمرو» في الوصل[٣] ﴿ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ﴾ أمصلحة هو أم لا. ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ﴾ بأن تفعل خلاف الأولى.

[٤٧] ـ ﴿قالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ﴾ من ﴿أَنْ أَسْئَلَكَ ما لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاّ تَغْفِر لِي﴾ فعلي ضدَّ الأولى ﴿وَتَرْحَمْني﴾ بالتوفيق ﴿أَكُنْ مِّنَ الْخاسِرِينَ﴾ قاله تخشعاً لا لذنب.

[٤٨] ـ ﴿قِيْلَ يا نُوحُ اهْبِطْ﴾ انزل من السفينة ﴿بِسَلامٍ﴾ بسلامة أو بتحية ﴿مِّنَّا وَبَرَكاتٍ﴾ وخيرات ﴿عَلَيْكَ وَعَلى أُمَمٍ مِمَّن مَّعَكَ﴾ الذين هم مَن معك، أو ناشئين منهم، وهم: المؤمنون ﴿وَأُمَمٌ﴾ أي وممن معك أمم ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ في الدنيا فيكفرون ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِّنّا عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة بكفرهم.

[٤٩] ـ ﴿تِلْكَ﴾ أي قصة نوح هي ﴿مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ﴾ بعض أخبار ما غاب عنك ﴿نُوحِيْها إِلَيْكَ﴾ خبر ثان، أو حال من «أنباء» أو خبر صلته «من أنباء» ﴿ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذا﴾ القرآن، خبر آخر، أو حال من الهاء، أو الكاف في «نوحيها إليك» ﴿فَاصْبِرْ﴾ على أذى قومك كما صبر نوح ﴿إِنَّ الْعاقِبَةَ﴾ المحمودة عاجلاً وآجلاً ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الله.

[٥٠] ـ ﴿وَإِلى عَادٍ﴾ وأرسلنا الى عاد ﴿أَخاهُمْ﴾ نسباً لا ديناً ﴿هُودًا﴾ عطف بيان ﴿قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ﴾ وحده ﴿ما لَكُمْ مِّنْ إِلهٍ غَيْرُهُ﴾ رفع حملاً على المحل، وجرّه «الكسائي» على اللفظ[٤] ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ مُفْتَرُونَ﴾ على الله بجعلكم الأوثان شركاء.

(١،٢) حجة القراءات: ٣٤٣.

(٣) حجة القراءات: ٣٤٣ وتفسير مجمع البيان ٣: ١٦٦.

(٤) تفسير روح المعاني ١١: ٧٣،

[٥١] ـ ﴿يا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على دعائكم الى التوحيد ﴿أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذي فَطَرَنِي﴾ خلقني ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ قولي فتعلمون أنه الحق.

[٥٢] ـ ﴿وَيا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ﴾ سبق مثله[1] ﴿يُرْسِلِ السَّماءَ﴾ المطر وكانوا قد أجدبوا ﴿عَلَيْكُمْ مِّدْرارًا﴾ كثير الدّر ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلى قُوَّتِكُمْ﴾ بالمال والنسل، وكانوا قد أُعقمت نساؤهم ﴿وَلاَ تَتَولَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾ لا تدبروا عما أدعوكم إليه مشركين.

[٥٣] ـ ﴿قَالُواْ يَا هُودُ ما جِئْتَنا بِبَيِّنَةٍ﴾ بحجة تصدّق دعواك لم يعتبروا بمعجزاته ﴿وَما نَحْنُ بِتارِكِي ءَالِهَتِنا﴾ أي عبادتهم ﴿عَنْ قَوْلِكَ﴾ أو بقولك ﴿وَما نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ بمصدقين.

[٥٤] ـ ﴿إِنْ﴾ ما ﴿نَّقُولُ﴾ فيك ﴿إِلاَّ﴾ قولنا ﴿اعْتَرَاكَ﴾ أصابك ﴿بَعْضُ ءَالِهَتِنا بِسُوءٍ﴾ بخَبَل لسبّك إيّاها، فصرت تهذي ﴿قالَ إِنِّي﴾ وفتح الياء «نافع»[2] ﴿أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُواْ﴾ أنتم أيضاً ﴿أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ به.

[٥٥] ـ ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ من آلهتكم التي تزعمونها خبّلتني ﴿فَكِيْدُونِي﴾ فاحتالوا في ضرّي ﴿جَمِيعًا﴾ أنتم وآلهتكم ﴿ثُمَّ لاَ تُنْظِرُونِ﴾ لا تمهلوني.

وهذه معجزة له، إذ جبّههم بذلك مع وحدته بينهم وشدة حنقهم وعتوّهم ثقةً بعصمة الله، فعصمه الله منهم.

[٥٦] ـ ﴿إِنّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ وثقت به ﴿مَّا مِنْ دابَةٍ إِلاَّ هُوَ ءَاخِذٌ بِناصِيَتِها﴾ إلاّ وهو مالكها وقاهرها.

والأخذ بالناصية مثل لذلك ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِراطٍ مُسْتَقِيم﴾ على الحق والعدل.

[٥٧] ـ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْاْ﴾ تتولوا أي تعرضوا ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ أدّيت

---

(١) في هذه السورة الآية (٣).

(٢) النشر في القراءات العشر ٢ : ٢٩٢.

مـا عليّ وألـزمتكم الحجـة ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ بعد إهـلاككم. وهو استئناف ﴿وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾ بإهـلاككم، أو بإشـراككم ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ رقيب، فيحصي أعمالكم ويجازيكم بها.

[٥٨] ـ ﴿وَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا﴾ عذابنا ﴿نَجَّيْنا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ﴾ هم أربعة آلاف ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْناهُمْ مِّنْ عَذابٍ غَلِيظٍ﴾ وهو الـريح التي أهلك بهـا «عاداً» والمعنى ونجيناهـم أيضاً من عذاب الآخرة.

[٥٩] ـ ﴿وَتِلْكَ عادٌ﴾ إشارة الى القبيلة، أو آثارهم ﴿جَحَدُواْ بِآياتِ رَبِّهِمْ وَعَصَواْ رُسُلَهُ﴾ إذ من عصى رسـولاً فقد عـصى الكل، لأمـرهم بطاعـة كلّ رسول ﴿وَاتَّبَعُواْ﴾ أي: سفهتهم ﴿أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ معرض عن الحق من رؤسائهم.

[٦٠] ـ ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيمَةِ﴾ أي أبعدوا عن رحمـة الله في الدارين ﴿أَلاَ إِنَّ عادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ﴾ أي بـه أو جـحدوه ﴿أَلاَ بُعْدًا﴾ من رحـمة الله، أو هلاكاً ﴿لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ عطف بيان يُفْصِلهم عن عاد الثانية.[1]

[٦١] ـ ﴿وَإِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحًا قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ﴾ مرّ مثله[2] ﴿هُوَ أَنْشَأَكُم﴾ خلقكـم ﴿مِنَ الأَرْضِ﴾ أو خلـق أصلكـم «آدم» منهـا ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ جعلكم عمّارها وسكانها، أو عمركم فيها من العمر أو اعمركموها من العمري ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ برحمته ﴿مُجِيبٌ﴾ للدعاء.

[٦٢] ـ ﴿قالُواْ يا صالِحُ قَدْ كُنْتَ فِيْنا مَرْجُوًّا﴾ أن تكون لنا سيداً أو موافقاً في ديننا

---

(١) وهم شداد ولقمان المذكوران في قوله تعالى «ارم ذات العماد» (الفجر: ٨٩/ ٦) ـ كما في تفسير القرطبي ٩ : ٥٠ وتفسير البيضاوي ٣ : ٣٠ ـ وقد جاء ذكر عاد قوم هود في سورة النجم: ٥٣/ ٥٠ عند قوله تعالى: «وانه اهلك عاداً الاولى».

(٢) في هذه السورة الآية (٥٠) وسبق ايضاً في سورة الاعراف الآيات: ٥٩، ٦٥، ٧٣، و٨٥ وسيأتي أيضاً في هذه السورة الآية (٨٤).

﴿قَبْلَ هذا﴾ القول، والآن يئسنا من خيرك ﴿أَتَنْهانا أَنْ نَعْبُدَ ما يَعْبُدُ ءَاباؤُنا﴾ من الأصنام ولم نشك في أمرها ﴿وَإِنَّنا لَفِي شَكٍّ مِمّا تَدْعُونا إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ﴿مُرِيبٍ﴾ موجب للريبة.

[٦٣] ـ ﴿قالَ يا قَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ حجة ﴿مِّنْ رَّبِّي وَءَاتانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ نبوّة ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللهِ﴾ يمنعنى من عذابه ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ بترك التبليغ ﴿فَما تَزِيدُونَنِي﴾ بما تقولون لي ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ أن أنسبكم الى الخسران.

[٦٤] ـ ﴿وَيا قَوْمِ هَذِهِ ناقَةُ اللهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ حال عاملها الإشارة، و«لكم» حال منها ﴿فَذَرُوها تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ﴾ عشبها أي وتشرب ماءها ﴿وَلا تَمَسُّوها بِسُوءٍ﴾ عقر أو غيره ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذابٌ قَرِيبٌ﴾ عاجل بعد ثلاثة أيام.

[٦٥] ـ ﴿فَعَقَرُوها﴾ عقرها «قذار»[1] برضاهم ﴿فَقالَ تَمَتَّعُواْ فِي دارِكُمْ﴾ عيشوا في بلدكم ﴿ثَلاثَةَ أَيّامٍ﴾ ثم تهلكون ﴿ذلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ فيه، أو غير كذب، على انه مصدر كالمعقول.

[٦٦] ـ ﴿فَلَمّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا صالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ ونجيناهم من عذاب يومئذ، أي إهلاكهم بالصيحة أو من فضيحتهم يوم القيامة. وفتح ميمه «نافع» و«الكسائي»[2] بناءً لإضافته الى مبنيّ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ﴾ القادر على ما يشاء ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب.

[٦٧] ـ ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ﴾ فسّر في الأعراف.[3]

[٦٨] ـ ﴿كَأَنْ﴾ مخفّفة ﴿لَّمْ يَغْنَواْ﴾ لم يقيموا ﴿فِيهَا أَلاَ إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ﴾

---

(١) في ج: قدار.

(٢) حجة القراءات: ٣٤٤.

(٣) انظر سورة الاعراف الآية ٧٨ و٩١.

نوّنه مَن عـدا «حفص» و«حمزة»[١] بقصد الحـي أو أبيهم، والمنع على قصـد القبيلة ﴿أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ﴾ نوّنهُ «الكسائي».[٢]

[٦٩]ـ ﴿وَلَقَدْ جاءَتْ رُسُلُنا﴾ جبرئيل وميكائيل وإسرافيل.

وعن الصادق عليه السّلام: رابعهم «كروبيل»[٣] ﴿إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ بالـولد، أو بهلاك قـوم لوط ﴿قالُواْ سَلاماً﴾ سلمنا عليك سـلاماً ﴿قالَ سَلامٌ﴾ عليكم أو امـركم سلام. حيّاهم بـالأحسن، لإسمية الجملة، وقرأ «حمـزة» و«الكسائي» «سِلْم» بكسر السين وسكون اللام[٤] ﴿فَما لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ﴾ فما توقف فـي مجيئه به ﴿حَنِيذٍ﴾ مشويّ. ظنّهم أضيافاً.

[٧٠] ـ ﴿فَلَمَّـا رَءَآ أَيْدِيَهُـمْ لاَ تَصِلُ﴾ لا يمدونهـا ﴿إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ أي أنكـرهم ﴿وَأَوْجَسَ﴾ أضمر ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أنْ يريدوه بسوء، فلما علموا خوفه ﴿قالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا﴾ ملائكة ﴿أُرْسِلْنا إِلَى قَوْمِ لُوْطٍ﴾ لنهلكهم ولسنا ممن يأكل.

[٧١] ـ ﴿وَامْرَأَتُهُ﴾ سارة ﴿قائِمَةٌ﴾ خلف الستر أو تخـدمهم ﴿فَضَحِكَتْ﴾ فرحاً بالأمن، أو بهلاك قوم لوط، أو بإصابة حدسها انهم سيهلكون.

وقيل: ضحكت: حـاضت ﴿فَبَشَّرْنـاهَا بإِسْحٰـقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحٰقَ﴾ من بعـده ﴿يَعْقُوبَ﴾ ابنـه «تدركـه» نصبـه «ابن عامـر» و«حمـزة» و«حفص» بفعل دلّ عليـه[٥] «بشرنا» أي ووهبنا له يعقوب. ورفعه الباقون مبتدأ وخبره الظرف.

[٧٢]ـ ﴿قالَتْ يا وَيْلَتا﴾ يقال عند أمر عظيم تعجباً، وألفـه بدل ياء الإضافة، أو

---

(١) حجة القراءات: ٣٤٤ـ٣٤٥.

(٢) حجة القراءات: ٣٤٥.

(٣) تفسير البرهان ٢: ٢٢٦.

(٤) حجة القراءات: ٣٤٦.

(٥) حجة القراءات: ٣٤٧ ـ وتفسير مجمع البيان ٣: ١٧٥.

للندبة ﴿ءَأَلِدُ وَأَنا عَجُوزٌ﴾ ابنة تسع وتسعين ﴿وَهذا بَعْلِي﴾ زوجي ﴿شَيْخًا﴾ ابن مائة. وهو حال، عاملها الإشارة ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ أن يولد ولد لهرمَيْن. تعجبت من خرق العادة.

[٧٣] - ﴿قَالُواْ أَتَعْجَبِيْنَ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ من قدرته ﴿رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ نداء تخصيص. وجعلها من أهل بيته لأنها ابنة عمّه، فلا يدل على كون زوجة الرجل من أهل بيته ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾ محمود ﴿مَّجِيدٌ﴾ كريم.

[٧٤] - ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوعُ﴾ الخوف ﴿وَجاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ﴾ بالولد ﴿يُجادِلُنا﴾ أقبل يجادل رسلنا ﴿فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ في شأنهم بقوله: ﴿إن فيها لوطاً﴾.[1]

[٧٥] - ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيْمٌ﴾ ذوأناة ﴿أَوَّاهٌ﴾ دعّاء مترحّم ﴿مُّنِيْبٌ﴾ رجّاع الى الله، فجداله لرأفته وترحمه، قالتِ الملائكة:

[٧٦] - ﴿يا إِبْراهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الجدال ﴿إِنَّهُ قَدْ جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بإهلاكهم ﴿وَإِنَّهُمْ ءَاتِيْهِمْ عَذابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ مدفوع عنهم.

[٧٧] - ﴿وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾ اغتم بسببهم، إذ جاءوا في صورة غلمان أضياف فخاف عليهم قومه ﴿وَضاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ صدراً. كناية عن فقد الحيلة في دفع المكروه ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيْبٌ﴾ شديد.

[٧٨] - ﴿وَجاءَهُ قَوْمُهُ﴾ حين أعلمتهم امرأته بهم بتدخينها ﴿يُهْرَعُونَ﴾ يسرعون ﴿إِلَيْهِ﴾ كأنهم يساقون سوقاً ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾ قبل ذلك اليوم ﴿كانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ﴾ إتيان الذكور في أدبارهم ﴿قالَ﴾ لما همّوا بأضيافه ولم يستحيوه ﴿يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ فتزوجوهنّ، وكانوا يخطبونهن فلا يجيبهم لعدم الكفاءة لا للكفر، إذ ليس مانعاً في شرعه ولا في ابتداء الإسلام. وقد نسخ.

وقيل أراد نساءهم لأنَّ كل نبي أبو امته ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ انظف وأحلّ. ولعل

---

(١) في سورة العنكبوت: ٢٩/ ٣٢.

التفضيل غير مراد ﴿فَاتَّقُواْ اللهَ﴾ بإيثار الحلال على الحرام ﴿وَلا تُخْزُونِ﴾ تفضحوني ﴿فِي ضَيْفِي﴾ أضيافي ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

[٧٩] ـ ﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ ما لَنا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ حاجة ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيْدُ﴾ وهو اتيان الذكور.

[٨٠] ـ ﴿قالَ لَوْ أَنّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ منعة ﴿أَوِ ءَاوِي إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ أو أنضم الي عشيرة تنصرني لدفعتكم، فلما رأت الملائكة ما لقيه لوط

[٨١] ـ ﴿قالُواْ يا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُواْ إِلَيْكَ﴾ بما يسؤك، فدعهم يدخلوا فدخلوا فضرب جبرائيل بجناحه وجوههم فأعماهم ﴿فَأَسْرِ﴾ ـ بقطع همزته ــ من الاسرار، ووصلها «نافع» و«ابن كثير»[1] حيث أتى من السري، لغتان ﴿بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ﴾ بطائفة ﴿مِّنَ الَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ لا ينظر الى ورائه، أو: لا يتخلف ﴿إِلاَّ امْرَأَتَكَ﴾ رفعه «ابن كثير» و«أبو عمرو»[2] بدلاً من «أحد» ونصبه الباقون على الإستثناء من «لا يلتفت»، وفيه: انه: على غير الأفصح، وَجعله استثناءً من «فأسر بأهلك» ينافي قراءة الرفع، إن فسر الإلتفاف بالنظر الى الوراء في السري، ولا يصحّ حمل القراءتين على المتنافيين وان كانا مرويين، إذ قيل: تخلفت، وقيل: خرجت والتفتت وقالت: واقوماه، فأتاها حجر فقتلها ﴿إِنَّهُ مُصِيبُها ما أَصابَهُمْ﴾ وسألهم لوط تعجيل عذابهم فقالوا: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيْبٍ﴾.

[٨٢] ـ ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنا﴾ بالعذاب ﴿جَعَلْنا عالِيَها سَافِلَها﴾ أي مدنهم بأن أمرنا جبرئيل، فأدخل جناحه تحتها فرفعها حتّى سمع أهل السماء صياح الديكة، ونباح الكلاب فقلّبها بهم ﴿وَأَمْطَرْنا عَلَيْها﴾ أي المدن ﴿حِجارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ﴾ معرّب «سنگ گِل» أي طين متحجر، وقيل: هو الآجر، وقيل: انه فعيل من أسجله أي أرسله ﴿مَّنْضُودٍ﴾ متتابع بعضه على أثر بعض.

(١-٢) حجة القراءات: ٣٤٧.

[٨٣] ـ ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ معلّمة للعذاب أو باسم من يُرمىٰ بها ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ في قدرته ﴿وَما هِيَ﴾ أي الحجارة ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ من أمتك يا محمد ﴿بِبَعِيْدٍ﴾ تهديد لقريش. والتذكير لأنها حجر.

[٨٤] ـ ﴿وَإِلى مَدْيَنَ﴾ أولاد مدين بن ابراهيم عليه السّلام أو أهل «مدين» بلد بناه فسمّي باسمه ﴿أَخاهُمْ﴾ نسباً ﴿شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُواْ الْمِكْيالَ وَالْمِيزانَ﴾ كانوا مع شركهم يطففون؛ فأمرهم بالتوحيد ونهاهم عن التطفيف ﴿إِنّى أَرَيٰكُم بِخَيْرٍ﴾ بسعة تغنيكم عن البخس أو بنعمة فلا تزيلوها به ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ ان لم تتوبوا ﴿عَذابَ يَوْمٍ مُّحِيْطٍ﴾ لا يفلت منه أحد منكم. ووصف اليوم به وهو صفة العذاب لوقوعه فيه.

[٨٥] ـ ﴿وَيا قَوْمِ أَوْفُواْ﴾ اتموا ﴿الْمِكْيالَ وَالْمِيزانَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلا تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْياءَهُمْ﴾ لا تنقصوهم حقوقهم المقدّرة وغيرها ﴿وَلا تَعْثَواْ﴾ لا تفسدوا ﴿فِي الأَرْضِ مُفْسِدِيْنَ﴾ بالشرك والبخس وغيرهما وهو حال مؤكّدة.

[٨٦] ـ ﴿بَقِيَّتُ اللهِ﴾ ما أبقاه لكم من الحلال بعد إيفاء الحق، أو طاعته ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما تأخذون بالبخس ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ﴾ شرط لخيريتها ﴿وَما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيْظٍ﴾ احفظ أعمالكم فاجزيكم بها أو أحفظكم منها، وانما أنا نذير.

[٨٧] ـ ﴿قالُواْ﴾ ـ تهكّماً ـ: ﴿يا شُعَيْبُ أَصَلَواتُكَ﴾ بالجمع ــ فإنه كان كثير الصلوات، وأفردها «حمزة» و«الكسائي» و«حفص»[1] ﴿تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ﴾ بتكليف أن نترك ﴿ما يَعْبُدُ ءَاباؤُنا﴾ من الأصنام. جواب أمرهم بالتوحيد ﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ﴾ أي أو نترك فعلنا ﴿فِي أَمْوالِنا ما نَشاءُ﴾ من البخس. جواب نهيهم عنه وأمرهم بالإيفاء ﴿إِنَّكَ لأَنْتَ الْحَلِيْمُ الرَّشِيدُ﴾ قالوا ذلك استهزاء، وارادوا به ضده.

[٨٨] ـ ﴿قالَ يا قَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ بيان وبصيرة ﴿مِّنْ رَّبِيِّ وَرَزَقَنِي

---

(١) حجة القراءات: ٣٤٨.

مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ مالاً حلالاً. تقدير جواب الشرط: أفأكفر نعمه وأخون بتبليغ رسالته ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ﴾ وأقصد ﴿إِلَى مَا أَنْهاكُمْ عَنْهُ﴾ فارتكبه ﴿إِنْ أُرِيدُ﴾ بما آمركم به وأنهاكم عنه ﴿إِلاَّ الإِصْلاحَ﴾ لكم ديناً ودنياً ﴿ما اسْتَطَعْتُ﴾ مدة استطاعتي، أو القدر الذي استطعته ﴿وَما تَوْفِيقِي﴾ تسهيل سبل الخير لي. وفتح الياء «نافع» و«ابن عامر» و«أبو عمرو»[1] ﴿إِلاَّ بِاللهِ﴾ بلطفه ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ به وثقت لا بغيره ﴿وَإِلَيْهِ أُنيبُ﴾ أرجع في المعاد أو النوائب.

[٨٩] ـ ﴿وَيا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يكسبنكم ﴿شِقَاقِي﴾ خلافي ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ ما أَصابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ من الغرق وهو ثاني مفعولي «يجرم» ﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ﴾ من الريح ﴿أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾ من الرجفة ﴿وَما قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ زمنهم أو دارهم، فاعتبروا بهم.

[٩٠] ـ ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ بالتائبين ﴿وَدُودٌ﴾ محبّ لهم، أي مريد لمنافعهم.

[٩١] ـ ﴿قالُواْ يا شُعَيْبُ ما نَفْقَهُ﴾ نفهم ﴿كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ وذلك لعدم إلقاء أذهانهم إليه، أو قالوه استهانة بقوله: ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينا ضَعِيفًا﴾ بَدناً أو ذليلاً.

وقيل: أعمى، ويرده «فينا» ﴿وَلَوْلا رَهْطُكَ﴾ عشيرتك وحرمتهم ﴿لَرَجَمْناكَ﴾ لقتلناك بالحجارة أو لشتمناك ﴿وَما أَنْتَ عَلَيْنا بِعَزِيزٍ﴾ فندع رجمك لعزّتك، وانما ندعه لعزّة قومك.

[٩٢] ـ ﴿قالَ يا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ﴾ فتتركون رجمي لأجلهم، ولا تتركونه لله. وفتح «الياء» «الحرميان» و«أبو عمرو» و«ابن ذكوان»[2] وكذا ياء «اني»[3]

(١ـ٢) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٩٢.

(٣) وردت كلمة إني: في هذه السورة في عدّة مواضع وهي الآيات: ٢٦ و٣١ و٤٦ و٤٧ و٥٤ و٨٤ و٩٣ ـ وانظر النشر في القراءات العشر ٢: ٢٩٢.

﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ﴾ أي الله ﴿وَراءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ جعلتموه كالمنبوذ خلف الظهر فنسيتموه ﴿إِنَّ رَبِّي بِما تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ محص له، لا يفوته شيء منه.

[٩٣]ـ ﴿وَيا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكانَتِكُمْ إِنِّي عامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ﴾ فُسِّر مثله في «الأنعام»[1] ﴿وَمَنْ هُوَ كاذِبٌ﴾ عطف على «من يأتيه» أي: سوف تعلمون من المعذَّب والكاذب مني ومنكم ﴿وَارْتَقِبُوا﴾ انتظروا ما أعدكم به ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ منتظر.

[٩٤]ـ ﴿وَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ صاح بهم جبرئيل فماتوا ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ﴾ صرعى على وجوههم موتى.

[٩٥]ـ ﴿كَأَنْ﴾ مخففة ﴿لَّمْ يَغْنَوْا﴾ لم يقيموا ﴿فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ﴾ عن رحمة الله أو هلاكاً لهم ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ شبّهوا بهم لأنهم هلكوا بصيحته أيضاً، لكن تلك من تحتهم[2].

[٩٦]ـ ﴿وَلَقَد أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ بمعجزاتنا ﴿وَسُلطانٍ مُبِينٍ﴾ حجة بينة باهرة هي العصا أو غيرها من الآيات، أو المراد بهما واحد، إذ المعجزة من جهة الإعتبار آية، ومن جهة القوة سلطان.

[٩٧]ـ ﴿إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ طريقه وهو الظلال، وتركوا طريق موسى وهو الهدى ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ سديد، لأنه داع الى الشرّ، وصادّ عن الخير.

---

(١) عند تفسير الآية (١٣٥) من سورة الانعام.

(٢) يبدو أن مراد المؤلف «ره» العذاب الحاسم الذي أتى على القوم فدمرهم تدميراً، وحينئذٍ يكون عذاب قوم مدين من فوقهم كما اشارت اليه الآية (١٨٩) من سورة الشعراء ﴿فكذّبوه فأخذهم عذاب يوم الظّلة..﴾ وتفسير الآية (٧٩) سورة الحجر من هذا التفسير، وعذاب ثمود مت تحتهم كما اشارات اليه الآية (٥) من سورة الحاقة ﴿فامّا ثمود فأُهلكوا بالطاغية﴾.
والطاغية كما جائت من مفردات الراغب اشارة الى الطوفان.

[٩٨] ـ ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ﴾ يتقدمهم ﴿يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ﴾ الى النار، كما تقدمهم في الدنيا الى الضلال ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ عبّر بالماضي لتحققه، وسمي دخولها ورداً تنزيلاً لها منزلة الماء ﴿وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ المورد الذي ورده عطاشى لإحياء نفوسهم النار.

والآية بيان لقوله: ﴿وما أمر فرعون برشيد﴾.

[٩٩] ـ ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ﴾ أي الدنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَٰمَةِ﴾ لعنة ﴿بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ العون المعان رفدهم، وهو: اللعنتان.

[١٠٠] ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ النبأ ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ﴾ المهلكة ﴿نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا﴾ أي: القرى ﴿قَائِمٌ﴾ على بنائه ﴿وَحَصِيدٌ﴾ دارس كالزرع المحصود.

[١٠١] ـ ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بإهلاكهم ﴿وَلَٰكِنْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ﴾ بكفرهم الموجب له ﴿فَمَا أَغْنَتْ﴾ دفعت ﴿عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ عذابه ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ تخسير أو تدمير.

[١٠٢] ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ذلك الأخذ ﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ﴾ أهلها ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ حال ﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ وجيع لا يرد.

[١٠٣] ـ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المقصوص عليك ﴿لَآيَةً﴾ لعبرة ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ وخُصَّ بالذكر لأنه المنتفع بالتفكير فيه ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي يوم القيامة ﴿يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ﴾ أي: لما فيه من الحساب والجزاء ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ يشهده أهل السماء والأرض.

[١٠٤] ـ ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ﴾ أي اليوم، وقرأ «يعقوب» بالياء[1] ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ﴾ لانقضاء أجل ﴿مَعْدُودٍ﴾ متناهٍ.

[١٠٥] ـ ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ حين يأتي اليوم أو الجزاء وحذف «ابن عامر» و«حمزة» و«عاصم» الياء[2] ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾ تتكلم ﴿نَفْسٌ﴾ بما ينفع كشفاعة وغيرها ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾

---

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ١٩٢.

(٢) حجة القراءات: ٣٤٨.

تعالـى، هذا في موقـف و﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ فـي آخر،[1] أو الإذن في الحـق والـمـنع في الـباطـل ﴿فَمِنْهُمْ﴾ أي الخـلق ﴿شَقِيٌّ﴾ بسـوء عـمله ﴿وَسَعِيْدٌ﴾ بحـسن عمله.

[١٠٦] ـ ﴿فَأَمَّا الَّذِيْنَ شَقُواْ﴾ بأعمالهـم القبيحة ﴿فَفِي النَّارِ﴾ استحقوها جزاءً لأعمالهم ﴿لَهُمْ فِيْها زَفِيْرٌ﴾ صوت شديد ﴿وَشَهِيْقٌ﴾ صوت ضعيف.

ويقالان لأول النهيق وآخره.

[١٠٧] ـ ﴿خَالِدِيْنَ فِيها ما دامَتِ السَّمواتُ وَالأَرْضُ﴾ أي مدة دوامهما في الدنيا. أريد به التأبيد على عادة العرب لارتباط دوامهـم بالنار بدوامهما للنص على تأبيدهم وزوالهما ﴿إِلاّ ما شاءَ رَبُّكَ﴾ «إلاّ» بمعنى سوى، مثل: لك ألـف إلاّ ألفان سبقا أي: سواءً أي ما شاء ربّك من الزيادة التي لا منتهى لها على مدتهما.

والمعني: خالـدين فيها أبداً. والإستثنـاء من خلودهم في النـار لانّ منهم فسّاق الموحدين، وهم يخرجون منها.

ويصح الإستثناء بذلك لزوال حكم الكـل بزواله عن البعض، وهـم المستثنى في الآية إذ يفارقـون الجنة وقت عذابهم فقـد شقوا بعصيانهم، وسعدوا بإيمـانهم فجمعوا الوصفين باعتبارين ﴿إِنَّ ربّك فَعَّالٌ لِمَا يُرِيْدُ﴾ لا مانع له.

[١٠٨] ـ ﴿وَأَمَّا الَّذِيْنَ سَعِدوا﴾ بناه «حمزة» و«الكسـائي» و«حفص» للمفعول[2] من سعده أي أسعده ﴿فَفِي الْجَنَّةِ خالِدِيْنَ فِيهـا ما دَامَتِ السَّمَواتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ عَطاءً﴾ نصب مصـدراً ﴿غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ مقطوع، تصـريح بعدم انقطـاع الثواب ويؤيد التأويل الأول.

[١٠٩] ـ ﴿فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ شكّ ﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاءِ﴾ من الأوثان في أن عبادتها ضلال، أو: من عبادتهم في أنها تجر الى النار ﴿ما يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَما يَعْبُدُ ءَاباؤُهُمْ مِّنْ

---

(١) سورة المرسلات: ٧٧/ ٣٦.

(٢) حجة القراءات: ٣٤٩.

﴿قَبْلُ﴾ كالـذي عبدوه مـن الأوثان أو كعبادتهـم، وسيحلّ بهم مـا حلّ بآبـائهم ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ﴾ كـآبائهـم ﴿نصيبَهُمْ﴾ حظّهـم من العـذاب ﴿غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ حـال، أي: تاماً.

[١١٠] ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ﴾ التوراة ﴿فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ من مصدّق به ومكّذب كإختلاف قومك في القرآن فلا تحزن ﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَّبِّكَ﴾ بالإمهال الى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ في الحال، بإهلاك المبطل وانجاء المحقّ ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي الكفرة ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من القرآن ﴿مُرِيبٍ﴾ موقع للريبة.

[١١١] ـ ﴿وإنَّ كُلاًّ﴾ كل المختلفين مصدقيهم ومكـذبيهـم، وخفـفها عـاملة «ابن كثيـر» و«نافع» و«أبـو بكر»[١] ﴿لَمَّا[٢] لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ احدى الـلامين موطئـة للقسم والأخـرى مؤكـدة. و«ما» زيـدت للفصل بينهمـا، وشددهـا «ابن عـامر» و«عـاصم» و«حمزة» [٣]على أن اصلـه «لمـن مـا» قلبت النـون ميمـاً «لتـدغـم» وحـذفت أولـى الميمات، أي: لمن الذين يوفّيهم ﴿ربُّكَ أَعْمالَهُمْ﴾ أي: جزاءها ﴿إِنَّهُ بِما يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالـم بخفيّه كجليّه.

[١١٢] ـ ﴿فَاسْتَقِمْ﴾ على الدّين والعمل بـه والدعاء إليه ﴿كَما أُمِرْتَ﴾ في القرآن ﴿وَمَنْ﴾ عطف علـى مستكن «استقم» ولم يـؤكـد للفصل ﴿تابَ﴾ من الشـرك وآمن ﴿مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا﴾ تتعدوا حدود الله ﴿إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

---

(١) حجة القراءات: ٣٥٠.

(٢) في هامش«الف» و«ب» مايلي: وقد حصل من التشديد والتخفيف في ان ولمّا اربع قراءات من السبعة تخفيفها لنافع وابن كثيـر، وتشديدهما لابن عامر وحمزة وحفص عـن عاصم، وتشديد ان وتخفيف لـمـا لابي عمرو والكسـائي، وبالعكس لابي بكـر ـ عـن عاصم (منـه رحمه الله) ـ ومابين الشارحتين اختصت بها«الف».

(٣) حجة القراءات: ٣٥٠ ـ وتفسير مجمع البيان ٣: ١٩٦ ـ ١٩٧

قيـــل ما نـــزل عـليه صلّى الله عليه وآله وسلّم أشـدّ من هذه الآيـة[1] ولذلـك قال: «شيبتني هود» .[2]

[١١٣] ـ ﴿وَلا تَرْكَنُواْ﴾ تميلـوا ﴿إِلى الَّذِيـنَ ظَلَمُواْ﴾ بمـودّة أو طـاعـة أو نصح ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ بركونكم اليهم ﴿وَما لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللهِ﴾ أي سواه ﴿مِنْ أَوْلِياءَ﴾ انصار يدفعون عذابه عنكم ﴿ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾ أصلاً، إذ أَوْعَدكم بالعذاب ولا دافع له فـ«ثم» بمنزلة الفاء.

[١١٤] ـ ﴿وَأَقِمِ الصَّلوةَ طَرَفَيِ النَّهارِ﴾ طرف غدوة أي صـلاة الصبح، وعشية أي المغرب، أو العصـر أو الظهرين، إذ ما بعـد الزوال عشي ﴿وَزُلَفًا مِّنَ الَّيْلِ﴾ ساعات منه قريبة من النهار أي صلاه العشاء أو العشائين ﴿إِنَّ الحَسَناتِ﴾ الصلوات الخمس أو الطاعات ﴿يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ﴾ يكفّرنها أو يدعـون الى تركها ﴿ذلِكَ﴾ المذكور من «فاستقم» الى هنا ﴿ذِكْرىٰ لِلّذاكِرِينَ﴾ عظة للمتذكرين.

[١١٥] ـ ﴿وَاصْبِرْ﴾ على الـصلوات أو الطـاعـــات أو عـلى أذى قومك ﴿فَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الصابرين على الطاعة وترك المعصية.

[١١٦] ـ ﴿فَلَوْ لاَ﴾ فهلا، توبيخ معنـاه النفي، أي: ما ﴿كانَ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم الماضية ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُواْ بَقِيَّةٍ﴾ أصحاب دين أو خير أو فضل ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ﴾ لكن ﴿قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنا مِنْهُمْ﴾ نهوا عنه فأنجيناهم و«من» بيانية ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِيْنَ ظَلَمُواْ﴾ بالفساد وترك النهي عنه ﴿ما أُتْرِفُواْ﴾ أنعموا ﴿فِيهِ﴾ من اللذات ﴿وَكانُواْ مُجْرِمِيْنَ﴾ كافرين.

[١١٧] ـ ﴿وَما كـانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُـرَى بِظُلْمٍ﴾ منه لهـا ﴿وَأَهْلُها مُصْلِحُونَ﴾ مؤمنون، أو ما يهلكهم بشركهم وهـم على النصفة فيما بينهم.

[١١٨] ـ ﴿وَلَوْ شـاءَ رَبُّكَ﴾ مشيئة حتـم وجبر ﴿لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّـةً وَاحِدَةً﴾ في

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ١٩٩ وهوقول ابن عباس (ره). (٢) تفسير مجمع البيان ٣: ١٩٩.

الإيمـان، لكن جبـرهم يبطـل الغــرض من التكليف وهو استحقاق الثواب، فلذلك لم يشـاءه، بل شاء أن يؤمنـوا باختـيار، مشيئـة طلب لا إكراه ﴿وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِيْنَ﴾ في الدين بين محقّ ومبطل.

[١١٩]ـ ﴿إِلاّ مَنْ رَحِـمَ رَبُّكَ﴾ لطف بهم لعلمـــه بأن اللطف ينفعهم، فـاتفقوا على الحقّ بلطفه ﴿وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي للرحم أو لاتفـاقهم في الإيمان أمـة واحدة ﴿وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون﴾[١].

وقيل: الإشارة الى الإختلاف، واللام للعاقبة ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ وجب قوله أو مضى حكمه ﴿لأَمْلَئَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ بكفرهم.

[١٢٠]ـ ﴿وَكُلاًّ﴾ وكل نبأ. وناصبه ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما﴾ «ما» بدل من «كلاّ» ﴿نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ نقوّي به قلبـك ونزيدك ثباتـاً على التبليغ واحتمال أذى قومك ﴿وَجاءَكَ فِي هَذِهِ﴾ السـورة أو الأنبـاء ﴿الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْـرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ خصّوا بالذكر لأنهم المنتفعون بتدبّرها.

[١٢١]ـ ﴿وَقُلْ لِلَّذِيْنَ لا يُؤْمِنُـونَ اعْمَلُواْ عَلَى مَكانَتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنَّا عامِلُونَ﴾ على حالتنا.

[١٢٢]ـ ﴿وَانْتَظِرُواْ﴾ عقوبة كفركم ﴿إِنّا مُنْتَظِرُونَ﴾ ثواب إيماننا.

[١٢٣]ـ ﴿وَللهِ غَيْبُ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ﴾ له وحـده علم ما غـاب فيهما ﴿وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ﴾ يعود. وبناه «نـافع» و«حفص» للمفعول[٢] أي يردّ ﴿الأَمْرُ كُلُّهُ﴾ لا يشركه فيه أحد ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ وحده ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ ثق به، فإنـه كافيك ﴿وَما رَبُّـكَ بِغافِلٍ عَمَّـا تَعْمَلُونَ﴾ بل هو محصيه ومجازيهم به وقرأ «نافع» و«ابن عامر» بالخطاب.[٣]

---

(١) ورد هذا في سورة الذاريات: ٥١/ ٥٦.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٢٠٢ وحجة القراءات: ٣٥٣.

(٣) حجة القراءات: ٣٥٣.

سورة يوسف

[١٢]

مائة وإحدى عشر آية مكية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ـ ﴿الٓر تِلْكَ﴾ أي الآيات ﴿ءَاياتُ الْكِتابِ الْمُبِيْنِ﴾ السورة أو القرآن، البيّن الإعجاز أو المبيّن له.

[٢] ـ ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ﴾ أي الكتاب ﴿قُرءَانًا﴾ يقال للبعض والكل، وهو حال، أو توطئة للحال وهي ﴿عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لتفهموه أو لتعلموا أنّه من عند الله بعجزكم عن معارضته.

[٣] ـ ﴿نَحْنُ نَقُصّ عَلَيكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ أحسن المقصوص لتضمنه حكماً وعبراً، مفعول «نقصّ». أو أحسن الإقتصاص في الأسلوب، مصدر ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا﴾ بإيحائنا ﴿إِلَيْكَ هَذَا الْقُرءَانَ﴾ أي السورة أو الكل ﴿وَإِنْ﴾ مخفف ﴿كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لِمِنَ الْغَافِلِيْنَ﴾ عما فيه من قصة يوسف، والأعم من ذلك أي لا تعلم شيئاً منه.

[٤] ـ ﴿إِذْ﴾ اذكر إذ ﴿قالَ يُوسُفُ﴾ عبريّ[1] ﴿لِأَبِيهِ﴾ يعقوب ﴿يا أَبَتِ﴾ التاء

---

(١) كذا في تفسير البيضاوي ٣: ٤٣ ـ وفيه: ولو كان عربياً لصرّف وقرىء بفتح السين وكسرها على التلعب به لاعلى انه مضارع بني للمفعول والفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته.

عوض عن ياء الإضافة المحذوفة، وكسرها لمناسبة الياء، وفتحها «ابن عامر»[١] لمناسبة الألف المحذوفة المقلوبة عن الياء، ووقف «ابن كثير» و«أبو عمرو» بالهاء[٢] ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ في منامي ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ﴾ كرر تأكيداً ﴿لِي ساجِدِينَ﴾ جمعت كالعقلاء لوصفها بصفتهم وهو السجود.

[٥] - ﴿قَالَ يا بُنَيَّ﴾ فتح الياء «حفص»[٣] وكسرها غيره، مصغر «ابن» تصغير شفقة ﴿لا تَقْصُصْ رُءْياكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾ فيحتالوا لإهلاكك حيلة لعلمهم بتأويلها من علوّك عليهم.

وأنهم الكواكب، والشمس والقمر أبواك. خاف أن يحسدوه فيغتالوه ﴿إِنَّ الشَّيْطانَ لِلإِنْسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ بين العداوة، فيحملهم على الحسد والكيد.

[٦] - ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الاجتباء بهذه الرؤيا الدالة على تفوّقك ﴿يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ يختارك للنبوّة، أو لحسن الخَلق والخُلق ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا أو معاني كتب الله ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ بالنبوة ﴿وَعَلَى ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ بنيه، بجعل النبوة فيهم ﴿كَما أَتَمَّها عَلَى أَبَوَيْكَ﴾ بالنبوّة ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ من قبلك ﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحٰقَ﴾ بيان لـ«أبويك» ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بمن يصلح للنبوة ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

[٧] - ﴿لَّقَدْ كانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾ في خبرهم وهم أحد عشر ﴿ءَاياتٌ﴾ عِبر عجيبة ودلائل لنبوتك. ووحدها «ابن كثير»[٤] ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ عن خبرهم كاليهود، إذ قالوا للمشركين: سلوا محمداً عن قصة يوسف.

[٨] - ﴿إِذْ قالُواْ﴾ اذكر إذ قال بعض إخوته لبعض: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ لأبويه

---

(١) حجة القراءات: ٣٥٣.

(٢) كذا في النسخ، وفي حجة القراءات٣٥٤: وقف ابن كثير وابن عامر«يا ابة» على الهاء.

(٣) تفسير البيضاوي ٣: ٤٤.

(٤) حجة القراءات: ٣٥٥.

«بنيامين» ﴿أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا﴾ .

قيل كان «يعقوب» شديد الحبّ ليوسف، ويؤثره على أولاده فحسدوه، ثم رأى الرؤيا فاشتد حسدهم له ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ والحال اننا جماعة، ويقال للعشرة فما زاد ﴿إِنَّ أَبانا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ عن التدبير في أمر الدنيا بإيثارهما علينا ونحن أنفع له .

[٩] ـ ﴿اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ في أرض بعيدة ونصبت ظرفاً لإبهامها . قاله «شمعون» أو «دان» ﴿يَخْلُ﴾ يخلص ﴿لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ عن شغله بيوسف ويقبل عليكم بكلّه ﴿وَتَكُونُواْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد قتله أو طرحه ﴿قَوْمًا صالِحِينَ﴾ بالتوبة عمّا فعلتم أو في أمر دنياكم أو مع أبيكم .

[١٠] ـ ﴿قالَ قائِلٌ مِّنْهُمْ﴾ «يهوذا» أو «روئيل»: ﴿لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيابَةِ الْجُبِّ﴾ قعر البئر المغيّب ما فيه عن الحس، وجمعها «نافع» في الموضعين[1] ﴿يَلْتَقِطْهُ﴾ يأخذه ﴿بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعلينَ﴾ ما يفرق بينه وبين أبيه فليكن هذا .

[١١] ـ ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَالَكَ لاَ تَأْمَنَّا﴾ بالإدغام، والإشمام، و«قالون» لا يشم[2] ﴿عَلى يُوسُفَ﴾ لِم تتهمنا في أمر ﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ عاطفون عليه، قائمون بمصالحه .

[١٢] ـ ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنا غَدًا﴾ الى الصحراء ﴿نَرْتَعْ﴾ نتعم ونأكل ﴿وَنَلْعَبْ﴾ بالرمي والإستباق . بالنون فيهما، وجزم العين لـ«أبي عمرو» و«ابن عامر»،[3] وكذا «ابن كثير» لكن بكسرها،[4] من «ارتعى» كـ«نافع»[5] بالياء فيهما، وبالياء والجزم «للكوفيين»[6]

(١) حجة القراءات: ٣٥٥ . والموضع الآخر آية / ١٥ .

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٢١٣ .

(٣) حجة القراءات: ٣٥٥ .

(٤) حجة القراءات: ٣٥٦ .

(٥-٦) تفسير مجمع البيان ٣: ٢١٣ .

﴿وَإنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾ حتّى نرّده اليك .

[١٣]ـ ﴿قالَ إِنَّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَـذْهَبُواْ بِهِ﴾ وتغيّبوه عنّي. وفتح «الحرميان»[١] ياءه الأخيرة[٢] وفتحاهما و«أبـو عمرو» ياء ﴿ربي أحسن﴾[٣] [وياء] ﴿ابـي أو يحكم﴾[٤] ﴿وَأَخافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ وكانت أرضهم مَذأبة[٥]، ولم يهمزه «السوسي» و«ورش» و«الكسائي»[٦] ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ مشتغلون بأشغالكم

[١٤]ـ ﴿قَالُواْ لَئِنْ﴾ لام موطئة للقسم ﴿أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ ولم نمنعه منه ﴿إِنَّا إِذًا لَّخاسِرُونَ﴾ عجزة ضعفاء، فأرسَله معهم.

[١٥]ـ ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ﴾ عزموا ﴿أنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيابَةِ الْجُبِّ﴾ وجواب «لما» مقدر، أي فعلوا ذلك.

قيل لما خرجوا به جعلوا يضربـونه وهو يستغيث، وهمّوا بقتله، فمنعهم «يهوذا» فمضوا به الى الجبّ فـدلوه فيه، فتعلق بشفيره، فنزعوا قميصـه فسألهم ردّه، فقالوا: الكواكب والشمـس والقمر تواريك، فلما بلـغ نصفه ألقوه، فسقط في المـاء، فآوى الى صخرة ـ وكـان ابراهيم حين قذف في النار عـرياناً أتاه جبرئيل بقميـص من حرير الجنة فألبسـه إياه، وورثه اسحـاق، ثم يعقوب، فجعله في تعـويذ،[٧] وعلقه على يوسف ــ فجاءه جبرئيل فأخرجـه وألبسه إياه ﴿وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِ﴾ في الجب، إيناسـاً له، نُبّيء وله سبع عشرة سنة أو أقل ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾ لتخبرنهم فيما بعد بصنيعهم

(١) النشر في القراءات العشر ٢ :٢٩٦ .

(٢) اي الياء الأخيرة من كلمة: «ليحزنني».

(٣) في الآية (٢٣) من هذه السورة.

(٤) في الآية (٨٠) من هذه السورة.

(٥) اي كثيرة الذئاب.

(٦) حجة القراءات: ٣٥٧، وليس فيه اسم «السوسي».

(٧) اي في عوذة.

بك ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ أنك يوسف.

أريد به ما قال لهم حين دخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون.[(١)]

[١٦] ـ ﴿وَجاءُو[(٢)] أَباهُمْ عِشاءً﴾ مساء ﴿يَبْكُونَ﴾ متباكين، قيل: لما سمع بكاءهم فزع وقال: ما لكم؟.

[١٧] ـ ﴿قالُواْ يا أَبانا إِنَّا ذَهَبْنا نَسْتَبِقُ﴾ نرمي أو نعدو ﴿وَتَرَكْنا يُوسُفَ عِنْدَ مَتاعِنا﴾ رتلنا ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ﴾ بمصدّق ﴿لَّنا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ لاتهامك لنا.

[١٨] ـ ﴿وَجَاءُو[(٣)] عَلَى قَمِيصِهِ﴾ في محل نصب على الظرفية أي فوقه ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ وُصف به مبالغةً، أو ذي كذب، أي: مكذوب فيه، فإنه دم سخلة ذبحوها ولطخوه بها، وذهلوا أن يمزّقوه، وقالوا هذا دمه، فقال يعقوب: كيف أكله ولم يمزّق قميصه؟! ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ زيّنت ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ فصنعتموه ﴿فَصَبرٌ جَمِيلٌ﴾ لا جزع فيه، المبتدأ محذوف أي: أمري، أو الخبر أي أجمل ﴿وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى ما تَصِفُونَ﴾ على دفعه، أو على الصبر عليه.

والأصح أنهم ما كانوا أنبياء كما روي عن الباقر(ع) ـ لمنافاة المعصية للنبوّة ـ.

[١٩] ـ ﴿وَجاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ مسافرون من مدين الى مصر بعد إلقائه في الجبّ بثلاث، فنزلوا قريباً منه ﴿فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ﴾ من يرد الماء ليستقي لهم ﴿فَأَدْلى﴾ أرسل في الجبّ ﴿دَلْوَهُ﴾ فتعلق بها يوسف فلمّا رآه ﴿قالَ يا بُشْرَىَ﴾ بفتح الياء، وحذفها «الكوفيون،[(٤)] وأمال فتحة الراء «حمزة» و«الكسائي».[(٥)] والنداء مجاز أي: إحضري فهذا وقتك ﴿هَذَا غُلامٌ وَأَسَرُّوهُ﴾ أي: واجدوه، أخفوا أمره عن رفقتهم، وقالوا دفعه الينا أهل الماء لنبيعه لهم.

---

(١) كما ورد في الآية (٥٨) من هذه السورة.

(٣-٢) يراجع تعليقنا على الآية (٦١) من سورة البقرة.

(٥-٤) تفسير مجمع البيان ٣: ٢١٨.

أو اسره اخـوته حين علموا بـه، فقالوا: هو عبـدنا أبق. وسكت خوفـاً أن يقتلوه ﴿بِضَاعَةً﴾ حال ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِما يَعْمَلُونَ﴾ بسرّهم أو بكيد إخوته.

[٢٠]ـ ﴿وَشَرَوْهُ﴾ باعوه اخوته، أو اشتراه الرفقة منهم ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ ناقص، أو زيوف ﴿دَرَاهِمَ﴾ بـدل مـن ثمـن ﴿مَعْدُودَةٍ﴾ قليلـة، عشريـن أو ثمانيـة وعشـرين ﴿وَكانُواْ﴾ أي اخوتـه لجهلهم شأنه، أو الـرفقة لالتقطاهـم إيّاه ﴿فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ الراغبين عنه. ولامـه إن جعلت للتعريف تعلق «فيه» به، وإن جعلت مـوصولاً تعـلق بما دل عليه «الزاهدين» لان متعلق الصلة لا يتقدم الموصول.

[٢١]ـ ﴿وَقالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِّصْرَ﴾ العزيز وهو «قطفير» خليفة الملك وخازنه، أو هو الملك «ريان بن الوليد» من العمالقة، آمن بيوسف ومات في عصره.

وفرعون موسى من ولده، وقيل أنه هو عمّر أربعمائة سنة.

قيل: اشتراه العزيز منهم بعشرين ديناراً وزوج نعل وثوبين أبيضين أو وزنه ورقاً[١] ﴿لِامْرَأَتِهِ﴾ «راعيل» ولقبـــها زليخـا ﴿أَكْرِمِي مَثْواهُ﴾ مقامه عندنا ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنا﴾ في أمورنا ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ كان عقيماً، وتفرس فيه الرشد ﴿وَكَذلِكَ﴾ أي كما أنجيناه وعطفنا عليه العـزيز ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى الْأَرْضِ﴾ أرض مصـر ليقيـم العـدل فيهـا ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ فسر[٢] ﴿وَاللهُ غالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ لا يغلبه شيء على مراده، أو عـلى أمر يوسف بتـدبـيره حتّى يبلـغه مـا قـدر لـه ﴿وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٢٢] ـ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ كمال شـدته وقـوته وهـو ثمان عشـرة سنة أو ثـلاث وثـلاثـون، أو الحلم ﴿ءَاتَيْناهُ حُكْمًا﴾ بيـن النـاس، أو علمـاً وعمـلاً بـه، أو نبـوة ﴿وَعِلْمًا﴾ بتعبيـر الـرؤيـا، أو فقهـاً فـي الـديـن ﴿وَكَذلِكَ﴾ الجـزاء لـه ﴿نَجْزِي

---

(١) الورق: الدراهم المضروبة.

(٢) عند تفسير الآية(٦) من هذه السورة.

﴿الْمُحسِنِينَ﴾ في أعمالهم.

[٢٣] ـ ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِـى بَيْتِها عَنْ نَّفْسِهِ﴾ طلبت منه أن يـواقعها ﴿وغَلَّقَتِ الابْوابَ﴾ سبعة، والتشديد للتكثير[١] أو للمبالغة في الإيثاق ﴿وَقالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ اسم فعل، أي: هلّـم واقبل.[٢] واللام للتبيين. وضم «ابن كثير» التاء،[٣] وكسر «نافع» و«ابن عامر» الهاء،[٤] وكذا «هشام» لكنه يهمز،[٥] وعنه ضم التاء[٦] ﴿قالَ مَعاذَ اللهِ﴾ أعوذ بالله معاذاً ﴿إنَّهُ رَبِّي﴾ أي زوجـك سيدي ﴿أَحْسَنَ مَثْوايَ﴾ مقـامى بإكرامي فلا أخونـه وأهله، أو «الهاء» لله أي: خـالقي رفع محلـي، وآواني فلا أعصيه. ﴿إنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ بالخيانة أو الزنا.

[٢٤] ـ ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ الهمّ بـالشـيء: قصده والعـزم عليـه، أي قَصَـدت مخالطته ﴿وَهَمَّ بِها﴾ مال طبعه اليها.

فهمّه منازعة الشهوة الطبيعية لا القصد الإختياري، فلا قبح فيه إذ لا اختيار فيه؛ وإنما معه يمدح ويثاب من كف نفسه عن الفعل ﴿لَوْ لاَ أَن رَّءَا بُرْهانَ رَبِّهِ﴾ جـواب «لـولا» محـذوف دل علـيه «وهمّ بهـا» أي لولا النبـوة المانعـة من القبيح لعـزم؛ أو لفـعل. وليـس المتـقدم جواباً، لأن جوابهـا لا يتقدمها ﴿كَذَلِكَ﴾ أريناه البرهان ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشاءَ﴾ الخيانة والزنا وقصدهما. نزّهه تعالى عن كل قبيح، وتأبى المجبـرة ذلك، مع تـأكيده بقـوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبـادِنا الْمُخْلِصِيْنَ﴾ دينهـم لله، وفتحه «نافع» و«الكوفيون»[٧] أي المختارين للنبوة.

---

(١) في «ط» للتكبير.

(٢) في «أ» اسم فعل بمعنى اقبل.

(٣) حجة القراءات: ٣٥٨ وتفسير مجمع البيان ٣: ٢٢٢.

(٤) كتاب السبعة في القراءات: ٣٤٧.

(٥و٦) حجة القراءات: ٣٥٨ وكتاب السبعة: ٣٤٧.

(٧) التيسير في القراءات السبع: ١٢٨ وتفسير مجمع البيان ٣: ٢٢٣.

[٢٥] ـ ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ بادراه، هو للهرب، وهي لتمسكه، فلحقته وجذبته ﴿وَقَدَّتْ قَمِيْصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾ شقته طولاً من خلفه ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾ وجدا زوجها ﴿لَدَا الْبَابِ قالَتْ﴾ له تبرءة لنفسها، واغراءً له به ﴿مَا﴾ نافية أو استفهامية، أي: أي شيء ﴿جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ خيانة ﴿إِلاَّ أَنْ يُسْجَنَ﴾ إلاّ سجن أي حبس ﴿أَوْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ ضرب مؤلم.

[٢٦] ـ ﴿قالَ﴾ ـ متبرءً مما افترته عليه ـ: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ طالبتني بالسوء ﴿وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها﴾ صبي في المهد ابن أختها، أو ابن عمها، وقيل رجل كان مع زوجها فقال: ﴿إِنْ كانَ قَمِيْصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ﴾ من قُدامه ﴿فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكاذِبِينَ﴾ لدلالته على انه قصدها فدفعته.

[٢٧] ـ ﴿وَإِنْ كانَ قَمِيْصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ﴾ من خلفه ﴿فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصّادِقِيْنَ﴾ لدلالته على أنه فرّ وتشبثت به.

[٢٨] ـ ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيْصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قالَ إِنَّهُ﴾ ان هذا الصنيع[1] ﴿مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾ حيلتكن معاشر النساء ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ شديد التأثير للطفه.

[٢٩] ـ ﴿يُوسُفُ﴾ اي يا يوسف ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الحديث ولا تذكره لئلا يفشو ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾ يا زليخا ﴿إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخاطِئينَ﴾ المذنبين تعمداً، وذكّر تغليباً.

[٣٠] ـ ﴿وَقالَ نِسْوَةٌ﴾ جرد فعله لأنه اسم جمع لامرأة، فتأنيثه مجازي ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ مصر ﴿امْرَأَتُ الْعَزِيْزِ﴾ هو بالعربية الملك ﴿تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ تدعو عبدها الى الفجور بها ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ تمييز أي: دخل حبه شغاف[2] قلبها أي: غشاءه ﴿إِنَّا لَنَرَاها فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ في خطأ ظاهر بفعلها.

---

(١) في «ج»: الصنع. وفي «ط»: لصنيع.

(٢) في «ط»: الى شغاف.

[٣١] ـ ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ بتعييرهـن، سماه مكراً لأنهن قلنه لتـريهنّ يوسف، أو لإفشائهن مـا استكتمتهنَّ من سرّها ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ ودعتهن في جملة أربعـين امرأة وكنّ خمساً ﴿وَأَعْتَدَتْ﴾ أعدّت ﴿لَهُنَّ مُتَّكَئًا﴾ وسائد يتـكين عليـها، أو طعاماً إذ كانوا يتكئـون للطعام وقيل «أترجاً» ﴿وَءَاتَتْ﴾ أعطت ﴿كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ ليقطعن بِها الفواكه واللحم ﴿وَقَالَتِ﴾ ـ ليوسف ـ: ﴿اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ أعظمنه وبُهتن لجماله.

وقيل: أكبرنه: حضن له، ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ جرحنها بالسكاكين، ولم يحسسن بألم من الدهشة ﴿وَقُلْنَ حَاشَ للهِ﴾ تنزيهاً له وتعجباً من قـدرته؛ وأصله بألف كقراءة «أبي عمرو» في الوصل،[1] فحذفت تخفيفاً.

وقيل «حاشـا» فاعل من الحشـا وهو الناحية أي صـار يوسف في ناحيـة لله مما قذف به ﴿ما هَذَا بَشَرًا﴾ إذ لـم يعهـد حسنـه لبشر. واعملـت «مـا» كليس على لغـة الحجاز ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ لما حازه عن جمال وعفة.

[٣٢] ـ ﴿قالَتْ فَذَلِكُنَّ﴾ فهذا هو الفتى ﴿الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ في حبّه، فقد رأيتنّ ما أصابكن بـرؤيته مرّة، فكيف ألام فيه وأنا أشـاهده دائماً؟! ﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُـهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ امتنع طلباً للعصمة؛ اعترفت بفعلها وبراءته حين علمتهن يعذّرنها ﴿وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ ما ءَامُرُهُ﴾ أي موجب أمري اياه ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا﴾ بالخفيفة، وكتب بالألف بصورة الوقف كالتنوين ﴿مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ الأذلاء.

[٣٣] ـ ﴿قالَ﴾ ـ حيـن توعّدتـه وقلن له: اطعهـا، أو دعـونه الى أنفسهـن ـ: ﴿رَبِّ﴾ يـا رب ﴿السِّجْنُ﴾ وفتحه «يعقـوب»[2] ﴿أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ أخـفّ علـيّ ﴿مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ من الفـاحشة ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْـدَهُنَّ﴾ أي ضرره بـالتثبيت على

---

(١) حجة القراءات: ٣٥٩.

(٢) تفسير التبيان ٦: ١٣٤.

العصمة ﴿أَصْبُ﴾ أمل[١] بطبعي ﴿إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ﴾ وأصر ﴿مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بمنزلتهم في فعلي.

[٣٤] ـ ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾ دعاءه الذي تضمنه «وإلاّ تصرف» ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ فعصمه بلطفه وتوفيقه لقمع الشهوة والصبر على السجن ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لدعاء من دعاه ﴿الْعَلِيمُ﴾ بحاله.

[٣٥] ـ ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ﴾ ظهر للعزيز وصحبه ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ﴾ الدلائل على براءة يوسف كقدّ القميص، ونطق الطفل، وقطع الأيدي. وفاعل «بدا» مقدر أي: سجنه، دلّ عليه ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ الى وقت ينقطع.

قيل الناس. قيل: سجن اظهاراً لأنه المجرم.[٢]

[٣٦] ـ ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ عبدان للملك ساقيه وخبّازه. اتّهما بإرادة سمّه، فسجنا فرأياه يعبر للناس رؤياهم ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾ ـ الساقي ـ: ﴿إِنِّي أَرٰنِي﴾ في المنام ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ عنباً، سماه خمراً[٣] باعتبار ما يؤل إليه ﴿وَقَالَ الآخَرُ﴾ ـ الخبّاز ـ: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ بتعبيره، وفتح «نافع» و«أبو عمرو» ياء «إنّي» فيهما، و«الحرميان» و«أبو عمرو» ياء «اريني» فيهما،[٤] وياء «ربي» بعد «علّمني»[٥] ﴿إِنَّا نَرِيكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ لتأويل الرؤيا، أو الى أهل السجن، ثم أخذ يذكر لهما معجزته من إخباره بالغيب ويدعوهما الى التوحيد، وأعرض عما سألا إيثاراً للأهم وكراهة لإخبارهما بما يسوء أحدهما.

[٣٧] ـ ﴿قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾ في منامكما أو من أهلكما ﴿إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا

(١) في «ط»: اميل.

(٢) اي ليظهروا للناس بأنه مجرم.

(٣) في «ط»: سماء همراً باعتبار مايؤول الله.

(٤) اتحاف فضلاء البشر ٢: ١٤٧ والنشر في القراءات العشر ٢: ٢٩٦.

(٥) في الآية (٣٧) من هذه السورة.

بِتَأْوِيلِهِ﴾ في اليقظة أو بصفته ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُما﴾ تأويله أو الطعام ﴿ذلِكُما﴾ التأويل ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ بوحي أو إلهام، تمهيد لدعائهما الى التوحيد وقوّاه بقوله: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ﴾ تأكيد ﴿كافِرُونَ﴾.

[٣٨] ـ ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّـةَ ءَابائِيَ﴾ دينهم، وسكن «الكوفيون» الياء[1] ﴿إِبْراهِيمَ وَإِسْحٰقَ وَيَعقُوبَ﴾ أظهر لهما أنه من بيت النبوّة ليزيد وثوقهما به فيُقبلا عليه ويقبلا منه ﴿مَا كانَ﴾ ما جاز ﴿لَنا أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ «من» زائدة ﴿ذَلِكَ﴾ التوحيد ﴿مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنا وَعَلَى النَّاسِ﴾ ببعثنا لهدايتهم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ فضله، ثم دعاهما الى التوحيد بقوله:

[٣٩] ـ ﴿يا صَاحِبَيِ السِّجْنِ﴾ يا ساكنيه ﴿ءَأَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ﴾ شتّى لا تضر ولاتنفع ﴿خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ﴾ الذي لا ثاني له ﴿الْقَهَّارُ﴾ الغالب على الكل، «خيرٌ». استفهام تقرير.

[٤٠] ـ ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ يا أهل مصر ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي غير الله ﴿إِلاَّ أَسْماءً سَمَّيْتُمُوهَا﴾ إلاّ أصناماً باعتبار أسماء أطلقتموها عليها فقلتم آلهة ﴿أَنْتُمْ وَءَاباؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِها﴾ بعبادتها ﴿مِنْ سُلْطانٍ﴾ حجّة ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ﴾ فلا يستحق العبادة إلاّ هو. ﴿أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ﴾ أي توحيده ﴿الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ المستقيم، لا ما أنتم عليه من الشرك ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك، لتركهم النظر، ثم عبّر رؤيا هما فقال:

[٤١] ـ ﴿يا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُما﴾ أي: الساقي فيردّ الى عمله بعد ثلاث ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ﴾ سيده كعادته ﴿خَمْرًا﴾ كعاداته ﴿وَأَمَّا الآخَرُ﴾ أي: الخباز، فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ﴾ فقالا: ما رأينا شيئاً، فقال: ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ﴾ تمّ، فهو حال بكما، رأيتما أم لا.

---

(١) تفسير روح المعاني ١٢: ٢١٧.

[٤٢] - ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ﴾ علم ﴿أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُما﴾ وهو الساقي: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ سيدك بأني حُبست ظلماً ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ أن يـذكره لسيده.

أو أنسي يـوسف ذكـر الله حتّى استعان بمخلـوق وكان الأولـى أن لا يستعين إلاّ بالله. ويعضده أخبار،[١] ويعضد الأول الفاء [٢]و«اذكر» و انسبيتـه بحال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ سبــعاً بعد الخمس.

والبضع ما دون العشرة الى الثلاثة.

[٤٣] - ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي﴾ وفتـح «الحـرميان» و«أبو عمـرو» اليــاء [٣]﴿أَرَىٰ﴾ في منامي ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ﴾ يبتلعهن ﴿سَبْعٌ﴾ أخر ﴿عِجافٌ﴾ مهازيل ﴿وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ﴾ قد انعقد حبها ﴿وَأُخَرَ﴾ وسبعاً آخر ﴿يَابِساتٍ﴾ قد التوت على الخضر وغلبت عليها ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيايَ﴾ عبّروها ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءيا تَعْبُرُونَ﴾ تعلمون عبارتها فعبّروها، واللام للتبيين، أو لتقوية الفعل لتأخّره.

[٤٤] - ﴿قالُواْ أَضْغاثُ﴾ أي تخاليط ﴿أَحْلامٍ﴾ كاذبة. و أصل الضغث الحزمة من أنـواع النبات، استعيـر لتخليط الرؤيـا، وجمع لتضمنـه أموراً ﴿وَما نَحْـنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ﴾ الكاذبة ﴿بِعَالِمِيْنَ﴾.

[٤٥] - ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجا مِنْهُما﴾ من الفتيين أي الساقي ﴿وَادَّكَرَ﴾ أصله «اذتكر» قلبت تاؤه دالاً، وأدغمت، أي وتذكر شأن يوسف ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ جملة من الحين ﴿أَنا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيْلِهِ﴾ مقول القول ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾ الى من يعلمه فأُرسل، فأتى يوسف فقال:

[٤٦] - ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ الكثير الصدق ﴿أَفْتِنا فِـي سَبْعِ بَقَراتٍ سِمـانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْـرٍ وَأُخَرَ يَابِساتٍ﴾ رآها الملك ﴿لَعَلِّي أَرْجِعُ

(١) تفسير الصافي ٣: ٢٢ - ٢٣ عن تفسير العياشي والقمي في روايات عن الصادق عليه السّلام.

(٢) قال ابن اسحاق والحسن والجبّائي: فانسى الساقي الشيطان ذكر يوسف (تفسير التبيان ٦: ٤٤).

(٣) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٩٦.

إلى النَّاسِ﴾ أي الملك ومن معه. وسكن «الكوفيون» الياء ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فضلك أو تأويلها. وكلمتا «لعل» لعدم جزمه برجوعه وعلمهم.

[٤٧] - ﴿قالَ تَزْرَعُونَ﴾ خبر، أو أمر بلفظه ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ باجتهاد، أو على عادتكم، حال، أي دائبين، أو مصدر، أي: تدأبون دأباً. وفتح «حفص» الهمزة،[١] وهذا تأويل البقرات السمان والسنبلات الخضر ﴿فَما حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ﴾ فاتركوه ﴿فِي سُنْبُلِهِ﴾ ليبقى حيناً ﴿إِلاَّ قَلِيْلاً مِّمّا تَأْكُلُونَ﴾ فدوسوه.

[٤٨] - ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي السبع المخصبة ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ مجدبات صعاب، وهي تأويل العجاف واليابسات ﴿يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ أي تأكلون فيهن ما ادخرتم لأجلهن في السنين المخصبة من الحب، وهو تأويل أكل العجاف السمان ﴿إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَحْصِنُونَ﴾ تحرزون.

[٤٩] - ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الجدب في السبع ﴿عامٌ فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ﴾ يمطرون من الغيث، أو ينقذون من القحط، من الغوث ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ الثمار كالعنب والزيتون ونحوها، أو ينجون.

والعصرة: النّجاة، وعن علي عليه السّلام: يمطرون[٢] من ﴿وَأنزلنا من المعصرات﴾[٣] وقرأ «حمزة» و«الكسائي» بالتاء.[٤]

[٥٠] - ﴿وَقالَ الْمَلِكُ﴾ لما أتاه رسوله بالتعبير ﴿ائْتُونِي بِهِ﴾ بالمعبّر ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾ ليخرجه تأنّىٰ ليبين براءته فيصفو قلب الملك مما فيه من تهمته، فلا يجد الحاسد سبيلاً الى القول فيه ﴿قالَ ارْجِعْ إِلى رَبِّكَ فَسْئَلْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللاتِي قَطَّعْنَ

---

(١) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٩٥ وتفسير مجمع البيان ٣: ٢٣٦.

(٢) تفسير البرهان ٢: ٢٥٢ و٢٥٥.

(٣) سورة النبأ: ١٤/٧٨.

(٤) حجة القراءات: ٣٥٩ - ٣٦٠.

﴿أَيْدِيَهُنَّ﴾ سله أن يتعرّف حـالهن، ولم يذكر سيدته كـرماً وتأدّباً ﴿إِنَّ رَبِّي﴾ أي الله أو سيدي ﴿بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ فرجع وأخبر الملك فدعاهن.

[٥١] ـ ﴿قالَ ما خَطْبُكُنَّ﴾ شأنكنّ ﴿إِذْ رَاوَدْتُّنَّ يُوسُفَ عَنْ نَّفْسِهِ﴾ هل بـدا منه خيانة ﴿قُلْنَ حاشَ للهِ﴾ تنزيهاً لـه وعياذاً به من الفرية، وفيـه القراءتان[1] ﴿ما عَلِمْنا عَلَيْهِ من سُوءٍ﴾ خيانة ﴿قالَتِ امْرَأَةُ الْعَـزِيز الآنَ حَصْحَصَ الحـقُّ﴾ ظهر، من حصَّ رأسه: صلع، أو من حصحص البعير: برك، حتّى يستبين آثار مباركه ﴿أَنَا رَاوَدْتُّهُ عَنْ نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِـنَ الصَّادِقِينَ﴾ في قولـه ﴿هي راودتني﴾[2] فعاد الرسـول وأخبر يوسف بمقالتهن فقال:

[٥٢] ـ ﴿ذَلِكَ﴾ الإستظهار للبراءة ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ حال مـن الهـاء أو الفاعـل ﴿وَأَنَّ اللهَ لاَ يَهْـدِي كَيْدَ الْخـائنِيْنَ﴾ لا ينفـذه، أو لايهـديهم بكيدهم.

[٥٣] ـ ﴿وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ عن الميـل الطبيعي، وإنما استعصمـت بلطف الله تعالى فقصدت إظهار نعمته لاتزكيه نفسـي. وفتح «الحرميان» و«أبو عمرو» الياء وياء «رحم ربي»[3] ﴿إِنَّ النَّفْسَ﴾ أي جنسهـا ﴿لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ بميلهـا الطبيعي الـى الشهوات. وأبدل «قالون» و«البزي» الهمزة واواً وأدغماها[4] ﴿إِلاَّ ما رَحِمَ رَبِّي﴾ إلاّ من رحمه فعصمه، أو إلاّ وقت رحمته ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ﴾ لعباده ﴿رَّحِيْمٌ﴾ بهم.

وقيل: الحكاية لقول «زليخا»[5] و هاء «لم أخنه» ليوسف.

[٥٤] ـ ﴿وَقالَ الْمَلِـكُ ائْتُوني بِـهِ أَسْتَخْلِصْهُ﴾ أجعله خـالصاً ﴿لِنَفْسِي﴾ فأتاه

---

(١) المذكورتان في الآية (٣١) من هذه السورة.

(٢) الآية (٢٥) من هذه السورة.

(٣و٤) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٩٧ واتحاف فضلاء البشر ٢: ١٤٩.

(٥) ينظر تفسير التبيان ٦: ١٥٥.

الرسـول، فدعـاه فودّع أهل السجن وخـرج، واغتسـل ولبس ثيـاباً جدداً ودخـل عليه وسلّم ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾ وعرف فضله وعقله ﴿قالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنا مَكِيْنٌ﴾ ذو قدرة وجاه ﴿أَمِيْنٌ﴾ مأمون علـى أمرنا، وكـان الملك يعرف سبعين لسـاناً، فكلّما كلمـه بلسان أجابـه به فأعجـب منه، وسألـه عن رؤياه ففسـرها له، وقـال: أكثرِ الـزرعَ في السبع المخصبة وأحرزه في سنبله، فيأتيك الناس ممتارين، فقال ومن لي بذلك؟.

[٥٥] - ﴿قالَ اجْعَلْنِي عَلَـى خَزائنِ الأَرْضِ﴾ أرض مصر، وَلِّنِيها ﴿إِنِّي حَفِيْظٌ﴾ لها أو للحساب ﴿عَلِيمٌ﴾ بأمرها أو بالألسن.

طلب الولاية ووصف فضلـه ليتمكن بها من الدعاء الى الحق وإقـامة العدل بين الخلق مما هـو منصب النبوة فتوصّل بذلك إليـه، فولاه وتوجّه وأجلسه علـى السرير، وقيل عزل «قطفير» وجعله مكانه،[١].

وقيل: بل مات وزوّجه «زليخا» فوجدها بكراً فولدت له «افرائيم» و«ميشا».[٢]

[٥٦] - ﴿وَكَذلِكَ﴾ الإنعام الذي أنعمنا عليه ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿يَتَبَوَّأُ﴾ ينزل ﴿مِنْها حَيْثُ يَشَاءُ﴾ وقرأ «ابن كثير» بالنون[٣] ﴿نُصِيْبُ بِرَحْمَتِنا مَنْ نَشاءُ﴾ في الدارين ﴿وَلا نُضِيْعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الى أنفسهم وغيرهم.

[٥٧] ـ ﴿وَلأَجْرُ الآخِـرَةِ خَيْرٌ﴾ من أجـر الدنيـا ﴿لِلَّذيـنَ ءَامَنُواْ وَكانُـواْ يَتَّقُونَ﴾ المعاصي لبقائه وفضله.

ولما استوسق[٤] له الأمـر جمع الطعام حتّـى دخلت سنّي الجـدب وحل القحط بمصر، فباعهم بالدراهم والدنانير حتّى صـرفوها، ثم بالحلّي ثم بالدواب ثم بالضياع ثم برقّابهم فاسترقّهم.

---

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ٢٤٣.

(٢-٣) تفسير التبيان ٦: ١٥٧.

(٤) استوسق له الأمر استيساقاً: اجتمع له.

ثم استشار الملك فيهم فقال: الرأي رأيك، فأعتقهم وردّ عليهم أموالهم.

وأصاب القحط أرض كنعان فأرسل يعقوب بنيه إليه ليمتاروا.

[٥٨] ـ ﴿وَجاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ غير «بنيامين» ﴿فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ لم يعرفوه لبعد العهد إذ مدة مفارقتهم له أربعون سنة، ولأنهم رأوه ملكاً مهاباً، فكلموه بالعبرية فقال لهم: من أنتم وما أمركم لعلكم عيون؟.

قالوا: معاذ الله نحن بنو يعقوب نبي الله، قال؛ وكم أنتم، قالوا كنا اثنى عشر فهلك أصغرنا بالبرية، وكان أحبنا إليه فأحزنه، وله شقيق إحتبسه ليتسلى به عنه، فأنزلهم وأكرمهم.

[٥٩] ـ ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بجَهازِهِمْ﴾ أوقر لكل رجل بعيراً ﴿قالَ ائتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيْكُمْ﴾ أي «بنيامين» لأصدّق مقالكم وذروا عندي بعضكم رهينة حتّى تأتوني به ﴿أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِ[١] الْكَيْلَ﴾ أتمه، وفتح «نافع» الياء[٢] ﴿وَأَنا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ المضيّفين.

[٦٠] ـ ﴿فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ﴾ مكيل ﴿لَكُمْ عِنْدِي وَلا تَقْرَبُونِ﴾ نهي أو عطف على محل الجزاء.

[٦١] ـ ﴿قالُواْ سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَباهُ﴾ سنطلبه منه بجهدنا ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ ذلك.

[٦٢] ـ ﴿وَقَالَ لِفِتْيَتِهِ﴾[٣] لغلمانه، وقرأ «حفص» و«حمزة» و«الكسائي» «لفتيانه»[٤] ﴿اجْعَلُوا بِضاعَتَهُمْ﴾ ثمن ميرتهم وكان ورقاً أو نعالاً وأدماً[٥]

---

(١) في «ج» و «د» «اوف».

(٢) اي«ياء» «اني» ـ كما في اتحاف فضلاء البشر ٢ : ١٥٠ .

(٣) في المصحف بقراءة حفص: لفتيانه ـ كما سيشير اليه المؤلف.

(٤) اتحاف فضلاء البشر ٢ : ١٥٠ وحجة القراءات: ٣٦١ .

(٥) الأُدُم: جمع اديم، وهو: الجلد المدبوغ او الجلد الأحمر.

﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾ أوعيتهم. ردّها عليهم من حيث لا يعلمون تفضّلاً، أو خوفاً أن لا يجد أبوه ما يعدون به ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمْ﴾ وفتحوا متاعهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لإكرامنا لهم، أو لعدم استحلالهم امساكها.

[٦٣] ـ ﴿فَلَمَّا رَجَعُواْ إِلَى أَبِيهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾ بعد هذا إن لم نأته بأخينا ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا﴾ «بنيامين» ﴿نَكْتَلْ﴾ الطعام، وقرأ «حمزة» و«الكسائي» بالياء[1] ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أن يصيبه سوء.

[٦٤] ـ ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾ وقد ضمنتم لي حفظه وفعلتم به ما فعلتم. ﴿فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظاً﴾ تمييز أو حال، وقرأ «حفص» و«حمزة» و«الكسائي»: «حفظاً» تمييزاً[2] ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ﴾ يرحمني بحفظه.

[٦٥] ـ ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَاعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾ أي شيء نطلب من إحسان الملك زيادة على هذا.

أو: لا نطلب وراء هذا إكراماً، أو: لا نكذب فيما أخبرناك به من احسانه ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ استئناف يبيّن ما نبغي ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ نحمل لهم الميرة أي: الطعام ﴿وَنَحفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ﴾ وقر[3] ﴿بَعِيرٍ﴾ لأجله ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ أي كيل البعير سهل على الملك لا يصعب عليه.

أو ما جئنا به قليل لا يكفينا فنحتاج الى الرجوع لنضاعفه ونزداد وقراً لأخينا.

[٦٦] ـ ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللهِ﴾ تعطوني عهداً بأن

---

(١) حجة القراءات: ٣٦١.

(٢) انظر اتحاف فضلاء البشر ٢: ١٥٠ ـ وحجة القراءات: ٣٦٢ والنشر في القراءات العشر ٢: ٢٩٦.

(٣) الوقر: الحمل، او الحمل الثقيل.

تحلفوا بالله أو: بحق محمد[١] خاتم النبين صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾ جواب القسم ﴿إِلاَّ أَنْ يُحاطَ بِكُمْ﴾ إلاّ أن تهلكوا، أو تُغلبوا حتّى لا تطيقوا ذلك ﴿فَلَمَّا أَتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ عهدهم ﴿قالَ اللهُ عَلَى ما نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ شاهد حافظ، فأجابهم إلى إرساله معهم.

[٦٧] ـ ﴿وَقالَ يا بَنِيَّ لاَ تَدخُلُواْ﴾ مصر ﴿مِنْ بابٍ واحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ خاف عليهم العين لأنهم كانوا ذوي جمال وهيئة، معروفين بالأخوّة.

وعن النبيّ وآله صلوات الله عليهم: إن العين حق[٢] والتأثير للنفس بإذن الله ﴿وَما أُغْنِي﴾ أدفع ﴿عَنكُمْ مِّنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ من قضائه فيكم شيئاً من الغناء أو القضاء بما قلته لكم ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ﴾ لا راد لقضائه ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ به وثقت ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ فليثق الواثقون.

[٦٨] ـ ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ أي من أبواب متفرقة ﴿مَّا كانَ يُغْنِي عَنْهُمْ﴾ دخولهم كذلك ﴿مِّنَ اللهِ﴾ من قضائه ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ تصديق لـ«يعقوب» ﴿إِلاَّ﴾ لكن ﴿حاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاها﴾ أي شفقة في قلبه أبداها ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ﴾ ففعله، وقوله عن علم ﴿لِّمَا عَلَّمْناهُ﴾ من أجل تعليمنا اياه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ هم المشركون ﴿لا يَعلَمُونَ﴾ ما ألهم الله أولياءه.

[٦٩] ـ ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ﴾ ضمّ ﴿إِلَيْهِ أَخاهُ﴾ «بنيامين».

قيل:[٣] أضافهم وأجلس كلاً و شقيقه، فبقى «بنيامين» فرداً، فقال: «لو كان أخي حياً لجلس معي» فأجلسه معه، ثم أنزل كل اثنين بيتاً وانزله معه، فبات وقال: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك؟ قال من يجد أخاً مثلك؟ ولكن لم يلدك

(١) في «ط»: او بمحمد رسول الله.

(٢) ينظر تفسير مجمع البيان ٣: ٢٤٩ وتفسير التبيان ٦: ١٦٧.

(٣) نقله البيضاوي في تفسيره ٣: ٥٩ ـ والزمخشري في تفسيره الكشّاف ٢: ١٤٧.

يعقوب وراجيل[١] ﴿قالَ إنِّي﴾ وفتح الياء «الحرميان» و«أبو عمرو»[٢] ﴿أَنا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ﴾ تحزن ﴿بِما كانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ بنا، وقال له: اكتم ذلك[٣] وسأحتال لأخذك منهم.

[٧٠] - ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ﴾ هي مشربة من ذهب أو فضة، جعلت صاعاً للكيل ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ ثم انطلقوا ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى مناد: ﴿أَيَّتُها الْعِيْرُ﴾ القافلة ﴿إِنَّكُمْ لَسارِقُونَ﴾ قيل: لم يقله بأمر يوسف،[٤] وقيل: عنى به أنكم سرقتم يوسف من أبيه،[٥] أو هو استفهام.[٦]

[٧١] - ﴿قالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِمْ مَّاذا تَفْقِدُونَ﴾ أيّ شيء ضلّ لكم.

[٧٢] - ﴿قالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾ صاعه ﴿وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ طعاماً ﴿وَأَنا بِهِ زَعِيمٌ﴾ كفيل.

[٧٣] - ﴿قالُواْ تَاللهِ﴾ التاء بدل واو القسم، واختصت باسم الله ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ بما رأيتم من أمانتنا ﴿مَّا جِئْنا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَما كُنَّا سارِقِينَ﴾ قطّ.

[٧٤] - ﴿قالُواْ فَما جَزاؤُهُ﴾ أي السارق أو السَّرق ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ بتبرّيكم.

[٧٥] - ﴿قَالُواْ جَزَاؤُهُ﴾ مبتدأ والخبر ﴿مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ أي جزاء سرقته[٧] استرقاق من وجد في رحله، وهو شرع آل يعقوب وقوله: ﴿فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ مؤكّد أي: السارق جزاءُ السرق، أو خبر «من» والجملة خبر «جزاؤه»، والظاهر ينوب العائد.

والتقدير، جزاؤه من وجد في رحله فهو هو ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ بالسرقة، فردّوا الى يوسف للتّفتيش.

---

(١) كذا في النسخ المستحضرة ولكن في التفاسير المطبوعة جاءت الكلمة هكذا«راحيل».

(٢) النشر في القراءات العشر ٢ : ٢٩٦.

(٣) في«الف»: اكتمهم. وفي«ب»: اكتمه.

(٤-٦) تفسير التبيان ٦: ١٧٠.

(٧) كذا صححناه على ما في تفسير الكشّاف ٢ : ١٤٩ وفي النسخ: سرقة.

[٧٦] ــ ﴿فَبَدأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ ففتشها ﴿قَبْلَ وِعاءِ أَخِيهِ﴾ ازالة للتهمة ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَها﴾ أي السقاية أو الصواع لأنه يذكّر ويؤنث ﴿مِنْ وِعاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ﴾ الكيد ﴿كِدْنا لِيُوسُفَ﴾ علمناه الكيد أي الإحتيال في أخذ أخيه ﴿ما كانَ لِيأْخُذَ أَخاهُ فِى دِينِ الْمَلِكِ﴾ حكم ملك مصر لأن حكمه الضرب وتغريم ضعف ما سرق لا الإسترقاق ﴿إِلاّ أَنْ يَشاءَ اللهُ﴾ لكن بمشيئة الله أخذه بدين أبيه، أي لم يتمكن من أخذه إلاّ بمشيئة الله بإلهامه ان سأل أخوته ما جزاؤه وجوابهم بشرعهم: ﴿نَرْفَعُ دَرَجاتٍ[١] مَّنْ نَّشاءُ﴾ بالعلم كما رفعنا درجته، ونوّنه «الكوفيون»[٢] ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ اعلى درجة منه حتّى ينتهي الى الله تعالى.

ودلّ على انه تعالى عالم بذاته إذ لو كان ذا علم لكان فوقه عليم وهو باطل.

[٧٧] ـ ﴿قَالُواْ إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي يوسف، قيل كانت عمته تحضنه وتحبّه فشب، وأراد يعقوب أخذه منها فشدت عليه منطقة ورثتها من اسحاق، وأدعت أنه سرقها فمسكته عندها بشرعهم ﴿فَأَسَرَّها يُوسُفُ فِى نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِها﴾ يظهرها ﴿لَهُمْ﴾، والضمير للمقالة أو الإجابة ﴿قالَ أَنْتُم شَرٌّ مَّكانًا﴾ منزلة في السرقة ممن رميتموه بها لسرقتكم أخاكم من أبيكم ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِما تَصِفُونَ﴾ عالم بما تقولون فيه.

[٧٨]ـ ﴿قالُواْ يا أَيُّها الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ سناً أو قدراً يحبّه ويتسلّى به عن أخيه ﴿فَخُذْ أَحَدَنا مَكانَهُ﴾ بدله ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ إلى الناس أو الينا.

[٧٩] ـ ﴿قَالَ مَعاذَ اللهِ﴾ نعوذ به معاذاً من ﴿أَنْ نَأْخُذَ إِلاّ مَنْ وَجَدْنا مَتَاعَنا عِنْدَهُ﴾ لم يقل من سرق تحرزاً من الكذب ﴿إِنَّا إِذًا﴾ إن أخذنا بريئًا بمجرم ﴿لَّظالِمُونَ﴾.

[٨٠] ــ ﴿فَلَمَّا اسْتَيْئَسُواْ مِنْهُ﴾ من يوسف أن يجيبهم ﴿خَلَصُواْ﴾ اعتزلوا

---

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «درجاتٍ» بالتنوين ـ كما سيشير اليه المؤلف.

(٢) حجة القراءات: ٣٦٣.

﴿نَجِيًّا﴾متناجين، مصدر يقال للواحد وغيره ﴿قالَ كَبِيرُهُمْ﴾ سناً «روبيل»، أو رأياً «يهوذا»، أو «شمعون» ﴿أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا﴾ عهداً ﴿مِّنَ اللهِ﴾ وهو حلفكم به لتأتنّه بأخيكم ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾ قبل ذلك ﴿ما فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ قصّرتم في أمره و«ما» زائدة أو مصدرية، عطف على مفعول «تعلموا» ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ﴾ فلن افارق أرض مصر ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ بالرجوع إليه، وفتح «نافع» و«أبو عمرو» ياء «لي» [1] و«الحرميان» و«أبو عمرو» ياء «أبي» [2]﴿أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي﴾ بخروجي أو خلاص أخي أو محاربتهم لأجله ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعدل من حكم.

[٨١] ـ ﴿ارْجِعُواْ إِلى أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَا أَبَانا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ في الظاهر ﴿وَما شَهِدْنا﴾ عليه ﴿إِلاَّ بِما عَلِمْنا﴾ بمشاهدتنا إخراج الصاع من رحله ﴿وَما كُنَّا لِلْغَيْبِ حافِظِينَ﴾ أي لم نعلم حين أعطيناك الموثق أنه يسرق، أو: لم نعلم باطن الأمر أنه سرق أو دسّ الصاع في رحله.

[٨٢] ـ ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّافِيهَا﴾ هي مصر أي أرسل الى اهلها واسألهم عن ذلك ﴿وَالْعِيرَ﴾ واسئل أهل القافلة ﴿الَّتِي أَقْبَلْنا فِيها وَإِنَّا لَصادِقُونَ﴾ في خبرنا، فرجعوا إليه وقالوا له ما قال لهم أخوهم.

[٨٣] ـ ﴿قالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ زيّنت ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ فصنعتموه ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ بتقدير متبدأ أي: فأمري، أو خبر، أي: أجمل ﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِم جَمِيعًا﴾ بيوسف وأخويه ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بحالنا ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه بنا.

[٨٤] ـ ﴿وَتَوَلَّى﴾ أعرض ﴿عَنْهُمْ﴾ لتهييجهم حزنه ﴿وَقالَ يا أَسَفىٰ﴾ يا حزنا إحضر فهذا وقتك، والألف بدل ياء الإضافة ﴿عَلَى يُوسُفَ﴾ تأسّف عليه دون أخويه

---

(١) التيسير في القراءات السبع: ١٣١.

(٢)النشر في القراءات العشر ٢: ٢٩٧.

لأن مصيبته أصل كل مصيبته، [١] أو لتحققه حياتهما دون حياته ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ الموجب لكثرة البكاء الماحق سوادهما.

قيل: عمي [٢] وقيل ضعف بصره [٣] ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مكظوم أي مملوء حزناً وغيظاً، ممسك له لا يبثّه، أو كاظم أي متجرّع له.

[٨٥] - ﴿قَالُواْ تَاللهِ تَفتَؤُا﴾ لا تفتأ ولا تنفك ﴿تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ مشرفاً على الموت، أو ذائباً من الغمّ، أو دنفاً [٤] فاسد العقل؛ وهو مصدر يصلح للواحد وغيره ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ الموتى.

[٨٦] - ﴿قالَ إِنَّما أَشْكُواْ بَثِّي﴾ وهو الهمّ الذي لا يصبر عليه حتّى يبث ﴿وَحُزْنِي إِلَى اللهِ﴾ لا اليكم، وفتح «نافع» و«ابن عامر» و«أبو عمرو» الياء [٥] ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ﴾ من رحمته وقدرته، أو من إلهامه ﴿مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ من حياة يوسف وصدق رؤياه.

[٨٧] - ﴿يا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ اطلبوا خبرهما ﴿وَلا تَأْيَئَسُوا مِنْ رَّوْحِ اللهِ﴾ من رحمته أو فرجه ﴿إِنَّهُ لاَ يَأْيَئَسُ مِنْ رَّوْحِ اللهِ إِلاّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ فإن المؤمن لاييأس من روحه، فخرجوا الى مصر.

[٨٨] - ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾ على يوسف ﴿قالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ الجوع ﴿وَجِئْنَا بِبِضاعَةٍ مُّزْجَاةٍ﴾ مدفوعة يدفعها كل تاجر لرداءتها أو قلتها، وكانت دراهم زيوفاً، أو صوفاً، أو سمناً أو غير ذلك ﴿فَأَوْفِ﴾ اتمّ ﴿لَنا الْكَيلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنا﴾ بالمسامحة والإغماض عن الردي، أو بردّ أخينا ﴿إِنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ لا يضيع أجرهم، فرقّ لهم ثم باح [٦] بمكتومه:

---

(١) في«ط»: مصيبة.

(٢-٣) تفسير مجمع البيان ٣: ٢٥٧.

(٤) الدنف: المريض، الثقيل من المرض والمشرف على الموت.

(٥) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٥٧ والتيسير في القراءات السبع: ١٣١.

(٦) باح: اظهر.

[٨٩] ـ ﴿قالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَّا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ﴾ من القبيح ﴿وَأَخِيهِ﴾ من إفراده عن شقيقه وإذلاله ﴿إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ﴾ قبحه لغـرّة الصبا، تلقين لهم بالعذر، وحثّ على التوبة.

وقيل: اعطوه كتاب أبيه في ردّ ابنه، وشرح حزنه على يوسف وأخيه.[١] فقال لهم ذلك.

[٩٠] ـ ﴿قَالُوا﴾ لما عرفوه بشمائله حين تكلّم، أو بثناياه حين تبسّم، أو بعلامة في قرنه[٢] رفع عنها التاج فرأوها ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ استفهام تقرير وقرأه «ابن كثير» على الخبر[٣] ﴿قالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾ شقيقي ﴿قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنا﴾ بكل خير أو بالجمع ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ﴾ الله، وعن «قنبل» اثبات الياء[٤] على موصولية «من» ﴿وَيَصْبِرْ﴾ على البلاء وعن المعاصي، وسكن في قراءة «قنبل» تخفيفاً أو مشاكلة ﴿فَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالتقوى والصبر. وضع موضع الضمير.

[٩١] ـ ﴿قالُوا تَاللهِ لَقَدْ ءاثَرَكَ اللهُ﴾ فضّلك ﴿عَلَيْنا﴾ بحسن الخَلْق والخُلق ﴿وَإِنْ﴾ مخففة ﴿كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ آثمين بصنعنا بك.

[٩٢] ـ ﴿قالَ لا تَثْرِيبَ﴾ توبيخ ﴿عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ الذي هو مظنته، فغيره أولى ﴿يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ﴾ دعاء لهم ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فينعم بالمغفرة وغيرها.

قيل[٥] لما عرفوه بعثوا إليه إنك تدعونا إلى طعامك بكرة وعشياً ونحن نستحييك لذنبنا؟

---

(١) تفسير البرهان ٢ : ٢٦٣ ـ تفسير الكشّاف ٢ : ١٥٣ـ.

(٢) القرن: مصدر وموضعه من رأس الإنسان او الجانب الأعلى من الرأس.

(٣) حجة القراءات : ٣٦٣.

(٤) اتحاف فضلاء البشر ٢ : ١٥٣ والحجة في القراءات السبع : ١٧٣.

(٥) نقله الزمخشري في تفسير الكشّاف ٢ : ١٥٤.

فقال كان أهل مصر يروني ويقولون: «سبحان من بلّغ عبداً بيع بعشرين درهماً ما بلغ»، ولقد شرفت بكم وعظمت عندهم إذعلموا أنكم إخوتي وأني من حفدة ابراهيم.

[٩٣] ـ ﴿اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا﴾ وهو المتوارث الذي كان في تعويذه ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ﴾ يعد ﴿بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٩٤] ـ ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ خرجت من مصر ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لمن عنده: ﴿إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ أوصلها الله إليه من مسيرة عشر[1] أو أكثر ﴿لَوْلاَ أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ تسفّهوني.

والفند: ضعف الرأي، وجواب «لو لا» محذوف أي: لصدقتموني.

[٩٥] ـ ﴿قَالُواْ﴾ ـ له ـ: ﴿تاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ﴾ بُعدك عن الصواب وافراطك في حبّه ورجاء لقائه.

[٩٦] ـ ﴿فَلَمَّا أَنْ﴾ زائدة ﴿جاءَ البَشِيرُ﴾ «يهوذا» قال: أنا أحزنته بحمل قميص الدم فأُحبّ ان أفرّحه، فحمل القميص من مصر إليه حافياً حاسراً[2] ﴿أَلْقاهُ﴾ طرح البشير، أو «يعقوب» القميص، ويعضد الأول «فألقوه» ﴿عَلَى وَجْهِهِ﴾ وجه يعقوب ﴿فَارْتَدَّ﴾ عاد ﴿بَصِيرًا قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَالاَ تَعْلَمُونَ﴾ من حياة يوسف وكشف الشّدة.

[٩٧] ـ ﴿قالُواْ يا أَبانَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ فيما فعلنا.

[٩٨] ـ ﴿قالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الغَفُور الرَّحِيمُ﴾ أخرّه الى السحر أو الى ليلة الجمعة ليكون أقرب إلى الإجابة.

---

(١) اي عشرة ايام.

(٢) الحاسر: من لا مغفر له ولا درع ومن كان بلا عمامة.

قيل كان يقوم ويصفّهم خلفه عشرين سنة يدعو ويؤمّنون، حتّى نزل قبول توبتهم.[١]

[٩٩] ـ ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ﴾ قيل: استقبله يوسف والملك بأهل مصر، ودخلوا في مكان خارج مصر[٢] ﴿ءَاوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ أباه وخالته، تزوجها أبوه بعد امّه فسميت أُمّاً للوجهين ﴿وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ ءَامِنِينَ﴾ من كلّ مكروه، وتعلقت المشيئة بالدخول المكيّف بالأمن.

[١٠٠] ـ ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ﴾ معه ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ السرير، ﴿وَخَرُّواْ﴾ أي أبواه وإخوته ﴿لَهُ﴾ لأجل لقائه ﴿سُجَّدًا﴾ لله شكراً، وقيل: الهاء لله ومعناه كالسابق،[٣].

وقيل: كانت تحيتهم يومئذ سجود انحناء[٤] ﴿وَقَالَ يا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حقًّا﴾ وكان بين رؤياه وتأويلها ثمانون سنة أو أربعون ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ ولم يذكر الجبّ لأنه نوع تثريب ﴿وَجاءَ بِكُمْ مِّنَ الْبَدْوِ﴾ البادية وكانوا يسكنوها لمواشيهم ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَّزَغَ الشَّيْطَانُ﴾ أفسد ﴿بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ بالحسد، وفتح «ورش» ياء «اخوتي»[٥] ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَّا يَشاءُ﴾ في تدبيره، فيسهّل كل عسير ﴿إِنَّه هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بالمصالح ﴿الْحَكِيمُ﴾ في التدبير.

وأقام أبوه عنده أربعاً وعشرين سنة وحضره الموت فأوصاه أن يدفنه عند أبيه بالشام، فحمله ودفنه ثمةَ، وعاد وعاش بعده ثلاثاً وعشرين سنة، ولما تمّ له الملك الفاني، اشتاق الى الملك الباقي فقال:

---

(١) تفسير الكشّاف ٢: ١٥٥.
(٢) تفسير البيضاوي ٣: ٦٠.
(٣) في سورة البقرة: ٢/ ٣٤.
(٤) تفسير الكشّاف ٢: ١٥٥.
(٥) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٩٧.

[١٠١] ـ ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ بعضه ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ﴾ أي بعض ﴿تَأْوِيلِ الأَحادِيثِ﴾ الرؤيا أو الكتب ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ﴾ صفة المنادى أو منادى أي خالقهما ﴿أَنْتَ وَلِيِّ﴾ متولي أموري ﴿فِى الدُّنْيا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي﴾ أمِتني ﴿مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ في ثوابهم ودرجتهم، عنى آباءه أو الأعم، فتوفاه الله وله مائة وعشرون سنة، فتشاحّ أهل مصر في قبره فجعلوه في صندوق مرمر، ودفنوه في النيل ليمرّ الماء عليه ثم يصل الى مصر فتعمّهم بركته.

[١٠٢] ـ ﴿ذَلِكَ﴾ المقصوص من نبأ يوسف ﴿مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ﴾ ما غاب عنك يا محمّد ﴿نُوحِيْهِ إِلَيْكَ وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ عند إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ﴾ عزموا على أن يكيدوه ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ به أي لم تحضرهم فتعلم نبأهم، وانما علمته من جهة الوحي.

[١٠٣] ـ ﴿وَما أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ على ايمانهم؛ واجتهدت في دعائهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٠٤] ـ ﴿وَما تَسْئَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ أي القرآن ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ جعل تأخذه منهم ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما القرآن ﴿إِلاَّ ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِلعَالَمِينَ﴾.

[١٠٥] ـ ﴿وَكَأَيِّنْ﴾ ومثل أي عدد شئت، والمعنى: كم ﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾ دلالة ﴿فِى السَّمَواتِ وَالأَرْضِ﴾ دالّة على توحيد الله وقدرته ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْها﴾ يشاهدونها ﴿وَهُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ﴾ لا يتفكرون فيها.

[١٠٦] ـ ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ﴾ في اعترافهم بألوهيته وربوبيته ﴿إِلاّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ بعبادة غيره أو بجحد القرآن ونبوة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم أو بطاعة الشيطان في المعاصي، أو بنحو قولهم: لولا فلان لهلكت.

[١٠٧] ـ ﴿اَفَأَمِنُواْ أَنْ تَأْتِيَهُمْ غاشِيَةٌ﴾ عقوبة تغشاهم ﴿مِّنْ عَذَابِ اللهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ بإتيانها بعلامة متقدّمة.

[١٠٨] ـ ﴿قُلْ هَـٰذِهِ﴾ الدعوة الى التوحيد ﴿سَبِيْلِي﴾ سنتي، وفتح «الياء» «نافع»[1] ﴿أَدْعُواْ إِلَى اللهِ﴾ الى دينه تفسير للسبيل ﴿عَلَى بَصِيْرَةٍ﴾ كائناً على حجة بينة ﴿أَنَا﴾ تأكيد للمستكن في «أدعوا» ومبتدأ، خبره «على بصيرة» ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنى﴾ عطف عليه ﴿وَسُبْحانَ اللهِ﴾ تنزيهاً له عما اشركوا ﴿وَما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ به شيئاً.

[١٠٩] ـ ﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجالاً﴾ لا ملائكة ﴿نُوْحِى إِلَيْهِمْ﴾[2] وقرأ «حفص» بالنون[3] ﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ الأمصار، لأنهم أعلم وأعقل من أهل البدو ﴿اَفَلَمْ يَسِيْرُواْ فِي الاَرْضِ فَيَنْظُرُواْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من مكّذبي الرسل فيعتبروا بهم ﴿وَلَدارُ الآخِرَةِ﴾ دار الحال الآخرة ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَواْ﴾ الله ﴿أَفَلا يَعْقِلُونَ﴾ يتفكرون بعقولهم ليعلموا ذلك، وقرأ «نافع» و«عاصم» و«ابن عامر» بالتاء.[4]

[١١٠]ـ ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ﴾ غاية لما دل عليه ﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلاّ رجالاً﴾[5] أي أمهلنا مكذّبيك حتّى يئس الرسل من إيمانهم ﴿وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُواْ﴾ أيقن الرسل ان قومهم كذبوهم تكذيباً لا إيمان بعده، وخففه «الكوفيون»[6] أي أيقن الرسل أن قومهم أخلفوهم وعدهم بالإيمان، أو: ظن الأمم أن الرسل كذبوهم فيما أخبروهم به من النصر عليهم، أو: ظنوا أن الرسل أخلفوا ما وعدوه من النصر ﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُنَجِّي[7]﴾ بنونين مضارعاً وقرأ «ابن عامر» و«عاصم» بواحدة ماضياً

(١) التيسير في القراءات السبع: ١٣١.

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «نوحي» ـ كما سيشير اليه المؤلف ـ.

(٣ـ٦) حجة القراءات: ٣٦٥.

(٤) حجة القراءات: ٣٦٦.

(٥) الآية السابقة من هذه السورة (١٠٩).

(٧) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «فنجي» ـ كما سيشير اليه المؤلف ـ.

بصيغة المجهول[1] ﴿مَنْ نَّشَاءَ﴾ المؤمنين ﴿وَلا يُرَدُّ بَأْسُنا﴾ عذابنا ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين.

[١١١] ـ ﴿لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾ أي الرسل، أو يوسف واخوته ﴿عِبْرَةٌ لأُوْلِى الأَلْبابِ﴾ عظة لذوي العقول ﴿مَا كانَ﴾ القرآن ﴿حَدِيْثًا يُفْتَرىٰ ولَٰكنْ﴾ كان ﴿تَصْدِيْقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تقدّمه من الكتب ﴿وَتَفْصِيْلَ﴾ بيان ﴿كُلِّ شَيءٍ﴾ يُحتاج إليه في الدين ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ بياناً ونعمة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصّوا بالذكر لأنهم المنتفعون به.

(١) حجة القراءات: ٣٦٧ وهكذا في المصحف الشريف.

سورة الرعد

[١٣]

خمس وأربعون آية مكية أو مدنية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ـ ﴿الٓمٓر﴾ سبق ما قيل فيه[١] ﴿تِلْكَ﴾ الآيات هي ﴿ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن أو السورة ﴿وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ﴾ أي القرآن. عطف على «الكتاب»، عطف صفة على أخرى، أو عام على خاص، أو مبتدأ خبره ﴿الْحَقُّ﴾ وهو على الأوّل خبر محذوف ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بحقيقته[٢] لتركهم تدبّره.

[٢] ـ ﴿اللهُ﴾ مبتدأ ﴿الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ﴾ خبره، أو صفته، والخبر «يدبّر الأمر» ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ سواري جمع عمود أو عماد، و ﴿تَرَوْنَهَا﴾ استئناف، أي: وأنتم ترون السماوات كذلك أو صفة لـ«عمد» ويصدق بأن لاعمد أصلاً ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ بالتدبير ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ ذلّلهما لمنافع خلقه ﴿كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ إلى وقت مضروب هو يوم القيامة ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ أمر ملكوته

(١) في اول الكتاب عند تفسير الآية الاولى من سورة البقرة.

(٢) في «ط» بحقّيته.

على مقتضى حكمته ﴿يُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾ ينزّلها مفصّلة، أو يبين دلائل وحدانيته ﴿لَعَلَّكُمْ بِلِقاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ لكي تتأملوا فتعلموا، أن من قدر على هذه الأمور قادر على البعث.

[٣]- ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ﴾ بسطها لمنافع خلقه ﴿وَجَعَلَ فِيْها رَواسِيَ﴾ جبالاً ثوابت ﴿وَأَنْهاراً﴾ قرنت بالجبال لأنها أسباب لتفجرها ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَمَرَاتِ﴾ من أنواعها ﴿جَعَلَ فِيْها زَوْجَيْنِ﴾ صنفين ﴿اثْنَيْنِ﴾ كالحلو والحامض ونحوهما ﴿يُغْشِي الَّيْلَ النَّهارَ﴾ يلبسه بظلمته، وترك العكس للعلم به، وشدده «أبو بكر» و«حمزة» و«الكسائي»[١] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لآياتٍ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها.

[٤]- ﴿وَفِى الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِرَاتٌ﴾ بقاع متلاصقات مختلفات، منها طيّبة وسبخة، وسهلة وحَزَنة[٢] وصالحة للزرع لا للشجر وبالعكس، واختلافها مع اشتراكها في الأرضية وعوارضها إنما يكون بتخصيص قادر مختار عليم حكيم ﴿وَجَنَّاتٌ﴾ بساتين ﴿مِّنْ أَعْنابٍ وَزَرْعٍ﴾ ورفعه «ابن كثير» و«أبو عمرو» و«حفص»[٣] عطفاً على «جنات» وكذا ﴿وَنَخِيْلٍ صِنْوَانٍ﴾ جمع صنو، وهي نخلات أصلها واحد ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ متفرقة الأصول ﴿تُسْقَىٰ﴾ وقرأ «عاصم» و«ابن عامر» بالتذكير[٤] ﴿بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ﴾ وقرأ «حمزة» و«الكسائي» بالياء[٥] ﴿بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ﴾ في الثمر طعماً ولوناً وشكلاً، وهو من دلائل قدرته تعالى ﴿إِنَّ فِى ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لآياتٍ لِقَومٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون بعقولهم.

---

(١) حجة القراءات: ٣٦٨.

(٢) الحزونة كسُهُولة: غلاظة الأرض وشدّتها.

(٣-٤) حجة القراءات: ٣٦٩.

(٥) حجة القراءات: ٣٧٠.

[٥] ـ ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ﴾ يا محمّد بتكذيبهم ﴿فَعَجَبٌ﴾ حقيق بالعجب ﴿قَوْلُهُمْ﴾ في إنكار البعث ﴿ءَإِذَا كُنَّا تُرَابًا ءَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيْدٍ﴾ فإنهم مع إقرارهم بإبتداء الخلق أنكروا الإعادة وهي أهون.

واختلف في الاستفهامين[١] فقرىء فيهما بهمزتين، وبهمزة وياء، وبألف بينهما، وأحدهما بهمزتين والآخر خبراً، والأول بهمزة وياء والثاني خبراً ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ لجحدهم قدرته على البعث ﴿وَأُوْلَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ﴾ يوم القيامة أو أريد بها كفرهم ﴿وَأُوْلَئِكَ أَصحابُ النَّارِ هُمْ فِيْها خالِدُونَ﴾ دائمون.

[٦] ـ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ بالعذاب قبل الرحمة استهزاءً ﴿وَقَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ﴾ جمع «مَثُلة» بفتح الميم وضمّ الثاء، أي: عقوبات، أشباههم في التكذيب، فهلا يعتبرون بها ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ أنفسهم، وهو حال. ويفيد جواز العفو قبل التوبة وتخصيصه بالصغائر لمجتنب الكبائر ممنوع ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيْدُ الْعِقابِ﴾ لمن استحقه.

[٧] ـ ﴿وَيَقُولُ الَّذِيْنَ كَفَرُواْ لَوْلا﴾ هلا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّنْ رَبِّهِ﴾ كالناقة والعصا إذ لم يعتّدوا بمعجزاته ﴿إِنّما أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ مخوف، وما عليك إلاّ الإتيان بما يصحح رسالتك ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ هو الله تعالى، أو: نبيّ يدعوهم الى الله بما يخصّه من معجزات يليق بهم، أو إمام يرشدهم.

عن ابن عباس لما نزلت، قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: أنا المنذر وعلي الهادي من بعدي، يا علي بك يهتدي المهتدون،[٢] ونحوه عن ابن بريدة الأسلمي.[٣] ونوّن

---

(١) انظر تفصيل الاقوال الخمسة في تفسير مجمع البيان ٣: ٢٧٧.

(٢) تفسير البرهان ٢: ٢٨٢.

(٣) تفسير البرهان ٢: ٢٨٢ والاحاديث في هذا المعنى كثيرة.

«ابن كثيـر» «هاد» و«وال» [١]و«واقٍ» [٢]و ﴿ما عنـد الله من باقٍ﴾[٣] وصلاً، [٤] ووقف بالياء حيث وقعت، [٥] وغيره يصل بـالتنوين ويقف بغيـر ياء. [٦] ثم أكد مـا تضمنته الآيات السابقة بقوله:

[٨]ـ ﴿اللهُ يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ أي أحوال ما تحمله كذكـورته وأنوثته ﴿وَما تَغِيْضُ الأَرْحامُ وَما تَزْدَادُ﴾ ما تنقصه وما تزداده من مدة الحمل وخلقته وعدده.

أو من دم الحيض ﴿وَكُلُّ شَيءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ﴾ بقدر واحد لا يتعداه.

[٩] ـ ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ﴾ ما غـاب عن الحس وحضـره ﴿الْكَبِيْرُ﴾ العظيم ﴿الْمُتَعَالِ﴾ على كل شيء بقهره، أو عما لا يجوز عليه. وأثبت «ابن كثير» الياء. [٧]

[١٠] ـ ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ﴾ في علمه ﴿مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَـرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِالَّيْلِ﴾ مستتر بظلمتـه ﴿وَسارِبٌ﴾ سالـك في سَربـه ـ بفتح السيـن ـ، أي: طـريقه ﴿بِالنَّهارِ﴾ يراه الناس.

[١١] ــ ﴿لَهُ﴾ للمسـرّ والجـاهـر، والمستخفي والسـارب ﴿مُعَقِباتٌ﴾ ملائكة يتعاقبـون في حفظه، جمع «معقبـة» بتاء المبالغـة من «عقبّه» بـالتشديد، جـاء على عقبه، لتعقب بعضهـم بعضاً، أو لتعقبهم عمله فيكتبـونه، أو «اعتقب» فـأُدغم التاء في القـاف ﴿مِّنْ بَيْنِ يَـدِيْهِ وَمِـنْ خَلْفِهِ﴾ من جـوانبه، أو ممـا قـدم وأخر من عملـه ﴿يَحْفَظُونَهُ﴾ من المهالك، أو من الجن وغيرهم، أو يحفظون أعماله ﴿مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ من أجل أمره، أو: بمعنى البـاء أي بإذنه، أو: هو صفة أخرى لــ«معقبات» أي كائنة

---

(١) في الآية (١١) من هذه السورة.

(٢) في الآيتين (٣٤) و(٣٧) من هذه السورة.

(٣) في سورة النحل: ١٦/ ٩٦.

(٤ـ٦) التيسير في القراءات السبع: ١٣٣.

(٧) حجة القراءات: ٣٧٢.

بأمره ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ﴾ من النعمة ﴿حَتَّى يُغَيِّرُواْ ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾ من الطاعة الى المعصية ﴿وَإِذا أَرادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾ عذاباً أو بلاءً ﴿فَلا مَرَدَّ﴾ لا مدفع ﴿لَهُ﴾ من أحد ﴿وَما لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ يلي أمرهم ويرد السوء عنهم.

[١٢] ـ ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيْكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ من الصواعق أو لمن يضره المطر ﴿وَطَمَعًا﴾ في المطر؛ أو لمن ينفعه، حالان من «البرق» بإضمار «ذا» أو من المخاطبين أي خائفين وطامعين، أو علتان أي إخافة وإطماعاً، أو: إراءة خوفٍ وطمع ﴿وَيُنْشِىءُ﴾ يخلق ﴿السَّحابَ﴾ جمع سحابة ﴿الثِّقالَ﴾ بالماء.

[١٣] ـ ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ﴾ أي سامعوه متلبسين ﴿بِحَمْدِهِ﴾ فيقولون: سبحان الله والحمد لله، أو: يدعو الرعد الى تسبيحه وحمده تعالى لما فيه من الآيات، أو هو ملك موكّل بالسحاب ﴿وَالْمَلائكَةُ مِنْ خِيْفَتِهِ﴾ أي الله ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ وهي نار تنزل من السحاب ﴿فَيُصِيْبُ بِهَا مَنْ يَشَآءُ﴾ فتحرقه ﴿وَهُمْ يُجادِلُونَ﴾ أي الكفار مع مشاهدتهم هذه الآيات، يخاصمون النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿فِي اللهِ﴾ في تفرده في الألوهية وقدرته على البعث ﴿وَهُوَ شَدِيْدُ الْمِحالِ﴾ الكيد لأعدائه أي الأخذ أو النقمة.

[١٤] ـ ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ أي كلمته، وهي لا إله إلاّ الله، أو الدعوة المجابة، فإنه يجيب من دعاه، أو دعوة المدعو الحق وهو الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ والأصنام الذين يدعونهم أو يعبدهم المشركون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي غيره ﴿لا يَسْتَجِيْبُونَ لَهُمْ بِشَىءٍ﴾ من مطالبهم ﴿إِلاَّ كَباسِطِ﴾ إلاّ استجابة كإستجابة باسط ﴿كَفَّيْهِ إِلى الْمَاءِ﴾ يدعوه ﴿لِيَبْلُغَ فاهُ﴾ بانتقاله من مكانه إليه ﴿وَما هُوَ بِبالِغِهِ﴾ ولن يبلغ فاه، لأنه جماد لا يشعر فكذلك آلهتهم ﴿وَما دُعَاءُ الْكَافِرِيْنَ إِلاّ فِى ضَلالٍ﴾ ضياع.

[١٥] ـ ﴿وَللهِ يَسْجُدُ مَنْ فِى السَّمَواتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا﴾ كالملائكة والمؤمنين ﴿وَكَرْهًا﴾ كالكفرة المكرهين بالسيف، وهما حالان أو علتان ﴿وَظِلالُهُمْ﴾ بتبعيتهم، أو أريد خضوعهم لنفوذ مشيئته فيهم أرادوا أو كرهوا، أو خضوع ظلالهم لتسخيرهِ لها

بالمد والتقليص ﴿بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ بالبُكَر والعشيات أي دائماً ظرف لـ«يسجد» أو حال لـ«ظلالهم».

[١٦] ـ ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ خالقهما ومدبّرهما ﴿قُلِ اللهُ﴾ مجيباً به عنهم إذ لا جواب غيره ﴿قُلْ﴾ ـ تبكيتاً لهم ـ: ﴿أَفَاتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِهِ﴾ أي غيره ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ جمادات تعبدونها ﴿لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا﴾ فضلاً عن غيرهم ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ المشرك والموحد ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ الشرك والتوحيد، وقرأ «حمزة» و«أبو بكر» و«الكسائي» بالياء[1] ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿جَعَلُواْ للهِ شُرَكَاءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ﴾ صفة «شركاء» ﴿فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ﴾ خلق الله وخلقهم ﴿عَلَيْهِمْ﴾.

فقالوا: استحقوا العبادة بخلقهم كما استحقها. وهو انكار أي ليس الأمر كذلك بل جعلوا له شركاء عجزة عن الخلق ﴿قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لا خالق سواه فلا شريك له في العبادة ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ﴾ المتوحد بالربوبية ﴿الْقَهَّارُ﴾ لكل شيء.

[١٧] ـ ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطراً ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ﴾ أي مياهها.

والوادي: مسيل الماء، واستعمل الماء اتساعاً ﴿بِقَدَرِهَا﴾ في الصغر والكبر، أو بمقدارها الذي علم الله انه نافع ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا﴾ وهو الأبيض المنتفخ على وجه الماء ﴿رَّابِيًا﴾ عالياً عليه ﴿وَمِمَّا تُوْقِدُونَ[2] عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ من الفلزات كالذهب والفضة والنحاس والحديد. وقرأ «حمزة» و«الكسائي» و«حفص» بالياء[3] ﴿ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ﴾ طلب زينة ﴿أَوْ مَتَاعٍ﴾ ينتفع به كالأواني وغيرها ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُ﴾ أي من هذه الأشياء زبد مثل زبد السيل، هو خبثها ﴿كَذَلِكَ﴾ المذكور ﴿يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ أي مثلهما.

فالصافي المنتفَع به من الماء، والفلز مثل الحق، والزبد المضمحل منهما مثل

(١و٣) حجة القراءات: ٣٧٢ ـ ٣٧٣.

(٢) في المصحف الشريف «يوقدون».

الباطل ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ﴾ من السيل والفلز المذاب ﴿فَيَذْهَبُ جُفاءً﴾ حال أي مرمياً به باطلاً ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ من الماء والفلز ﴿فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ يبقى دهراً ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثالَ﴾ للحق الباقي والباطل المضمحل.

[١٨] ـ ﴿لِلَّذِيْنَ اسْتَجابُواْ لِرَبِّهِمُ﴾ لدعوته فآمنوا به، المثوبة ﴿الْحُسْنَى وَالَّذِيْنَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُ﴾ مبتدأ، خبره ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لا فْتَدَواْ بِهِ﴾ وقيل:[1] «للذين» متعلق بـ«يضرب» أي يضرب الأمثال لشأن المؤمنين والكفرة فـ«الحسنى» صفة مصدر «استجابوا» والشرطية استئناف ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ المناقشة فيه، ولا يغفر لهم ذنب ﴿وَمأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهادُ﴾ الفراش هي.

[١٩] ـ ﴿أَفَمنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْـزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾ فتبعه ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ لا يعلمه ولا يتبعه. إنكار أن يتوهم تشابههما ﴿إِنَّما يَتَذَكَّرُ﴾ يعتبر ﴿أُوْلُواْ الأَلْبابِ﴾ ذووا العقول.

[٢٠] ـ ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ﴾ ما ألزمهم إياه عقلاً أو سمعاً، أو ما أخذه عليهم في عالم الذرّ ﴿وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثاقَ﴾ ما وثّقوه بينهم وبين الله وبين العباد. تأكيد، أو تعميم بعد تخصيص.

[٢١] ـ ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ من الإيمان بالرسل والرحم وحقوق الخلق ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ مقامه ﴿وَيَخافُونَ سُوءَ الْحِسابِ﴾ المناقشة فيه.

[٢٢] ـ ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على البلاء والتكاليف ﴿ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ طلب رضاه لارياءً وسمعة ﴿وَأَقامُواْ الصَّلٰوةَ﴾ يمكن شمولها النفل وكذا ﴿وَأَنْفَقُواْ مِمَّا رَزَقْناهُمْ﴾ بعضه ﴿سِرًّا وَعَلانِيَةً﴾ في الطاعة ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ يدفعونها أي يمحونها بها، أو يقابلونها بها إذا أسيء اليهم ﴿أُولٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ العاقبة الحميدة في الدار الآخرة. وأبدل من «عقبى»:

(١) تفسير الكشّاف ٢ : ١٦٤.

[٢٣] ـ ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿يَدْخُلُونَها وَمَنْ صَلَحَ﴾ عطف على الواو، وسوّغه الضمير الفاصل، أو مفعول معه، أي من آمن ﴿مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ يلحقون بهم وان لم يعملوا كعملهم، كرامة لهم.

ويفيد عدم نفع الأنساب بدون الإيمان ﴿وَالْمَلائكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّنْ كُلِّ بَابٍ﴾ من أبواب الجنة أو القصور بالهدايا [(١)] قائلين:

[٢٤] ـ ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾ تهنئة بالسلامة ﴿بِما صَبَرْتُمْ﴾ يتعلق بـ«سلام عليكم» أو بمحذوف، أي: سلمتم، أو هذا بصبركم ﴿فَنِعمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ما أنتم فيه.

[٢٥]ـ ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيْثَاقِهِ﴾ ما وثقوه به ﴿وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى الأَرْضِ﴾ بالظلم والكفر ﴿أُولئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ عذاب النّار أو سوء العاقبة فيها.

[٢٦] ـ ﴿اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يوسّعه ويضيّقه ﴿وَفَرِحُواْ﴾ أي الكفرة بطراً ﴿بِالْحَيوٰةِ الدُّنيا﴾ بما أوتوه فيها ﴿وَما الْحَيوٰةُ الدُّنْيا فِى الآخِرَةِ﴾ في جنبها ﴿إلاّ مَتَاعٌ﴾ شيء نزر يتمتع به ويزول.

[٢٧]ـ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ لا﴾ هلاّ ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّنْ رَبِّهِ﴾ كالناقة والعصا ﴿قُل إنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ﴾ يخذله بسوء فعله وعدم اعتداده بالآيات المنزلة واقتراح غيرها ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنابَ﴾ رجع عن العناد الى الإنقياد، أي يثبته عليه بلطفه فيقنع ببعض ما جئت به.

[٢٨] ـ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بدل مِن «مَن» ﴿وَتَطْمَئِنُّ﴾ من الصلة وتسكن ﴿قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ﴾ أُنساً وثقة به، أو بالقرآن لتضمنه دلائل وحدانيته وآيات وعده ورحمته. وقوله ﴿إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ [(٢)] أي من وعيده ونقمته ﴿أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ

---

(١) كذا صححناه على ما في التفاسير، والموجود في النسخ: او الهدايا.

(٢) في سورة الأنفال: ٨/ ٢.

﴿الْقُلُوبُ﴾ لإزالته الشكوك الموجبة للإضطراب.

[٢٩] - ﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحاتِ﴾ مبتدأ خبره ﴿طُوْبى لَهُمْ﴾ مصدر «طاب»، وواوه عن ياء، مرفوع أو منصوب أي طيب عيش أو فرح أو غبطة.[١]

أو شجرة في الجنة أصلها في دار النبيّ وعليّ عليهما السّلام، وفروعها على أهل الجنة.

روى أنه صلّى الله عليه وآله وسلّم سئل عنها فقال: شجرة في داري ثم سئل أخرى، فقال في دار علي عليه السّلام. فقيل له في ذلك، فقال داري داره في الجنة[٢] ﴿وَحُسْنَ﴾ بالنصب ﴿مَئَابٍ﴾ مرجع.

[٣٠]- ﴿كَذَلِكَ﴾ كما أرسلنا الرسل قبلك ﴿أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ فهي آخر الأمم وأنت خاتم الرسل ﴿لِتَتْلُوَا﴾ لتقرأ ﴿عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ﴾ أي القرآن ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ﴾ البليغ الرحمة، العميم النّعمة التي منها إرسالك اليهم، وتنزيل القرآن عليهم فكفروا بها، أو: كفرهم قولهم: ﴿وما الرحمن﴾[٣] حين أمروا بالسجود له ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلهَ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في أموري ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ توبتي، أي: رجوعي.

[٣١] - ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ﴾ أزيلت عن مواضعها ﴿أو قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ﴾ شقّقت أنهاراً وعيوناً ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ بعد إحيائهم. وجواب «لو» محذوف أي لكان هذا القرآن العظيم الشأن، أو لما آمنوا لفرط عنادهم.

قيل: قالوا له صلّى الله عليه وآله وسلّم: إن كنت نبياً فسيّر عنا جبال مكة، واجعل لنا فيها أنهاراً وعيوناً لنزرع، وأحي لنا أمواتنا ليكلمونا فيك،[٤] فنزلت ﴿بَلْ للهِ الأَمْرُ

(١) الغبطة: حسن الحال، المسرّة

(٢) تفسير البرهان ٢: ٢٩٣ عن شواهد التنزيل للحسكاني.

(٣) في سورة الفرقان: ٢٥/ ٦٠.

(٤) تفسير البيضاوي ٣: ٦٩.

جَمِيْعًا﴾ لا لغيره، فهو القادر على الإتيان بمقترحهم، لكن صرفه علمه بأن اظهاره مفسدة ﴿أَفَلَمْ يَاْيْئَسِ الَّذِيْنَ ءَامَنُواْ﴾ أفلم يعلموا، سمّي العلم يأساً لأنه سبب اليأس، إذ من علم شيئاً يئس من خلافه، ويعضده قراءة «علي» وأهل بيته عليهم السّلام وابن عباس وجماعة: «أفلم يتبين».[1]

وقيل: معناه أفلم يقنطوا من إيمان هؤلاء الكفرة لعلمهم ﴿أَنْ﴾ مخففة أي أنه ﴿لَّوْ يَشاءُ اللهُ لَهَدَىٰ النَّاسَ جَمِيْعًا﴾ إلى الجنة لكنه كلّفهم لينالوها باستحقاق.

أو: لو يشاء ألجاهم لألجاهم، لكنه ينافي الغرض من التكليف، وجملة «أن لو يشاء» متعلق بـ«ييأس» إن فسر بـ«يعلم» وإلاّ فبمحذوف ﴿وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيْبُهُمْ بِما صَنَعُواْ﴾ من الكفر ﴿قارِعَةٌ﴾ داهية تقرعهم من الجدب والقتل والأسر ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ القارعة ﴿قَرِيْبًا مِّنْ دَارِهِمْ﴾ فيحاذونها أو تحل أنت يا محمّد بجيشك قريباً من دارهم مكة ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ﴾ القيامة، أو فتح مكة ﴿إِنَّ اللهَ لايُخْلِفُ الْمِيْعادَ﴾.

[٣٢] ـ ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّنْ قَبْلِكَ﴾ تسلية له صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذينَ كَفَرُواْ﴾ أمهلتهم ملاوة أي: مدة.

والملوان: الليل والنهار ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ أهلكتهم ﴿فَكَيْفَ كانَ عِقابِ﴾ عقابي لهم، فكذلك أخذ من استهزأ بك.

[٣٣] ـ ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾ حفيظ ﴿عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ﴾ من خير وشرّ وهو الله تعالى، والخبر محذوف، أي: كمن ليس كذلك من الأصنام ﴿وَجَعَلُواْ للهِ شُرَكاءَ﴾ استئناف أو عطف على الخبر، ان قدّر بما يمكن عطفه عليه مثل «لم يوحّدوه» و«جعلوا له شركاء»، على وضع الظاهر موضع الضمير تقريراً للإلهية ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ له من هم؟، أي ليس لهم اسم يستحقون به الإلهية، وهذا استحقار

---

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ٢٩٢.

لهم ﴿أَمْ﴾ بل أ﴿تُنَبِّئُونَهُ بِمـا لا يَعْلَمُ فِى الأَرْضِ﴾ أي بشركـاء لا يعلمهم، استئناف انكار، أي لا شريك له ﴿أَمْ﴾ بل أتسمونهم شركاء ﴿بِظاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾ بـزعم باطـل لا حقيقة له ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّـذِيْنَ كَفَرُواْ مَكْـرُهُمْ﴾ شركهم ﴿وَصَدُّواْ﴾[1] أعرضوا وصرفوا غيرهم وضمّ الكوفيون الصاد، [2] أي حرفوا ﴿عَنِ السَّبِيْلِ﴾ طريق الحق ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللهُ﴾ يخذله بسوء اختياره ﴿فَما لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ يوفّقه أو يقسره على الهدى.

[٣٤] ـ ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى الْحَيـوٰةِ الْدُّنْيا﴾ بالقتل والأسـر والمصائب ﴿وَلَعَذابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أشدّ ﴿وَما لَهُمْ مِّنَ اللهِ﴾ من عذابه ﴿مِنْ وَاقٍ﴾ دافع.

[٣٥] ـ ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ صفتها. مبتدأ حـذف خبره، أي: فيما يقصّ عليكم، أو: الخبر ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ﴾ كقولك صفة زيـد طويل، أو بتقـدير مثـل الجنـة جنة تجـري من تحتهـا الأنهـار ﴿أُكُلُها﴾ ثمرها ﴿دَائِمٌ﴾ باق ﴿وَظِلُّها﴾ كذلك لا تنسخه شمس ﴿تِلْكَ﴾ الجنة ﴿عُقْبَى﴾ مال ﴿الَّذِيْنَ اتَّقَواْ﴾ الله ﴿وَعُقْبَى الْكَافِرِيْنَ النَّارُ﴾.

[٣٦] ـ ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْناهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي من أسلم من اليهود والنصارى ﴿يَفْرَحُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ لموافقته كتـابيهم، أو الـذين أعطـوا الـقرآن يـزداد فرحـــهم بما فيه من العلـوم ويتلقونـه بالبُشْـر ﴿وَمِنَ الأَحْزَابِ﴾ الـذين تحـزبوا عليك بـالعـداوة من المشركين وكفرة أهل الكتاب ﴿مَنْ يُنكِرُ بَعْضَهُ﴾ وهو ما خـالف أحكامهم ﴿قُلْ إِنَّما أُمِرْتُ﴾ فيما أنزل إليّ ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿أَعْبُدَ اللهَ وَلا أُشْرِكَ بِـهِ إِلَيْهِ أَدْعُواْ﴾ لا الى غيره ﴿وَإِلَيْهِ مَئَابِ﴾ مرجعي.

[٣٧] ـ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الإنزال ﴿أَنْزَلْناهُ﴾ أي القرآن ﴿حُكْمًا﴾ حكمة أو يحكم بين الناس ﴿عَرَبِيًّا﴾ بلسـان العـرب ليفهموه وهـو حـال ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْـوَاءَهُمْ﴾ فيما

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «وصدوا» ـ بضمّ الصاد ـ وسيشير اليه المؤلّف.
(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٢٩٤.

يدعونك إليه من ملّتهم ﴿بَعْدَ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بنسخها ﴿مالَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ ناصر ﴿وَلا واقٍ﴾ دافع عقوبته، خطاب له صلّى الله عليه وآله وسلّم والمراد أُمته.

[٣٨] ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلاً مِّنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنا لَهُمْ أَزْواجًا وَذُرِّيَّةً﴾ نساءً وأولاداً مثلك. قيل: عيّروه صلّى الله عليه وآله وسلّم بكثرة النساء، فنزلت[1] ﴿وَمَا كانَ﴾ ما صحّ ﴿لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾ مقترحة ﴿إِلاّ بِإِذْنِ اللهِ﴾ لأن ذلك بِمشيئته ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾ وقت ﴿كِتابٌ﴾ حكم مكتوب على الخلق على ما يوجب تدبيرهم.

[٣٩] ـ ﴿يَمْحُواْ اللهُ ما يَشاءُ﴾ من رزق وأجل وسعادة وشقاوة ﴿وَيُثْبِتُ﴾ ما يشاء منها. وشدده «نافع» و«ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي»[2] أو يمحو حكماً ويثبت غيره.

أو يمحو من كتاب الحفظة ما لا جزاء فيه ويثبت غيره، أو يمحو سيّئات التائب ويثبت بدلها حسنات، أو يمحو قرناً ويثبت آخرين ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ﴾ أصله، وهو: اللوح المحفوظ الذي لا يغير ما فيه.

[٤٠] ـ ﴿وَإِنْ مَّا﴾ «ان» الشرطية أدغمت في «ما» الزائدة ﴿نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ من العذاب في حياتك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل ذلك ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ﴾ فحسب ﴿وَعَلَيْنا الْحِسابُ﴾ والجزاء.

[٤١] ـ ﴿أَوَ لَمْ يَرَواْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ﴾ نقصد أرض الشرك أو الأعم ﴿نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها﴾ بالفتوح على النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أو بموت العلماء ﴿وَاللهُ يَحْكُمُ﴾ في خلقه ﴿لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ لارادّ له، حال، أي نافذاً حكمه ﴿وَهُوَ سَرِيعُ

---

(١) تفسير الكشّاف ٢ : ١٦٩ .

(٢) كتاب السبعة في القراءات : ٣٥٩ .

﴿الْحِسابِ﴾ للعباد.

[٤٢] ـ ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّـذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ برسلهم ﴿فَلِلّهِ الْمَكْرُ جَمِيْعًا﴾ أي يملك جزاء المكر ﴿يَعْلَمُ ما تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من خير وشرّ ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ العاقبة المحمـودة في الدار الآخرة، ألهم أم للـرسول والمؤمنين؟ وقـرأ «نافع» و«ابن كثير» و«أبو عمرو»: «الكافر»، (١) أي جنسه.

[٤٣] ـ ﴿وَيَقُولُ الَّذِيْنَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ﴾ ـ لهم ـ: ﴿كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ بإظهـاره المعجزات الشـاهدة بصـدقي ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْـمُ الْكِتابِ﴾ اللوح المحفوظ وهو الله، أي كفى بالمستحق للعبادة والعالم ما في اللوح شهيداً.

أو علم القرآن أي: الإحـاطة بعلمه، ولم يكـن إلاّ عند باب مدينـة العلم: عليّ والأئمة من ولده عليهم السّلام، الذين لم يفارقهم الكتـاب حتّى يردوا الحوض على النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كما أخبر به. (٢)

وعن الصادق عليه السّلام قال: ايانـا عنى، وعليّاً أولنـا وأفضـلنا وخيـرنا بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم. (٣)

وعـنه عليه السّلام: انــه وضـع يــده عـلى صـــدره ثـم قـــال: «عندنـا والله علم الكتاب كملاً. (٤)

---

(١) حجة القراءات: ٣٧٥.

(٢) في حديث الثقلين وهو قوله صلّى الله عليـه وآله وسلّم: اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي (أهل بيتي) وانهما لـن يفترقا حتى يردا علـيّ الحوض ـ وهو متـواتر عند الفريقين مـن الخاصة والعامة، يراجع عمدة عيون صحاح الاخبار لابن البطريق الفصل الرابع عشر.

(٣) رواه الحويزي في تفسير نور الثقلين عن ابي جعفر عليه السّلام ينظر تفسيره ٢: ٥٢٢.

(٤) في تفسير نور الثقلين ٢: ٥٢٣ ـ انه عليه السلام أوما بيده الى صدره وقال: علم الكتاب والله كله عندنا، علم الكتاب والله كلّه عندنا.

ولو أريد بالكتاب الجنس لم يكن علمه إلاّ عند القائل: «سلوني». [١]

و«لو ثنيت لي الوسادة». [٢]

و«ما أُنزلت آية إلاّ وأنا أعلم تنزيلها وتأويلها». [٣]

---

(١) قول اميرالمؤمنين عليه السّلام: سلوني، فوالله لاتسألوني عن شيء الا أخبرتكم، سلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية الا وانا اعلم بليل نزلت ام بنهار ام في سهل ام في جبل.
نقله الكثير من الحفاظ منهم السيوطي في تاريخ الخلفاء: ١٨٥ والمحب الطبري في الرياض النضرة ٢: ٢٦٢ وابن عبدالبر في الإستيعاب ٢: ٥٠٩ والحسكاني في شواهد التنزيل ١: ٣٠.

(٢) وهو ايضاً قول أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ـ ونقله العلامة الحلي في كشف المراد عند بيانه لتقدم علي عليه السلام على جميع الصحابه في تعلمه، انظر كشف المراد: ٣٨٥ـ.

(٣) وهو أيضاً اميرالمؤمنين عليه السلام حين قال: والله ما نزلت آية الا وقد علمت فيم انزلت واين انزلت ـ رواه الحسكاني في شواهد التنزيل ١: ٣٣ وروى معناه في: ٣٥ ـ وابونعيم في حلية الاولياء ١: ٦٨ـ والكنجي في كفاية الطالب: ٢٠٨ـ.

سورة ابراهيم

[١٤]

خمس ـ أو أقلّ ـ وخمسون آية مكية إلاّ ﴿أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ بَدَّلُواْ﴾ الآيتين

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ـ ﴿الٓر كِتابٌ﴾ هذا القرآن أو السورة كتاب ﴿أَنْزَلناهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ﴾ اللام للغرض ﴿النَّاسَ﴾ كلّهم بدعوتك العامّة ﴿مِنَ الظُّلُماتِ﴾ الضلالات ﴿إِلىَ النُّورِ﴾ الهدى ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بأمره بذلك، صلة لـ«تخرج» أو حال من فاعله أو مفعوله ﴿إِلى صِراطِ﴾ بدل من «الى النور» أي الى طريق ﴿الْعَزِيزِ الحَمِيدِ﴾ القاهر سلطانه، المحمود شأنه.

[٢] ـ ﴿اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ بالجر، بدل للعزيز، ورفعه «ابن عامر» مبتدأ وخبر[1] أو خبر محذوف، و«الذي» صفته ﴿وَوَيلٌ لِلْكَافِرِيْنَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيْدٍ﴾ أي يولولون منه ويقولون يا ويلاه.

[٣] ـ ﴿الَّذِينَ﴾ نعت، أو: ذم، منصوب أو مرفوع، أو: مبتدأ خبره «اولئك» وخبره ﴿يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيا﴾ يؤثرونها ﴿عَلَى الآخِرَة﴾ إذ المؤثر لشيء يطلب من

(١) كتاب السبعة في القراءات: ٣٦٢.

نفسه أن يكون أحب اليها من غيره ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ النّاس ﴿عَنْ سَبِيْلِ اللهِ﴾ دينه ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يطلبون لها زيفاً، فحذف اللام وأوصل الفعل ﴿أُوْلئِكَ فِى ضَلالٍ بَعِيْدٍ﴾ عن الحق.

[٤]ـ ﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَّسُولٍ إلاّ بِلِسانِ قَوْمِهِ﴾ بلغتهم ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ما أتى به فيفهموه ويفهّموه غيرهم، فإنهم أحق بأن يدعوهم ﴿فَيُضِلُّ اللهُ﴾ يخذل ﴿مَنْ يَشاءُ﴾ ممن أعرض عنه ﴿وَيَهْدِي﴾ بلطفه ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ ممن تدبّر بعقله ﴿وَهُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ﴾ الغالب المدّبر بحكمته.

[٥] ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مُوْسَى بِآياتِنا﴾ المعجزات التسع ﴿أَنْ﴾ أي بأن، أو أي ﴿أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُماتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ﴾ بنعمه وبلاءه في أيامه ﴿إِنَّ فِى ذَلِكَ﴾ التذكير ﴿لآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على بلائه ﴿شَكُورٍ﴾ لنعمائه، فإنه يعتبر بما جرى على من قبله من بلاء ونعماء فيصبر ويشكر.

[٦] ـ ﴿وَإِذْ﴾ واذكر إذ ﴿قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجاكُمْ﴾ وقت إنجاءه إيّاكم ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ﴾ بالإستعباد وغيره ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ﴾ يستبقوهنّ للخدمة ﴿وَفِى ذَلِكُمْ﴾ الإنجاء أو العذاب ﴿بَلاءٌ﴾ نعمة أو ابتلاء ﴿مِّنْ رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

[٧] ـ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ ربّكم، آذن كتوعد وأوعد، أي: أعلم ﴿رَبُّكُمْ﴾ ولتضمنه القسم، جيء بلام موطئة له في ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ﴾ نعمي بالإيمان والطاعة ﴿لأَزِيْدَنَّكُمْ﴾ نعماً ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ﴾ جحدتم النعم بالكفر والمعاصي، وجوابه دلّ عليه ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ أي لأعذبنّكم. ولاعتنائه تعالى بالرحمة، صرّح بالوعد وعرّض بالوعيد كما هو عادته.

[٨]ـ ﴿وَقالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِى الأَرْضِ جَمِيْعًا﴾ لم تضروا بكفركم إلاّ أنفسكم بحرمانها النعم، وتعرضيها للنقم ﴿فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ﴾ عن شكركم ﴿حَمِيدٌ﴾

أهل للحمد، محمود في الملأ الأعلى.

[٩]ـ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَومِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ خطاب لقوم نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم أو من قول موسى. استفهام تقرير ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ عطف على ما قبله ﴿لا يَعْلَمُهُمْ﴾ اعتراض، أو خبر «الذين» والجملة اعتراض؛ أي لا يعلم عددهم لكثرتهم ﴿إلاّ اللهُ﴾.

وتلاها «ابن مسعود»، وقال: كذب النسابون[1] ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالدلائل على صدقهم ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ عضوها على الرّسل غيظاً.

أو وضعوها عليها أمراً للرسل بالسكوت، أو استهزاءً بهم كمن غلبه الضحك، وأشاروا بها الى ما نطقت أفواههم من قولهم: إنّا كفرنا، أي هذا جوابنا لكم لا غير، أو وضعوها على أفواه الرسل لئلا ينطقوا؛ أو وضعوا أيدي الرسل على أفواههم لذلك.

أو أريد بالأيدي النعم وهي ما نطقت به الرسل من الحجج، أي ردوا حججهم من حيث جاءت بأن كذّبوها ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ بزعمكم ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنا إِلَيْهِ﴾ من الدين ﴿مُرِيبٍ﴾ موجب للريب.

[١٠]ـ ﴿قالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ﴾ رفع بالظرف، والهمزة للإنكار، أي لا شك في وحدانيته للدلائل الجليّة عليها ﴿فَاطِرِ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ﴾ خالقهما صفة ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ الى توحيده ﴿لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ بعضها وهو حقه، لسقوطه بالإسلام لا المظالم ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ بلا مؤاخذة ﴿إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ وقت الموت ﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ بَشَرٌ مِّثْلُنا﴾ لا تفضلوننا بما يوجب إيثاركم علينا ﴿تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونا عَمَّا كانَ يَعْبُدُ ءَاباؤُنا﴾ من الأصنام ﴿فَأْتُونا بِسُلْطانٍ مُبِينٍ﴾ بحجّة واضحة تصدّقكم. لم يعتدوا بما جاؤا به من المعجزات واقترحوا غيرها.

[١١] ـ ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ كما قلتم ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يَمُنُّ

---

(١) رواه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٣: ٣٠٥.

عَلَى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾ بالنبوّة، فلقد منّ علينا بها واصطفانا لها ﴿وَمَا كانَ﴾ ما صحّ ﴿لَنا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إلاّ بِإِذْنِ اللهِ﴾ بأمره أي ليس ذلك بوسعنا، وانما هو متعلق بمشيئته تعالى ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ في أمورهم.

[١٢] ـ ﴿وَما لَنا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ﴾ أي لا عذر لنا في ذلك ﴿وَقَدْ هَدَانا سُبُلَنا﴾ الموصلة لنا الى معرفته وخففه «أبو عمرو»[١] ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا ءَاذَيْتُمُونا﴾ فإنه تعالى يكفيناكم ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ فإنه يكفيهم.

[١٣] ـ ﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا﴾ حلفوا أن يخرجوهم إلاّ أن يصيروا كفرة مثلهم ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾ الى الرسل ﴿رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين.

[١٤] ـ ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ﴾ أرضهم ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾.

في الحديث: من آذى جاره ورثّه الله داره[٢] ﴿ذَلِكَ﴾ الإسكان بعد إهلاك الظلم ﴿لِمَنْ خافَ مَقامِي﴾ الذي أقيمه فيه للحساب، أو قيامى عليه رقيباً ﴿وَخَافَ وَعِيْدِ﴾ أي عقابي وأثبت «ورش» الياء وصلاً.[٣]

[١٥] ـ ﴿وَاسْتَفْتَحُواْ﴾ طلب الرسل من الله الفتح على الكفار، أو الحكم بينهم وبينهم، أو: سأله الكفار نصر المحق على المبطل ﴿وَخابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيْدٍ﴾ أي: فافلح الرسل وخسر كل متكبر عن قبول الحق، معاند له.

[١٦] ـ ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾ أي أمامه، وهو من الأضداد، أو: سمّي المستقبل به مجازاً كأنّه أتي من خلف ﴿وَيُسْقَى﴾ عطف على مقدر أي يصلاها ويسقى ﴿مِنْ مَّاءٍ صَدِيْدٍ﴾ عطف بيان لـ«ما» وهو ما يسيل من فروج الزناة في النار من القيح والدم.

---

(١) اي «سبلنا» بسكون الباء ينظر تفسير روح المعاني ١٣ : ١٧٨.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣ : ٣٠٨ وتفسير البرهان ٢ : ٣٠٨.

(٣) التيسير في القراءات السبع : ١٣٥.

[١٧] ـ ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ يشربه جرعة جرعة ﴿وَلا يَكادُ يُسِيغُهُ﴾ ولا يقارب أن يزدرده[١] لنتنه وبشاعتـه وحرارته ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ﴾ اي أسبابه ومـوجباته ﴿مِنْ كُلِّ مَكانٍ﴾ من جسـده أو من كلّ جهـة ﴿وَما هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ فيستريح ﴿وَمِنْ وَرائِهِ﴾ امامـه ﴿عَذابٌ غَلِيظٌ﴾ هو الخلود في النار، أو من بعد هذا العذاب عذاب أشدّ منه.

[١٨] ـ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَـرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ مبتـدأ حذف خبـره، أي فيما يقـصّ عليكم صفتهم ﴿أَعْمالُهُمْ كَرَمادٍ﴾ استئناف، لبيـان مثلهم، أو هو الخبر أو «أعمـالهم» بدل من المثل، والخبر: «كرماد» ﴿اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾ ذرته، وجمعه «نافع» [٢]﴿فِي يَوْمٍ عاصِفٍ﴾ شديد الـريح. شبه ما عملوا من صلـة وصدقة وعتق ونحوها فـي بطلانها، لعـدم ارادتهـم بهـا وجـه الله أو من عبادة الأصـنام، برمادٍ نسفته الريـح العاصـفة ﴿لاَ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ﴾ عملوا في الدنيا ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾ أي لا ينتفعون به يـوم القيامة ﴿ذَلِكَ﴾ أي عملهم ﴿هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ﴾ عن الحق أو عن النفع.

[١٩]ـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أيها السامع ﴿أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَواتِ وَالأَرْضَ بِـالْحَقِّ﴾ بمقتضى الحكمة وقرأ «حمـزة» و«الكسائي»: «خالق» [٣]﴿إِنْ يَشأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يفنيكم ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ مكانكم فإن مـن خلق السماوات والأرض وأنشـأكم، قـادر على تبديلكم بغيركم.

[٢٠] ـ ﴿وَما ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ﴾ بصعب.

[٢١] ـ ﴿وَبَرَزُوا للهِ﴾ عبّر بالمـاضي لتحققه، أي يبرزون من قبورهم يـوم القيامة لحكمه ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعيـن ﴿فَقالَ الضُّعَفاءُ﴾ الأتباع ﴿لِلَّذِيـنَ اسْتَكْبَرُواْ﴾ عن الإيمان وهم قادتُهـم المتبوعون ﴿إِنَّا كُنَّـا لَكُمْ تَبَعًا﴾ في الكفـر، جمع تابـع كخدم وخادم ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ «من» الأولى بيانية

---

(١) اي يتبلعه.
(٢) تفسير البيضاوي ٣: ٧٥.
(٣) حجة القراءات: ٣٧٦ وتفسير مجمع البيان ٣: ٣٠٩.

والثانية تبعيضيه، أي بعض شيء هو عذاب الله، أو هما للتبعيض أي بعض شيء هو بعض عذاب الله ﴿قَالُواْ﴾ أي المتبوعون ﴿لَوْ هَدَانا اللهُ﴾ الى طريق الخلاص من العقاب ﴿لَهَدَيْناكُمْ﴾ أي لو خلصنا لخلّصناكم أيضاً ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنا أَجَزِعْنا أَمْ صَبَرْنا ما لَنا مِنْ مَّحِيْصٍ﴾ مفرّ ومنجى.

[٢٢] ـ ﴿وَقالَ الشَّيْطانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ﴾ فرغ منه ودخل السعداء الجنة، والأشقياء النار وجعلوا يلومونه ﴿إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ بالبعث والجزاء، فوفى لكم ﴿وَوَعَدْتُكُم﴾ خلاف ذلك ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ الوعد ﴿وَمَا كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطانٍ﴾ تسلّط وقهر، فأجبركم على الضلال وفتح «حفص» الياء[١] ﴿إِلاّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ﴾ لكن دعائي اليكم اياه بالوسوسة، وقد يجعل استثناءً متصلاً بجعل الدعاءمن جنس التسلط مجازاً ﴿فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ باختياركم ﴿فَلا تَلُومُوني﴾ بدعائي لكم إذ شأن العداوة ذلك ﴿وَلُومُواْ أَنْفُسَكُمْ﴾ بما جنيتموه حيث أجبتم دعائي وأعرضتم عن دعاء ربكم.

ويفيد أن العبد مختار في فعله وليس من الله إلاّ التمكين، ولا من الشيطان إلاّ التنزيين، وإلاّ لقال: فلا تلوموني ولا أنفسكم فإن الله جبركم. والحجة عدم انكار الله عليه لا قوله ﴿مَّا أَنا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ بمغيثكم ﴿وَما أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾ بمغيثي، بفتح الياء وكسرها «حمزة» لالتقاء الساكنين[٢] وضعفه النحاة[٣] ﴿إِنّي كَفَرْتُ بِما أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ بإشراككم ايّاي مع الله في الدنيا يعني تبرأت منه أو بالذي أشركتمونيه، أي جعلتموني شريكاً له بإجابتكم دعوتي من قبل أن أشركتمونيه حين أبيت السجود لآدم. وأثبت «أبو عمرو» الياء وصلاً[٤] ﴿إِنَّ الظّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ من قوله،

(١) كتاب السبعة في القراءات: ٣٦٤.

(٢) حجة القراءات: ٣٧٧ وتفسير البيضاوي ٣: ٧٦ وكتاب السبعة في القراءات: ٣٦٢.

(٣) حجة القراءات: ٣٧٧.

(٤) التيسير في القراءات السبع: ١٣٥.

أو ابتداء وعيد من الله تعالى.

[٢٣] ـ ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيْها بِإذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بأمره ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيْها﴾ من الملائكة أو فيما بينهم ﴿سَلامٌ﴾.

[٢٤] ـ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً﴾ كيف بيّنه، جعل ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ وهو تفسير «ضرب الله مثلاً»، أو «كلمة» بدل من «مثلاً» و«كشجرة» صفتها.

والكلمة الطيبة: كلمة التوحيد، أو ما دعا الى الحق.

والشجرة الطيبة: النخلة أو شجرة في الجنة، أو شجرة بهذا الوصف وان لم توجد.

وعن الباقر عليه السّلام: أنها النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، وفرعها عليّ، وعنصرها فاطمة، وثمرها أولادها، وورقها شيعتنا[1] ﴿أَصْلُها ثَابِتٌ﴾ في الأرض ﴿وَفَرْعُها﴾ رأسها ﴿فِي السَّماءِ﴾.

[٢٥] ـ ﴿تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ﴾ تعطي ثمرها كلّ ستة أشهر، أو كلّ سنة، أو كلّ وقت ﴿بِإذْنِ رَبِّها﴾ بأمره ﴿وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثالَ﴾ يبيّنها ﴿لِلْنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون بتدبرها.

[٢٦] ـ ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيْثَةٍ﴾ هي كلمة الكفر، أو ما دعا الى الباطل ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيْثَةٍ﴾ هي الحنظل أو الكشوث[2] أو مالا ينتفع بها.

وعن الباقر عليه السّلام أنها «بنو أُمية»[3] ﴿اجْتُثَّتْ﴾ اقتلعت جثتها ﴿مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ ما لَها مِنْ قَرارٍ﴾ استقرار.

---

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ٣١٢ وتفسير البرهان ٢: ٣١٠.

(٢) في «ط» هي الباطل او الكفر ـ والكشوث: نبات يلتفّ على الشوك والشجر لااصل في الارض ولاورق ـ.

(٣) تفسير مجمع البيان ٣: ٣١٣ تفسير البرهان ٢: ٣١١.

[٢٧] ـ ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ أي بكلمة التوحيد المتمكنة في قلوبهم بالحجة ﴿فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيا﴾ حتّى لو فتنوا في دينهم لم يزلّوا ﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾ أي في القبر فلا يتلعثمون[١] إذا سألهم الملكان عن ربهم ودينهم ونبيّهم وإمامهم، وفي الموقف فلا يبهتون لهوله ﴿وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ﴾ لا يثبتهم في الدارين بسبب ظلمهم وكفرهم ﴿وَيَفْعَلُ اللهُ ما يَشَاءُ﴾ من تثبيت المؤمن وتخلية الكافر وكفره.

[٢٨] ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللهِ﴾ أي شكرها كفراً وضعوها موضعه، أو بدلوا نفسها ﴿كُفْرًا﴾ أي سلبوها فاعتاضوا عنها بالكفر، ككفرة قريش، أسكنهم الله حرمه ووسّع عليهم رزقه، وأكرمهم بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، فكفروا ذلك، فقُحطوا وقُتلوا وأسروا يوم بدر؛ فتركوا النعمة ولزموا الكفر بدلها.

قال الصادق عليه السّلام: «نحن والله نعمة الله وبنا يفوز من فاز»[٢] ﴿وَأَحَلُّواْ قَومَهُمْ﴾ اتباعهم ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ الهلاك.

[٢٩] ـ ﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان ﴿يَصْلَوْنَها﴾ يدخلونها، حال منها، أو من القوم ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ المقرّ هي.

[٣٠] ـ ﴿وَجَعَلُواْ للهِ أَنْدَادًا﴾ أمثالاً ﴿لِيُضِلُّوا﴾ بفتح الياء لـ«ابن كثير» و«ابي عمرو»، وبضمها لغيرهما،[٣] واللام للعاقبة ﴿عَنْ سَبِيْلِهِ﴾ دينه ﴿قُلْ تَمَتَّعُواْ﴾ بما تهوون في الدنيا الزائلة. أمر تهديد. ﴿فَإِنَّ مَصِيْرَكُمْ﴾ مآلكم ﴿إِلَى النَّارِ﴾ والخلود فيها.

[٣١] ـ ﴿قُلْ لِعِبادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مقول «قل» محذوف، دل عليه جوابه أي: قل لهم أقيموا الصلاة وانفقوا ﴿يُقِيْمُواْ الصَّلوةَ وَيُنْفِقُواْ مِمَّا رَزَقْناهُمْ﴾ أو: مقوله

---

(١) التلعثم في الكلام: الإضطراب فيه.

(٢) تفسير البرهان ٢: ٣١٦.

(٣) حجة القراءات: ٣٧٨.

الفعلان، بتقدير لام الأمر لدلالة «قل» عليه. وسكن ياء «عبادي» «ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي»[1] ﴿سِرًّا وَعَلانِيَةً﴾ حالان أو مصدران ﴿مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ﴾ لا افتداء ﴿فِيهِ﴾ بمال ﴿وَلا خِلالٌ﴾ مخالة، أي: صداقة نافعة، وفتحهما «ابن كثير» و«أبو عمرو».[2]

[٣٢] ـ ﴿اللهُ﴾ مبتدأ، خبره ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ بيان لقوله ﴿رِزْقًا﴾ طعاماً ولباساً. وهو مفعول أخرج ﴿لَّكُمْ وسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ﴾ السفن ﴿لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ بإرادته إلى مقاصدكم ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الأنهارَ﴾ العذبة لانتفاعكم.

[٣٣] ـ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائبَيْنِ﴾ جاريين، لا تفتران لمصالحكم ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ﴾ لسباتكم ﴿وَالنَّهارَ﴾ لمعاشكم.

[٣٤] ـ ﴿وَءَاتاكُمْ مِّنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ﴾ بعض جميع ما سألتموه، أي من كلّ شيء سألتموه شيئاً، أو شيئاً من حقه أن يسئل للحاجة إليه، سئل أم لا. و«ما» موصوفة أو موصولة ﴿وَإِنْ تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ﴾ أي أنعامه ﴿لا تُحْصُوهَا﴾ لا تطيقوا عدّها لعدم تناهيها ﴿إِنَّ الإِنْسانَ لَظَلُومٌ﴾ كثير الظلم للنعمة بترك شكرها، أو لنفسه بالمعاصي ﴿كَفَّارٌ﴾ شديد الكفران، أو ظلوم في الشدة يجزع، كَفار في النعمة يمنع.

[٣٥] ـ ﴿وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ﴾ مكة ﴿ءَامِنًا﴾ ذا أمن لمن فيه ﴿وَاجْنُبْنِي﴾ بَعّدني ﴿وَبَنِيَّ﴾ أي الطف لي ولهم لطفاً نصير به في جانب عن ﴿أَنْ نعْبُدَ الأَصْنامَ﴾ سأل ذلك مع حصوله له للتثبيت وإظهار الإنقطاع إليه تعالى.

وأراد بنيّه لصلبه أو ما يعم أولادهم الموجودين حينئذ، أو المؤمنين منهم.

[٣٦] ـ ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيْرًا مِّنْ النَّاسِ﴾ بعبادتهم لهنّ، أسند الإضلال اليها

---

(١) كتاب السبعة في القراءات: ٣٦٤.

(٢) تفسير البيضاوي ٣: ٧٨.

لأنها سببه مثل: فَتَنَتْهم الدنيا ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي﴾ على ديني ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ أي بعضي، لشدة اختصاصه بي ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ هذا فيما دون الشرك، أو قبل علمه بأن الله لا يغفره، أو مقيد بالتوبة.

[٣٧]-﴿رَّبَّنَا إِنِي﴾ وفتح «الحرميان» و«أبو عمرو» الياء[١] ﴿أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ بعضها وهو اسماعيل ومن ولد منه.

قال الباقر عليه السّلام: نحن بقية تلك العترة، وكانت دعوة ابراهيم عليه السّلام لنا[٢] ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ وادي مكة ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ الذي حرمت التعرض له، فلم يزل ممنّعاً عن كل جبار، أو منعت منه الطوفان ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلوةَ﴾ أي إنما أسكنتهم بهذا الوادي لإقامة الصلاة عند بيتك ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ﴾ «من» للتبعيض، أي أفئدة من افئدة الناس.

قيل: لو قال افئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم، ولحجت اليهود والنصارى،[٣] وعن «هشام» بياء بعد همزة[٤] ﴿تَهْوِي﴾ تميل وتحنّ ﴿إِلَيْهِمْ﴾ من هوى يهوى: سقط.

وعن أهل البيت عليهم السّلام: «تهوى» بفتح الواو، أي تحب،[٥] وعدّي بـ«الى» لتضمنه معنى الميل ﴿وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ لك، فأجاب الله دعاءه.

[٣٨]-﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ ما نُخْفِي﴾ نسرُّ ﴿وَما نُعْلِنُ﴾ نظهر ﴿وَما يَخْفَى عَلَى اللهِ

---

(١) كتاب السبعة في القراءات: ٣٦٤.
(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٣١٨.
(٣) تفسير البيضاوي ٣: ٧٩ ومعناه في تفسير مجمع البيان ٣: ٣١٩.
(٤) اتحاف فضلاء البشر ٢: ١٧٠.
(٥) تفسير مجمع البيان ٣: ٣١٧.

﴿مِنْ شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ﴾ من قول ابراهيم، أو تصديق من الله لإبراهيم.

[٣٩] ـ ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلى الْكِبَرِ﴾ مع كبر السنّ واليأس من الولد ﴿إِسْمعيْلَ﴾ ولد له، وله تسع وتسعون سنة، ﴿وَإِسْحٰقَ﴾ ولد [له]،[1] وله مائة واثنتا عشرة سنة ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيْعُ الدُّعاءِ﴾ مجيبه.

[٤٠] ـ ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي﴾ بلطفك ﴿مُقِيْمَ الصَّلوةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ واجعل منهم من يقيمها، ولم يدع للكل لإعلام الله له أن فيهم كفاراً ﴿رَبَّنا وَتَقَبَّلْ دُعاءِ﴾ أثبت الياء وصلاً «ورش» و«أبو عمرو» و«حمزة»،[2] ومطلقاً «البزي»،[3] أي: أجبه، أو تقبل عبادتي.

[٤١]ـ ﴿رَبَّنا اغْفِرْ لِي﴾ لم يسبق منه ذنب، وانما استغفر انقطاعاً إليه تعالى ﴿وَلِوالِدَيَّ﴾ دلّ على انهما لم يكونا كافرين، وان أباه الكافر هو عمّه أو جده لأمّه ﴿وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسابُ﴾ يثبت كالقائم على رجله، أو يقوم أهله له.

[٤٢] ـ ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ غافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ خطاب له صلّى الله عليه وآله وسلّم لتثبيته على ما كان عليه من انه تعالى عالم بهم، ووعد بأنه مجازيهم عليه.

وفيه تسليه للمظلوم وتهديد للظالم ﴿إِنَّما يُؤَخِّرُهُمْ﴾ يؤخر[4] عقابهم ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبصارُ﴾ أي أبصارهم فلا تستقر، أو لا تنطبق للرعب من هول المطلع.

[٤٣] ـ ﴿مُهْطِعِيْنَ﴾ مسرعين أو ينظرون في ذلٍ وخشوع ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ رافعيها الى السّماء ﴿لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ لا يغمّضون عيونهم، بل هي شاخصة

---

(١) الزيادة اقتضاها السياق.

(٢) اتحاف فضلاء البشر ٢ : ١٧١ .

(٣) تفسير مجمع البيان ٣ : ٣١٧ .

(٤) في النسخ: نؤخّر.

دائماً ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ قلوبهم خالية من العقل للدهشة والفزع، أو خالية من الخير.

[٤٤] ـ ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ هو يوم القيامة، أو يوم الموت، مفعول ثان لـ«أنذر» ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ ـ كفروا ـ: ﴿رَبَّنا أَخِّرْنا إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أي: ردّنا الى الدنيا، وأمهلنا الى أمد من الزمان قريب ﴿نُجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ بالتوحيد ﴿وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾، فيجابون تقريعاً: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿ما لَكُمْ مِّنْ زَوَالٍ﴾ عنها الى الآخرة.

[٤٥] ـ ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَساكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر والتكذيب من الأمم الماضية ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ بتواتر أخبارهم ومعاينة آثارهم ﴿كَيْفَ فَعَلْنا بِهِمْ﴾ من صنوف العقوبات ﴿وَضَرَبْنا لَكُمُ الأَمْثَالَ﴾ بيّنا لكم صفات ما فعلوا، وفعل بهم فلم تعتبروا، أو ما في القرآن من دلائل القدرة على البعث والعذاب المعجّل والمؤجّل.

[٤٦] ـ ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ﴾ جهدوا في إبطال أمر الرسل، أو أمر محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم والمراد: قريش ﴿وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ﴾ أي علمه أو جزاؤهم ﴿وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبالُ﴾ «إنْ» نافية، واللام لتأكيد النفي، أي: مكرهم أضعف من أن يزيل ما هو كالجبال الثابته، دين الرسل، أو دين محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، أو مخففة، أي: وان الشأن كان مكرهم العظيم معدّاً لذلك. وفتح «الكسائي» «اللام»، ورفع «تزول» على انها المخففة واللام فارقة[1] والمعنى كما مرّ.

[٤٧] ـ ﴿فَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ قدم ثاني المفعولين ليُعلم انه لا يخلف وعده مطلقاً فكيف يخلف رسله ﴿إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يغلب

---

(١) اتحاف فضلاء البشر ٢ : ١٧١ وحجة القراءات: ٣٧٩.

﴿ذُو انْتِقامٍ﴾ من الكفرة .

[٤٨] ـ ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الارْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾ ظرف لـ«انتقام» أو منصوب بـ«اذكر» مقدراً ﴿وَالسَّمَوَاتُ﴾ وتبدل السماوات غيرها .

قيل : هي تلك الأرض وانما تبدل صفتها ،[1] فيذهب بجبالها وآجامها وتبقى بيضاء لم يعمل عليها خطيئة ، وكذا السماء يذهب بشمسها وقمرها ونجمها .

وقيل تبدل ذاتهما[2] وينشأ غيرهما .

وعن أهل البيت عليهم السّلام : تبدل الأرض خبزة نقية ، تأكل الناس منها حتّى يفرغ من الحساب[3] ﴿وبَرَزُواْ﴾ من قبورهم ﴿لله﴾ لمحاسبته ﴿الْوَاحِدِ﴾ الذي لا نظير له ﴿الْقَهَّارِ﴾ لكل ما سواه فلا ملجأ لأحد إلاّ إليه .

[٤٩] ـ ﴿وَتَرَى الْمُجرِمِيْنَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِيْنَ فِى الأَصْفادِ﴾ في القيود أي مشدودين مع الشياطين ، أو يقرن بعضهم ببعض ، أو تقرن أيديهم وأرجلهم الى رقابهم .

[٥٠] ـ ﴿سَرَابِيْلُهُمْ﴾ قمصهم ﴿مِّنْ قَطِرَانٍ﴾ هو ما يسيل من الأبهل[4] يطلى به الإبل الجرباء ، أسود ، منتن يسرع فيه اشتعال النار يطلى به أهل النار فيصير لهم كالقميص ليكون أبلغ في عذابهم ، ويتفاوت القطراناں كتفاوت النارين ﴿وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ تعلوها ، خصت بالذكر لأنها أعز الأعضاء وأشرفها ، فعبّر

(١) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير البيضاوي ٣ : ٨١ـ.

(٢) نقل معناه البيضاوي في تفسيره ٣ : ٨١ ، وانظر تفسير مجمع البيان ٣ : ٣٢٤ .

(٣) تفسير نور الثقلين ٢ : ٥٥٥ـ عن الكافي وروضة الكافي ـ وتفسير البرهان ٢ : ٣٢٢ .

(٤) الابهل : هو شجر كبير ورقه كالطرفاء وثمره كالنبق وليس بالعرعر ويسيل منه مادة دهنية تسمى بـ«القطران» .

بهـا عن الكل.

[٥١] ـ ﴿لِيَجْزِيَ اللهُ كُلَّ نَفْسٍ﴾ متعلق بـ«برزوا» ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ ان خيراً فخيراً، وان شرّاً فشرّاً ﴿إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسابِ﴾ إذ لا يشغله شيء عن شيء.

[٥٢] ـ ﴿هَذَا﴾ أي القـرآن أو السـورة ﴿بَلاغٌ﴾ كفايـة ﴿لِلنَّاسِ﴾ لينصحوا ﴿وَلِيُنْذَرُواْ بِهِ﴾ هذا البلاغ ﴿وَلِيَعْلَمُواْ﴾ بتأمّل دلائله ﴿أَنَّما هُوَ﴾ أي الله ﴿إِلهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ﴾ يتذكر أي يتعظ ﴿أُوْلُواْ الأَلْبابِ﴾ ذووا العقول.

سورة الحجر

[١٥]

تسع وتسعون آية مكية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ـ ﴿الٓر تِلْكَ﴾ الآيات ﴿ءَايَاتُ الْكِتابِ﴾ أي القرآن. والإضافة بمعنى «من» أو السورة ﴿وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ﴾ أي آيات الله الجامع لكونه كتاباً وقرآناً، مبيّنا للحق من الباطل. ونُكرّ تفخيماً.

[٢] ـ ﴿رُبَمَا﴾[1] وخففها «نافع» و«عاصم» [2]و«ما» كافة لها عن العمل ومسوّغة لدخولها على الماضي، ودخلت على «يودّ» لأنه في إخباره تعالى كالماضي في تحققه، وقيل «ما» نكرة موصوفة ﴿يَوَدُّ﴾ يتمنى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوْا﴾ يوم القيامة إذا صاروا الى النار وصار المسلمون الى الجنة ﴿لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ ومعنى التقليل هنا أنهم لو كانوا يودون الإسلام مرّة، لكان جديراً أن يسارعوا إليه، فكيف وهم يودّونه كلّ ساعة؛ أو أن الأهوال تدهشهم فإن أفاقوا في بعض الأحيان تمنّوا ذلك.

---

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «ربما» بالتخفيف ـ كما سيشير اليه المؤلّف.

(٢) حجة القراءات: ٣٨٠.

[٣] ــ ﴿ذَرْهُمْ﴾ دعهم ﴿يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ بدنياهم ﴿وَيُلْهِهِمُ﴾ يشغلهم ﴿الأَمَلُ﴾ الطويل، الكاذب عن الإيمان ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وبال ما صنعوا إذا حلّ بهم، وفيه تهديد وتحذير عن ايثار الشهوات، والإغترار بالأمل.

[٤] ـ ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَها كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ أجل مضروب لهلاكها كُتب في اللوح، والجملة المستثناة صفة «قرية» والواو لتأكيد لصوقها بالموصوف.

وقيل: حال عنها مع نكارتها،[1] لعدم اللبس بالصفة للفصل بالواو، وبـ«إلاّ».

[٥] ـ ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ يتأخّرون عنه.

والتذكير باعتبار المعنى.

[٦] ـ ﴿وَقَالُوا﴾ للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم تهكّما: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ القرآن في زعمه ﴿إِنَّك لَمَجْنُونٌ﴾ إذ تدّعي أنه نزّل عليك.

[٧] ـ ﴿لَوْ مَا﴾ هلاّ ﴿تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ﴾ ليشهدوا بصدقك أو ليعاقبونا على تكذيبك ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعواك.

[٨] ــ ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ﴾ بالنون ونصب الملائكة لـ«حفص» و«حمزة» و«الكسائي»،[2] وقرأ «أبو بكر» بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة،[3] والباقون كذلك لكنهم يفتحون التاء[4] وجعلها «البيضاوي» شاذة، وإن قراءتهم بالياء ونصب الملائكة على أن الضمير لله تعالى[5] وهو خلاف المنقول ﴿إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ بمقتضى الحكمة، ولا حكمة في أن تأتيكم عياناً لعلمه بإصراركم على الكفر؛ فيصير إنزالهم عبثاً، أو موجباً لاستئصالكم ان لم تؤمنوا، ومنكم ومن أولادكم من علم انه سيؤمن

(١) في تفسير البيضاوي ٣: ٨٣: لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت(اي الواو) عليها تأكيداً للصوقها بالموصوف.

(٢ـ٣ـ٤) اتحاف فضلاء البشر ٢: ١٧٤ وحجة القراءات: ٣٨١.

(٥) تفسير البيضاوي ٣: ٨٣.

﴿وَمَا كَانُوٓا إِذًا﴾ أي حين نزولهم ﴿مُنظَرِينَ﴾ ممهلين .

[٩] ـ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ القرآن، واكّد لأنه ردّ لإنكارهم ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ عن الزيادة والنقص والتحريف والتبديل بايداعه صدور أهله المعصومين من أئمة الهدى من آل محمّد عليهم السّلام، وادخاره عندهم واحداً بعد واحد الى قائمهم، مكتوباً بخط سيدهم أمير المؤمنين عليه السّلام كما أنزله جبرئيل على محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم كما قال صلّى الله عليه وآله وسلّم :

إني تارك فيكم الثقلين، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، [١] فلا ينافيه ما ورد عنهم عليهم السّلام مما يؤذن بنقص ما هو في أيدي الناس [٢] وقيل الهاء للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم . [٣]

[١٠] ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ رسلاً ﴿فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾ فرقهم .

[١١] ـ ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ كما استهزأ هؤلاء بك وهو تسلية له صلّى الله عليه وآله وسلّم .

[١٢] ـ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي كما أنزلنا الذكر، أو كما سلكنا دعوة الرسل في قلوب الشيع ﴿نَسْلُكُهُ﴾ ندخل الذكر أي القرآن ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ مشركي قومك .

---

(١) حديث الثقلين ـ روى حديث الثقلين الكثير من الحفاظ وائمّة الحديث بألفاظ متقاربة ومنهم: مسلم في ٧/ باب فضائل علي ١٢٢، والترمذي ٥/ ٦٦٣، والدارمي ٢/ ٤٣١، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٤٣ و٣/ ١١٠ و١٤٨ والطبراني في الكبير ٣/ ٣٧ و٣٨ و٦٢ و٦٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ١٦٣ و١٦٨ و١٩٥، وابونعيم في الحلية ٤/ ٣٠٦، واحمد بن حنبل في مسنده ١/ ٩١ و٣/ ١٤ و١٧ و٢٦ و٥٩ و٤/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧ و٣٧١، و٥/ ١٨١ ـ ١٨٢ و١٨٩، وفي كتاب الفضائل بالإرقام. ١٧٠ و٣٨٣ و٩٦٨ و٩٩٠ و١٠٣٢ و١٤٠٢ وغيرهم.

(٢) بل تنافيه لأنها تدل على عدم حفظ القرآن من قبل الله تعالى، لذلك نحن لانأخذ بمثل هذه الأخبار.

(٣) (اي الهاء في «له») قاله الفراء ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٣٣١ـ.

[١٣] ـ ﴿لَايُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالذكر، حال من الهاء في «نسلكه» أي غير مؤمن به ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ أي مضت سنة الله فيهم من إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم وهؤلاء مثلهم.

[١٤] ـ ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فِيْهِ﴾ في الباب ﴿يَعْرُجُونَ﴾ يصعدون اليها، أو تصعد الملائكة وهم يرونهم.

[١٥] ـ ﴿لَقَالُوْا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ سدّت عن الأبصار، من سكر الشّق، أو حُيّرت من «سكر الشراب» وخففه «ابن كثير»[١] ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ سحرنا محمّد، فَخيَّل لنا[٢] ما لا حقيقة له.

[١٦] ـ ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّماءِ بُرُوجًا﴾ اثنى عشر، دالة باختلاف طبائعها وخواصها مع تساويها في الجسمية على صانع حكيم ﴿وَزَيَّنَاهَا﴾ بالكواكب ﴿لِلنَّاظِرِيْنَ﴾ نظر اعتبار بل لكل ناظر اليها.

[١٧] ـ ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيْمٍ﴾ فلا يدخلونها ولا يطّلعون عليها.

[١٨] ـ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ حفظه منها ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِيْنٌ﴾ شعلة نار ظاهرة لمن يراها، ويقال: للكوكب.

قيل: كانوا لا يحجبون عن السماوات، فلمّا ولد عيسى منعوا من ثلاث سماوات، فلما ولد محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم منعوا من كلها بالشهب.[٣]

[١٩]ـ ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ بسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيْهَا رَواسِيَ﴾ جبالاً ثوابت ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيْها﴾ في الأرض ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ بميزان الحكمة، أو متناسب كقولهم كلام موزون، أو ما يوزن من معدنيّ ونباتيّ.

---

(١) حجة القراءات: ٣٨٢.

(٢) في النسخ: الينا.

(٣) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٣٣٢ـ، وتفسير ابوالفتوح الرازي ٦: ١٦٢.

[٢٠] ـ ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيْهَا مَعَا يِشَ﴾ بالياء، ما تعيشون به من المطاعم والملابس ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِيْنَ﴾ عطف على «معايش» ويراد به العبيد والأنعام والدواب، فإنما رازقهم الله. و«من» لتغليب العقلاء، أو على محل«لكم» ويراد به العيال والخدم وغيرهم، أي أعشناكم وايّاهم.

[٢١] ـ ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ أي القدرة على ايجاده متضاعفاً الى ما لا نهاية له، والخزائن تمثيل لاقتداره تعالى ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ﴾ نوجده ﴿إِلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ تقتضيه الحكمة.

[٢٢] ـ ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ﴾ وأفرده «حمزة»[1] ﴿لَوَاقِحَ﴾ ملقحات للسحاب، أو الشجر، أو لاقحات أي حوامل للسحاب والماء ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ جعلناه لكم سقياً ﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ أي ليس عندكم خزائنه، أو لا تقدرون على حفظه في العيون والآبار.

[٢٣] ـ ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِ وَنُمِيْتُ وَنَحْنُ الوَارِثُونَ﴾ الباقون بعد فناء الخلق.

[٢٤] ـ ﴿وَلَقَدْ عِلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِيْنَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عِلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِيْنَ﴾ متقدمي الخلق زماناً ومتأخريهم، أو من تقّدم في الخير ومن أبطأ عنه، أو الأموات والأحياء، والظاهر العموم.

[٢٥] ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ للجزاء لا يقدر على ذلك سواه ﴿إِنَّهُ حَكِيْمٌ﴾ في أفعاله ﴿عَلِيْمٌ﴾ بكل شيء.

[٢٦] ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ﴾ آدم ﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾ طين يابس، إذا نقر: صلصل، أي صوّت ﴿مِنْ حَمَإٍ﴾ طين متغير أسود. والظرف صفة «صلصال» ﴿مَسْنُونٍ﴾ مصبوب أي افرغ صورة كما تفرغ الجواهر المذابة من سنّه: صبّه، كأنه أفرغه حتى صار صلصالاً، ثم غيره أطواراً حتى نفخ فيه الروح، أو مصور

(١) حجة القراءات: ٣٨٢.

من سنة الوجه .[١]

[٢٧] ـ ﴿وَالْجَانَّ﴾ أبا الجن ، قيل : هو ابليس ،[٢] ونصب بفعل يفسره ﴿خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل آدم ﴿مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ نار الريح الحارة النافذة في المسام، أو نار لا دخان لها ، فمن قدر على ابتداء خلق الثقلين من العنصرين ، وافاضته الحياة عليهم ، قدر على إعادتهم واحيائهم مرة أخرى .

[٢٨] ـ ﴿وَإِذْ﴾ واذكر إذ ﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ .

[٢٩] ـ ﴿فَإِذا سَوَّيْتُهُ﴾ عدلت صورته وأتممته ﴿وَنَفَخْتُ فِيْهِ مِنْ رُّوحِي﴾ أجريته أو أجريت آثاره فيه فحيي ، والنفخ : إجراء الروح في تجويف جسم .

والروح قيل جسم لطيف كالهواء سار في البدن ،[٣] وقيل[٤] جوهر مجرد غير متحيز ولا حالٍ فيه ، يتعلق أوّلاً بالبخار المنبعث من القلب في الشرايين ، فيسرى الى اعماق البدن ، واضافته إليه للتشريف ﴿فَقَعُوْا لَهُ﴾ لتكريمه ﴿سَاجِدِيْنَ﴾ لله تعالى .

[٣٠] ـ ﴿فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ تأكيد ثان للمبالغة في الشمول لا ليفيد اجتماعهم في السجود وإلاّ لانتصب حالاً .

[٣١] ـ ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ ان كان منقطعاً اتصل به ﴿أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِيْنَ﴾ وان كان متصلاً كان استئنافاً ، جواب قائل : هلا سجد :

[٣٢] ـ ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَالَكَ﴾ أيُّ غرض لك في ﴿أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِيْنَ﴾ .

---

(١) سنة الوجه ، اي صورته ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ٣٣٥ـ.

(٢) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ٣٣٥ـ.

(٣) قاله اكثر المتكلمين ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ٣٣٧ـ.

(٤) قاله الحسن والجبائي وابومسلم ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ٣٣٧ـ.

[٣٣] - ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ﴾ لا ينبغي لي أن أسجد ﴿لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ لأنه جسماني، وأنا روحاني، وأصلي أشرف من أصله، فعارض النص بقياس باطل.

[٣٤] - ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ من الجنة أو السماء ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ مطرود أو مرجوم بالشهب.

[٣٥] - ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ﴾ الإبعاد من رحمة الله ﴿إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ الجزاء، حدّ اللعن به جرياً على عادة العرب في التأبيد أو لأنه يعذب بما ينسى معه اللعن.

[٣٦] - ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾ أخرني ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ استنظره الى وقت لا موت فيه لئلا يموت، فلم يجبه إليه بل:

[٣٧] - ﴿قَالَ﴾ - له -: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾.

[٣٨] - ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ وقت النفخة الأولى حين يموت الخلائق، أو وقت أجلك المسّمى عند الله.

وقيل: يوم القيامة ولا يستلزم انه لا يموت لجواز موته أوّله، ويبعث الخلق في أثناءه.

[٣٩] - ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ نسبتني الى الغيّ، أو سببّته لي بأمرك إياي بالسجود، أو خيبتني من رحمتك، أو أضللتني عن طريق الجنة، والباء للقسم و«ما» مصدرية وجوابه: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ المعاصي ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ في الدنيا ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ بالدعاء الى الضلال حتى يضلّوا.

[٤٠] - ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ الذين أخلصتهم لطاعتك بلطفك، وكسره «ابن كثير» و«ابن عامر» و«أبو عمرو»، [1] أي الذين أخلصوا دينهم لله.

[٤١] - ﴿قَالَ﴾ - تعالى -: ﴿هَذَا﴾ أي الإخلاص ﴿صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾

(١) تفسير البيضاوي ٣ : ٨٧.

أي علـي أن أراعيه، أو على رضواني مروره أو المشار إليه.

[٤٢] ـ ﴿إِنَّ عِبَـادِي لَيْسَ لَـكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـانٌ﴾ تسلّـط ﴿إِلاَّ مَـن اتَّبَعَكَ مِـنَ الْغَاوِينَ﴾ فَإِنّه باختياره جعل لك على نفسه سطاناً. والإستثناء منقطع ان أريد بالعباد المخلصون، ومتصل ان عمّم.

[٤٣] ـ ﴿وَإِنَّ جَهَنَّـمَ لَمَـوْعِدُهُمْ﴾ أي ابليـس ومـن تبعـه ﴿أَجْمَعِيْنَ﴾ تـأكـيد للضمير.

[٤٤] ـ ﴿لَها سَبْعَةُ أَبْوابٍ﴾ أطباق، أسفلها جهنم، ثـم لظى، ثم الحطمة، ثم سقر ثم جحيم، ثم الهاوية، ثم السعير.

وقيل قسم قرار جهنم سبعة أقسام لكل قسم باب ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ﴾ من الأتباع حـال مـن قـوله ﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ مفـرز علـى حسب مـراتبهـم في المـتابعـة وثقّل «ابن كثير» «جزو».[١]

[٤٥] ـ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِيْنَ﴾ للشرك والمعاصي ﴿فِى جَنّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ هي الأنهار من ماء وخمر وعسل ولبـن، أو منابع غيرها. وضم العين «نافـع» و«أبو عمرو» و«حفص» و«هشام» حيث وقع، وكسرها غيرهم.[٢]

[٤٦] ـ ﴿ادْخُلُوهَا﴾ بتقدير القول ﴿بِسَلامٍ﴾ بسلامـة من الآفات ﴿ءَامِنِيْنَ﴾ من كلّ مخوف.

[٤٧] ـ ﴿وَنَزَعْنَا﴾ في الجنة ﴿مَا فِى صُدُورِهِم مِنْ غِلٍّ﴾ حقد، كان في الدنيا ﴿إِخْوَانًا﴾ حال منهم وكذا ﴿عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِيْنَ﴾ في جميع أحوالهم لا يرى بعضهم قفا بعـض، لدوران الاسرة بهـم. هذا إن تعلق «على» بـ«متقابلين» وإلاّ كانا حـالين بترادف وتداخل.

---

(١) في تفسير البيضاوي ٣: ٨٧ ـ وفيه: وقرأ ابوبكر: «جزؤ» بالثقيل ـ.

(٢) تفسير البيضاوي ٣: ٨٨.

[٤٨] ـ ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ تعب، حال أخرى، أو استئناف ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِيْنَ﴾ أبداً، وذلك تمام النعمة.

[٤٩] ـ ﴿نَبِّئْ﴾ خبّر ﴿عِبَادِي أَنِّي﴾ وفتح «أبو عمرو» و«الحرميان» الياءين[1] ﴿أَنَا الْغَفُورُ﴾ للمؤمنين ﴿الرَّحِيْمُ﴾ بهم.

[٥٠] ـ ﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾ لمستحقيه ﴿هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ والآيتان تقرير لما سبق من الوعيد والوعد، ثم حققه بما يعتبرون به من القصص بقوله:

[٥١] ـ ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيْمَ﴾ الملائكة.

[٥٢] ـ ﴿إِذْ دَخَلُوْا عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَامًا﴾ سلّمنا سلاماً ﴿قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ خائفون. خافهم لامتناعهم من الأكل، أو لدخلوهم بلا إذن.

[٥٣] ـ ﴿قَالُوْا لَاتَوْجَلْ﴾ لا تخف ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ وسكن «حمزة» الباء وضم الشين.[2] ﴿بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ إذا بلغ، وهو اسحاق.

[٥٤] ـ ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ حال أي مع مسّه إياي. قاله تعجباً من خرق العادة لا شكاً في قدرته تعالى، وكذا قوله: ﴿فَبِمَ﴾ فبأيّ شيء ﴿تُبَشِّرُونَ﴾ إذ البشارة بما يستبعد عادة بشارة بغير شيء، أو بأي وجه تبشرونني بالولد مع انتفاء الوجه المعتاد، وكسر «ابن كثير» «النون» مشدّدة،[3] و«نافع» مخففة،[4] وفتحها الباقون.[5]

[٥٥] ـ ﴿قَالُوْا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ بما يقع البتة، أو بوجه هوحق، وهو أمر الله القادر

---

(١) اتحاف فضلاء البشر ٢ : ١٧٦.

(٢) اتحاف فضلاء البشر ٢ : ١٧٧.

(٣) النشر في القراءات العشر ٢ : ٣٠٢ وتفسير القرطبي ١٠ : ٣٥.

(٤) النشر في القراءات العشر ٢ : ٣٠٢.

(٥) تفسير القرطبي ١٠ : ٣٥.

أن يخلق بشراً من غير أبوين، فكيف من هرمين ﴿فَلاَ تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ الآيسين.

[٥٦] ـ ﴿قَالَ وَمَنْ﴾ أي لا ﴿يَقْنَطُ﴾ كسره «أبو عمرو» و«الكسائي» وفتحه الباقون[١] ﴿مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إلاَّ الضَّالُّونَ﴾ الجاهلون قدرته و سعة رحمته.

[٥٧] ـ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ أي ما شأنكم الذي بعثتم له. علم من قرائن الحال أن المقصود ليس البشرى فقط.

[٥٨] ـ ﴿قَالُوْا إِنَّا أُرْسِلْنَا إلى قَوْمٍ مُجْرِمِيْنَ﴾ أي قوم لوط.

[٥٩] ـ ﴿إِلاَّ ءَالَ لُوطٍ﴾ استثناء منقطع من «قوم»، لتقييدهم بالأجرام أو متصل من الضمير في مجرمين، أي إلى قومٍ أجرم كلهم إلاّ آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِيْنَ﴾ متصل بـ«آل لوط» كالخبر لـ«لكن» إن انقطع الإستثناء، واستئناف إن اتصل. وخفف «حمزة» و«الكسائي» «منجوهم».[٢]

[٦٠] ـ ﴿إِلاَّ امْرَأَتَهُ﴾ استثناء من «آل لوط»، أو من ضمير «هم» ﴿قَدَّرْنَا﴾ وخففه «أبو بكر» حيث كان،[٣] أي قضينا ﴿إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الباقين مع المهلكين.

وأسندوا فعل الله إلى أنفسهم لاختصاصهم به تعالى، وعلّق لتضمنه معنى العلم.

[٦١] ـ ﴿فَلَمَّا جَاءَ ءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾.

[٦٢] ـ ﴿قَالَ﴾ ـ لهم لوط ـ: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ﴾ أي إني أنكركم. خاف أن يطرقوه بشرّ.

[٦٣] ـ ﴿قَالُوْا بَلْ جِئْنَاكَ﴾ أي ما جئناك بما توهمت، بل جئناك ﴿بِمَا﴾ يسرّك وهو العذاب الذي ﴿كَانُوْا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يشكّون حين توعدتّهم به.

---

(١) اتحاف فضلاء البشر ٢: ١٧٧.

(٢) اتحاف فضلاء البشر ٢: ١٧٨.

(٣) في سورة سبأ: ٣٤/ ١٨ ـ والواقعة: ٥٦/ ٦٠ سورة النمل: ٢٧/ ٥٧.

[٦٤] ـ ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ بعذابهم المتيقن ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ في قولنا .

[٦٥] ـ ﴿فَأَسْرِ﴾ بالقطع والوصل ـ كما مر ـ[١] ﴿بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ﴾ بطائفة ﴿مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُم﴾ سرْ خلفهم لتسوقهم وتعلم حالهم ﴿وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ لا ينظر وراءه لئلا يرى عذابهم فيفزع، أو لا يتخلف لغرض فيعمّه العذاب ﴿وَامْضُوْا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ بالمضي إليه وهو الشام أو مصر.

[٦٦] ـ ﴿وَقَضَيْنا﴾ أي: أوحينا ﴿إِلَيْهِ﴾ مقضياً ﴿ذَلِكَ الأَمْرَ﴾ يفسّره ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلآءِ مَقْطُوعٌ﴾ أي: يستأصلوهم عن آخرهم ﴿مُّصْبِحِيْنَ﴾ داخلين في الصبح .

[٦٧] ـ ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِيْنَةِ﴾ سدوم ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بالملائكة، طمعاً فيهم إذ كانوا في هيئة مرد حسان .

[٦٨] ـ ﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلآءِ ضَيْفِي فَلاَ تَفْضَحُونِ﴾ بفضيحتهم .

[٦٩] ـ ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ فيما حرَّم ﴿وَلاَ تُخْزُونِ﴾ تهينوني بسببهم أو تخجلوني فيهم .

[٧٠] ـ ﴿قَالُوا أَوَ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِيْنَ﴾ عن أن تضيف منهم أحداً وان تجير أحداً .

[٧١] ـ ﴿قَالَ هَؤُلآءِ بَنَاتِي﴾ من الصلب أو اراد نساءهم كما مرّ في «هود»[٢]. وفتح «نافع» الياء[٣] ﴿إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِيْنَ﴾ قضاء الوطر[٤] فزوّجوهنّ .

[٧٢] ـ ﴿لَعَمْرُكَ﴾ مبتدأ حذف خبره، أي: قسمي وهو لغة في العمر، اختص بالقسم، أقسم تعالى بحياة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، وقيل: هو قول الملائكة

(١) في الآية (٨١) من سورة هود .
(٢) في الآية (٧٨) من سورة هود .
(٣) اتحاف فضلاء البشر ٢ : ١٧٩ .
(٤) الوطر: الحاجة والبغية .

لـ«لوط»: [١] ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾ ضلالتهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتحيرون.

[٧٣] ـ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ الهائلة ﴿مُشْرِقِيْنَ﴾ في حال شروق الشمس.

[٧٤] ـ ﴿فَجَعَلْنا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ بأن رفعها جبريل وقلبها ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيْلٍ﴾ طين متحجّر.

[٧٥] ـ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ دلالات للمتفرّسين المعتبرين.

[٧٦] ـ ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي قراهم ﴿لَبِسَبِيْلٍ مُقِيمٍ﴾ ثابت تسلكه المارة ويرون آثارها.

[٧٧] ـ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً﴾ عبرة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٧٨] ـ ﴿وَإِنْ﴾ مخففة، أي: وانه ﴿كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ﴾ الشجر الملتف وهي غيطة[٢] بقرب مدين؛ وهم قوم شعيب كانوا يسكنونها ﴿لَظَالِمِيْنَ﴾ بكفرهم.

[٧٩] ـ ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بإهلاكهم بالحرّ والظُّلة وهي سحابة استظلوا بها من الحرّ فأحرقتهم بصاعقة ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ أي سدوم والأيكة، أو الأيكة ومدين، لدلالة الأيكة عليها، لأنه بُعث اليهما ﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِيْنٍ﴾ بطريق واضح.

وسمّي إماماً لأنه يؤم، وكذا اللوح.[٣]

[٨٠] ـ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ﴾ واد بين المدينة والشام وهم «ثمود» كانوا يسكنونه، ﴿الْمُرْسَلِيْنَ﴾ لأن تكذيبهم صالحاً تكذيب لسائر الرسل لمجيء الكل بالتوحيد.

[٨١] ـ ﴿وَءَاتَيْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا﴾ الناقة وما فيها من المعجزات ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِيْنَ﴾ لا يعتبرون بها.

[٨٢] ـ ﴿وَكَانُوْا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِيْنَ﴾ من خرابها وسقوطها عليهم، أو من العذاب.

---

(١) الغيط: البستان.

(٢) تفسير الكشّاف ٢: ١٩٤.

(٣) في تفسير الكشّاف ٢: ١٩٢: والإمام: اسم لما يؤتم به، واللوح: الذي يكتب فيه لأنها مما يؤتم به.

[٨٣] ـ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِيْنَ﴾ داخلين في الصبح.

[٨٤] ـ ﴿فَمَا أَغْنَى﴾ دفع ﴿عَنْهُمْ﴾ العذاب ﴿مَّا كَانُوْا يَكْسِبُونَ﴾ من نحت[١] القصور وجمع المال.

[٨٥] ـ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَواتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ إلاّ متلبسة بالحكم والأغراض الصحيحة كتعبّد أهلها، حتى لو خالفوا أوجبت الحكمة إهلاكهم ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ﴾ فنجازي كلاً بعمله ﴿فَاصْفَحِ الصَفْحَ الْجَمِيْلَ﴾ فاعرض عن قومك إعراضاً بحلم، قيل: نسخ بآية السيف[٢] وقيل: هو في حقوقه فلا نسخ.[٣]

[٨٦] ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاَّقُ﴾ الكثير الخلق ﴿الْعَلِيْمُ﴾ بخلقه وتدبيرهم.

[٨٧] ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا﴾ هي الفاتحة، وقيل: السور السبع الطوال،[٤] ويضعّف بأن اكثرها مدنية وهذه مكيّة ﴿مِنَ الْمَثَانِى﴾ بيان للسبع، وهو من الثناء لأنها تثني على الله تعالى بصفاته العظمى، أو من التثنية لأنها تثنّى تلاوتها، أو الفاظها.

وقيل: المثاني: القرآن[٥] و«من» تبعيضية ﴿وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيْمَ﴾ من عطف الكل على الجزء.

[٨٨] ـ ﴿لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي لا تنظرنّ نظر راغب ﴿إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ أصنافاً من الكفار فإنه حقير بالنسبة الى ما أوتيته من القرآن وغيره فإنه المؤدي الى النعيم الباقي ﴿وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ إن لم يؤمنوا ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ ألن جانبك ﴿لِلْمُؤْمِنينَ﴾:

[٨٩] ـ ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيْرُ﴾ للخلق من عذاب الله، وفتح «الحرميان» و«أبو

---

(١) النحت: الحفر في الجبل.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٣٤٤ ـ عن ابن عباس ـ.

(٣) في تفسير الكشّاف ٢: ١٩٢: ويجوز ان يراد به المخالفة فلايكون منسوخاً، ومعناه في تفسير مجمع البيان ٣: ٣٤٤.

(٤) قاله ابن عباس وابن مسعود وابن عمر ينظر تفسير القرطبي ١٤: ٥٢.

(٥) قاله ابومالك والضحاك ـ كما في تفسير القرطبي ١٤: ٥٧.

عمرو» الياء[1] ﴿الْمُبِينُ﴾ للإنذار بالحجج.

[٩٠] ـ ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا﴾ متعلق بـ«آتيناك» أي أنـزلنا عليك القرآن كما أنـزلنا ﴿عَلى الْمُقْتَسِمِيْنَ﴾ وهم أهل الكتاب.

[٩١] ـ ﴿الَّذِينَ جَعَلُوْا الْقُرءَانَ عِضِيْنَ﴾ أجزاء، حين آمنوا ببعض وكفروا ببعض، جمع عِضَة من عضى الشاة: فرّقها أعضاء.

أو: أريد بـالقرآن ما يقـرؤونه من كتبهـم، أو يتعلّق «كما» بـ«النذير» أي أنـذرهم عذاباً كما أنزلنا على المقتسمين لطـرق مكه يصدّون الناس عن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وفرقـوا القـرآن الى سحر وشعر وكهـانة وأساطيـر الأولين، وكانوا ستـة عشر، وقد أهلكهم الله.

[٩٢] ـ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ﴾ أي المقتسمين أو جميع المكلفين.

[٩٣]ـ ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الإقتسام، أو من كل عمل فنجازيهم عليه.

[٩٤] ـ ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ به: أجهـر به أو أفرق بين الحـق والباطل ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِيْنَ﴾ لا تبال بهم ولاتلتفت اليهم.

[٩٥] ـ ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ بأن أهلكنا كلاً منهم بآية وكانوا خمسة أو ستةً من أشراف قريش.

[٩٦] ـ ﴿الَّـذِينَ يَجْعَلُونَ مَـعَ الله إِلٰهًا ءَاخَـرَ﴾ صفـة أو مبتـدأ، خبـره ﴿فَسَوفَ يَعْلَمُونَ﴾ سوء عاقبتهم.

[٩٧] ـ ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيْقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ من تـكذيـبك والـطعن في القرآن.

[٩٨] ـ ﴿فَسَبِّحْ﴾ متلبساً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي قل: سبحـان الله وبحمده ﴿وَكُنْ مِنَّ السَّاجِدِينَ﴾ المصلين، وكان صلّى الله عليه وآله وسلّم إذا أحزنه أمر فزع الى الصلاة.

[٩٩] ـ ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِيْنُ﴾ أي الموت، سمّي يقينـاً لأنه متيقن، أي اعبده ما دمت حياً.

---

(١) النشر في القراءات العشر ٢ : ٣٠٢.

سورة النحل

[١٦]

مائة وثمان وعشرون آية، مكية إلاّ ﴿وإن عاقبتم﴾ الى آخرها.

وقيل: أربعون من أولها مكية، والباقي مدنية[1]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[١] - ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللهِ﴾ الموعود به وهو القيامة، وعبّر بالماضي لتحقق وقوعه أي دنا، أو عذاب الصيف كما وقع يوم بدر حين استبطأ المشركون ما وعدهم صلّى الله عليه وآله وسلّم من القيامة والعذاب ﴿فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ تطلبوه قبل وقته ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تنزّه وتعظّم عن اشراكهم به الأصنام وزعمهم انها تدفع ما أراد بهم، وقرأ «حمزة» و«الكسائي» بالتاء.[2]

[٢] - ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾ بالوحي أو القرآن، فإنه حياة للقلوب وإرشاد الى الدين، وقرأ «ابن كثير» و«أبو عمرو» «ينزل» من «أنزل». و«أبو بكر»: «تنزل» مضارعاً

---

(١) تفسير روح المعاني ١٣ : ٨٢.

(٢) اتحاف فضلاء البشر ٢ : ١٨٠ وحجة القراءات : ٣٨٤ـ٣٨٥.

مبيناً للمجهول[1] من التنزيل ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ بإرادته ﴿عَلَى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ أن يخصّه بالرسالة، وفيه رد لإنكارهم لاختصاصه بالعلم بدنوّ موعدهم ﴿أَنْ﴾ أي بأن أو أي ﴿أَنْذِرُوا﴾ خوّفوا الكفرة بالعقاب واعلموهم ﴿أَنَّهُ لاَ إِلـه إلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ خافوا مخالفتي.

[٣] ـ ﴿خَلَقَ السَّمَواتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ بمقتضي الحكمة ﴿تَعَالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به من خلقه.

[٤] ـ ﴿خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ ماء أي منّي لا حسّ به وَلا حراك ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيْمٌ﴾ منطيق[2] يجادل عن نفسه ﴿مُبِيْنٌ﴾ لحجته أو خصيم محاجّ لرّبه قائلاً: ﴿من يحيى العظام وهي رميم﴾.[3]

[٥] ـ ﴿وَالأَنْعامَ﴾ الإبل والبقر والغنم، ونصب بفعل يفسره ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ لانتفاعكم وبيّنها بقوله: ﴿فِيْهَا دِفْءٌ﴾ ما يستدفأ به من البرد من لباس ونحوه ﴿وَمَنَافِعُ﴾ من نَسل ودَرّ[4] وركُوب ﴿وَمِنْها تَأْكُلُونَ﴾ ما يؤكل منها كاللحوم والألبان، وقدم الظرف للفاصلة.

[٦] ـ ﴿وَلَكُمْ فِيْهَا جَمَالٌ﴾ زينة ﴿حِيْنَ تُرِيْحُونَ﴾ تردّونها إلى مراحها بالعشي ﴿وَحِيْنَ تَسْرَحُونَ﴾ ترسلونها إلى مرعاها بالغداة.

[٧] ـ ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ أحمالكم ﴿إِلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوْا بَالِغِيْهِ﴾ بأنفسكم من دون الأثقال ﴿إِلاَّ بِشِقِّ أَلأَنْفُسِ﴾ بمشقتها ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ بكم، حيث أنعم عليكم بخلقها لكم.

[٨] ـ ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيْرَ﴾ عطف على «الأنعام» ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِيْنَةً﴾ ولتتزينوا بها زينة، ولا دلالة لها على حرمة لحومها، إذ تعليل خلقها بما يقصد منهما

---

(١) تفسير البيضاوي ٣: ٩٢.

(٢) المنطيق: البليغ.

(٣) في سورة يس: ٣٦/ ٧٨.

(٤) الدرّ اللبن

غالباً لا يستلزم أن لا يقصد منها غيره ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من أنواع الحيوانات وغيرها أو مما أعدّ في الجنة والنار.

[٩] ـ ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ بيان الطريق المستقيم، المفضي الى الحق ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ ومن السبيل ما هو مائل عن القصد ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إلى قصد السبيل بالإلجاء، أو لهداكم الى الجنة تفضّلاً.

[١٠] ـ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾ ما تشربونه و«لكم» صلة «انزل» أو خبر «شراب»، و«من» للتبعيض تتعلق به ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ ينبت بسببه ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ ترعون أنعامكم من سامت الإبل: رعت، وأسامها صاحبها: رعاها.

[١١] ـ ﴿يُنْبِتُ﴾ وقرأ «أبو بكر» بالنون[١] ﴿لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً﴾ دلالة على وحدانيته تعالى وقدرته ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنعه المحكم العجب.

[١٢] ـ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ حال من جميعها؛ أي أعدها لمنافعكم حال كونها مسخَّرة بحكمه لما خلقها له، ورفع «ابن عامر» «الشمس» وما بعدها،[٢] مبتدأ و«مسخرات» خبراً وكذا «حفص» في «والنجوم مسخرات»[٣] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دلالات ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

[١٣] ـ ﴿وَمَا ذَرَأَ﴾ وسخّر ﴿لَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ من حيوان ونبات ومعدن ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ مع اتحاده جنساً أو نوعاً أو صنفاً ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ إن ذلك إنما يصدر عن قادر حكيم.

[١٤] ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾ هيأه لانتفاعكم به ركوباً، وأكلاً ولبساً ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً﴾ هي اللؤلؤ والمرجان

(١و٢) حجة القراءات: ٣٨٦ وتفسير مجمع البيان ٣: ٣٥١.

(٣) تفسير مجمع البيان ٣: ٣٥١.

﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ أنتم ونساؤكم يتـزيّن بها لأجلكم ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ﴾ السفن ﴿مَوَاخِرَ فِيْهِ﴾ جوار، تمخر الماء أي: تشقه بصدرها ﴿وَلِتَبْتَغُوْا﴾ تطلبوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ تعالى بركوبه للتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على هذه النعم التي لم يقدر عليها غيره.

[١٥] ـ ﴿وَأَلْقَى فِـى الأَرْضِ رَواسِيَ﴾ جبالاً ثـوابت ﴿أَنْ تَمِيْدَ بِكُمْ﴾ كراهة أن تضطرب. قيل: لما خلق الله الأرض جعلت تمور فقالت الملائكة: ما هي بمقرّ أحد على ظهرها، فأصبحت وقد أرسيت بالجبال ولم تدر الملائكة ممّ خلقت(1).

ولا ينافي ذلك حركتها بالزلازل، لأن ثبوت الحركة للجزء لا ينافي نفيها عن الكل ﴿وَأَنْهَاراً﴾ وجعل فيهـا أنهـاراً، إذ الإلقـاء جعل ﴿وَسُبُلاً﴾ طرقاً ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ لمقاصدكم، أو الى توحيده تعالى.

[١٦] ـ ﴿وَعَلاَمَاتٍ﴾ تستدلون بها على الطـرق من جبل ونحوه نهاراً ﴿وَبِالنَّجْمِ﴾ أي الجنس، وقيل: هو الثريا والفرقدان والجدى وبنات نعش(2) ﴿هُمْ﴾ أي السائرون الدال عليهم ذكر السبل ﴿يَهْتَدُونَ﴾ الى الطرق والقبلة في البر والبحر ليلاً.

قال الصادق عليه السّلام: نحن العلامات، والنجم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. (3)

[١٧] ـ ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ﴾ هذه الأشيـاء وهو الله ﴿كَمَنْ لاَ يَخْلُقُ﴾ شيئاً منهـا وهو الأصنام المخلوقـة العجزة حتى جعلتموه مشبّهـا بها حين أشركتموه معهـا في العبادة والإلهية. وعبّر عنها بـ«مَنْ» اجراءً لها مجرى أولي العلم لتسميتهم لها إلٰها.

أو مبـالغة، بمعنـى: إنَّ من يخلق ليـس كمن لا يخلـق من أولي العلـم فكيف بالجماد ﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلموا بطلان ذلك.

[١٨] ـ ﴿وَإِنْ تَعُدُّوْا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ لا تحـصروا عـددها. بيّن أن ما وراء

---

(١) ينظر تفسير الكشّاف ٢: ٢٠٠.

(٢) يراجع تفسير البيضاوي ٣: ٩٥.

(٣) تفسير مجمع البيان ٣: ٣٥٤.

ما ذكر من النعم نعماً لا قدرة على حصرها فضلاً عن القدرة على شكرها ﴿إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ﴾ لتقصيركم في شكرها ﴿رَّحِيمٌ﴾ حيث لم يقطعها بتقصيركم.

[١٩] ـ ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ من نيّة وعمل. وعيد وتوبيخ على إشراكهم بعالم السرّ والعلن، جمادات لا تشعر.

[٢٠] ـ ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ﴾[1] تعبدونهم وقرأ «عاصم» بالياء[2] ﴿مِن دُونِ اللهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي بخلق الله أو بالنحت وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم أعجز من عبدتهم.

[٢١] ـ ﴿أَمْوَاتٌ﴾ هم أموات ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ تأكيد ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي الأصنام ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ وقت بعثهم أو بعث عبدتهم فكيف يعبدون؟، وانما يعبد الخالق الحيّ العالم بالغيب.

[٢٢] ـ ﴿إِلَٰهُكُمْ﴾ المستحق للعبادة ﴿إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ لا إله معه ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ للوحدانية ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ عن قبول الحق.

وذلك لأنّ المؤمن بالبعث يتأمل الدلائل فيقبل الحق، والجاحد لا يتأملها ولا يقبل إلّا ما أَلِفهُ ووافق رأيه.

[٢٣] ـ ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً ﴿انَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فيجازيهم به ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ عن التوحيد، أو كل متكبر فيدخل هؤلاء [تحت عمومه][3] أي: يعاقبهم.

[٢٤] ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم﴾ لمقتسمي طرق مكة لصدّ النّاس، والقائل: الوافدون عليهم أو المسلمون ﴿مَّاذَا﴾ أي شيء ﴿أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ أو ما الذي أنزله؟ ﴿قَالُوا

---

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص عن عاصم: «يدعون» وسيشير اليه المؤلّف.

(٢) حجة القراءات: ٣٨٧.

(٣) مابين المعقوفتين اقتضاها السياق واخذناه من تفسير الكشّاف ٢: ٢٠١.

﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ أي المنزل في زعمكم هو أكاذيب الأولين.

[٢٥] - ﴿لِيَحْمِلُوا﴾ أي: كانت عاقبة أمرهم حين قالوا ذلك إضلالاً للناس، أن حملوا ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾ ذنوبهم ﴿كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لا يخفف من عقابهم شيء ﴿وَمِنْ﴾ ومن بعض ﴿أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾ شاركوهم في إثم ضلالهم لأنهم دعوهم إليه فاتّبعوهم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي جاهلين كونهم ضلالاً.

ولا عذر لهم بجهلهم إذ كان عليهم الفحص ليميزوا المهتدي من الضال ﴿أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ بئس شيء يحملونه حملهم هذا.

[٢٦] - ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ سوّوا حيلاً ليمكروا رسلهم ﴿فَأَتَى اللهُ﴾ أي أمره ﴿بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ الأساس ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوقِهِم﴾ أي وكانوا تحته ﴿وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ لا يحتسبون، وهو مثل لإهلاكهم بحيلهم.

وقيل:[1] أريد به «نمرود» بني صرحاً طويلاً ليقاتل عليه أهل السماء فأرسل الله عليه ريحاً فخرّ عليهم.

[٢٧] - ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ يفضحهم أو يدخلهم النار ﴿وَيَقُولُ﴾ - توبيخاً لهم -: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ بزعمكم. وعن «البزّي» ترك الهمزة[2] ﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ﴾ تعادون المؤمنين، وكسر «نافع» النون[3] أي تشاقونني ﴿فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ الأنبياء والعلماء أو الملائكة ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ﴾ الذلّ والعذاب ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يقولونه شماتة بهم.

[٢٨] - ﴿الَّذِينَ﴾ بدل أو ذم ﴿تَتَوَفَاهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾ وقرأ «حمزة» بالياء في

---

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ٣٥٩ عن ابن عباس.

(٢) اتحاف فضلاء البشر ٢: ١٨٢.

(٣) تفسير مجمع البيان ٣: ٣٥٦ وحجة القراءات: ٣٨٨.

الموضعين[1] ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِم﴾ بكفرهم، حال ﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾ استسلموا عند الموت قائلين: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ كفر، فتكذبهم الملائكة ﴿بَلَى إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

[٢٩]ـ ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ على حسب منازلكم في دركاتها ﴿خَالِدِينَ فِيْهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ هي.

[٣٠]ـ ﴿وَقِيْلَ لِلَّذينَ اتَّقَوْا﴾ هم المؤمنون ﴿مَا ذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوْا خَيْرًا﴾ أنزل خيراً ﴿لِلَّذِيْنَ أَحْسَنُوْا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ كرامة معجّلة ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ﴾ أي ثوابهم في الآخرة ﴿خَيْرٌ﴾ منها وهو وعد الله للذين اتقوا، أو: من قولهم تفسير لـ«خير»[2] ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ هي.

[٣١]ـ ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ اقامة؛ خبر محذوف، أو المخصوص بالمدح، أو مبتدأ خبره ﴿يَدْخُلُونَها تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيْهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ تقديم «فيها» يفيد أن الإنسان لا يجد كلما يريده إلاّ في الجنة ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿يَجْزِي اللهُ الْمُتَّقِيْنَ﴾.

[٣٢]ـ ﴿الَّذِينَ﴾ صفة ﴿تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِيْنَ﴾ طاهرين من الشرك، أو طيبةوفاتهم لاصعوبة فيها ﴿يَقُولُونَ﴾ لهم عند الموت: ﴿سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ﴾ يبشرونهم بالسلامة وبالجنة ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ حين تحشرون، وقيل: هذا التوفى[3] والقول في الحشر.

[٣٣]ـ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ما ينتظر الكفار ﴿إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾ لتوفيهم، وقرأ

---

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ٣٥٦ وحجة القراءات: ٣٣٨ سيأتي الموضع الآخر في الآية ٣٢.

(٢) العبارة في تفسير البيضاوي ٣: ٩٧ هكذا: ويجوز أن يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلاً وتفسيراً لـ«خيراً» على انه منتصب بـ«قالوا».

(٣) أظنّ انّ الأصل «حين التوفى» بدلاً من «هذا التوفى» ويؤيده ما ورد في تفسير روح المعاني ١٤/ ١٢١.

«حمزة» و«الكسائي» بالياء[1] ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ القيامة أو العذاب المعجّل ﴿كَذَلِكَ﴾ كما فعل هؤلاء ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كذّبوا رسلهم فدُمروا ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ﴾ بتدميرهم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بسوء عملهم.

[٣٤] ـ ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾ وحلّ ﴿بِهِمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ من العذاب أو جزاء استهزائهم.

[٣٥] ـ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي لو شاء خلاف ذلك ما فعلناه ولكنه شاء لا باختيارنا ففعلناه. تشبثوا بالقول بالجبر ﴿كَذَلِكَ﴾ كما فعل هؤلاء من تكذيب الحجج المنزهّة له تعالى عن مشيئته القبائح بالذات ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ فنسبوا إليه مشيئة ما فعلوه من القبائح كالشرك وغيره مشيئةً ترفع اختيارهم. ومرّ مثله في آخر الأنعام[2] ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ ما عليهم إلاّ التبليغ ﴿الْمُبِينُ﴾ للحق وتنزيه الله تعالى عن الظلم.

[٣٦] ـ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ كما بعثناك في هؤلآء ﴿أَنِ﴾ أي بأن؛ أو: أي ﴿اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ أي عبادته ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللهُ﴾ لطف به لأنه من أهل اللطف فآمن، أو حكم باهتدائه؛ أو هداه الى الجنة بإيمانه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ أي ثبت عليه الخذلان لعلمه بتصميمه على الضلال.

أو: حكم بضلاله لظهوره، أو أضله عن الجنة، أو وجب عليه العذاب ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ للرسل والحجج حتى تعلموا أني لاأشاء القبيح بالذات.

[٣٧] ـ ﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ﴾ إي إيمانهم ﴿فَإِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ لا يلطف بمن يخذل، لأنه عبث تعالى عنه، أو: لا يهتدي من يخذله، وقرأ غير

---

(١) حجة القراءات: ٣٨٨.

(٢) ينظر الآية ١٤٨ من سورة الانعام.

«الكوفين» «يُهدى» مبنياً للمفعول[1] ﴿وَمَا لَهُم مِّنْ نَّاصِرِيْنَ﴾ يمنعونهم من العذاب.

[٣٨]ـ ﴿وَأَقْسَمُوْا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ مجتهدين فيها ﴿لَا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ بالغوا في انكار البعث حتى اقسموا عليه، فردّ الله عليهم بقوله: ﴿بَلَى﴾ يبعثهم ﴿وَعْدًا﴾ وعد ذلك وعداً ﴿عَلَيْهِ﴾ انجازه بمقتضى الحكمة ﴿حَقًّا﴾ حقه حقاً ﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ صحة البعث لجهلهم وجه الحكمة فيه أو لتوهمهم امتناعه.

[٣٩] ـ ﴿لِيُبَيِّنَ﴾ أي يبعثهم ليبين ﴿لَهُمُ﴾ الحق ﴿الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيْهِ﴾ فيميز المحق من المبطل بالثواب والعقاب، ﴿وَلِيَعلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوْا أَنَّهُمْ كَانُوْا كَاذِبِينَ﴾ في نفيهم البعث.

[٤٠]ـ ﴿إِنَّما قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ أي اردنا تكوينه، و«قولنا» مبتدأ خبره ﴿أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فهو يكون، ونصبه «ابن عامر» و«الكسائي»[2] عطفاً على «نقول» او جواباً لـ«كن».

والآية لبيان قدرته تعالى وانه لا يتوقّف إلاّ على اراداته المعبّر عنها بـ«كن».

[٤١]ـ ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوْا فِى اللهِ﴾ في سبيله لإقامة دينه وهم النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والمهاجرون الى المدينة والحبشة، أو المعذبون بمكة بعد هجرة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كصهيب وعمار وبلال وغيرهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ بالأذى من قريش ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ لننزلّنهم ﴿فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ مباءةً حسنة هي المدينة ﴿وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ﴾ ثوابها ﴿أَكْبَرُ﴾ مما نعطيهم في الدنيا ﴿لَوْ كَانُوْا يَعْلَمُونَ﴾ أي الكفار ما للمهاجرين من خير الدارين لوافقوهم أو: المهاجرون ما أعدّ لهم لزاد اجتهادهم.

[٤٢] ـ ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الأذى والهجرة، مدح مرفوع أو منصوب ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ﴾ لا على غيره ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾ فيكفيهم أمورهم.

---

(١) تفسير مجمع البيان ٣ : ٣٥٩.

(٢) حجة القراءات ٣٨٩ وتفسير مجمع البيان ٣ : ٣٦٠.

[٤٣] ـ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاّ رِجَالاً يُوْحِى﴾[١] وقرأ «حفص» بالنون[٢] ﴿إِلَيْهِمْ﴾ لا ملائكة. رد لإنكارهم كون الرسول بشراً، بأن هذا هو السنّة المستمرة، لأنه مقتضى الحكمة ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ أهل العلم من كانوا، أو أهل الكتاب.

أو أهل القرآن.

عن أهل البيت عليهم السّلام: «نحن أهل الذكر»[٣] والذكر الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿إِنْ كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فإنهم يعلمون.

[٤٤] ـ ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ متعلق بمقدر أي: أرسلناهم بالمعجزات ﴿وَالزُّبُرِ﴾ الكتب ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ فيه من الشريعة والأحكام ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيه، فيعلمون ما هو الحق.

[٤٥] ـ ﴿أَفَأَمِنَ الَّذينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾ أي المكرات السيّئات بالرسول(ص) من إرادة حبسه أو قتله أو اخراجه ﴿أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الأَرْضَ﴾ كقارون ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ﴾من جهة لايتوقعون منها كقوم لوط وقد وقع يوم بدر.

[٤٦] ـ ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ﴾ في أسفارهم أو بالّيل والنهار ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِيْنَ﴾ بفائتين الله.

[٤٧] ـ ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ وهم متخوفون بأن أهلك غيرهم فتوقعوا البلاء، أو على تنقص شيئاً فشيئاً حتّى يفنوا ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ حيث لم يعجّل النقمة.

[٤٨] ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ وقرأ «حمزة» و«الكسائي» بالتاء[٤] ﴿إِلى مَا خَلَقَ اللهُ﴾

---

(١) في المصحف الشريف «نوحي».

(٢) حجة القراءات: ٣٩٠ ـ وعليه المصحف الشريف ـ.

(٣) تفسير مجمع البيان ٣: ٣٦٢.

(٤) حجة القراءات: ٣٩٠.

«ما» موصولة مبهمة بيانها: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ له ظل كشجر وجبل ﴿يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ﴾ يتميّل.

والفيء: الظل بعد الزوال، وأصله: الرجوع، وقرأ «أبو عمرو» بتاء التأنيث[1] لأن ظلال جمع ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ جمع شمال أي عن جانبي ذوات الظلال.

و إفراد اليمين[2] وجمع الشمائل كأنّه باعتبار لفظ «ما» ومعناها، كإفراد الضمير في ظلاله وجمعه في ﴿سُجَّدًا للهِ﴾ حال من الظلال أي منقادة لأمره في تقلّبها، وكذا ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ صاغرون لما فيهم من التسخير ودلائل التدبير. وجمع بالواو لأنّ الدخور للعقلاء.

[٤٩] - ﴿وَللهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ينقاد لإرادته وأمره ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ بيان لما فيهما على أنّ في السّماء خلقاً يدّبون ﴿وَالْمَلائِكَةُ﴾من عطف الخاص على العام للتفخيم، أو بيان لما في الأرض، والملائكة تعيين لما في السماوات تفخيماً. و«ما» للتغليب لما لا يعقل لكثرته ﴿وَهُمْ﴾ اي الملائكة ﴿لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن عبادته.

[٥٠] - ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ﴾ حال من الواو ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ حال منهم، أو من ربّهم أي: عالياً عليهم بالقهر ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ به.

[٥١] - ﴿وَقَالَ اللهُ لاَ تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ تأكيد يؤذن بمنافاة الاثنينية للإلهية ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلهٌ وَاحِدٌ﴾ أكّد تنبيهاً على لزوم الوحدة الإلهية ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ فخافوني لا غير. التفات من الغيبة الى التكلم للمبالغة في الترهيب.

[٥٢] - ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً، ويعم أفعال العباد من حيث انه خلقها تبعاً لاختيارهم لا بالذات بدون اختيارهم، فلا استقلال لهم فيها

---

(١) حجة القراءات: ٣٩١ وفيه: وحجته ان كل جمع خالف الآدميين فهو مؤنث تقول: هذه المساجد وهذه الظلال.

(٢) في «ط» وافراد الضمير واليمين - لعله يريد الضمير في ضلاله كما في تفسير البيضاوي ٣: ٩٩ -.

كما يراه المعتزلة، ولا سلب لاختيارهم وقدرتهم عليها كما يراه الأشاعرة.

وهذا مفاد أخبار أهل البيت عليهم السلام[1] ﴿وَلَهُ الدِّيْنُ وَاصِبًا﴾ حال عاملها «له»، أي له الطاعة دائمة أو الجزاء دائماً أي الثواب والعقاب ﴿أَفَغَيْرَ اللهِ تَتَّقُونَ﴾ تخشون ولا يقدر على النفع والضرّ غيره. استفهام توبيخ.

[٥٣] ـ ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ أي شيء حل بكم من نعمة كصحّه و سعة فهي منه تعالى، حتى الإيمان فإنه بلطفه وتوفيقه. و«ما» موصولة أو شرطية ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ كمرض وفقر ﴿فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ﴾ تضجّون بالإستغاثة والدعاء لا إلى غيره.

[٥٤] ـ ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيْقٌ مِنكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ أي يتغيرون عما كانوا عليه حال الضرّ فيشركون بالله.

[٥٥] ـ ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ من النعمة، كأنهم قصدوا بالشرك كفرانها ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ بما أنتم فيه. أمر تهديد، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ سوء عاقبتكم.

[٥٦] ـ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا﴾ للأصنام التي ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنها لا تضر ولا تنفع ﴿نَصِيْبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الحرث والأنعام ﴿تَاللهِ لَتُسْئَلُنَّ﴾ توبيخاً، وهو التفات من الغيبة ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ بدعوى إلهيتها والتقرب اليها.

[٥٧] ـ ﴿وَيَجْعَلُونَ للهِ الْبَنَاتِ﴾ بقولهم: الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له عن قولهم ﴿وَلَهُمْ مَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي البنون. و«ما» مبتدأ، أو عطف على «البنات».

[٥٨] ـ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى﴾ بولادتها ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ﴾ صار ﴿مُسْوَدًّا﴾ متغيراً من الغمّ ﴿وَهُوَ كَظِيْمٌ﴾ ممتلٍ غيظاً، فكيف يجعلون البنات له تعالى.

---

(١) روى الكليني في الكافي ١ : ١٦٠ عن ابي عبدالله عليه السلام قال: «لاجبر ولاتفويض ولكن امربين امرين».

وهناك احاديث اخرى ترتبط بالمقام يراجع بشأنها باب الجبر والقدر والامر بين الامرين في الكافي ١ / ١٥٥.

[٥٩] ـ ﴿يَتَوَرَىٰ مِنَ الْقَوْمِ﴾ يختفي من قومه مخافة العار ﴿مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ عنده[١] مفكراً مـاذا يصنع به؟ ﴿أَيُمْسِكُهُ عَلى هُوْنٍ﴾ أي أيتـركه على هـوان وذل ﴿أَمْ يَدُسُّهُ﴾ يخفيه بـدفنه ﴿فِي التُّرَابِ﴾ حياً وهـو الوأد. وذكّـر الضمير للفـظ «ما» ﴿أَلاَ سَاءَ﴾ بئس ﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمـهم هـذا، حـيث جـعلوا ما هـذا محله عنـدهم للمنزّه عن الولد.

[٦٠]ـ﴿لِلَّذِيْنَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِـالآخِرَةِ مَثَلُ السوءِ﴾ الصفة السُّوء، أو: هـي الحاجة الى الاولاد أو هـي وأد البنات خـوف الفقـر ﴿وَللهِ الْمَثَلُ الأَعْلـى﴾ الصفة العليا وهي التفرّد بالإلهية والغنى والجود ﴿وَهُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ﴾ البالغ القدرة والحكمة.

[٦١] ــ ﴿وَلَوْ يُـؤَاخِذُ اللهُ النّـاسَ بِظُلْمِهِمْ﴾ بعصيـانهم ﴿مَّا تَـرَكَ عَلَيْهَا﴾ على الأرض. أضمرت بدون ذكر لدلالة الناس والدابة عليها ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ تدب عليها فيهلك الظلمة عقوبة لهم، وغيرهم بشؤمهم.

أو: لو أهلك الآبـاء بظـلمهم لبطـل نسلهم ولهلكت الـدواب المخلـوقة لهـم، أو من دابة ظالمة ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إلى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو منتهى أعمارهـم أو القيامة ليتوالدوا ﴿فَـإذا جَـاءَ أَجَلُهُم لاَيَسْتَـأْخِـرُونَ﴾ عنـه ﴿سَاعَـةً وَلا يَسْتَقْدِمُـونَ﴾ عليه فيؤاخذون حينئذ.

[٦٢] ـ ﴿وَيَجْعَلُونَ للهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ لأنفسهم من البنـات والشركاء في الريـاسة وإهانة الرسل وردي المال ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ﴾ تقوله مـع ذلك وهو ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾ عنـد الله أي الجنـة إن صـحّ البعـث ﴿لاَ جَرَمَ﴾ حقـاً ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّـارَ﴾ لاالحسنى ﴿وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾ مقدّمـون الى النـار، من أفرطتـه في طلب المـاء، أي:

(١) كذا في النسخ ولعل الصحيح: عرفاً ـ كما في تفسير البيضاوي ٣: ١٠١، وتفسير روح المعاني ١٤: ١٥٣.

قدّمته. وكسر «نافع» الراء[1] من الإفراط في المعاصي.

[٦٣] ــ ﴿تَاللهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ رسلاً ﴿إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ القبيحة فأصروا عليها ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾ متولي أمرهم في الدنيا.

أو ناصرهم في القيامة، على حكاية الحال الآتية أي لا ناصر لهم غيره، مبالغة في نفي الناصر لهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في القيامة.

[٦٤] ـ ﴿وما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ إِلاّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ للناس ﴿الَّذِي اخْتَلَفُوْا فِيْهِ﴾ من التوحيد والعدل والأحكام والبعث ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ معطوفان على «لتبيّن» وترك اللام لأنهما فعلا المنزل بخلاف التبيين ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[٦٥] ـ ﴿وَاللهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً﴾ دالة على التوحيد والبعث ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع اعتبار.

[٦٦] ـ ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ اعتبار: ﴿نُسْقِيْكُمْ﴾ وفتحه «نافع» و«ابن عامر» و«أبو بكر»[2] استئناف لبيان العبرة ﴿مِمَّا﴾ «من» تبعيضية ﴿فِي بُطُونِهِ﴾ أي الأنعام فإن لفظه مفرد ومعناه جمع، كالرهط، والنعم، فذُكِّرَ هنا للفظ؛ وأنْث في سورة «المؤمنين»[3] للمعنى وان جعل جمع «نعم» فالضمير لواحده، أو للبعض، إذ ليس لكلها لبن ﴿مِنْ﴾ ابتدائية تتعلق بـ«نسقيكم» ﴿بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا﴾ فإن الكرش تهضم العلف أولاً فتجذب الكبد صافيه ويبقى النفل وهو الفرث، ثم تهضمه الكبد ثانياً فتحدث منه الأخلاط الأربعة، ومائيّة، ثم ترسل الدم في الأوردة لتغذية الأعضاء ويصحبه البلغم وقسط من المرتين والمائية لتعديله

---

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ٣٦٨ ـ وحجة القراءات: ٣٩١ ـ.

(٢) حجة القراءات: ٣٩١.

(٣) الآية (٢١) من سورة المؤمنين (٢٣) قوله تعالى: «نسقيكم مما في بطونها».

وبذرقته،[١] ثم ترجع المـائية فتندفع الى الكليتيـن، ثم الى المثانة وبقيـة المرتين الى المرارة والطحال، والأنثى لبـرد مزاجها، ورطوبته يـزيد اخلاطها على غـذائها فيندفع الزائد الى الرحم للجنين، وبعد انفصاله ينصب الى الضرع، فيحيله لبناً بواسطة لحمه الغددي الأبيض، وذلك تقـدير العـزيز العليم[٢] ﴿خَالِصًا﴾ لا يشوبه لـون ولا رائحة ولا طعم من الفرث والدم ﴿سَائِغًا لِلشَّارِبِيْنَ﴾ سهل الجواز في حلوقهم.

[٦٧] ـ ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيْلِ وَالأَعْنَابِ﴾ خبر محذوف أي ثمرة صفته ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ﴾ أو متعلق بـ«تتخذون» و«منه» تأكيد، وتذكير الضمير لأن الثمرات بمعنى الثمر.

أو: على حـذف مضاف أي من عصيرهـا، أو: بمقدر أي ونسقيكم مـن عصير ثمراتها ويكون «تتخذون» بياناً للإسقاء ﴿سَكَرًا﴾ مصدر سمي به الخمر.

قيل: هذا قبل تحريمها.[٣] والظاهر انهـا ما حلت في الإسلام بـل ولا في سائر الملل كما ورد عن أهل البيت عليهم السّلام[٤] وعليه أصحابنا.

والآية تدل على تحريمها لوصف قسيمها بالحسن ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ كالتمر والزبيب والدبس والخلّ فلا تكون هي حسنة فليس بحلال، فالآية جامعة بين العتاب والمنّة.

وقيل: السكر: الأشـربة الحلال، والرزق الحسن: المأكـول اللذيذ[٥] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ دالة على قدرته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتأمّلونها.

---

(١) كـذا في النسخ المستحضـرة، وهو على مـا كـان عليه الطبّ قـديمـاً، وهو مـوجود في تفسيـر البيضاوي ٣: ١٠٢ ـ أيضاً ـ.

(٢) اقتباس من الآية ٩٦ من سورة الانعام(٦).

(٣) في تفسير ابي الفتوح الرازي ٦: ٢٢٢ ـ ٢٢٣ القائل بأن معنى السكر: الخمـر، هو قول عبدالله بن مسعود وعبدالله بن عمر وسعيد بن جبير.

(٤) في تفسير الميزان ٧: ١٣٦: عن الكافي والتهذيب باسنادهمـا عن ابي جعفر عليه السلام قال: ما بعث الله نبياً قط الآوفي علم الله انه اذا اكمل دينه كان فيه تحريم الخمر. . .

(٥) يراجع تفسير مجمع البيان ٣: ٣٧١.

[٦٨] ـ ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ ألهمها ﴿أَنِ﴾ أي بأن، أو: أي ﴿اتَخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ تأوين إليها للتعسيل ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ يرفعون من سقف وكرم، والبعضية لأنها لا تبني بكل جبل وشجر وما يعرش، بل فيما يوافقها من ذلك، وكثيراً ما يهيء لها الناس أماكن فتبني فيها وضم «أبو بكر» و«ابن عامر» الراء.[1]

[٦٩] ـ ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ التي تشتهينها ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ طرقه التي ألهمك في عمل العسل، واسلكي ما أكلت في مسالك ربك التي تحيله فيها بقدرته عسلاً ﴿ذُلُلاً﴾ جمع ذلول أي مذللة، حال من السبل أو من فاعل «اسلكي» أي منقادة لما أُمرت به ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرَابٌ﴾ هو العسل لأنه ممّا يشرب.

وهذا يعضد القول بأنها تأكل الازهار والأوراق فتستحيل في بطونها عسلاً، فتقيئه وتدّخره للشتاء، وعلى القول بأنها تلتقط طلا[2] حلواً يقع عليها وتدخره في بيوتها فإذا كثر كان عسلاً، وتفسّر «البطون» بالأفواه ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ أصفر وأحمر وأبيض وأسود ﴿فِيْهِ شِفاءٌ لِلنّاسِ﴾ من الأمراض البلغمية، منفرداً ومطلقاً مع غيره.

قيل: التنكير للتبعيض، وقيل للتعظيم[3] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنعه تعالى.

[٧٠] ـ ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ﴾ أوجدكم ﴿ثُمَّ يَتَوَفّاكُمْ﴾ كلاً بأجله ﴿وَمِنكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ أرداه أي: الهرم والخرف ﴿لِكَيْلاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ ليصير كالطفل في النسيان ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيْمٌ﴾ بتدبير خلقه ﴿قَدِيْرٌ﴾ على ما يشاء من تصريفهم.

[٧١] ـ ﴿وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ فأغنى بعضاً وأفقر بعضاً وملك بعضاً لبعض بمقتضى حكمته ﴿فَمَا الَّذِيْنَ فُضِّلُوْا﴾ من الموالي ﴿بِرادِّى رِزْقِهِمْ

---

(١) حجة القراءات: ٣٩٢.

(٢) الطلّ: المطر الضعيف: الندى.

(٣) نقله البيضاوي في تفسيره ٣: ١٠٣.

عَلى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ بجاعلي ما رزقناهم رزقاً لمماليكهم، أي: لم يرزقوهم وإنّما ينفقون عليهم رزقهم الذي جعله الله عندهم ﴿فَهُمْ فِيْهِ﴾ فالموالي والمماليك في الرزق ﴿سَوَاءٌ﴾ في أنه من الله تعالى.

أو معناه: فما هم بجاعلي ما رزقناهم شركة بينهم وبين مماليكهم حتى يتساووا فيه، ولم يرضوا بذلك، وهم يشركون عبيدي معي في الإلهية ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ يكفرون حيث يشركون به غيره وقرأ «أبو بكر» بالتاء.[1]

[٧٢]ـ ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ من جنسكم لتسكنوا اليها ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِيْنَ وَحَفَدَةً﴾ أولاداً وأعواناً، أو أختاناً على البنات، أو ربائب.

والحفد: الإسراع في العمل[2] ﴿وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ المستلذات أي بعضها، إذ كلها انما يكون في الجنة ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾ الأصنام وتحريم الحلال ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللهِ﴾ التي عدّدها ﴿هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ حيث أشركوا به غيره.

[٧٣] ـ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا﴾ من مطر ونبات، بدل من «رزقاً» أو مفعول إن جعل مصدراً ﴿وَلا يَسْتَطِيْعُونَ﴾ لا يقدرون على شيء وهم الأصنام.

[٧٤] ـ ﴿فَلاَ تَضْرِبُوْا للهِ الأَمْثَالَ﴾ فلا تجعلوا له أشباهاً في الألوهية ﴿إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ﴾ أن لا مثل له ﴿وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك ولو تدبرتم لعلمتم، أو: انه يعلم كيف تضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون، ثم علّمهم كيف تضرب فقال:

[٧٥]ـ ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً﴾ لنفسه وما يُشْرَك به، وأبدل منه ﴿عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ نعت، يخرج الحرّ فإنه عبد الله ﴿لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ عاجز عن التصرف، وهذا مثل الأصنام

(١) حجة القراءات: ٣٩٢.

(٢) في تفسير الكشّاف ٢: ٢١٠: والحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد: اي يسرع في الطاعة والخدمة.

﴿وَمَنْ﴾ نكرة موصوفة، أي؛ وحرّاً ﴿رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ مالاً وافراً ﴿فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ أي يتصرف فيه كيف شاء وهو مثله تعالى ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ أي العبيد العجزة والأحرار ذوي التصرف؟! استفهام انكاري، أي: لا يستوون مع تشاركهم في الجنسية، فكيف يسوى بين جمادات عجزة وبين الله القادر على كل شيء؟!

ويُحتج بالآية على أن المملوك لا يملك، وللبحث فيه مجال ﴿الْحَمْدُ للهِ﴾ لا يستحقه سواه ﴿بَلْ اَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ اختصاص الحمد به.

[٧٦] ـ ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً﴾ وابدل منه ﴿رَجُلَيْنِ أَحَدُهُما أَبْكَمُ﴾ ولا أخرس ﴿لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ من نطق وتدبير لأنه لا يَفْهَم ولا يُفْهِمْ ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ﴾ ثقل على وليّ أمره ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ﴾ يرسله في حاجة ﴿لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ بنجح ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾من هو فصيح فَهِم، نافع للناس يحثهم على العدل ﴿وَهُوَ عَلى صِراطٍ﴾طريق﴿مُسْتَقِيْمٍ﴾ وهو مثل له تعالى وللأصنام، أو للمؤمن والكافر.

[٧٧] ـ ﴿وَللهِ غَيْبُ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ﴾ أي يختص به علم ما غاب عن الخلق فيهما ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ﴾ أمر إقامتها في قدرته ﴿إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾ كردّ الطرف ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ منه في السرعة والسهولة، و«أو» للتخيير، أو بمعنى «بل» ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ﴾ ومنه اقامة الساعة واحياء الخلق.

[٧٨] ـ ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ وكسر «الكسائي» الهمزة وكسرها والميم «حمزة»[١] ﴿لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ جملة حالية ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ أي الأسماع ﴿وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾ القلوب اللاتي تتعلمون بها منافعكم ومضاركم وما يوصلكم الى السعادة الباقية ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ لكي تشكروه على ذلك.

[٧٩] ـ ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ وقرأ «ابن عامر» و«حمزة» بتاء الخطاب[٢] ﴿إِلَى الطَّيْرِ

---

(١) تفسير البيضاوي ٣: ١٠٥. (٢) حجة القراءات: ٣٩٣.

مُسَخَّرَاتٍ﴾ مذللات للطيـران بأجنحتها ﴿فِي جَوِّ السَّماءِ﴾ الهواء البعيـد من الأرض ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عن السقوط ﴿إلاَّ اللهُ﴾ بقدرته ﴿إنَّ فِي ذلِكَ لآيَاتٍ لِقَـوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ وهي خلقها بحيث يمكنها الطيران، وخلق الجـوّ بحيث يمكن الطيران فيه، وإلهامها بسط الجناح وقبضه.

[٨٠] ـ ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُـوتِكُمْ سَكَنًا﴾ موضعاً تسكنون فيـه مما يتخذ من الحجر والمدر[١] ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأنْعَامِ بُيُوتًا﴾ القباب من الأدم أو مـا يعم، المتخذة من الشعر والصوف والوبر، فإنهـا ممن جلودها لبنائها عليها ﴿تَسْتَخِفُونَها﴾ للحمل والنقل ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ وقت رحلتكم. وسكن العين «الكوفيون» و«ابن عامر»، وفتحها غيرهم[٢] ﴿وَيَوْمَ إقَامَتِكُمْ﴾ في مكان تنزلون فيـه لا يثقل عليكم ضربها ﴿وَمِنْ أَصْوَافِها﴾ أي الضّـأن ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ أي الأبـل ﴿وَأَشْعَارِهَا﴾ أي المعـز ﴿أَثاثًا﴾ فرشاً وأكسية ﴿وَمَتَاعًا﴾ تتمتعون به ﴿إلى حِيْنٍ﴾ تبلى فيه، أو الى موتكم.

[٨١] ـ ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمّا خَلَقَ﴾ من الشجر والابنية وغيرها ﴿ظِلاَلاً﴾ تقيكم حرّ الشمس جمع «ظِل» ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالَ أَكْنَانًا﴾ تسكنون فيه من الكهوف والغيران،[٣] جمع «كـن» ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرابِيْلَ﴾ قمصانـاً من النبـات وغيره ﴿تَقِيْكُمُ الْحَرَّ﴾ أي والبـرد، دلَّ أحد الضـدين على الآخـر فحـذف أحدهمـا وخص بـالذكـر أهمهما عندهم ﴿وَسَرابِيْلَ﴾ دروعاً وجواشن ﴿تَقِيْكُمْ بَأْسَكُمْ﴾ حربكم، أي بالطعن والضرب ﴿كَذَلِكَ﴾ كما أنعـم عليكم بهذه النعمـة ﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ في الدنيا؛ بتدبير أموركم ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ تتفكرون في نعمته فتوحدونه وتنقادون لأمره.

[٨٢] ـ ﴿فَإنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضـوا عن الإيمـان فلا لـوم عليك ﴿فَإنَّمَا عَلَيْـكَ الْبَلاغُ الْمُبِيْنُ﴾ وقد بلّغت.

---

(١) المدر: الطين العلك الذي لا يخالطه رمل.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٣٧٦.

(٣) الغيران: جمع غار.

[٨٣] ـ ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ﴾ يعترفون بأنها من عنده ﴿ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ بإشراكهم وقولهم انها بشفاعة آلهتنا.

وقيل: «نعمة الله»: نبوة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم عرفوها ثم أنكروها عناداً،[١] و«ثم» استبعاد لإنكارهم بعد معرفتهم ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ المنكرون عناداً.

وذكر الأكثر لأنه يستعمل في الكل ولأن بعضهم لم تقم عليه الحجة كالمجانين وغير البلّغ.

[٨٤] ـ ﴿وَيَوْمَ﴾ واذكر، أو: خوفّهم يوم ﴿نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ هو نبيّها، أو: إمام زمانها يشهد لها أو عليها يوم القيامة ﴿ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوْا﴾ في الإعتذار.

ومعنى «ثم» انّ المنع من الكلام أصعب من الشهادة عليهم ﴿وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم العتبى، أي: الرجوع الى رضى الله.

[٨٥] ـ ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوْا﴾ أشركوا ﴿الْعَذَابَ﴾ النار ﴿فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ العذاب ﴿وَلاَ هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يمهلون.

[٨٦] ـ ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوْا شُرَكَاءَهُمْ﴾ الأصنام والشياطين ﴿قَالُوْا رَبَّنَا هؤُلآءِ شُرَكَاؤُنا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوْا﴾ نعبدهم ﴿مِنْ دُونِكَ﴾ فحمّلهم بعض عذابنا ﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾ أي أنطقهم الله، فقالوا لهم: ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في قولكم اننا شركاء الله، وانكم عبدتمونا، وانما عبدتم أهواءكم كقوله: ﴿ما كانوا ايانا يعبدون﴾.[٢]

[٨٧]ـ ﴿وَأَلْقَوْا﴾ أي: المشركون ﴿إِلَى اللهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ أي استسلموا لحكمه ﴿وَضَلَّ﴾ بطل ﴿عَنْهُمْ مَّا كَانُوْا يَفْتَرُونَ﴾ من أنّ آلهتهم تشفع لهم.

[٨٨] ـ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوْا وَصَدُّوا﴾ النّاس ﴿عَنْ سَبِيْلِ اللهِ﴾ دينه ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا﴾ لصدّهم ﴿فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ لكفرهم ﴿بِمَا كَانُوْا يُفْسِدُونَ﴾ بإفسادهم بالصدّ.

---

(١) قاله السدي ـ كما في تفسير ابي الفتوح ٦: ٢٣٣.

(٢) سورة القصص: ٢٨/ ٦٣.

[٨٩] - ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ هو نبيّهم، أو امام زمانهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمّد ﴿شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ أي أمتك.

قال الصادق عليه السّلام: نزلت في أمّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم خاصة، في كل قرن منهم امام منّا شاهد عليهم؛ ومحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم شاهد علينا [١] ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿تِبْيَانًا﴾ بياناً ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ من أمور الدين تفصيلاً أو إجمالاً بالإحالة الى بيان النبيّ وخلفاءه من آله المعصومين عليهم السّلام ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ للناس ان اتبعوه ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ لا غير.

[٩٠] - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ التوحيد والإنصاف بين الخلق ﴿وَالْإِحْسَانِ﴾ أداء الفرائض، أو التفضّل على النّاس أو ما يعمّ كل خير ﴿وَإِيتَاءِ﴾ إعطاء ﴿ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ الأقارب، أو: قرابة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، وهو تخصيص بعد تعميم للإهتمام بهم ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ ما قبح من القول والفعل، أو: الزنا ﴿وَالْمُنكَرِ﴾ ما أنكره الشرع ﴿وَالْبَغْيِ﴾ الظلم والكبر ﴿يَعِظُكُمْ﴾ بالأمر بالخير والنهي عن الشر ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تتذكرون أي تتعظون.

والآية جامعة لأصول التكاليف كلها، فهي تصديق لكون القرآن بياناً لكل شيء.

وعن «ابن مسعود»: إن هذه أجمع آية للخير والشرّ في القرآن. [٢]

[٩١] - ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ وهو كلّ ما يجب الوفاء به، وقيل: بالبيعة للرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم [٣] ﴿إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ توثيقها باسم الله، يقال «وكدّ» و«اكدّ» بقلب الواو همزة ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ شهيداً بالوفاء، إذ الكفيل بالشيء: رقيب عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ من نقض ووفاء.

---

(١) روى معناه في تفسير البرهان ٢: ٣٧٨ وراجع تفسير الآية ١٤٣ في سورة البقرة والآية (٤١) من سورة النساء.

(٢-٣) تفسير البيضاوي ٣: ١٠٧.

[٩٢]ـ ﴿وَلاَ تَكُونُوْا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ ما غزلته ﴿مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ إحكام له وفتل ﴿أَنْكَاثًا﴾ حال أو مفعول ثان لـ«نقضت» جمع : نكث، وهو ما ينكث فتله.

ومعناه تشبيه الناقض بمن فعلت ذلك، أو بـ«ريطة» بنت عمرو القرشية وكانت خرقاء[1] هذا شأنها ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ حال من فاعل «تكونـوا» أي لا تكونوا مثلها متخذين ﴿أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً﴾ غدراً ومكـراً، وهو ما يدخل فـي الشيء للفساد ﴿بَيْنَكُم أَنْ﴾ أي؛ لأن ﴿تَكُونَ أُمَّةٌ هِـيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ جماعـة هي اكثر من جمـاعة، كانـوا إذا رأوا في أعادي حلفائهم شوكة نقضوا عهدهم وحالفوا أعاديهم فنهوا عنه ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ﴾ يختبركم بـالأمر بالـوفاء، أو بكونهم أدنى لينظـر أتفون لله مع قلة المـؤمنين أم تفترون بكـثرة قريـش ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُـمْ يَـوْمَ الْقِيٰمَةِ مَـا كُنتُمْ فِيْـهِ تَخْتَلِفُـونَ﴾ بإثـابة المـحق وتعـذيب المبطل.

[٩٣]ـ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ﴾ مشيئة إلجاءٍ ﴿لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي مهتدين ﴿وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَـاءُ﴾ يخذلـه بسوء اختيـاره ﴿وَيَهْدِي مَـنْ يَشاءُ﴾ بلطفـه لأنه من أهلـه ﴿وَلَتُسْئَلُنَّ﴾ تبكيتاً ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فتجازون به.

[٩٤]ـ ﴿وَلا تَتَّخِذُوْا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ﴾ كرر تأكيداً ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ﴾ أي أقدامكم عن طريق الحق ﴿بَعْدَ ثُبُوتِها﴾ عليه وهو مثـل لمن وقع في بلاء بعد عـافية ﴿وَتَذُوقُوْا السُّوءَ﴾ العذاب في الدنيا ﴿بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ﴾ أي بصدّكم عن الوفاء.

أو: بصدّكم غيركم عنه لأنه يقتدى بسنتكم ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌ﴾ في الآخرة.

قال الصادق عليه السّلام: هذه الآيات في ولاية علي عليه السّلام وما كان من قول النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم «سلّموا عليه بإمرة المؤمنين».[2]

[٩٥]ـ ﴿وَلاَ تَشْتَرُوْا بِعَهْدِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيْلاً﴾ تستبدلوا به عرضاً يسيراً من الدنيا تنقضوه

---

(١) الخرقاء: الحمقاء.

(٢) يراجع تفسير مجمع البيان ٣: ٣٨٣.

لأجله ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللهِ﴾ من الثواب على الوفاء بالعهد ﴿هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من عرض الدنيا ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فأوفوا .

[٩٦] ـ ﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾ من الدنيا ﴿يَنْفَدُ﴾ يفنى ﴿وَمَا عِنْدَ اللهِ﴾ من الثواب ﴿بَاقٍ﴾ لا ينقطع ﴿وَلَيَجْزِينَّ﴾[1] وقرأ «ابن كثير» و«عاصم» بالنون[2] ﴿الَّذِينَ صَبَرُوْا﴾ على مشاق التكاليف ﴿أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوْا يَعْمَلُونَ﴾ بالواجبات والمندوبات أو بجزاء أحسن .

[٩٧] ـ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ إذ لا ثواب لعمل غيره . ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ هي الرزق الحلال والقناعة في الدنيا أو حياة الجنة ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الطاعة .

[٩٨] ـ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ﴾ أي أردت قراءته ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ فاسأل الله أن يعيذك من أن يوسوسك ويغلّطك في القراءة بأن تقول : «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» .

وعن «ابن مسعود» : قرأت على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقلت «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم» فقال قل : «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» هكذا أقرأنيه جبرئيل عن القلم عن اللوح المحفوظ .[3]

وظاهرها وجوب الإستعاذة لكل قراءة ، ولم نجد به قائلاً سوى أبي علي ابن الشيخ الطوسي ، فإنه أوجبها في اول ركعة للآية ، ولا دلالة لها عليه بخصوصه فتبقى على عمومها .

وتحمل على الندب للأصل ، وعدم القائل بتعميم الوجوب ، وبُعد وجوبها

---

(١) في المصحف الشريف«لنجزيّن» .

(٢) حجة القراءات : ٣٩٣ .

(٣) تفسير البيضاوي ٣ : ١٠٨ .

لمندوب القراءة.

[٩٩] ـ ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ﴾ تسلّط ﴿عَلَى الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فإنهم لا يطيعونه.

[١٠٠] ـ ﴿إِنَّما سُلْطانُهُ عَلَى الَّذِيْنَ يَتَوَلَونَهُ﴾ يطيعونه ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ﴾ بسببه أو بالله ﴿مُشْرِكُونَ﴾.

[١٠١] ـ ﴿وَإذا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَكَانَ ءَايَةٍ﴾ بالنسخ فأثبتنا الناسخة مكان المنسوخة لفظاً أو حكماً لمصلحة العباد. ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ أي بمصالحه بحسب الأوقات، وقرأ «ابن كثير» و«أبو عمرو» «ينزل»، [1]من الإنزال ﴿قَالُوْا﴾ أي: الكفار ـ وهو جواب «إذا» ـ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ كذّاب على الله، تأمر بشيء ثم تنهى عنه ﴿بَلْ أَكْثَرهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ فوائد النسخ.

[١٠٢] ـ ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ جبرئيل، والإضافة للمبالغة كحاتم الجود وخفف «ابن كثير» «القدس»[2] ﴿مِنْ رَّبِّكَ﴾ متلبساً ﴿بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوْا﴾ به على إيمانهم ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِيْنَ﴾ معطوفان على محل «ليثبّت» أي تثبيتاً وارشاداً وبشارة.

[١٠٣] ـ ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُون إِنَّما يُعَلِّمُهُ﴾ القرآن ﴿بَشَرٌ﴾ هو «عائش» غلام «خويطب بن عبد العزى» قد أسلم وكان صاحب كتب.

وقيل: «بلعام» كان قيناً بمكة رومياً [3]نصرانياً، وقيل: سلمان الفارسي[4] ﴿لِسَانُ﴾ لغة ﴿الَّذي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ يميلون قولهم عن الإستقامة إليه. وفتح «حمزة»

---

(١) بسكون النون وتخفيف الزاي ـ كما في اتحاف فضلاء البشر ٢ : ١٨٩ـ.

(٢) كتاب السبعة في القراءات: ٣٧٥.

(٣) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ٣٨٦ـ وقينَ الحديد أي سوّاه.

(٤) قاله الضحاك ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ٣٨٦ـ.

و«الكسائي» الياء والحاء[1] ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾ غير بيّن ﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِيْنٌ﴾ ذو فصاحة وبيان، فكيف يعلمه أعجمي.

[١٠٤] ـ ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾ أي أنها من عنده ﴿لَا يَهْدِيْهِمُ اللهُ﴾ الى الجنة أو لا يثبتهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ﴾ بكفرهم بالقرآن.

[١٠٥] ـ ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾ لأنهم لا يخشون عقاباً ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ في قولهم: «انما أنت مفتر» أو الكاملون في الكذب، لا أنت.

[١٠٦] ـ ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ﴾ بدل من «الذين لا يؤمنون» أو من «أولئكَ» أو من «الكاذبون» أو ذم مرفوع أو منصوب أو مبتدأ أو شرط، والخبر أو الجزاء يدل عليه «فعليهم غضب» ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ على كلمة الكفر فقالها ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ﴾ ثابت عليه ﴿وَلَٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ فتحه أي طابت نفسه به ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قيل: أكره قريش جماعة على الإرتداد منهم «عمار» وأبواه، فقتلوا أبويه، واعطاهم بلسانه ما أرادوا مكرهاً.

فقال قوم: كفر عمار، فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: كلا أنه مليء إيماناً من قرنه الى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه، فأتاه عمار يبكي فمسح عينيه، وقال: ان عادوا لك فعد لهم بما قلت، فنزلت.[2]

[١٠٧] ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الوعيد لهم ﴿بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا﴾ آثروها ﴿عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ﴾ وبسبب أنّ ﴿اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِيْنَ﴾ يخذلهم بكفرهم.

[١٠٨] ـ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ أسند إليه تعالى الطبع مجازاً عن منعهم اللطف حين أبوا قبول الحق وأعرضوا عنه ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ

---

(١) كتاب السبعة في القراءات: ٣٧٥.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٣٨٧ ـ ٣٨٨ وتفسير البيضاوي ٣: ١٠٩.

﴿الْغَافِلُونَ﴾ عما يراد بهم.

[١٠٩] - ﴿لاَ جَرَمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّهُمْ فِى الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ إذ حرموا أنفسهم الجنة وجلبوا لها النار.

[١١٠] - ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوْا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوْا﴾ عذبوا كـ«عمار» بالنصر،[1] و«ثمّ» لتباعد حال هؤلاء من أولئك، وفتحه «ابن عامر»[2] أي فتنوا غيرهم ثم أسلموا وهاجروا ﴿ثُمَّ جَاهَدُوْا وَصَبَرُوْا﴾ على المشاق ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ بعد الفتنة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيْمٌ﴾ بهم.

[١١١] - ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ﴾ نصب بـ«رحيم» أو بـ«اذكر» ﴿تُجَادِلُ﴾ تحاجّ ﴿عَنْ نَفْسِهَا﴾ ذاتها، لا يهمها غيرها ﴿وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي جزاءه ﴿وَهُم لاَ يُظْلَمُونَ﴾ في ذلك.

[١١٢] - ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً﴾ وأبدل منه ﴿قَرْيَةً﴾ أي أهلها. قيل: هي مكة،[3] وقيل غيرها، لأن المثل لها فهي غيرها ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ من المخاوف ﴿مُطْمَئِنَّةً﴾ قارّة بأهلها ﴿يَأْتِيْهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ واسعاً ﴿مِنْ كُلِّ مَكانٍ﴾ ناحية ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ﴾ بنعمه، جمع نعمة. ﴿فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ استعير الذوق لإدراك أثر الشدّة واللباس لما غشيهم منها؛

واوقع الاذاقة عليه نظراً الى المستعار له، وهو الإدراك، فالمعنى عرّفها الله اثر لباس الجوع والخوف ﴿بِمَا كَانُوْا يَصْنَعُونَ﴾ بصنعهم.

[١١٣] - ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ أي أهل مكة، ذكروا بعد ذكر مثلهم ﴿رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ الجوع بالقحط والخوف من

---

(١) في «الف» و«ب»: بالنصرة.

(٢) حجة القراءات: ٣٩٥.

(٣) جوامع الجامع ٢: ٣١١.

الغارات أو ما نالهم بـ«بدر» ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ حال تلبسهم بالظلم.

[١١٤] ـ ﴿فَكُلُوا﴾ أي آمنوا فكلوا ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾ من الغنائم وغيرها ﴿حَلالاً﴾ حال مبيِّنة لا مقيِّدة، إذ الرزق لا يكون إلاّ حلالاً، وكذا ﴿طَيِّبًا﴾ أي لا خبيثاً، ينفر عنه الطبع، ويحتمل التقييد، أي: لذيذاً ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ فإنه كما تجب عبادته يجب شكر نعمته.

[١١٥] ـ ﴿إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فسّر في البقرة.[١] وحصر المحرمات في المعدودة بالإضافة الى ما حرموه على أنفسهم.

[١١٦] ـ ﴿وَلاَ تَقُولُوْا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾ منتصب بـ«تقولوا» ﴿هَذا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرامٌ﴾ بدل منه أي لا تقولوا الكذب هـذا حلال وهذا حرام لما تصفه ألسنتكم، أو مفعول «تقـولوا» والكذب منتصب بـ«تصف» و«مـا» مصدرية، أي: لا تقولـوا هذا حلال وهـذا حرام لـوصف ألسنتكم الكذب، أي: لا تحلـوا وتحرّموا بقـول ألسنتكم بغير دليل ﴿لِتفْتَرُوْا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾ بنسبة ذلك إليه واللام للعاقبة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ﴾ لا ينالون خيراً.

[١١٧] ـ ﴿مَتَاعٌ قَلِيْلٌ﴾ أي لهم، أو: متاعهم متاع قليل زائل ﴿وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.

[١١٨] ـ ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوْا﴾ أي اليهود ﴿حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ في الأنعام في آيـة ﴿وعلى الـذين هـادوا حـرمنـا كل ذي ظفـر﴾،[٢] ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بالتحريم ﴿وَلكِنْ كَانُوْا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بمعاصيهم الموجبة لذلك.

[١١٩] ـ ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوْا السُّوءَ﴾ المعاصي ﴿بِجَهالَةٍ﴾ أي جاهلين بالله

---

(١) في سورة البقرة: ٢/ ١٧٣.

(٢) في سورة الانعام: ٦/ ١٤٦.

وبعقابه ﴿ثُمَّ تَابُوْا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي التوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

[١٢٠] - ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيْمَ كَانَ أُمَّةً﴾ لأنه جامع لخصال الكمال، قائم بعلم أمة.

أو لأنه كان مؤمناً وحده والناس كفار، أو لأنه مؤتمّ به في الخير، لقوله: ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾[1] ﴿قَانِتًا للهِ﴾ مطيعاً له ﴿حَنِيْفًا﴾ مائلاً الى الدين القيّم ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ قط.

[١٢١] - ﴿شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ﴾ أي لقليلها فضلاً عن كثيرها ﴿اجْتَبَاهُ﴾ اصطفاه ﴿وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ التوحيد.

[١٢٢] - ﴿وَءَاتَيْنَاهُ﴾ التفات من الغيبة ﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ الرسالة والخلّة والثناء الحسن في أهل كل الأديان والأولاد الأبرار ﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِيْنَ﴾ أهل الجنة.

[١٢٣] - ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ «ثم» للإيذان بأن أجلّ ما أوتي ابراهيم اتباع محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ملته أو لتراخي زمانه[2] ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيْمَ حَنِيْفًا﴾ في الدعاء الى التوحيد ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ﴾ كرر ردّاً على قريش وأهل الكتاب في زعمهم أنهم على دينه.

[١٢٤] - ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾ فرض تعظيمه ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوْا فِيْهِ﴾ على نبيهم وهم اليهود، أمروا بتعظيم الجمعةفأبوا إلاّ السبت فالزموه وشددعليهم فيه.

أو إنما جعل وبال السبت أي المسخ على الذين اختلفوا فيه، فحرموا الصيد فيه، ثم أحلوه بما احتالوا له ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فِيْما كَانُوْا فِيْهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ بإثابة المطيع وتعذيب العاصي.

---

(١) سورة البقرة: ٢/ ١٢٤.

(٢) اي: ان«ثم» لتراخي زمانه.

[١٢٥] ـ ﴿ادْعُ﴾ الثقلين ﴿إِلى سَبِيْلِ رَبِّكَ﴾ دينه ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾ بالحجج الكاشفة عنه ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ الأقوال المقبولة المقنعة في الترغيب والترهيب ﴿وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وناظرهم بالطريقة التي هي أحسن طرق المناظرة، كالرفق واللين في النصح ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيْلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِيْنَ﴾ فهو يجازيهم.

[١٢٦] ـ ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ أردتم عقوبة جانٍ، قصاصاً ﴿فَعَاقِبُوْا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ لا تزيدوا عليه.

قيل لما مثّل المشركون بحمزة وقتلى أحد، قال المسلمون: «لئن أمكننا الله منهم لنمثلنّ بالأحياء فضلاً عن الأموات» فنزلت.[١]

وقيل: هي عامة في كل ظلم كغصب ونحوه[٢] وهو الظاهر لأن خصوص السبب لا يخصص، وفي «ان عاقبتم» تعريض بحسن العفو، وعقبه ببعض التصريح بقوله: ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ﴾ عن المؤاخذه ﴿لَهُوَ﴾ أي الصبر ﴿خَيْرٌ لِلصّابِرِيْنَ﴾ منها.

ثم صرح بأمر رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم به لأنه الأحق به، فقال:

[١٢٧] ـ ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ﴾ بتوفيقه ﴿وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ على المشركين حرصاً على إيمانهم أو على قتلى أُحد ﴿وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ في ضيق صدر من مكرهم. وكسر «ابن كثير» الضاد،[٣] وقيل: المفتوح مخفف ضيق.[٤]

[١٢٨] ـ ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا﴾ معاصيه ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ بطاعاته بالنصرة والحفظ.

---

(١) قاله الشعبي وقتادة وعطاء بن يسار ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٣٩٣ـ.

(٢) قاله مجاهد وابن سيرين وابراهيم ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٣٩٣ـ.

(٣) اتحاف فضلاء البشر ٢: ١٩١.

(٤) انظر تفسير مجمع البيان ٣: ٣٩٢.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

سورة الإسراء

[١٧]

مائة وعشر آيات مكية، وقيل: إلاّ ﴿وإنْ كادوا ليفتنونك﴾[١] الآيات الثمان

بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ

[١] ـ ﴿سُبْحانَ﴾ مصدر، كغفران، أو اسم للتسبيح أي التّنـزيه، نصب بإضمار فعله، أُتي به تنزيهاً لـه تعالى عمّا لا يليق به ﴿الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿لَيْلاً﴾ ظرف للإسراء وهو سير الَّيل كالسّرى.

وفـائدة ذكره، التنبيـه بتنكيره علـى تقليل مدّة الإسـراء ﴿مِنَ الْمَسْجِـدِ الْحَرامِ﴾ بعينه، أو من مكّة، إذ روي انّ الحرم كلّه مسجد، [٢]وعليه الأكثر.

قالوا: كان صلّى الله عليه وآلـه وسلّم نائماً فـي بيت «امّ هاني» [٣]فأسري به ورجع من ليلته وقصّ القصّة عليها وقال: مثّل لي النبيّون، فصلّيت بهم، ثمّ خرج الى المسجد

(١) قاله قتادة والمعدل عن ابن عباس ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٣٩٣ـ.

(٢) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير الكشّاف ٢: ٦٤٧، وفي تفسير التبيان ٦: ٤٤٦: انّ القائلة هي: اُم هاني.

(٣) تفسير التبيان ٦/ ٤٤٦.

فأخبر به قريشاً، فتعجّبوا منه وكذّبوه وارتدّ بعض من آمن به، فاستوصفه جماعة سافروا الى بيت المقدس فَجُلّي له، فجعل يلحظه ويصفه لهم، فقالوا: امّا الوصف فقد أصاب فيه، فسألوه عن عيرهم، فأخبرهم بأحوالها وقال: تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس، فخرجوا الى الثنيّة[1] فصادفوها كما أخبر، ولم يؤمنوا، وكان ذلك قبل الهجرة بسنة.

والأكثر على انّه أُسري بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السّماء حتّى وصل الى سدرة المنتهى.

وقيل: أُسري بروحه في المنام لا بجسده،[2] استحالة له.

ويدفعه: انّه داخل تحت قدرة الله تعالى فلا يمتنع، وانّ خرق العادة من لوازم المعجزات.[3] ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾ بيت المقدس لبعد ما بينهما ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ في الدّين والدّنيا بجعله مقرّ الأنبياء ومهبط الملائكة، وحفّه بالأشجار والأنهار، وفيه التفات من الغيبة ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا﴾ العجيبة كبلوغه بيت المقدس وما رأى فيه وعروجه الى السماء وما شاهد هناك، ورجوعه في بعض ليلة ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوال رسوله ﴿الْبَصِيرُ﴾ بأفعاله، فأكرمه بهذه الكرامة.

[٢] ـ ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُواْ﴾ «أن» مفسرة أو زائدة[4] والقول مضمر، وقرأ «أبو عمرو» بالياء، أي: لئلا «يتخذوا»[5] ﴿مِنْ دُونِي وَكِيلاً﴾ تكلون إليه أمركم.

---

(١) الثنيّة مؤنّث الثنى والعقبة او طريقها والجبل او الطريقة فيها او اليه.

(٢) قاله معاوية وعائشة ـ كما في تفسير الكشّاف ٢: ٦٤٧ـ.

(٣) قرر علماء الطائفة في المعراج انه كان في اليقظة وبجسمه الشريف وصرح بذلك الشيخ الطوسي في تفسير التبيان ٦: ٤٤٦، والطبرسي في تفسير مجمع البيان ٣: ٣٩٥، وغيرهما.

(٤ـ٥) تفسير مجمع البيان ٣: ٣٩٤ وحجة القراءات: ٣٩٦.

[٣] ـ ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ من بنيه الثّلاثـة، إذ النّاس كلّهم ذرّيّتهم وهو منادى على قـراءة التّاء ومنتصب على الإختصـاص على قراءة الياء، أو على انّـه أحد مفعولي «لا تتخذوا» على القراءتين ﴿إِنَّهُ﴾ أي نوحاً ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ كثير الشّكر لنا، حامداً في كلّ حالٍ.

[٤] ـ ﴿وَقَضَيْنَا﴾ اوحينا ﴿إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ التوراة ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ﴾ جواب قسم محذوف ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ اوليهما قتل «شعيا» وثانيتهمـا قتل «زكريّا» و«يحيى» ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ لتعتن عتوّاً عظيماً.

[٥] ـ ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْـدُ أُولَيهُمَا﴾ وعد عقاب اولـى المرتين ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا﴾ «بخت نصر» أو «جالـوت» أي خلّيناهم وايّاكم ﴿أُوْلِي بَأْسٍ﴾ بطش في الحرب ﴿شَدِيدٍ فَجَاسُواْ﴾ تردّدوا يطلبـونكم ﴿خِلاَلَ الدِّيَارِ﴾ وسطها، فقتلـوا كباركـم وسبّوا صغاركم وأحرقوا التوراة وخرّبوا المسجد ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً﴾ كائناً لا خلف فيه.

[٦] ـ ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾ الدّولة ﴿عَلَيْهِم﴾ على المبعوثيـن بتسخير بعض ملوك الفـرس لكم فـردّكم الى «الشّـام» واستولى علـى اتباع «بخت نصـر» أو بتسليط «داود» على «جالوت» فقتله ﴿وَأَمَدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ عدداً أي من ينفر معهم.

[٧] ـ ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ﴾ لأنّ ثوابه لها ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ العقوبة ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْـدُ الآخِرَةِ﴾ وعد عقـاب المرّة الآخـرة ﴿لِيَسُئُوا وُجُوهَكُمْ﴾ أي بعثناهم ليجعلوا وجـوهكم ظاهـرة فيها آثـار المساءة، وقـرأ «أبو بكر» و«ابـن عامـر» و«حمزة» «لِيَسُوءَ» موحّداً، وفاعله الوعـد أو البعث أو الله. ويؤيّده قراءة، «الكسائي» بالنون[1] ﴿وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ﴾ «بيت المقـدس» فيخربـوه ﴿كَمَا دَخَلُـوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّـرُواْ﴾ ليهلكوا ﴿مَاعَلَوْاْ﴾ ما غلبوا عليـه أو مدّة علوّهم ﴿تَتْبِيرًا﴾ وذلك بعد أن قتلـوا «يحيى»

---

(١) تفسير مجمع البيان ٣ : ٣٩٧ وحجة القراءات: ٣٩٧/ ٣٩٨.

وبقى دمه يغلى، فسلّط الله عليهم الفرس، فقتلوا منهم اُلوفاً وسبّوا ذراريهم وخرّبوا «بيت المقدس». [١]

[٨] ـ ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ بعد المرّة الثانية إن تبتم ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ الى الفساد ﴿عُدْنَا﴾ الى عقوبتكم، وقد عادوا بتكذيب «محمّد» صلّى الله عليه وآله وسلّم، فسلّط عليهم [٢] بقتل «قريظة» واجلاء «النّضير» وضرب الجزية عليهم ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ سجناً ومجلساً.

[٩] ـ ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى﴾ للطّريقة التي ﴿هِيَ أَقْوَمُ﴾ أعدل الطّرق. ﴿وِيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ وخفّف «حمزة» و«الكسائي» «يبشر». [٣]

[١٠] ـ ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ عطف على «أنّ لهم» أي يبشّرهم بثوابهم وعقاب اعدائهم أو على «يبشّر» بتقدير يخبر ﴿أَعْتَدْنَا﴾ هيّأنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

[١١] ـ ﴿وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ﴾ على نفسه وأهله ضجراً ﴿دُعَاءَهُ﴾ كدعائه له ﴿بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنْسَانُ﴾ أي جنسه ﴿عَجُولاً﴾ بالدّعاء بالشّر، لم ينظر عاقبته.

وقيل: اريد به «آدم» عليه السّلام فإنّه لمّا انتهى الرّوح الى سرّته أخذ لينهض فوقع. [٤]

[١٢] ـ ﴿وَجَعَلْنَا الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ دالّتين على قدرتنا وعلمنا ﴿فَمَحَوْنَا ءَايَةَ الَّيْلِ﴾ الآية التي هي الّيل أي طمسنا نورها بالظّلام ﴿وَجَعَلْنَا ءَايَةَ النَّهَارِ﴾ الآية التي هي النّهار ﴿مُبْصِرَةً﴾ مضيئة، أو مبصراً فيها.

---

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٠٠ مع اختلاف يسير.

(٢) في «ج»: فسلّط الله عليهم.

(٣و٤) تفسير التبيان ٦: ٤٥٤ وتفسير البيضاوي ٣: ١١٤.

وقيل: بتقدير مضاف أي وجعلنا نيّري الّيل والنّهار آيتين، [١] فمحونا آية الّيل وهي القمر بجعلها غير ذات شعاع ترى الأشياء فيه أو بالكلف الّذي فيه.

وجعلنا آية النّهار وهي الشمس ذات شعاع تبصر الأشياء بضوئها ﴿لِّتَبْتَغُواْ﴾ في النّهار ﴿فَضْلاً مِّنْ رَّبِّكُمْ﴾ بالتصرف في وجوه معاشكم ﴿وَلِتَعْلَمُواْ﴾ بهما ﴿عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ للأوقات ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ تحتاجون إليه من أمر الدّين والدّنيا ﴿فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ بيّنّاه تبييناً.

[١٣] ـ ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ﴾ عمله من خير وشر ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ لزوم الطّوق في عنقه ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا﴾ مكتوباً، هو صحيفة عمله ﴿يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ صفتان للكتاب، أو «يلقاه» صفته، و«منشوراً» حال من الهاء، [٢].

وبناه «ابن عامر» للمفعول مشدّداً. [٣]

[١٤] ـ ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ بتقدير القول ﴿كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ محاسباً، ولقد أنصفك من جعلك حسيب نفسك.

[١٥] ـ ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لا يعود نفع إهتدائه وضرر ضلاله إلاّ إليه ﴿وَلَاتَزِرُ وازرَةٌ﴾ لا تحمل نفس حاملة ﴿وِزْرَ﴾ حمل نفس ﴿أُخْرَى وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ احتجّ به على انّه لا وجوب قبل الشرع.

وردّ بأنّه لا يثبت الوجوب الشرعي ما لم يثبت الوجوب العقلي.

فالآية مخصوصة بالسّمعيّات واريد نفي التعذيب عفواً، واريد بالرّسول: العقل.

---

(١) نقله البيضاوي في تفسيره ٣: ١١٤ ـ ١١٥.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٠٢.

(٣) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٠٢ ـ حجة القراءات: ٣٩٨ وفيه: قرأ ابن عامر: «كتاباً يلقّاه منشوراً» بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف.

[١٦] ـ ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾ أي أهلها بعد قيام الحجّة عليهم أو إذا دنا وقت إهلاكهم كقولهم: إذا اراد العليل أن يموت خلط في مأكله، فإرادة اهلاكهم مجاز عن دنّوه ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ منعميها أي رؤسائها بالطّاعة أمراً بعد أمر، على لسان رسول بعثناه اليهم توكيداً للحجّة عليهم.

وخصّ المترفون لأنّ غيرهم تبع لهم ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ فتمادوا في العصيان والخروج عن الطّاعة ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ الوعيد بإنهماكهم في المعاصي ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ أهلكنا أهلها وخربناها.

[١٧] ـ ﴿وَكَمْ﴾ وكثيراً ﴿أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم، بيان لـ«كَم» ﴿مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ كعاد وغيرهم ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ عالماً ببواطنها وظواهرها.

[١٨] ـ ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ الدّنيا بعمله ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُّرِيدُ﴾ التّعجيل له، وهو بدل من «له» بإعادة الجارّ.

وقيّد بالمشيّة والإرادة لأن العبد لا يعطى كلّ ما يتمنّاه ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَيهَا﴾ يدخلها ﴿مَذْمُومًا﴾ ملوماً ﴿مَّدْحُورًا﴾ مطروداً عن رحمة الله.

[١٩] ـ ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾ حق السّعي لأجلها بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ إذ لا نفع للعمل بدون الإيمان ﴿فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا﴾ مقبولاً عند الله، مثاباً عليه.

[٢٠] ـ ﴿كُلاًّ﴾ من كلّ واحد من الفريقين ﴿نُّمِدُّ﴾ نعطي ﴿هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ﴾ بدل من «كلاًّ» ﴿مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ رزقه، متعلق بـ«نمّد» ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ ممنوعاً في الدنيا من مؤمن ولا كافر.

[٢١] ـ ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ في الرّزق والجاه ﴿وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ من الدنيا، فينبغي الرّغبة فيما هو أفضل وأبقى.

[٢٢] ـ ﴿لاَّ تَجْعَلْ﴾ ايّها السّامع، أو: الخطاب للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والمراد أُمّته[١] ﴿مَعَ اللهِ إِلهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ﴾ فتصير ﴿مَذْمُومًا﴾ على لسان العقلاء ﴿مَخْذُولاً﴾ لا ناصر لك.

[٢٣] ـ ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾ أمر أمراً جزماً ﴿أَنْ﴾ أي بأن: ﴿لاَ تَعْبُدُواْ إِلاّ إِيَّاهُ﴾ وجاز كون «أن» مفسّرة و«لا» للنّهي ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾ وأن تحسنوا بهما ﴿إِحْسَانًا﴾ عظيماً ﴿إِمَّا﴾ «ان» الشّرطية، ادغمت في «ما» الزائدة للتأكيد واكّد بالنّون ﴿يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا﴾ والفاعل على قراءة «حمزة» و«الكسائي»: «يبلغانّ» هو بدل من الالف[٢] ﴿أَوْ كِلاَهُمَا﴾ عطف عليه على الوجهين ﴿فَلاَ تَقُلْ لَّهُمَا أُفٍّ﴾ فلا تضجر منهما، وهو صوت يدّل على تضجّر بمعنى مصدر، أي: ؛ نتناً وقبحاً، مبنّى على الكسر، ونوّنه «نافع» و«حفص» تنكيراً، وفتحه «ابن كثير» و«ابن عامر».[٣]

والمعنى: لا تؤذهما قليلاً ولا كثيراً. وقيل: لا تتقذّرهما وأمط عنهما الأذى، كما كانا يميطانه عنك حين كنت تخري وتبول.[٤]

وعن الصادق عليه السّلام: أدنى العقوق «افّ» ولو علم الله عزوجل شيئاً أهون منه لنهى عنه.[٥] ﴿وَلاَ تَنْهَرْهُمَا﴾ تزجرهما بإغلاظ ﴿وَقُلْ لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ جميلاً رفيقاً.

[٢٤] ـ ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِ﴾ اضافة الجناح للذّل بيانيّة، والمعنى اخفض لهما جناحك الذّليل، اريد به المبالغة في التذلّل والتواضع لهما، وضمّهما إليه كما يضمّ الطائر فرخه بخفض جناحه له ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ من الرّقة عليهما

---

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٠٧ وتفسير البيضاوي ٣: ١١٦.

(٢-٣) حجة القراءات: ٣٩٩، وفي المصحف أُوفِّ.

(٤) قاله مجاهد كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٠٩.

(٥) تفسير نور الثقلين ٣: ١٤٩ و١٥١ وفيه: أيسر منه وورد الحديث في ارشاد القلوب للديلمي: ١٧٩، وانظر تفسير مجمع البيان ٣: ٤٠٩.

﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا﴾ برحمتك الباقية، فإنّها أنفع من رحمتي لهما ﴿كَمَا رَبَّيَانِى﴾ كرحمتهما لي بتربيتهما ايّاي ﴿صَغِيرًا﴾ فإنّي عاجز عن مكافاتهما ولا يقدر عليها سواك.

[٢٥] ـ ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ﴾ بما تضمرون من برّ وعقوق ﴿إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ طائعين له ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ﴾ التّوابين عن تقصير[1] صدر منهم في حقّ الوالدين ﴿غَفُورًا﴾ أي لتقصيرهم أو لذنب كلّ تائب.

[٢٦] ـ ﴿وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ من صلة الرحم بالمال والنفس.

وعن أهل البيت عليهم السّلام: المراد به قرابة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وانّ الآية لمّا نزلت، أعطى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فاطمة عليها السّلام فدكاً ورواه «أبو سعيد» وغيره[2] ﴿وَالْمِسْكِينَ وَابنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ بإنفاق المال في غير طاعة الله.

[٢٧] ـ ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوانَ الشَّيَاطِينِ﴾ اتباعهم وعلى سنّتهم في الإسراف ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ شديد الكفر به، فكذلك متّبعه المبذّر.

[٢٨] ـ ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ وان تعرض عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل إذ لا تجد ما تعطيهم ﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوها﴾ لطلب رزق منه تنتظره أن يأتيك فتعطيهم منه ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا﴾ ليّناً، أي: عدهم وعداً جميلاً، أو ادع لهم باليسر، مثل: يرزقنا الله وايّاكم.

[٢٩] ـ ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾ لا تقبضها عن الإنفاق كلّ القبض ﴿وَلاَ تَبْسُطْها﴾ فيه ﴿كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ﴾ فتصير ﴿مَلُومًا﴾ بالإسراف عند الله وغيره ﴿مَّحْسُورًا﴾ نادماً أو منقطعاً بك أو عرياناً.

---

(١) في«ج» من تقصير.

(٢) تفسير القمي ٢: ١٨، تفسير نور الثقلين ٣: ١٥٥ وتفسير مجمع البيان ٣: ٤١١.

قيل: بعثت إمرأة ابنها الى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وقالت: قل له: أمّي تستكسيك درعاً، [1] فإن قال: حتّى يأتينا شيء، فقل: انّها تستكسيك قميصك، فأتى وقال له ما قالت، فنزعه وأعطاه وقعد عرياناً ولم يخرج للصّلاة، [2] فنزلت.

[٣٠] ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يوسعه ويضيقه بمشيّته بحسب المصلحة ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ عالماً بسرّهم وعلنهم وبما يصلحهم من التوسيع والتقتير عليهم.

[٣١] ـ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ أي بناتكم بالوأد ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ مخافة الفقر ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ إثماً عظيماً، وكسر «ابن كثير» «الخاء» بمدّ، وفتحها «ابن ذكوان» كالطاء بلا مدّ وكسرها الباقون وسكّنوا الطاء. [3]

[٣٢] ـ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ نهى عن قربه مبالغة في النهى عنه ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ ظاهر القبح ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ وبئس طريقاً هو.

[٣٣] ـ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ بسبب مبيح كالقود والرّدّة وحدّ المحصن، ثم بيّن بعض الأسباب المبيحة بقوله: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ بغير حقّ ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾ تسلّطاً على القاتل ﴿فَلَا يُسْرِفْ﴾ الولي بتجاوز الحدّ ﴿فِي الْقَتْلِ﴾ بالمثلة أو قتل غير القاتل، أو لا يسرف القاتل في قتل من لا يحقّ قتله. وقرأ «حمزة» و«الكسائي» فلا تسرف على خطاب الوليّ أو القاتل [4] ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ علّة النّهي، والهاء للولّي، فانّ الله نصره بأن أوجب له القصاص والتعريض، أو للمظلوم فإنّه منصور في الدنيا بايجاب القود بقتله، وفي الآخرة

(١) اي تطلب منك الكسوة، والدرع: ثوب المرأة وقميصها.

(٢) رواه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٣: ٤١١ وتفسير البيضاوي ٣: ١١٨.

(٣) تفسير مجمع البيان ٣: ٤١٢ و حجة القراءات: ٤٠٠ و ٤٠١ والكشف عن وجوه القراءات ٢: ٤٥.

(٤) حجة القراءات: ٤٠٢.

بالثّواب أو للّذي يقتله الوليّ اسرافاً بإيجاب القصاص على المسرف.

[٣٤] ـ ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِى﴾ بالخصلة التي ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾ كحفظه وتثميره[1] ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ يصير بالغاً رشيداً ﴿وَأَوْفُواْ بِالعَهْدِ﴾ اليكم من الله أي تكاليفه أو بما عاهدتموه وغيره ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ عنه ناكثه، أو مطلوباً من العاهد أن يفي به.

[٣٥] ـ ﴿وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ﴾ اتموه ﴿إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقُسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ بالميزان السّويّ، بضم القاف، وكسره «حفص» و«حمزة» و«الكسائي»[2] ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مآلاً ومرجعاً.

[٣٦] ـ ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ لا تتّبع ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ قد يخصّ بالعقائد أو يعمم العلم فيما يشمل ظنّ المجتهد ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾ القلب ﴿كُلُّ أُوْلَئِكَ﴾ الأعضاء ﴿كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ أي كان كلّ واحد منها مسئولاً هو أو صاحبه عمّا فعل به، وظاهره المؤاخذة بالعزم على الذّنب.

[٣٧] ـ ﴿وَلَا تَمْشِ فِى الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ ذا مرح أي مختال ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ تشقّها بكبرك حتى تبلغ آخرها ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ بتطاولك، فيكف تختال وأنت بهذه المثابة من العجز.

[٣٨] ـ ﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿كَانَ سَيِّئُهُ﴾ وهو المنهى عنه منه دون المأمور به، وهذه قراءة «الكوفيين» و«ابن عامر»[3] وقرأ غيرهم «سيّئة» على انّها خبر «كان» واسمها ضمير «كلّ»[4] وذلك اشارة للمناهي فقط ﴿عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ خبر على الاولى

(١) في المخطوطات تتميره والصحيح ما اثبتناه ويدلّ عليه ما في سورة الانعام: ٦/ ١٥٢ يراجع تفسير الآية.

(٢) حجة القراءات: ٤٠٢.

(٣) تفسير مجمع البيان ٣: ٤١٤ وحجة القراءات: ٤٠٣.

(٤) حجة القراءات: ٤٠٣.

وبدل منه على الثّانية، ويفيد انّ الله لم يرد المناهي لذاتها وانّما ارادها بالتّبع لإرادة المكلف لمضادّة الكراهة للإرادة بالذات.

[٣٩] ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ الكلام المحكم الذي لا دخل للفساد فيه ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ كرّر ايذاناً بأنّ التوحيد رأس الحكمة وملاكها ﴿فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا﴾ لنفسك وغيرها ﴿مَّدْحُورًا﴾ مطروداً عن رحمة الله.

[٤٠] ـ ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ﴾ انكار لقولهم: الملائكة بنات اللهِ، أي: أخصّكم ﴿رَبُّكُم بِالْبَنِينَ﴾ الّذين هم أشرف الأولاد ﴿وَاتَّخَذَ﴾ لنفسه ﴿مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا﴾ بناتاً. ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ بنسبة الأولاد إليه، ثم بتفضيل انفسكم عليه إذ جعلتم له ما تكرهون، ثم بجعل الملائكة الذين هم من أشرف الخلق اخسّهم.

[٤١] ـ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ كرّرنا وبيّنا الدّلائل والعبر ﴿فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ﴾ واوقعنا التصريف فيه ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ ليتذكّروا أي يعتبروا، وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: ليذكروا[1] من الذّكر بمعنى التّذكير ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ عن الحق، نسب إليه مجازاً أي ازدادوا نفوراً عند نزوله.

[٤٢] ـ ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ﴾[2] ايّها المشركون، وقرأ «ابن كثير» و«حفص» بالياء[3] ﴿إِذًا لَّابْتَغَوْا﴾ جواب لـ«لو» أو لقولهم أي لطلبوا ﴿إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ﴾ مالك الملك ﴿سَبِيلًا﴾ بالمغالبة فعل الملوك بعضهم ببعض، أو بالتّقرّب إليه لعلمهم بعلوّه عليهم.

[٤٣] ـ ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له ﴿وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ وقرأ «حمزة» «الكسائي

---

(١) حجة القراءات: ٤٠٣.

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «كما يقولون».

(٣) حجة القراءات: ٤٠٤ـ٤٠٥.

بالخطاب[١] ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ تعالياً متباعداً عن صفات الممكنات.

[٤٤] ــ ﴿يُسَبِّحُ﴾[٢] وقرأ «أبو عمرو» و«حمزة» و«الكسائي» و«حفص» بتاء التأنيث[٣] ﴿لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ ينزّهه عمّا لا يليق بشأنه بلسان الحال الدالة على توحيده ﴿وَلَكِنْ لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ ايّها الكفرة لترككم النّظر المؤدي الى فهمه.

قد يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدّلالة، ويخالف رأي جُلّ الأُصوليين،[٤].

وقد يحمل على اللّفظ بناء على انّ لكل شيء لغة لا نفهمها ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا﴾ لم يعاجلكم بالعقوبة ﴿غَفُورًا﴾ لمن تاب عن كفره.

[٤٥] ـ ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ ساتراً أو ذا ستر ـ كمكان مهول أي ذا هول ـ أو مستوراً عن الحسّ.

قيل نزلت في قوم كانوا يؤذونه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ إذا قرأ القرآن، فحجبه الله عنهم فلا يرونه عند قرائته.[٥]

[٤٦] ـ ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِم أَكِنَّةً﴾ أغطية ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ كراهة أن يفهموه ﴿وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ صمماً، فلا يسمعونه، مثل في نبوّ[٦]قلوبهم ومسامعهم عن قبوله.

---

(١) حجة القراءات: ٤٠٤ـ٤٠٥.

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «تسبّح» ـ كما سيشير اليه المؤلّف ـ.

(٣) تفسير مجمع البيان ٣: ٤١٦ حجة القراءات: ٤٠٥.

(٤) لاحظ كتاب كفاية الاصول للشيخ الخراساني مبحث الألفاظ استعمال اللفظ في اكثر من معنى.

(٥) قاله الزجاج والجبّائي ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٤١٨، وينظر تفسير نور الثقلين ٣: ١٦٩.

(٦) النبّو: عدم القبول والتنفّر عن الشيء.

واسند إليه تعالى ايذاناً بتمكّنه منهم كالجبلّة ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ﴾ بدون ذكر آلهتهم، مصدر في محل الحال أي يحد وحدة ﴿وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ جمع نافر أو مصدر لـ«ولّوا» من غير لفظه أي نفروا عن استماع التّوحيد نفرة.

[٤٧] ـ ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ بسببه من الهُزء ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ ظرفان لـ«اعلم» أي نحن اعلم بغرضهم من استماعهم حين يستمعون إليك وحين هم ذووا نجوي أي يتناجون به في امرك ﴿إِذْ﴾ بدل من «اذهم» ﴿يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾ ـ في تناجيهم ـ: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً﴾ سحر، فذهب عقله أو مخدوعاً.

[٤٨] ـ ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الأَمْثَالَ﴾ شبهوك بمسحور وساحر وشاعر وكاهن ومجنون ﴿فَضَلُّواْ﴾ بذلك عن الحقّ ﴿فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ إليه أو الى الطّعن فيك، ضلال من تحيّر في التّيه.

[٤٩] ـ ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ انكاراً للبعث ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا﴾ رضاضاً ﴿أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ «إذا» ظرف لما دلّ عليه مبعوثون لا لَه إذ لا يعمل ما بعد «انّ» فيما قبلها ﴿خَلْقًا﴾ مصدر أو حال ﴿جَدِيدًا﴾.

[٥٠] ـ ﴿قُلْ﴾ ـ لهم ـ: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾.

[٥١] ـ ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُم﴾ يعظم عندكم عن قبول الحياة فضلاً عن العظام الرّفات فإنّ الله لا يعجز عن احيائكم ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾ يحيينا ﴿قُلِ الَّذِى فَطَرَكُمْ﴾ خلقكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فإنّ من قدر على البدء فهو على الإعادة أقدر ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ﴾ يحرّكون نحوك ﴿رُءُوسَهُمْ﴾ تعجّباً واستهزاءً ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾ أي البعث ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ فإنّ ما هو آت قريب.

[٥٢] ـ ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ من قبوركم على لسان اسرافيل عند النّفخة الثّانية ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ تجيبون ﴿بِحَمْدِهِ﴾ حامدين له، أو مطاوعين لبعثه مطاوعة الحامد له

﴿وَتَظُنُّونَ إن لَبِثْتُمْ﴾ في الدّنيا أو في البرزخ ﴿إلاَّ قَلِيلاً﴾ لهول ما ترون.

[٥٣] ـ ﴿وَقُلْ لِعِبَادِى﴾ المؤمنين ﴿يَقُولُواْ﴾ للكفّار، الكلمة ﴿الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ ألين ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ﴾ يفسد ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بسبب الغلظة، فتشتدّ النّفر فلا يحصل الغرض ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ بيّن العداوة.

وتفسير «التي هي أحسن»:

[٥٤] ـ ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ بفضله ﴿أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ بعدله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾ فتقسّرهم على الإيمان، وما عليك إلاّ البلاغ.

وهذا قبل آية السّيف.[١]

[٥٥] ـ ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ فيخص كلاًّ منهم بما يليق به وبذلك تفاضلوا، وفيه ردّ لإنكار قريش أن يكون يتيم أبي طالب نبياً ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ بدرجات الثواب وتخصيص كلّ منهم بفضيلة كـ«ابراهيم» بالخلّة و«موسى» بالكلام و«محمّد» صلّى الله عليه وآله وسلّم بخصائص لا يشركه فيها أحد ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ اسم لكلّ كتاب، وغلب في كتاب «داود» عليه السّلام،[٢] ويأتي منكّراً ومعرّفاً كحسن والحسن لأنّه مصدر، أو بمعنى المفعول، وضمّه «حمزة»[٣] وانّما ذكر ليعلم انّ التفضيل انما هو بالعلم أو الدّين لا بالمال والملك.

[٥٦] ـ ﴿قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ انّهم آلهة ﴿مِّنْ دُونِهِ﴾ كالملائكة و«عزير» و«المسيح» ﴿فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ﴾ كالقحط والمرض ﴿وَلاَ تَحْوِيلاً﴾ له عنكم الى غيركم.

[٥٧] ـ ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ أي يدعونهم آلهة ﴿يَبْتَغُونَ﴾ يطلبون ﴿إِلَى رَبِّهِمُ

---

(١) وهي الآية الخامسة من سورة التوبة.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٢٢.

(٣) اي الزاي ـ كما في حجة القراءات: ٢١٩.

﴿الْوَسِيلَةَ﴾ القربة بالطّاعة ﴿أَيُّهُمْ﴾ بدل من واو «يبتغون» أي يبتغيها الّذي هو ﴿أَقْرَبُ﴾ إليه، فكيف بغير الأقرب ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ كسائر عباده فكيف تزعمونهم آلهة ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً﴾ حقيقاً بأن يحذر.

[٥٨] ـ ﴿وَإِنْ﴾ وما ﴿مِّنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيٰمَةِ﴾ بالموت ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بالقتل وغيره ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى الْكِتَابِ﴾ اللّوح المحفوظ ﴿مَسْطُوراً﴾ مكتوباً.

[٥٩] ـ ﴿وَمَا مَنَعَنَا﴾ صرفنا ﴿أَنْ نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ﴾ التي اقترحتها[1] قريش ﴿إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾ لمّا اقترحوها، وارسلناها اليهم فأهلكناهم، ولو ارسلناها الى هؤلاء لكذّبوا بها، كأولئك واستحقّوا الإهلاك كما جرت به سنّتنا.

وقد حكمنا بإمهالهم ليتمّ أمر «محمّد» صلّى الله عليه وآله ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ آية واضحة تبصّر من تأمّلها ﴿فَظَلَمُواْ﴾ أنفسهم ﴿بِهَا﴾ بعقرها، أو فكفروا بها ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ﴾ المعجزات ﴿إِلاَّ تَخْوِيفًا﴾ للعباد من عذابنا ليؤمنوا.

[٦٠] ـ ﴿وَإِذْ﴾ واذكر إذ ﴿قُلْنَا﴾ اوحينا ﴿لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ علماً وقدرة، فهم في قبضته، فبلّغهم ولاتخشهم فهو عاصمك منهم ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ﴾ عياناً ليلة «الإسراء» أو في المنام، إذ رأى بني اميّة ينزون على منبره نزو القردة، فساءه ذلك[2] ﴿إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ امتحاناً لهم ليتميز المصدّق بالإسراء عن المكذّب، أو الثابت على إيمانه في دولة بني اميّة من غيره ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِى الْقُرْءَانِ﴾ عطف على «الرّءيا» وهي بنو اميّة أو شجرة الزّقّوم الّتي تنبت في اصل الجحيم، جعلها الله فتنة لهم فكذّبوا بها وقالوا: النّار تحرق الشجرة، فكيف تنبت

---

(١) وفي «الف» و«ب»: اقترحها.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٢٤ تفسير العياشي ٢: ٢٩٧ ـ ٢٩٨ وتفسير نور الثقلين ٣: ١٨٠.

فيها،[1] وهذا محض جهل منهم بكمال قـدرته تعالى ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ عتواً عظيماً.

[٦١] ـ ﴿وَإِذْ﴾ واذكـر إذ ﴿قُلْنَا لِلْمَلٰئِكَةِ اسْجُـدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إلاَّ إبْلِيْسَ﴾ فسّر في «البقرة»[2] ﴿قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ نصب بنزع الخافض أو حالاً من عائد الموصول أو منه، ويؤذن بعلة الإنكار.

[٦٢] ـ ﴿قَالَ أَرَءَيْتَـكَ هَذَا﴾ مفعـول اول، إذ لا محلّ لكـاف الخطـاب ﴿الَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ صفة «هـذا» والمفعول الثاني مقـدّر، والمعنى: أخبرني عن هـذا الّذي فضّلته عليّ بأمري[3] بتعظيمه لـم فضّلته؟ ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَـى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ﴾ لام قسم، جوابه ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾ لأستأصلنّهـم بـالإغواءِ، مـن احتنك الجـراد الـزّرع، أي: استأصله، واثبت «ابن كثير» «ياء» اخّرتنى مطلقاً، و«نافع» و«أبو عمرو» وصلاً[4] ﴿إلاَّ قَلِيلاً﴾ منهم، ممّن عصمته بلطفك، علم تيسّر ذلك له من قول الملائكة: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾[5] وتقريره:

[٦٣] ـ ﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿اذْهَبْ﴾ لما اخترتـه مخلّىً بينك وبينه ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾ أنت وهم ﴿جَزَاءً مَّوْفُورًا﴾ موفراً مكملاً.

[٦٤] ـ ﴿وَاسْتَفْزِزْ﴾ اِستخفّ واستزلّ ﴿مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَـوْتِكَ﴾ بدعائك الى الشرّ ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ﴾ فرسانك ﴿وَرَجِلِكَ﴾ اسم جمع للرّاجل، وكسر جيمه «حفص»[6] أي: صح عليهم بكلّ راكب وماش في الضّلالة.

---

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٢٦ وتفسير البيضاوي ٣: ١٢٣.

(٢) عند تفسير الآية ٣٤ من سورة البقرة.

(٣) اي: بأمرك ايّاي.

(٤) النشر في القراءات العشر: ٣٠٩.

(٥) سورة البقرة: ٢/ ٣٠.

(٦) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٢٥ وحجة القراءات: ٤٠٥.

أو اجمع عليهم كيدك وأعوانك ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى الأَمْوالِ﴾ المكتسبة من الحرام والمنفقة فيه ﴿وَالأَوْلَادِ﴾ من الزّنا، أو في تسميتهم بعبد اللات وعبد العزّى[1] ﴿وَعِدْهُمْ﴾ الباطل كنفي البعث أو شفاعة آلهتهم ﴿وَمَا يَعِدُهُمْ الشَّيْطَانُ إلاَّ غُرُورًا﴾ باطلاً يزيّنه لهم.

[٦٥] ـ ﴿إنَّ عِبَادِى﴾ الخلّص أو مطلقاً ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ تسلّط، إلاّ من اتبعك بإختياره ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكيلاً﴾ حافظاً من شرّك لمن إلتجأ إليه.

[٦٦] ـ ﴿رَّبُّكُمْ﴾ هو ﴿الَّذِي يُزجِى لَكُمُ الْفُلْكَ﴾ يجريها ﴿فِى الْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالتّجارة ﴿إنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ حيث سخّرها لكم.

[٦٧] ـ ﴿وَإذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ خوف الغرق ﴿فِى الْبَحْرِ ضَلَّ﴾ ذهب عن اوهامكم ﴿مَنْ تَدْعُونَ﴾ تعبدون من آلهتكم فلا تدعونه ﴿إلاَّ إيَّاهُ﴾ تعالى تدعونه وحده إذ لا يكشف الضّرّ سواه ﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ﴾ من الغرق ﴿إلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن توحيده ﴿وَكَانَ الإنْسَانُ كَفُورًا﴾ للنعم.

[٦٨] ـ ﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ انكار، عطف على مقدّر أي انجوتم فأمنتم حتى أعرضتم ﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ أن يقلبه وانتم عليه فـ«بكم» حال، وقرأ «ابن كثير و«أبو عمرو» بالنون فيه[2] وفي الأربعة الآتية[3] ﴿أَوْيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ريحاً ترميكم بالحصباء، والمعنى انّ القادر على اغراقكم في البحر، قادر على اهلاككم في البرّ ﴿ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ وَكيلاً﴾ حافظاً منه.

[٦٩] ـ ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ في البحر ﴿تَارَةً أُخْرَى﴾ بأن يحوجكم الى ركوبه فتركبوه ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا﴾ كاسراً شديداً ﴿مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا

---

(١) تفسير مجمع البيان ٣ : ٤٢٦ـ وفيه . . . وعبد الحرث ونحوهما.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣ : ٤٢٧ـ حجة القراءات : ٤٠٦.

(٣) اي الافعال الأربعة في الآية : يرسل، يعيد، فيرسل وفيغرق.

كَفَرْتُمْ﴾ بكفركم ﴿ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ تابعاً[١] مطالباً بثاركم.
أو دافعاً عنكم.

[٧٠] ـ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ﴾ بالعقل والنطق واعتدال الخلق وتسخير الأشياء لهم وغير ذلك ممّا لا يحصى ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ على الدّوابّ والسّفن ﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ المستلذّات ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾.

والكثير: ما عدا جنس الملائكة أو خواصّهم، ولا ينافيه تفضيل الأنبياء عليهم، إذ عدم تفضيل جنس النّاس لا يستلزم عدم تفضيل بعضهم.

[٧١] ـ ﴿يَوْمَ﴾ إذكر يوم ﴿نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ قيل: بنبيّهم أو كتاب اعمالهم.[٢]

وعن أهل الذّكر عليهم السّلام: امام زمانهم فإنّ الأئمّة امام هدىً وامام ضلال[٣] ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ﴾ كتاب عمله ﴿بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾ فرحاً بما يرون فيه، وجمعوا باعتبار معنى «مَن» ﴿وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ لاينقصون من حقّهم قدر ما في شق النواة.

[٧٢] ـ ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ﴾ أي الدّنيا ﴿أَعْمَى﴾ القلب عن الحقّ ﴿فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى﴾ عن طريق الجنّة، أو أعمى العين، فلا يقرأ كتابه.

وقيل «هو» للتّفضيل[٤] وأماله «أبو بكر» و«حمزة» و«الكسائي» في الموضعين و«أبو عمرو» في الأوّل[٥] ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ وأبعد طريقاً.

---

(١) في «ج»: طالباً.

(٢) قاله مجاهد وقتادة ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٢٩ـ.

(٣) اصول الكافي ١: ٢١٥ وتفسير مجمع البيان ٣: ٤٢٩عن علي عليه السّلام.

(٤) نقله الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٣٠.

(٥) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٢٨ـ حجة القراءات: ٤٠٧.

[٧٣] ـ ﴿وَإِنْ﴾ مخفّفة من الثقيلة[١] أي انّ الشّأن ﴿كَادُواْ﴾ قاربوا ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾ ليستزلّونك، واللام فارقة[٢] ﴿عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنَـا إِلَيْكَ﴾ من الأحكـام ﴿لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾ غيرما اوحيناه اليك ﴿وَإِذًا﴾ لو اتّبعت مرادهم ﴿لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً﴾ وليّاً لهم.

نزلت حين قالـت قريش له صلّى الله عليه وآله وسلّم: لا ندعك تستلـم الحجر حتى تلمّ[٣] بآلهتنا أو حين قالوا: كفّ عن شتم آلهتنا حتّى نستمع منك.

أو حين قـال ثقيف: نبـايعك علـى أن لا ننحني في الصّـلاة[٤] وان تحرم وادينا كـ«مكّة» وألحّوا عليه، فأبى.

[٧٤] ـ ﴿وَلَوْلَاۤ أَنْ ثَبَّتْنَاكَ﴾ على الحق بالعصمة ﴿لَقَدْ كِدْتَّ﴾ قاربت ﴿تَرْكَنُ﴾ تميل ﴿إِلَيْهِمْ شَيْئًا﴾ ركوناً ﴿قَلِيلاً﴾ لكن عصمناك، فلم تقارب الـرّكون فضلاً أن تركن اليهم، ويفيد انّه صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يهمّ بإجابتهم.

[٧٥] ـ ﴿إِذًا﴾ لو قاربت ﴿لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَـوٰةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ ضعف عذاب الدّنيا وضعف عذاب الآخرة، أي مثلى ما يعذب غيرك في الدارين.

وقيل الضّعف: اسم للعذاب[٥] ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ دافعاً عنك.

[٧٦] ـ ﴿وَإِنْ﴾ مخفّفة ﴿كَادُواْ﴾ أهل «مكة» ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ يزعجونك ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ ارض مكّة ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا﴾ لو اخرجوك ﴿لَّا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ﴾[٦] فيها. وقرأ «ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي» «خلافك»[٧] ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ زماناً يسيراً، وقد كان

---

(١) جملة«من الثقيلة» ليست موجودة في «الف» و«ب».

(٢) اللام الفارقة هي التي تدخل للفرق بين«ان» المخففة و«ان» النافية ـ كذا في كليّات ابي البقاء.

(٣) اللم: أخذ الشيء بأجمعه وفي تفسير البيضاوي ٣: ١٢٤: حتى تلمّ بآلهتنا وتمسكها بيدك.

(٤) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٣١وفيه: لاننحي بفنون الصلاة.

(٥) قاله ابان بن تغلب ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٣١.

(٦) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «خلافك».

(٧) حجة القراءات: ٤٠٨.

ذلك وهو قتلهم ببدر بعد هجرته بسنة.[١]

وقيل نزلت في اليهود، كرهوا مقامه بالمدينة فقالوا: ان كنت نبيّاً فائت الشّام فإنّها أرض الأنبياء.[٢]

[٧٧] ـ ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ أي كسّنتنا في رسلنا من اهلاك من اخرجهم ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ تبديلاً.

[٧٨] ـ ﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ لزوالها، من الدّلك، لأنّ النّاظر اليها يدلك عينيه ليتبيّنها، و«اللاّم» بمعنى الوقت، فيشمل وقتي صلاتى الظّهرين.

وقيل: لغروبها[٣] ﴿إِلَى غَسَقِ الَّيْلِ﴾ ظلامه وهو وقت العشائين.

وعن الصّادقين عليهما السّلام: دلوكها: زوالها، ففيما بينه الى غسق الّيل وهو انتصافه اربع صلوات[٤] ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾ صلاة الصّبح.

وتسميتها «قراناً» لتضمّنها له كتسميتها ركوعاً وسجوداً ﴿إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ تشهده ملائكة الّيل وملائكة النّهار.

[٧٩] ـ ﴿وَمِنَ الَّيْلِ﴾ بعضه ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾ فدع الهجود للصّلاة بالقرآن ﴿نَافِلَةً لَكَ﴾ خاصّة، زيادة على الفرائض أو فضيلة لك تخصّك ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ﴾ يقيمك في الآخرة ﴿مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ يحمدك فيه الاوّلون والآخرون وهو مقام الشفاعة.[٥]

---

(١) قاله الضحاك ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٣٢.

(٢) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٣٢.

(٣) قاله النخعي والضحاك والسدي ـ كما في تفسير العياشي ٢: ٣١٠ ـ تفسير مجمع البيان ٣: ٤٣٣.

(٤) وسائل الشيعة ٢: ١١٤ ـ وتفسير نور الثقلين ٣: ٢٠١ وتفسير العياشي ٢: ٣٠٩.

(٥) تفسير العياشي ٢: ٣١٠ ـ وما بعدها، تفسير القمي ٢: ٢٥ ـ تفسير مجمع البيان ٣: ٤٣٥.

[٨٠] ـ ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي﴾ فيما حمّلتني من الرّسالة أو في المدينة أو في القبر ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ ادخالاً مرضيّاً ﴿وَأَخْرِجْنِي﴾ من أعباء الرّسالة[1] بأدائها.

أو من مكّة أو عند البعث ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ اخراجاً لا أرى فيه مكروهاً ﴿وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ قوّة تنصرني بها على اعدائك، أو ملكاً اقهر به العصاة، فنصره بالرّعب من مسيرة شهر.

[٨١] ـ ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ هلك الشّرك ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ مضمحّلاً زائلاً.

وقد قالها يوم فتح مكّة حين جعل يطعن الأصنام بعود فيلقيها وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة، فحمل صلّى الله عليه وآله وسلّم «علياً» عليه السّلام فصعد فرمى به فكسره.

[٨٢] ـ ﴿وَنُنَزِّلُ﴾ وخفّفه «أبو عمرو»[2] ﴿مِنَ الْقُرْآنِ﴾ «من» بيانيّة ﴿مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ من الأمراض الرّوحانيّة كالعقائد الفاسدة والأخلاق الذّميمة. والجسمانيّة ببركة تلاوته للإستشفاء ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ خصّوا بالذّكر لأنّهم المنتفعون به ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ لكفرهم به.

[٨٣] ـ ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ﴾ بالصّحة والغنى ﴿أَعْرَضَ﴾ عن ذكرنا ﴿وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ بعد بنفسه عنه وثنّى عِطفه[3] مستكبراً، وقرأ «ابن ذكوان» «وناء» على القلب أو بمعنى نهض[4] ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ كمرض أو فقر ﴿كَانَ يَئُوسًا﴾ قنوطاً من روح الله.

[٨٤] ـ ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ من المؤمن والكافر ﴿يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ خليقته التي تخلّق بها أو طريقته الّتي اعتادها ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ اوضح طريقاً

---

(١) أعباء الرسالة: جمع عب اي اثقالها(مجمع البحرين).

(٢) في البيضاوي ٣: ١٢٧ ـ وقرأ البصريان: «ننزل» ـ بالتخفيف.

(٣) ثنّى عطفه: ردّ بعضه الى بعض.

(٤) النشر في القراءات العشر: ٣٠٨.

وأصوب ديناً.

[٨٥] - ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الّذي يحيى به بدن الإنسان ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ حصل بإرادته المعبّر عنها بـ«كُن» بلا مادّة أو حدث بتكوينه على انّ سؤالهم عن قدمه وحدوثه، أو بعلمه الّذي استأثر به، لما قيل أن اليهود قالوا لقريش: سلوه عن الرّوح، فإن أجاب، فليس بنبيّ، وان أبهم كما في التوراة فهو نبيّ.[١]

وقيل: الرّوح: القرآن،[٢] و«من امر ربّي»: من وحيه، وقيل: جبرئيل.[٣]

وعن أهل البيت عليه السّلام: انه خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، يكون مع النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والأئمة، يسدّدهم[٤] ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ بالنسبة الى علم الله تعالى، خطاب للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وغيره أو للسّائلين.

[٨٦] - ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾[٥] أي القرآن بأن نمحوه من الصدور والمصاحف، وناب جواب «ان» ﴿ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً﴾ من يتوكل بردّه عليك.

[٨٧] - ﴿إِلاَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ متصل أي[٦] كأنّ رحمته تعالى تتوكل بالردّ.

أو منقطع أي وليكن رحمة من ربك أبقته عليك ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ بإرسالك وانزال القرآن وابقاءه عليك وغير ذلك.

[٨٨] - ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ﴾ في

---

(١) تفسير التبيان ٦: ٥١٥.

(٢) نقله الطوسي في تفسير التبيان ٦: ٥١٥.

(٣) نقله البيضاوي في تفسيره ٣: ١٢٧.

(٤) تفسير نور الثقلين ٣: ٢١٥.

(٥) في «ج» زيادة مايلي: لام قسم جوابه لنذهبن بالذي أوحينا إليك.

(٦) اي الإستثناء متصل.

الفصاحة والبلاغة ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ وفيهم الفصحاء والبلغاء، وهو جواب القسم وناب جواب «ان» ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ معيناً.

نزلت ردّاً لقولهم: ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾.[1]

[٨٩] ـ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ كرّرنا وبيّنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ صفة محذوف، أي: عبراً من جنس كلّ مثل ليعتبروا ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ جحوداً، وسوّغ الإستثناء معنى النّفي.

[٩٠] ـ ﴿وَقَالُواْ﴾ ـ اقتراحاً ـ: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تُفَجِّرَ﴾[2] وخفّفه «الكوفيون»[3] ﴿لَنَا مِنَ الْأَرْضِ﴾ ارض مكة ﴿يَنبُوعًا﴾ عيناً ينبع ماؤها.

[٩١] ـ ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿مِن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا﴾ وسطها ﴿تَفْجِيرًا﴾.

[٩٢] ـ ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ حالاً كـ«قطع» لفظاً، ومعنى لـ«نافع» و«عاصم»[4] وسكّنه غيرهم وهو مخفّف المفتوح أو بمعنى مقطوع، كطحن للمطحون ﴿أَوْتَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلَٰئِكَةِ قَبِيلًا﴾ كفيلاً بما تدّعي أو: مقابلاً نعاينه ويشهد لك، وهو حال من الله دالّة على حال الملائكة أو مقابلة وعياناً، مصدر في محلّ حال من الكلّ، أو قبائل فوجاً حال من «الملائكة».

[٩٣] ـ ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ﴾ ذهب، وأصله الزينة ﴿أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ﴾ في مراقيها ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ لو فعلته ﴿حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا﴾ منها ﴿كِتَابًا﴾ يصدّقك ﴿نَّقْرَؤُهُ قُلْ﴾ وقرأ «ابن كثير» و«ابن عامر» «قال»[4] ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تعجّباً من

---

(١) سورة الأنفال: ٨/ ٣١.

(٢) في المصحف الشريف حفص: «تفجر» ـ بالتخفيف ـ.

(٣) حجة القراءات: ٤٠٩ـ ٤١٠.

(٤) حجة القراءات: ٤١٠.

تحكّمهم أو تنزيهاً له منه ﴿هَلْ﴾ ما ﴿كُنْتُ إلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ كسائر الرّسل، وما كانوا يطيقون أن يأتوا إلاّ بما يخصّهم الله به بحسب المصلحة وليس لهم أن يتحكّموا عليه، وقد خصّنى بآيات تغني عمّا اقترحتم.

[٩٤] ـ ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدى﴾ الحجج البيّنة ﴿إِلاَّ أَنْ قَالُواْ﴾ إلاّ قولهم انكارًا ﴿أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولاً﴾ وهلاّ بعث ملكاً.

[٩٥] ـ ﴿قُلْ﴾ ـ جواباً لهم ـ: ﴿لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلاَئِكَةٌ يَمْشُونَ﴾ كالبشر ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾ قاطنين[١] ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَّسُولاً﴾ إذ لابدّ من تجانس الرّسول للمرسل اليهم، ليمكنهم ادراكه والتّلقّي منه.

واما ارسال الملك الى النّبيّ فلتمكّنه من ذلك لقوّة نفسه.

[٩٦] ـ ﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقى بإظهار المعجز الدّالّ عليه ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ يعلم بواطنهم وظواهرهم، وفيه تهديد لمن ردّ تلك الشّهادة.

[٩٧] ـ ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللهُ﴾ بلطفه أو يحكم بهداه ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ وأثبت «نافع» و«أبو عمرو» الياء وصلاً[٢] ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ﴾ بمنعه اللّطف أو يحكم بضلاله ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾ يهدونهم ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ يسحبون عليها أو يمشيهم الله عليها بقدرته ﴿عُمْيًا﴾ لا يرون ما يسرّهم ﴿وَبُكْمًا﴾ لا ينطقون بما ينفعهم ﴿وَصُمًّا﴾ لا يسمعون ما يمتّعهم.

وقيل يحشرون من الموقف الى النّار مأوّفي الحواس[٣] ﴿مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا

---

(١) قاطنين: مقيمين.

(٢) كتاب السبعة في القراءات: ٣٨٦.

(٣) قاله مقاتل ــ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٤٢ ونقله البيضاوي في تفسيره ٣: ١٢٩ والمؤوّف: من كان به آفة في حواسه.

﴿خَبَتْ﴾ سكن لهبها بإفنائهم ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ تلّهباً واشتعالاً بهم بإعادتهم.

[٩٨]ـ ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُواْ﴾ انكاراً للبعث ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

[٩٩]ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ يعلموا ﴿أَنَّ اللهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أي يعيدهم، فإنّ القادر على الأعظم قادر على الأدون ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لا رَيْبَ فِيهِ﴾ هو الموت أو البعث ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إلاَّ كُفُورًا﴾ جحوداً للحقّ.

[١٠٠]ـ ﴿قُل لَّوْ أَنْتُمْ﴾ رفع بفعل يفسّره ﴿تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّى﴾ رزقه وسائر نعمه، وفتح «نافع» و«أبو عمرو» الياء[1] ﴿إِذًا لأَمْسَكْتُمْ﴾ بخلاً ﴿خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ﴾ خوف النّفاد بالإنفاق ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا﴾ بخيلاً، لأنّه خلق محتاجاً الى ما لا يحصّله إلاّ بالمال وامساكه، فالغالب عليه البخل ولو بذل شيئاً فلعوض أجلّ منه، فهو بخيل بالنّسبة الى جود الله تعالى.

[١٠١]ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ هي العصا واليد واللسان والبحر والطوفان والجراد والقمّل والضّفادع والدّم.

وقيل: الحجر والطمس بدل اليد واللسان[2] وقيل: السنون ونقص الثّمرات بدل البحر واللسان.[3]

وقيل سأل يهوديّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم عنها، ففسّرها بتحريم الشّرك والسّرقة والزّنا والقتل بغير حقّ والسّحر وأكل الرّبا وقذف المحصنة والمشي ببريء الى سلطان ليقتله والفرار من الزّحف.[4]

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ٥٢.

(٢) قاله محمّد بن كعب وابوعلي الجبائي ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٤٤.

(٣) نقل معناه البيضاوي في تفسيره ٣: ١٢٩.

(٤) قاله عبدالله بن سلمة عن صفوان ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٤٤ ـ وذكره البيضاوي في تفسيره ٣: ١٢٩.

ثم زاد على الجواب وقال: وعليكم خاصّة يا يهود أن لا تعدوا في السّبت فقبّل يده، وعدّ هذه الأحكام «آيات» لأنها من علامات النّبوّة ﴿فَاسْئَلْ﴾ يا «محمّد» ﴿بَنِى إِسْرَاءِيلَ﴾ عمّا جرى لموسى وفرعون ﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾ أو عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك، وعلى هذا نصب «إذ» بـ«آتينا» أو بإضمار «اذكر» أو فقلنا لموسى حين جائهم: اسئل بني اسرائيل من فرعون أيرسلهم معك؟ أو: سلهم عن إيمانهم ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً﴾ سحرت فخولط عقلك.

[١٠٢] - ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ يا «فرعون» وضمّه «الكسائي»[1] ﴿مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ﴾ أي: الآيات ﴿إِلاَّ رَبُّ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ حججاً تبصّرك صدقي ولكنّك تعاند ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً﴾ هالكاً أو مصروفاً عن الخير، قارع ظنّه الكذب بظنه الصّحيح الناشيء من شواهد الحال.

[١٠٣] - ﴿فَأَرَادَ﴾ «فرعون» ﴿أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ﴾ يزعج «موسى» وقومه بالنّفي أو القتل[2] ﴿مِّنَ الأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ عارضناه بنقيض مراده.

[١٠٤] - ﴿وَقُلْنَامِنْ بَعدِهِ لِبَنِي إِسرَءِيلَ اسكُنُوا الأَرضَ فَإِذَاجَاءَ وَعدُالآخِرَةِ﴾ الكرّة الآخرة أي قيام السّاعة ﴿جِئْنَابِكُمْ لَفِيفًا﴾ مختلطين[3] انتم وهم للحكم والجزاء.

[١٠٥] - ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِ نَزَلَ﴾ أي ما اردنا بإنزال القرآن إلاّ تقرير الحقّ في مركزه وما نزل إلاّ بالدعاء الى الحقّ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا﴾ من أطاع بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ من عصى بالنّار.

[١٠٦] - ﴿وَقُرْءَانًا﴾ نصب بفعل يفسره ﴿فَرَقْنَاهُ﴾ نزلّناه مفرّقاً نجوماً في نحو عشرين سنة، أو فرقنا به الحقّ من الباطل، فحذف الجارّ ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى

---

(١) حجة القراءات: ٤١١ وكتاب السبعة في القراءات: ٣٨٥.

(٢) في «ج»: بالنفي والقتل.

(٣) في «ج»: مختلفين.

مُكْثٍ﴾ بالضم، مهل وتثبّت ليسهل فهمه وحفظه ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً﴾ منجّماً على حسب المصالح.

[١٠٧]- ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ﴾ تهديد لهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ تعليل له، أي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم، وهم علماء أهل الكتاب كـ«ابن سلام» وغيره، أو الأعم منهم ومن غيرهم أو تعليل لـ«قل» تسلية له صلّى الله عليه وآله وسلّم بإيمان العلماء عن إيمان الجهلة ﴿إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ القرآن ﴿يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ﴾ يسقطون على وجوههم ﴿سُجَّدًا﴾ تذّللاً وخضوعاً لله تعالى.

[١٠٨]- ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ تنزيهاً له عن خلف الوعد ﴿إِنْ﴾ مخففة ﴿كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾ بإنزاله وبعث «محمّد» صلّى الله عليه وآله وسلّم في كتبنا ﴿لَمَفْعُولاً﴾ منجّزاً، واللام فارقة.

[١٠٩]- ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ﴾ كرّر ايذاناً بتكرير الفعل منهم ولتقيد الثاني بالحال وهي ﴿يَبْكُونَ﴾ من خوف الله ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ القرآن ﴿خُشُوعًا﴾ أي لين قلبٍ وتواضعاً لله تعالى.

[١١٠]- ﴿قُلِ ادْعُواْ اللهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمٰنَ﴾ نزلت حين قال المشركون:[١] وقد سمعوه صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: يا الله يا رحمان: ينهانا[٢] أن نعبد إلهين وهو يدعو إلهين، أو قالت اليهود[٣]: انّك لتقلّ ذكر «الرحمان» وقد اكثره الله في التوارة.[٤]

والدعاء بمعنى التسمية، يتعدّى الى مفعولين حذف اوليهما لظهوره، و«أو» للتخيير، والمعنى: سمّوه بأيّ الإسمين، فإنّهما سواء في الإطلاق على ذاته[٥] ﴿أَيًّا﴾

(١) في «ب»: المؤمنون.

(٢) في «ج»: نهانا.

(٣) في «ب»: قال اليهود.

(٤) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٤٦ عن الضحاك ـ ونقله البيضاوي في تفسيره ٣: ١٣٠.

(٥) جمله «على ذاته» غير موجودة في «ج».

شرطيّة وتنوينها عوض عن المضاف إليه ﴿مَّا﴾ صلة، زيدت تاكيداً للإبهام أي: أيّ هذين الإسمين ﴿تَدْعُواْ﴾: تسمّوا، فهو حسن ودلّ على ذلك ﴿فَلَهُ﴾ أي للمسمّى بهما ﴿الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ الدّالّة على صفات الجلال والإكرام وهذان منها ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ﴾ لا ترفع صوتك بها شديداً بحيث لا تعدّ مصلّياً ﴿وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا﴾ بحيث لا تسمع اذنيك فلا تعدّ قارئاً ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ الجهر والمخافتة ﴿سَبِيلاً﴾ وسطاً. هذا مضمون ما روي عن الصادق عليه السّلام في تفسيرها[1].

وعلم من السّنّة انّ الوسط يشمل الجهر والإخفات المعروفين، وانّ من الصّلوات ما الأرجح فيه احدهما في الجملة وامّا وجوب التفصيل المشهور فلم يعلم مأخذه.

نعم في الأخبار ما يعطى الوجوب اجمالاً وفيها ما ينفيه وجمع بينهما بحمل الأوّل على الندب وايّد بالأصل أو بحمل النّفي على التّقية، وايّد بالإحتياط.

وقيل: معناه لا تجهر بقراءة صلاتك فيسمعك المشركون فيسبّوك، ولا تسرّ بها فلا يسمع من خلفك، واقصد بين ذلك طريقاً وسطاً[2] وفيه مع عدم ظهوره ـ: منع وجوب الإسماع دائماً.

[١١١] ـ ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ﴾ أي الإلهية ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ وَلِىٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾ من اجل ذلّ به ليدفعه بموالاته، أي لم يذلّ فيحتاج الى ناصر.

ورتب الحمد على نفي الولد والشريك والمعين بكمال ذاته وتفرّده بنعوت الجلال والإكرام ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ عظّمه تعظيماً لا يدانيه تعظيم.

قيل كان صلّى الله عليه وآله وسلّم يعلّم اهله هذه الآية.[3]

---

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٤٦.

(٢) نقل معناه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٤٦ عن سعيد بن جبير.

(٣) قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٤٦.

سورة الكهف

[١٨]

مائة وعشر آيات

مكية إلاّ ﴿واصبر نفسك﴾ الآية

بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ

[١] ـ ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ القرآن، رتّب الحمد على إنزاله لأنّه النّعمة الكبرى على العالمين لإنتفاعهم به في امر الدّنيا والدّين ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ﴾ أي فيه ﴿عِوَجًا﴾ اختلافاً وتنافياً، أو انحرافاً عن الحقّ.

[٢] ـ ﴿قَيِّمًا﴾ مستقيماً مستوياً لا تناقض فيه، أو: قيّماً بمصالح العباد، أو على الكتب مصدّقاً لها، وانتصابه بمقدّر أي جعله قيماً، أو على الحال من «الكتاب» ان كان واو «ولم يجعل» للحال ﴿لِيُنْذِرَ بَأْساً﴾ ليخوّف بالكتاب الكفّار عذاباً ﴿شَدِيدًا﴾ فحذف المفعول الاوّل للقرينة ﴿مِنْ لَدُنْهُ﴾ صادراً من عنده، وسكّن «أبو بكر» الدّال بإشمام وكسر النون والهاء[1] ﴿وَيُبَشِّرَ﴾ وخفّفه «حمزة»[2] ﴿الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ

(١) حجة القراءات: ٤١٢ وكتاب السبعة في القراءات: ٣٨٨.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٤٨.

الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ هو الجنة بدليل:

[٣] ـ ﴿مَا كِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ لا الى نهاية.

[٤] ـ ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُواْ اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾ كرّر الإنذار مخصّصاً بهم لعظم كفرهم وحذف المنذر به لسبق ذكره.

[٥] ـ ﴿مَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي بهذا القول، وانّما صدر عن جهل وتقليد، أو: بالله اذ لو علموه لم ينسبوا إليه الإتخاذ[١] ﴿وَلاَ لِآبَائِهِمْ﴾ القائلين به من قبلهم ﴿كَبُرَتْ﴾ عظمت مقالتهم هذه، والضمير مبهم يفسّره ﴿كَلِمَةً﴾ وهي تمييز ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ صفة لها تؤذن بقحتهم[٢] إذ نطقوا بها واظهروها ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾.

[٦] ـ ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ﴾ قاتل ﴿نَّفْسَكَ عَلَى ءَاثارِهِمْ﴾ بعد توليّهم منك. ﴿إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿أَسَفًا﴾ حزناً وغصّةً لحرصك على إيمانهم، مفعول له أو مصدر.

[٧] ـ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ﴾ من المواليد الثّلاثة[٣] وغيرها ﴿زِينَةً لَّهَا﴾ ولأهلها ﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾ نختبرهم ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ فيه، وهو الأزهد فيه ومن لايغترّ به

[٨] ـ ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا﴾ أرضاً مستوية ﴿جُرُزًا﴾ يابساً لانبات فيه.

[٩] ـ ﴿أَمْ﴾ بل أ﴿حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾ الغار الواسع في الجبل ﴿وَالرَّقِيمِ﴾ اسم الوادي، أو الجبل الذي فيه كهفهم أو قريتهم أو لوح رقمت فيه قصّتهم، وجعل بالباب.[٤]

---

(١) اي اتّخاذ الصاحبة والولد.

(٢) القح: الجافي من الناس قاموس اللغة.

(٣) المواليد هي الحيوان والنبات والمعادن.

(٤) تفسير القمي ٢ : ٣١ وتفسير العياشي ٢ : ٣٢١ ـ مع اختلاف يسير، وتفسير مجمع البيان ٣ : ٤٥٢ عن ابن عباس والضحاك.

وقيل: اصحاب الرّقيم ثلاثة نفر، دخلوا غاراً فانحطّت صخرة سدّت بابه، فقالوا: ليدع الله كل واحد منّا بحسنة عملها، لعلّه يفرّج عنّا، ففعلوا فنجوا[1] ﴿كَانُواْ﴾ في قصّتهم وقد تعجب الكفرة منها فسألوه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ عنها امتحاناً ﴿مِنْ ءَايَاتِنَا﴾ حال ﴿عَجَبًا﴾ خبر كان أي ما كانوا عجباً دون سائر آياتنا فإنّ خلق السماوات والأرض وما فيهن أعجب.

[١٠] ـ ﴿إِذْ﴾ اذكر إذ ﴿أَوَى﴾ التجأ ﴿الْفِتْيَةُ﴾ جمع فتى، كصبّى وهو: الشّابّ الكامل ﴿إِلَى الْكَهْفِ﴾ هرباً بدينهم من دقيانوس، وقد ادّعى الرّبوبيّة وكانوا من خواصّه ويسرّون الإيمان ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَّدُنْكَ رَحْمَةً﴾ مغفرة ورزقاً وأمناً ﴿وَهَيِّئْ﴾ اصلح ﴿لَنَا مِنْ أَمْرِنَا﴾ الّذي نحن عليه ﴿رَشَدًا﴾ نكون به راشدين.

[١١] ـ ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ﴾ أي أنمناهم، واصله ضربنا عليها حجاباً يمنع السّماع، فحذف المفعول ﴿فِي الْكَهْفِ سِنِينَ﴾ ظرف[2] لـ«ضربنا» ﴿عَدَدًا﴾ ذات عدد.

[١٢] ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أيقظناهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ ليظهر معلومنا ﴿أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ المختلفين في مدّة لبثهم منهم أو من غيرهم والإستفهام[3] علّق نعلم فهو مبتدأ، خبره ﴿أَحْصَى﴾ فعل ماض أي اضبط ﴿لِمَا لَبِثُواْ﴾ للبثهم، حال من المفعول وهو ﴿أَمَدًا﴾ غاية.

[١٣] ـ ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ بالصّدق ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ شباب ﴿ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ بالتّثبيت.[4]

(١) قاله النعمان بن بشير ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٥٢.

(٢) في «ج» ظرفان.

(٣) في «ج» ولتضمنه الإستفهام.

(٤) في «ج» بالتثبت.

[١٤] ـ ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قوّيناها بالألطاف، فأظهروا الحقّ وصبروا على المشاقّ ﴿إِذْ قَامُواْ﴾ بين يدى دقيانوس الجبّار أو خلف المدينة ﴿فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَّدْعُوَاْ مِنْ دُونِهِ إِلٰهًا لَّقَدْقُلْنَا إِذًا شَطَطاً﴾ قولاً ذا شطط أي بعد مفرط عن الحق ان دعونا الٰهاً غيره.

[١٥] ـ ﴿هَؤُلَآءِ﴾ مبتدأ ﴿قَوْمُنَا﴾ عطف بيان ﴿اتَّخَذُواْ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ خبره ﴿لَّوْلَآ﴾ هلاّ ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ﴾ على عبادتهم ﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ بحجة ظاهرة.

يفيد بطلان كلّ دين لا دليل عليه ومنع التقليد ﴿فَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشّريك إليه.

[١٦] ـ ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ قول بعضهم لبعض ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ ومعبوديهم ﴿إِلاَّ اللهَ﴾ فإنّهم كانوا يعبدونه والأصنام ﴿فَأْوُوا إِلى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ يبسطها لكم في الدّارين ﴿وَيُهَيِّىءْ﴾ يسهّل ﴿لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾ ماترتفقون به أي تنتفعون.

قالوا ذلك ثقة بفضله تعالى وفتح «نافع» و«ابن عامر» الميم وكسر الفاء[١] وعكس غيرهما.

[١٧] ـ ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ﴾ لو رأيتها ﴿إِذَا طَلَعَتْ تَّزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ﴾ تميل عنه واصلة تتزاور، ادغمت التاء في الزّاي، وحذفها الكوفيّون، وقرأ «ابن عامر»: «تزوّر» كتحمّر[٢] ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ ظرف، أي الجهة المسمّاة باليمين ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَّقْرِضُهُمْ﴾ تقطعهم وتجوزهم ﴿ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ فلا تصيبهم فتؤذيهم[٣] لانّ باب الكهف كان مستقبلاً للقطب الشّمالي، فتميل عنهم طالعة وغاربة، أو لانّ الله أمالها

---

(١) حجة القراءات: ٤١٢والسبعة القراءات: ٣٨٨.

(٢) حجة القراءات ٤١٣.

(٣) جملة فتؤذيهم غير موجودته في«ب».

عنهم ﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ متّسع من الكهف، ينالهم روح النّسيم ﴿ذَلِكَ﴾ أي ايواؤهم الى الكهف وحفظهم، أو: ميل الشمس عنهم ﴿مِنْ ءَايَاتِ اللهِ﴾ دلائل قدرته ﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ﴾ بلطفه ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ كأهل الكهف. واثبت «نافع» و«أبو عمرو» «الياء» وصلا[1] ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ﴾ يخذله ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ من يليه ويرشده.

[١٨] ــ ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾ لإنفتاح عيونهم أو لتقلّبهم ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ نيام ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ لئلاّ تأكلهم الأرض ﴿وَكَلْبُهُمْ﴾ واسمه «قطمير» كلب راع، مرّوا به فتبعهم وتبعه كلبه، أو كلب مرّوا به فتبعهم فطردوه، فقال: أنا احبّ اولياء الله، فناموا حتى أُحرسكم ﴿بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ حكاية حال ماضية ولذا عمل ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ بفناء الكهف أو العتبة أو الباب، لم ينم ولم يقم.

وقيل هو مثلهم في النّوم والتّقلّب [2]﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ورأيتهم ﴿لَوَلَّيْتَ﴾ هربت ﴿مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ مصدر لأنّه بمعنى التّولية، أو علّة[3] ﴿وَلَمُلِئْتَ﴾ ملىء قلبك، وشدّده[4] «نافع» و«ابن كثير»[5] ﴿مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ وضمّه[6] «ابن عامر» و«الكسائي»[7] أي خوفاً لهيبة ألبسهم الله ايّاها أو لعظم أجرامهم وانفتاح عيونهم.

قال «ابن عباس»: غزا معاوية الرّوم فمرّ بالكهف فقال: لو كشف لنا عنهم فرأيناهم، فقلت له: قد منع ذلك من هو خير منك، قال تعالى: ﴿لو اطلعت﴾

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ٥٣و٨٢.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٥٦.

(٣) لم نعثر على مصدره وقائله.

(٤) اي اللام.

(٥) حجة القراءات: ٤١٣والسبعة القراءات: ٣٨٩.

(٦) اي ضمّ العين.

(٧) تفسير البيضاوي ٣: ١٣٦.

الآية، فلم يقبل فبعث ناساً فدخلوا، فأتت ريح فاحرقتهم.[(١)]

[١٩] ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما أنمناهم[(٢)] بقدرتنا ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾ ايقظناهم ﴿لِيَتَسَاءَلُواْ بَيْنَهُمْ﴾ عن مدّة لبثهم فيعرفوا صنع الله بهم فيزدادوا يقيناً ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ظنّاً منهم، إذ لا ضبط للنّائم، ثم ردّوا العلم الى الله بأن ﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ وقيل: دخلوا الكهف غدوة وبعثوا عصراً[(٣)] فظنوه يومهم أو الذي بعده فترددوا فيهما، فلمّا رأوا تغيّر احوالهم قالوا هذا، ثمّ أخذوا في مهمّ آخر وقالوا: ﴿فَابْعَثُواْ أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ﴾ الورق: الفضّه مضروبة كانت أم لا، وسكن الرّاء «أبو عمرو» و«أبو بكر» و«حمزة» وكسرها غيرهم،[(٤)] وتزوّدهم يفيد انّه لاينافي التّوكّل ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ افسوس أو طرسوس[(٥)] ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا﴾ أي أهلها ﴿أَزْكَى طَعَامًا﴾ حلّ وأطيب ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾[(٦)] في التّخفي لئلاّ يعرف ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ بفعل ما يوجب الشّعور.

[٢٠] ـ ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُواْ﴾ يطّلعوا ﴿عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ يقتلوكم بالرّجم ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ من العود بمعنى الرجوع أو الصّيرورة ﴿وَلَنْ تُفْلِحُواْ إِذًا أَبَدًا﴾ ان عدتم في ملّتهم.

[٢١] ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي كما انمناهم وبعثناهم ﴿أَعْثَرْنَا﴾ اطّلعنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أهل المدينة.

---

(١) نقله البيضاوي في تفسيره ٣: ١٣٦.

(٢) في «ج» افناهم.

(٣) نقله البيضاوي في تفسيره ٣: ١٣٦.

(٤) حجة القراءات: ٤١٣ والسبعة القراءات: ٣٨٩.

(٥) افسوس بلد بثغر طرسوس يقال: هو بلد اصحاب الكهف (مراصد الاطلاع) وفيه ايضاً: طرسوس مدينة بثغور الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم.

(٦) في هامش الاصل هنا مايلي: نصف القرآن باعتبار الحروف.

قيل لمّا دخل المبعوث السّوق وأخرج درهماً دقيانوسّياً، اتّهموه بوجدان كنز، فأتوا به الملك وكان نصرانياً عادلاً، فقصّ عليه قصّتهم. فقال بعض: اخبرنا آباؤنا انّ فتية فرّوا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء، فانطلق الملك بالناس فلما دنوا من الكهف استوقفهم الفتى ليدخل اوّلاً، لئلا يفزعوا، فدخل فدعوا الله أن يميتهم، فماتوا وطمس على الباب فلم يره الناس[1] ﴿لِيَعْلَمُواْ﴾ أي المطّلعون عليهم ﴿أَنَّ وَعْدَ اللهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ﴾ فإنّ من قدر على انامتهم وايقاظهم، قدر على الموت والبعث ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ﴾ القيامة ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ لا شكّ في امكانها لأنّها كإيقاظهم من رقدتهم الطويلة بالنسبة الى قدرة الله تعالى ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ أمر دينهم من بعث الأرواح فقط، أو مع الأجساد أو: امر الفتية حين ماتوا بعد الإطّلاع عليهم.

فقال بعض: ماتوا، وقال بعض: ناموا كأوّل مرّة، أو في البناء حولهم[2] ﴿فَقَالُواْ﴾ أي الكفّار: ﴿ابْنُواْ عَلَيْهِم﴾ حولهم ﴿بُنْيَانًا﴾ يسترهم من النّاس ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ اعتراض من الله تعالى رداً على المتنازعين على عهدهم أو عهد الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم. أو من المتنازعين إذ لم يتحققوا حالهم فردّوه الى الله ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَى أَمْرِهِمْ﴾ أمر الفتية وهم المؤمنون ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ نصلّي فيه، فبنوه في جهة باب الكهف.

[٢٢] ـ ﴿سَيَقُولُونَ﴾ أي المتنازعون في عددهم في زمن الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم: هم ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ قاله اليعقوبيّة[3] من نصارى نجران ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ

---

(١) تفسير الكشّاف ٢ : ٧١٢ ـ مع اختلاف يسير.

(٢) ورد نظيره في تفسير مجمع البيان ٣ : ٤٦٠.

(٣) اليعقوبية: فرقة من النصارى اتباع يعقوب البراذعي الذي ظهر في الجيل السادس للمسيح وذهب الى ان في المسيح طبيعة واحدة.

سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ قاله النّسطوريّة[١] منهم ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ ظنّاً فيما غاب عنهم، مفعول له أو مصدر ويرجع الى القولين ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ هو قول أمير المؤمنين، علموه من قول النبيّ[٢] صلّى الله عليه وآله وسلّم بإيحاء الله تعالى إليه لرّد القولين الأوّلين باتباعهما رجماً بالغيب، فتعيّن الثالث لأصالة عدم رابع، ولزيادة الواو في الجملة الوصفيّة تاكيداً للصوق الصّفة بالموصوف ودلالةً على ثبوتها، ولإتباعه: ﴿قُل رَّبِّى﴾ وفتح «الحرمّيان» و«أبو عمرو» الياء[٣] ﴿أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إلاَّ قَلِيلٌ﴾ ولا ريب انّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم من ذلك القليل.

وعن «علي» عليه السّلام: انّهم سبعة، أحدهم الرّاعي وثامنهم كلبهم.

وكذا عن «ابن عباس» وقال: أنا من القليل[٤] وانّما علما ذلك من النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ﴾ لا تجادل في شأن الفتية ﴿إلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ غير متعمّق فيه وهو أن تتلو عليهم ما اوحى اليك بلا تعنيف ﴿وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ ولا تسأل احداً من أهل الكتاب عن شأن الفتية[٥] فإنّك اعلم بهم منهم[٦] بما اوحينا اليك أو النّهي لغيره صلّى الله عليه وآله وسلّم فإنّه كان واثقاً بخبره تعالى.

[٢٣] ـ ﴿وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ﴾ لأجل شيءٍ تعزم عليه ﴿إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ أي فيما يستقبل.

---

(١) نسطور: اسم رجل من مدينة مرعش كان سنة ٤٣٠ للمسيح وتربى في انطاكية، واقيم بطريكاً على القسطنطنيّة، وذهب الى ان في المسيح اقنومين، وانكر بكارة العذراء وكونها والدة الله وانبثاق الروح القدس من الابن ـ والنسطورية مذهب نسطور ـ هذا ـ.

(٢) في «ج» من النبي.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ٢٨.

(٤) تفسير مجمع البيان ٣ : ٤٦٠ وتفسير التبيان ٧ : ٢٧.

(٥) في «ج»: حال الفنية.

(٦) كلمة «منهم» ليست موجودةً في «ب».

[٢٤] ـ ﴿إِلَّآ أَن﴾ أي بأن ﴿يَشَآءَ اللَّهُ﴾ أي إلاّ متلبساً بمشيّته[1] قائلاً: ان شاء الله، نهى تأديب له صلّى الله عليه وآله وسلّم حين سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين، فقال: اخبركم غداً ولم يستثن، فأحتبس الوحي عنه أيّاماً حتّى شقّ عليه ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ﴾ أي مشيئة مستثنياً بها ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ الإستثناء ثم تذكرته.

وعن «ابن عباس»: ولو بعد سنة، [2] وروي ذلك عن ائمتنا عليهم السّلام[3].

ويوجّه بانّه ليس استثناء من القول السّابق حتّى يؤثّر فيه بل من مقدّر دلّ عليه السابق فهو لمجرّد الإمتثال، وظاهر الآية لا يأبى ذلك.

أو المعنى: اذكره بالتّسبيح والإستغفار إذا نسيت الإستثناء أو اذكره إذا اعتراك نسيان ليذكرك المنسيّ، ولعلّ الخطاب له صلّى الله عليه وآله وسلّم والمراد غيره لعصمته ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ﴾ واثبت «ابن كثير» «الياء» مطلقاً و«نافع» و«أبو عمرو» وصلاً[4] ﴿رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا﴾ من نباءِ أهل الكهف ﴿رَشَدًا﴾ أي لما هو اظهر منه دلالة على نبوّتي وقد فعل.

[٢٥] ـ ﴿وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ﴾ نياماً ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ﴾ بالتنوين ﴿سِنِينَ﴾ بدل من «ثلاثمائة» واضافها «حمزة» و«الكسائي» على وضع الجمع موضع الواحد[5] ﴿وَازْدَادُواْ تِسْعًا﴾ تسع سنين، وهذا بيان ما اجمل قبل من مدّة نومهم.

[٢٦] ـ ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ فخذوا بما اخبر به ودعوا قول أهل الكتاب.

قيل: سأل يهودي «علياً» عليه السّلام عن ذلك، فأخبره بما في القرآن فقال:

---

(١) في «ب»: اي الإستثناء بمشيته.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٦١ وتفسير البيضاوي ٣: ١٣٨

(٣) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٦١.

(٤) الكشف عن وجوه القراءات ٨٢.

(٥) تفسير البيضاوي ٣: ١٣٩ وحجة القراءات: ٤١٤.

في كتبنا ثلاثمائة، فقال عليه السّلام: ذاك بسني الشّمس وهذا بسني القمر[1] ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ له علم ما غاب فيهمـا، اختصّ به دون غيره ﴿أَبْصِرْ بِهِ﴾ أي بالله ﴿وَأَسْمِعْ﴾ به، صيغتـا تعجـّب بمعنـى: ما ابصره ومـا اسمعه، اريد بهما المبـالغة في ادراكه المبصرات والمسموعات، والهاء فاعل والباء زائدة.

وأصله أبصر أي: صار ذا بصر، فنقل الى صيغة الأمر، فبرز الضّمير لزيادة الباء.

أو: مفعول والفـاعل ضميـر المأمور وهـو السّامع والبـاء زائدة ان كانـت الهمزة للتّعدية، ومعديـة ان كانت للصّيرورة ﴿مَا لَهُمْ﴾ لأهل السماوات والأرض ﴿مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يتولّى امورهم ﴿وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ﴾ في قضائه ﴿أَحَدًا﴾ منهم، وقرأ «ابن عامر» بالتّاء والجزم نهياً لكلّ احد.[2]

[٢٧] ـ ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْـكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ من القرآن، فإنّ فيـه الحقّ من خبر أهل الكهف وغيره ﴿لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ لا أحد يقدر على تبديلها ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ملجأً.

[٢٨] ـ ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ احبسها ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُـونَ رَبَّهُـمْ بِالْغَدَٰوةِ وَالْعَشِيِّ﴾ في عامّة اوقاتهم، وقرأ «ابن عامر» بالغدوة.[3]

وغدوة عَلَم، فاللام فيـه على تأويل تنكيره ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ رضاه لا غير، وهم فقراء المؤمنين ﴿وَلاَ تَعْدُ عَيْنَـاكَ عَنْهُمْ﴾ ولا يجاوزهم نظـرك الى غيرهم مـن الأغنياء الكفرة، الّذين دعوك الى طردهم حتّى يـؤمنوا، وعدّى بـ«عن» لتضمّنه معنى تنصرف ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ الْدُّنْيَا﴾ حـال من الكـاف أي مـريداً مجالسـة الأشـراف طمعـاً في إيمانهم ﴿وَلاَ تُطِعْ مَـنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَـهُ﴾ نسبناه الـى الغفلة أو وجـدناه غـافلاً ﴿عَنْ ذِكْرِنَا﴾ بدلالة ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ بالـواو دون الفاء ﴿وَكَـانَ أَمْـرُهُ فُـرُطاً﴾ متقـدّماً علـى

---

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٦٣.

(٢-٣) حجة القراءات: ٤١٥ والسبعة في القراءات: ٣٩٠.

الـحق ومـنه الفرط .

[٢٩] ـ ﴿وَقُلِ الْحَقُّ﴾ الدّين الحقّ حصل ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أو هذا القـرآن هو الحق منزلاً من ربّكم ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ تهديد لهم، يفيـد انّ الله تعالى لا ينتفع بإيمان من آمن، ولا يستضرّ بكفر من كفر ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾ للكافرين ﴿ناراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ فسطاطها .

شبّه به النّار المحيطة بهم أو دخانها ولهبا أو حـائط من نار ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُواْ﴾ من العطش ﴿يُغَاثُواْ بمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ كـالنّحاس المذاب .

وقيل :[١] كدرديّ الـزّيت[٢] وهـذا تهكّم ،[٣] ﴿يَشْوِى الْوُجُوهَ﴾ بحـرّه إذا قـرب ليشرب، صفة اخرى لــ«ماء» أو حال من «المهل» ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ هو ﴿وَسَاءَتْ﴾ النّار ﴿مُرْتَفَقًا﴾ متكأً من المـرفق، يقـال : ارتفق أي إتّكأ على مـرفقه، وهـو لمقابلـة «وحسنت مرتفقاً» وإلاّ فأيّ ارتفاق في النّار.

[٣٠] ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وخبر «انّ» جملـة ﴿إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ بتقديـر عائد، أي : منهم أو: بوضع الظّـاهر[٤] موضعه أي : أجرهم، لأنهم أحق بوصف من احسن عملاً، أو الخبر:[٥]

[٣١] ـ ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ وما بينهما اعتـراض، وعلى الأوّل خبر ثان أو استئناف لبيان الأجر ﴿تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِم الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾ جمع اسورة وهي جمع[٦] سـوار و«من» للإبتـداء ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ بيـان لــ«اساور» ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا

(١) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ٤٦٦ .

(٢) دردي الزيت : مايبقى راسباً في أسفله من الكدر.

(٣) التهكّم : الإستهزاء .

(٤) اي قوله : من أحسن عملاً .

(٥) اي خبر قوله : انّ الذين آمنوا . . . ، قوله : اولئك لهم جنات .

(٦) وقال بعض أهل اللغة : ان اساور و اسورة كليهما جمع للسوار.

خُضْرًا﴾ وهي أبهى الألوان ﴿مِّن سُنْدُسٍ﴾ مارقّ من الدّيباج ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ ما غلظ منه ﴿مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ كهيئة الملكوك، جمع اريكة وهي: السّرير في الحجلة وهي بيت زيّن للعروس ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ﴾ الجنّة ﴿وَحَسُنَتْ﴾ الأرائك ﴿مُرْتَفَقًا﴾ متكأً.

[٣٢] ـ ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾ للكافر والمؤمن ﴿رَّجُلَيْنِ﴾ بدل، وهما اخوان من بني اسرائيل كافر ومؤمن، ورثا من ابيهما مالاً، فاشترى الكافر به ضياعاً وعقاراً، وتصدّق المؤمن به ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ بستانين، والجملة صفة «رجلين» ﴿مِنْ أَعْنَابٍ﴾ كروم ﴿وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾ جعلنا النّخل مطيفاً بهما والباء لتعديته الى مفعول ثان ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ فهما جامعتان للفواكه والأقوات والمنافع المتواصلة.

[٣٣] ـ ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا﴾ ثمرها، وافرد الضّمير لإفراد «كلتا» لفظاً ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ﴾ تنقص ﴿مِّنْهُ﴾ من أكلها ﴿شَيْئًا﴾ بل ادّته تماماً ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا﴾ وسطهما ﴿نَهَرًا﴾ يسقيهما بسهولة ويزيدهما نضارة.

[٣٤] ـ ﴿وَكَانَ لَهُ﴾ مع جنتيه ﴿ثُمُرٌ﴾ اموال مثمرة نامية، وفتح «عاصم» الثّاء والميم وضمّ «أبو بكر» الثّاء وسكّن الميم وضمّهما الباقون[١] وكذا الآتي[٢] جمع ثمرة، كشجر وبدن وخشب لشجرة وبدنة وخشبة ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ يراجعه الكلام مِن حار، أي: رجع ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ رهطاً وولداً.[٣]

[٣٥] ـ ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ بصاحبه يريه ما فيها ويفاخره بها،[٤].

وافرد الجنّة لانّهما في حكم الواحدة لتواصلهما ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ بكفره ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ﴾ تفني ﴿هَٰذِهِ﴾ الجنّة ﴿أَبَدًا﴾ اغتراراً بما هو فيه.

---

(١) حجة القراءات: ٤١٦ ولم نعثر على مذهب ابي بكر ـ وثُمُرٌ جمع ثمار وثمار جمع الثمر ـ.

(٢) وهو قوله تعالى «واحيط بثمره» في الآية ٤٢ من هذه السورة.

(٣) في «ج»: رهطاً اوخدماً وولداً.

(٤) كلمة «بها» غير موجودة في «ب».

[٣٦] ـ ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ كائنة ﴿وَلَئِنْ رُّدِدْتُ إِلَى رَبِّى﴾ فرضاً كما تزعم ﴿لأجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا﴾ أي الجنّة، وقرأ «الحرميّان» و«ابن عامر»: «منهما»[١] أي الجنتين ﴿مُنْقَلَبًا﴾ مرجعاً، اقسم على ذلك اعتقاداً انّه انّما اعطاه الله ذلك لاستحقاقه له فهو يجده حيث كان.

[٣٧] ـ ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ لأنّه مادّة، اصله آدم، أو النطفة[٢] ﴿ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ﴾ هي مادّتك القريبة ﴿ثُمَّ سَوَّيكَ﴾ عدّلك وكمّلك ﴿رَجُلاً﴾ رتّب انكار كفره بالله على خلقه من تراب المؤذن بأنّ من قدر على البدء قدر على الإعادة، لأنّ كفره به تعالى انّما كان بإنكار قدرته على الإعادة.

[٣٨] ـ ﴿لَّكِنَّا﴾ أصله «لكن انا»، حذفت الهمزة وادغمت النون في النون. واثبت «ابن عامر» الالف[٣] مطلقاً وغيره وقفاً فقط ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن، يفسره الجملة بعده الّتي هي خبره والتقدير «أنا أقول هو» ﴿اللهُ رَبِّى وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّى أَحَدًا﴾ وفتح «الحرميان» و«أبو عمرو» الياء الأخيرة، وياء «فعسى ربّي» و«لم اشرك بربّي».[٤]

[٣٩] ـ ﴿وَلَوْ لاَ﴾ وهلاّ ﴿إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ وأعجبت بها ﴿قُلْتَ مَاشَاءَ اللهُ﴾ الأمر ما شاء الله، وما شاء كائن، فـ«ما» موصولة أو أيّ شيء شاء كان، فهي شرطية، حذف جزاؤها ﴿لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ﴾ اعترافاً بأنّك انما عمرتها بأقداره لا بقوّتك ﴿إِنْ تَرَنِ﴾ واثبت «ابن كثير» الياء مطلقاً، وقالون و«أبو عمرو»[٥] وصلاً[٦] ﴿أَنَا﴾ فصل أو تأكيد للياء ﴿أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَدًا﴾ يعضد تفسير النّفر بالولد.

---

(١) حجة القراءات: ٤١٦ـ السبعة في القراءات: ٣٩٠.

(٢) آدم بدل او بيان للأصل وكذلك النطفة.

(٣) تفسير البيضاوي ٣: ١٤٢.

(٤) السبعة في القراءات: ٣٩١.

(٥) في «ج»: «ابوحمزة» بدل «ابوعمرو».

(٦) السبعة في القراءات: ٣٩١ ـ وليس فيه «قالون».

[٤٠] ـ ﴿فَعَسَى رَبِّى أَنْ يُؤْتِيَنِ﴾ واثبت «ابن كثير» الياء مطلقاً و«نافع» و«أبو عمرو» وصلاً[١] ﴿خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ﴾ عاجلاً وآجلاً وهو جواب الشرط ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾ على جنّتك ﴿حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ جمع «حسبانة» وهي سهم صغير يعني: الصّواعق. أو: مصدر بمعنى الحساب، أي: الحكم بتخريبها أو عذاب حساب ما كسبت ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ أرضاً ملساء، يزلق عنها القدم.

[٤١] ـ ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا﴾ غائراً ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ حيلة تردّه بها.

[٤٢] ـ ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ أهلكت امواله وجنّته، من احاط به العدوّ: إذا غلبه واهلكه ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ تحسّراً وندماً ﴿عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ في عمارتها ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ دعائم كرومها، سقطت عليها الكروم ﴿وَيَقُولُ﴾ ـ للتّنبيه ـ: ﴿يٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّى أَحَدًا﴾ ندم على شركه وتاب.

وقيل: لم يندم عليه بل تمنّى انه لم يشرك لتدوم له جنّته.[٢]

[٤٣] ـ ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ﴾ جماعة، وقرأ «حمزة» و«الكسائي» بالياء[٣] ﴿يَنْصُرُونَهُ﴾ يمنعونه من انتقام الله ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ فإنّه وحده القادر على ذلك ﴿وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا﴾ ممتنعاً بقوّته.

[٤٤] ـ ﴿هُنَالِكَ﴾ في ذلك المقام، أو يوم القيامة ﴿الْوَلَايَةُ﴾ بفتح الواو «النّصرة» وكسرها «حمزة» و«الكسائي»[٤] أي الملك ﴿لِلّٰهِ الْحَقِّ﴾ وحده، لا نصرة أو لا ملك لغيره، ورفع «أبو عمرو» و«الكسائي» «الحقّ» صفته لـ«الولاية»[٥] ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ٨٢.

(٢) حجة القراءات: ٤١٨ والسبعة في القراءات: ٣٩٢.

(٣) حجة القراءات: ٤١٨.

(٤) تفسير البيضاوي ٣: ١٤٢ وحجة القراءات: ٤١٨.

(٥) حجة القراءات: ٤١٩ والسبعة في القراءات: ٣٩٢.

من ثواب غيره لو كان يثيب ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ عاقبة للمؤمنين، وسكّنه «عاصم» و«حمزة» ونصبه على التّمييز.[1]

[٤٥] ـ ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ﴾ اذكر لقومك ﴿مَثَلَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ صفتها ﴿كَمَاءٍ﴾ هي كماء، أو: صير مثلها كماء ﴿أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ فالتف بسببه ﴿نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ أو امتزج الماء بالنّبات، فروى ورقّ إذ الإختلاط يكون من الجانبين ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ كسيراً متفتّتاً ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ تطيّره وتذهبه، شبّهت بنبات اخضرّ بالماء فيبس فتفتّت فأذهبته الرّياح، وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «الرّيح»[2] ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ قادراً.

[٤٦] ـ ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ يتزيّن بهما فيها بلا بقاء ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ الطّاعات لله، الباقي ثوابها، وتعمّ ما فسّرت به من الصّلوات الخمس، ومودّة أهل البيت عليهم السّلام، وسبحان الله والحمد لله ولا اله إلاّ الله والله أكبر[3] ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ من المال والبنين ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ لنيل فاعلها ما يأمله بها.

[٤٧] ـ ﴿وَيَوْمَ﴾ واذكر يوم ﴿نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ في الجوّ كالسّحاب، أو نذهب بها فنعدمها، وقرأ «ابن كثير» و«أبو عمرو» و«ابن عامر» بالتّاء[4] مبنيّاً للمفعول ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ لا يسترها جبل ولا غيره، أو بارزاً ما في بطنها ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ جمعناهم الى الموقف، وجاء ماضياً لتحقّقه ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ نترك ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ من الاوّلين والآخرين.

[٤٨] ـ ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾ مصطفّين لا يحجب بعضهم بعضاً ﴿لَقَدْ

---

(١) حجة القراءات: ٤١٩.

(٢) حجة القراءات: ١١٨.

(٣) تفسير العياشي ٢: ٣٢٧ مع اختلاف وتفسير مجمع البيان ٣: ٤٧٣ـ٤٧٤.

(٤) حجة القراءات: ٤١٩ والسبعة في القراءات: ٣٩٣ وتفسير مجمع البيان ٣: ٤٧٣.

جِئْتُمُونَا﴾ بتقدير القول ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي فرادى، عـراة لا مال معكم ولا ولد ﴿بَلْ﴾ للخـروج من حـديث الى آخـر ﴿زَعَمْتُمْ﴾ أن مخفّفـة ﴿أَلَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ للبعث.

[٤٩] ـ ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ جنسه، أي صحائف الأعمال في الأيمان والشّمائل. أو هو كناية عن الحسنات ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ﴾ من السّيئات ﴿وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا﴾ هلكتنا، دعاء على انفسهـم بالويل ﴿مَالِهذَا الْكِتَابِ﴾ أيّ شيء له، تعجّـب منه ﴿لاَ يُغَادِرُ صَغِيـرَةً وَلاَ كَبِيرَةً﴾ من سيّآتنا ﴿إلاَّ أَحْصَاهَا﴾ عدّدها وحـواها ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُـواْ حَاضِرًا﴾ مثبتـاً في الصّحـف ﴿وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّـكَ أَحَدًا﴾ لا يزيد عقاب مسئ ولا ينقص ثواب محسن.

[٥٠] ـ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَئِكَةِ اسْجُـدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إلاَّ إبْلِيسَ﴾ ذكر القصّة تقريراً للتّشنيع علـى أهل الكبر، بـأنّه من سنـن إبليس ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ استئناف جواب قائل: ما له لم يسجد؟ أو: حال بتقدير «قد».

وسبق القول في ابليس في البقرة[1] ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ خرج عن طاعته بترك السّجود ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ﴾ اعقيب مـا بـدا منـه، «تتخـذونـه» استفهـام انكـار وتعجيب ﴿وَذُرِّيَّتَهُ﴾ بنيه أو اتبـاعه، سمّـوا ذرّيّة[2] مجازاً ﴿أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِى﴾ تطيعونهـم بدل طاعتى ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ اعداء ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ من الله، ابليس وذرّيّته.

[٥١] ـ ﴿مَّا أَشْهَدْتُّهُمْ﴾ ما أحضرت ابليس وذرّيّته ﴿خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالا رضِ وَلاَ خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي لـم استعن بهـم على ذلـك ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِـذَ الْمُضِلِّينَ﴾ وضع موضع الضّمير أي متّخذهم ﴿عَضُدًا﴾ أعواناً في الخلق، فكيف تطيعونهم.

---

(١) سورة البقرة: ٢: ٣٤.

(٢) في «ج» ذرّيته.

[٥٢]ـ ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ أي الله للمشركين، وقرأ «حمزة» بالنون[١] ﴿نَادُواْ شُرَكَاءِىَ﴾ اضيف على زعمهم توبيخاً ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ انّهم شركائي ليشفعوا لكم ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ لم يجيبوهم ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بين الكفّار وآلهتهم ﴿مَّوْبِقًا﴾ مهلكاً، يعمّ جميعهم من «وبق»: هلك، أو جعلنا تواصلهم الدّنيوى هلاكاً في الآخرة.

[٥٣]ـ ﴿وَرَءَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّواْ﴾ أيقنوا ﴿أَنَّهُمْ مُّوَاقِعُوهَا﴾ واقعون فيها ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ معدلاً.

[٥٤]ـ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بيّنا ﴿فِى هَذَا الْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي مثلاً من جنس كلّ مثل يحتاجون إليه ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ﴾ الكافر ﴿أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلاً﴾ خصومة بالباطل، وهو تمييز.

[٥٥] ـ ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُواْ﴾ من الإيمان ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ الدّلالة البيّنة ﴿وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ﴾ ومن استغفاره لذنوبهم ﴿إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ إلاّ طلب أن تأتيهم سنّتنا فيهم من الإهلاك ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ﴾ بالسيف أو في الآخرة ﴿قِبلاً﴾ عياناً، وقرأ «الكوفيون» بضمّتين[٢] وهو بمعناه أو جمع قبيل أي انواعاً، حال من «العذاب».

[٥٦]ـ ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ﴾ للمطيعين ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ للعصاة ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾ بإنكار ارسال البشر ونحوه ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ﴾ ليطلبوا ويزيلوا بجدالهم ﴿الْحقَّ وَاتَّخَذُواْ ءَايَاتِى﴾ أي القرآن ﴿وَمَا أُنْذِرُواْ﴾ من النّار ﴿هُزُوًا﴾ استهزاء.

[٥٧]ـ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ بالقرآن ﴿فَأَعْرَضَ عَنْها﴾ فلم يتّعظ بها

---

(١) حجة القراءات: ٤٢٠ والسبعة القراءات: ٣٩٣.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٧٦.

﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ ما عمل من الكفر والمعاصي ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ كراهة أن يفهموا القرآن ﴿وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ صمماً، فلا يسمعونه، مثل لنبوّ قلوبهم ومسامعهم عن قبوله.

واسند إليه تعالى ايذاناً بتمكنه منهم كالجبلّة ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ وقد وقع ما اخبر به، فماتوا كفّاراً.

[٥٨] ـ ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ البليغ المغفرة، مالك الرّحمة، ولذلك أمهل اعداء رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم كما قال: ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ في الدّنيا ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ وهو يوم القيامة ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا﴾ منجى وملجأً، يقال: وأل: نجا، ووأل إليه: لجأ إليه.

[٥٩] ـ ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾ أي أهلها كعاد وثمود وغيرهم، وهو منصوب بما يفسّره ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ أو هما مبتدأ وخبر ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿وَجَعَلْنَا لِمُهْلِكِهِمْ﴾ بضمّ الميم[١] أي لإهلاكهم، وفتح «أبو بكر» أي لهلاكهم وكسر «حفص» اللاّم[٢] ﴿مَوْعِدًا﴾ وقتاً معلوماً.

[٦٠] ـ ﴿وَإِذْ﴾ واذكر إذ ﴿قَالَ مُوسَى﴾ هو ابن عمران ﴿لِفَتَاهُ﴾ يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليهم السّلام،[٣] سمّي فتاه لأنّه كان يتبعه ويخدمه ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ لاازال أسير، حذف الخبر لدلالة حال السّفر عليه.

أو لا أزول عمّا أنا عليه من السّير ﴿حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ ملتقى بحري فارس والرّوم ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ اسير دهراً طويلاً.

---

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «لمَهلِكهم» بفتح الميم وكسر اللام ـ كما سيشير اليه المؤلّف ـ.

(٢) حجة القراءات: ٤٢١ والسبعة القراءات: ٣٩٣.

(٣) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٨٠ وفي تفسير البيضاوي: «افرائيم».

قيل خطب «موسى» النّاس فَسُئل: هل تعلم احداً أعلم منك؟ فقال: لا، فأوحى الله إليه: بل عبدنا الخضر أعلم منك، وهو بمجمع البحرين، فقال «موسى» عليه السّلام: كيف لي به؟ قال: تأخذ حوتاً في مكتل[1] فحيث فقدته فهو هناك، فقال لفتاه: إذا فقدت الحوت فأخبرني، فمضيا.

[٦١] ـ ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ بين البحرين أي موضع اجتماعهما ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ تركاه، أو ضلّ عنهما، فسمّى ضلاله نسياناً له منهما.

وقيل: نسى «موسى» تعرّف حاله ويوشع أن يحمله، أو يذكر لموسى ما رأى من حياته، فإنّهما لمّا أتيا الصّخرة ناما واضطرب الحوت المشويّ وخرج من المكتل وسقط في البحر[2] ﴿فَاتَّخَذَ﴾ الحوت ﴿سَبِيلَهُ فِى الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ مسلكاً، مفعول ثان، و«في البحر» حال منه.

وأصله الشّقّ في الأرض لانفاذ له، قيل: امسك الله جرى الماء عن الحوت فصار كالكوّة لا يلتئم.

[٦٢] ـ ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ ذلك المكان بالسير الى وقت الغداء من ثاني يوم ﴿قَالَ لِفَتَاهُ ءَاتِنَا غَدَاءَنَا﴾ هو طعام الغداة ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ تعباً:

قيل لم ينصب حتّى جاوز الموعد.[3]

[٦٣] ـ ﴿قَالَ أَرءَيْتَ﴾ ما وقع ﴿إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ بذلك المكان ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ تركته أو نسيت ذكر خبره ﴿وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ ـ بدل اشتمال من الهاء وضمّها «حفص» ـ[4] الحوت ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِى الْبَحْرِ عَجَبًا﴾

(١) المكتل: الزنبيل.

(٢) تفسير البيضاوي ٣: ١٤٧.

(٣) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٨١.

(٤) حجة القراءات: ٤٢٢.

مفعول ثان أي سبيلاً يتعجّب منه «موسى» وفتاه وقيل مصدر، اضمر فعله فتمّ به كلامه واجابه به «موسى» تعجّباً من ذلك، وقيل: اتّخذ «موسى» سبيل الحوت عجباً. [١]

[٦٤] ـ ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ذَلِكَ﴾ أي فقد الحوت ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ نطلبه لأنّه علامة لمن نطلبه، وأثبت «ابن كثير» الياء مطلقاً، و«نافع» و«أبو عمرو» و«الكسائي» وصلاً[٢] ﴿فَارْتَدَّا عَلَى ءَاثارِهِمَا﴾ فرجعا في الطّريق الذي جاء فيه يقصّان ﴿قَصَصًا﴾ أي يتبعان آثارهما اتباعاً فأتيا الصّخرة.

[٦٥] ـ ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾ هو الخضر واسمه «بليان بن ملكان» وسمّى خضراً لأنّه إذا صلّى في مكان، اخضرّ ﴿ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾ نبوّة أو ولاية ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَّدُنَّا﴾ من قبلنا ﴿عِلْمًا﴾ من علم الغيب.

[٦٦] ـ ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ﴾ واثبت «ابن كثير» الياء مطلقاً و«نافع» و«أبو عمرو» وصلاً ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ بضمّ الرّاء وسكون الشين[٣] علماً ذا رشد، يرشدني الى الخير. وقرأ «أبو عمرو» بفتحتين[٤] وهما لغتان وهو علّة لـ«أتبعك» أو ثاني مفعولي «تعلّمني» من علم المتعـدّي الى واحد، فتعدّى بالتّضعيف الى اثنين وثاني مفعولي «علّمت» العائد المقدّر.

ولا ينافي رسالته تعلّمه من غيره ما لم يتعلق بأداء ما بعث به من الدّين وتواضعه باستيذانه أن يتبعه واستجهال نفسه وسؤاله أن يرشده دال على فضل العلم وأهله.

[٦٧] ـ ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا﴾ وفتح «حفص» الياء في الثّلاث[٥] أي يشقّ عليك الصّبر معي، لأني على علم من الله لا تعلمه، و أنت على علم

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٨١ وتفسير البيضاوي ٣: ١٤٨.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ٨٣.

(٣و٤) حجة القراءات: ٤٢٢ والسبعة في القراءات: ٣٩٤.

(٥) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ٨٢.

منه لا أعلمه.

[٦٨] ـ ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَالَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ أي على ما ظاهره عندك منكر ولم تعلم باطنه و«خبراً» تمييز أو مصدر لمعنى «لم تحط به» أي لم تعلم بخبره.

[٦٩] ـ ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا﴾ على ما أرى منك، وفتح «نافع» الياء[١] ﴿وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ تأمرني به، عطف على «ستجدني» أو «صابراً» أي وغير عاص، وقيّد بالمشيّة للتيّمن أو لتجويزه أن لا يصبر لصعوبة الصّبر على ما يخالف المعتاد فلا خلف.

[٧٠] ـ ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْئَلْنِي﴾ وشدّد «نافع» و«ابن عامر» النّون، [٢] وحذف «ابن ذكوان» الياء بخلاف عنه[٣] ﴿عَنْ شَيْءٍ﴾ تنكره منّي ولم تعلم باطنه، واصبر ﴿حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ ابتدئك بتفسيره.

[٧١] ـ ﴿فَانْطَلَقَا﴾ يمشيان على السّاحل ﴿حَتَّى إذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ﴾ الّتي مرّت بهما ﴿خَرَقَهَا﴾ «الخضر» بأن قلع لوحاً منها بفأس ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ وقرأ «حمزة» و«الكسائي» «ليغرق»[٤] بإسناده الى أهلها ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إمْرًا﴾ عظيماً منكراً، من امر الشيء: عظم.

[٧٢] ـ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا﴾ فتذكّر «موسى» ما شرط له فأعتذر.

[٧٣] ـ ﴿قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِما نَسِيتُ﴾ بنسياني، أو بالّذي أو بشيءٍ نسيته أي بما تركت من وصيّتك بأن لا انكر عليك، وقيل: بما غفلت[٥] ﴿وَلاَ تُرْهِقْنِي﴾ تكلّفني

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ٨٢.

(٢) حجة القراءات: ٤٢٣.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ٨٣.

(٤) حجة القراءات: ٤٢٣ ـ السبعة في القراءات: ٣٩٥.

(٥) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ٤٨٤.

﴿مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾ مشقّة في اتباعي لك أي عاملني فيه باليسر.

[٧٤] ـ ﴿فَانْطَلَقَا﴾ بعد ما خرجا من السّفينة ﴿حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا﴾ يلعب مع الصّبيان ﴿فَقَتَلَهُ﴾ أضجعه فذبحه، أو اقتلع رأسه بيده، أو ضربه برجله فمات ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَاكِيَةً[١] بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ طاهرة من الذّنوب، وقرأ «الكوفيّون» و«ابن عامر» «زكيّة»[٢] وهو أبلغ.

وقيل الزّاكية: الّتي لم تذنب، والزّكيّة الّتي اذنبت ثمّ تابت، [٣].

ونبّه بذلك على انّ القتل انّما يباح حدّاً أو قصاصاً وكلاهما منتف، فإنّ الغلام كان غير بالغ ولم يذنب ما يوجب قتله ولم يقتل نفساً فيقاد بها ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ منكراً، وقرأ «نافع» و«أبو بكر» و«ابن ذكوان» بضمتين.[٤]

[٧٥] ـ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِى صَبْرًا﴾ زاد فيه على ما قبله لتكرّر الإنكار منه، ولم يؤثر فيه التّذكير اوّل مرّة.

[٧٦] ـ ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَىءٍ بَعْدَهَا﴾ بعد هذه المرّة ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِى﴾ فلا تتركني[٥] اصحبك، وعن «يعقوب» فلا تصحبني[٦] ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّى﴾ من قبلي، وضمّ «نافع» داله وخفف نونه و«أبو بكر» سكّن داله وخفّف نونه[٧] ﴿عُذْرًا﴾ في مفارقتك لي حيث خالفتك ثلاثاً.

---

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص «زكية».

(٢) السبعة في القراءات / ٣٩٥.

(٣) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٨٤ ـ وفيه: حكى ذلك عن ابى عمرو بن العلاء.

(٤) حجة القراءات: ٤٢٤ ـ وليس فيه «ابن ذكوان» والسبعة في القراءات: ٣٩٥.

(٥) في «ج» فلا تدعني.

(٦) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٨٤.

(٧) حجة القراءات: ٤٢٤ ـ مع اختلاف يسير.

[٧٧] - ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ هي «انطاكية» أو «ايلة». [١]

وعن «الصادق» عليه السّلام: هي «ناصرة» [٢] ﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾ سألاهم الطّعام ضيافة ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا﴾ يقال: ضافه: نزل به، وضيّفه: أنزله. ﴿فَوَجَدا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾ يقرب أن يسقط، استعير الإرادة للمشارفة بميلانه ﴿فَأَقَامَهُ﴾ دفعه بيده فقام، أو نقضه وبناه. ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ جُعلاً، نسدّ به جوعنا حيث لم يضيّفونا، وخفّف «ابن كثير» و«أبو عمرو» التّاء وكسر الخاء، وأظهر «ابن كثير» و«حفص» الذّال وأدغمه الباقون. [٣]

[٧٨] - ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ أي هذا الإنكار سبب فراقنا، أو هذا الوقت وقته، واضيف المصدر الى الظرف اتّساعاً ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ﴾ ببيان باطن ﴿مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ لكون ظاهره منكراً.

[٧٩] - ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِيْنَ﴾ عشرة اخوة خمسة زمنى، [٤] وخمسة ﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ يتكسّبون فيه بالسّفينة ﴿فَأَرَدْتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ اجعلها معيبة ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَّلِكٌ﴾ قدّامهم أو خلفهم ورجوعهم عليه ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صحيحة ﴿غَصْبًا﴾ مقتضى الظّاهر أن يتأخّر «فاردت أن اعيبها» عن، «وكان ورائهم» لانّ ارادة التّعييب مسبّب عن خوف الغصب، لكنّه قدّم لانّ السّبب مجموع الأمرين خوف الغصب ومسكنة الملاّك، فرتّبه على أقوى الجزئين، وعقّبه بالآخر على جهة التّميم.

[٨٠] - ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا﴾ يغشيهما ﴿طُغْيَانًا

---

(١) قاله ابن عباس وابن سيرين - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٨٦.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٨٦.

(٣) حجة القراءات: ٤٢٥ - السبعة في القراءات: ٣٩٦.

(٤) الزمنى جمع زمن، والزمن: من لزمته الزمانة - وهي العاهة وعصم بعضى الأعضاء وتعطيل القوى.

وَكُفْرًا﴾ باتباعهما له في طغيانه وكفره لحبّهما له .

وقيل فخشينا قول الله تعالى أي فعلمنا أو فكرهنا .[١]

[٨١] ـ ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ وشدّده «نافع» و«أبو عمرو»[٢] أي يرزقهما بدله ولداً ﴿خَيْرًا مِنْهُ زَكَوٰةً﴾ طهارة وصلاحاً ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ رحمة بأبويه وهو تمييز لـ«زكوة» .

وعن «الصادق» عليه السّلام : ابدلهما الله تعالى جارية ، فولدت سبعين نبيّاً[٣].

وضمّ «ابن عامر» الحاء .[٤]

[٨٢] ـ ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ من ذهب وفضّة .

وقيل : من كتب العلم ،[٥] وقيل : لـوح ذهب كتب فيه كلمـات وعظ[٦] ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ فحفظا في انفسهما وما لهما بصلاحـه ، وكان بينهما وبينه سبعة آباء ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ أي الحلم وايناس الرّشد ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ علّة لـ«اراد» أو مصدر له لأنّ ارادة الخير رحمة .

ولعلّ اسناد الارادة اوّلاً : الى نفسه لما بشرته التّعييب .

وثانياً : الى الله وإليه لأنّ الإبدال بقتله الغلام[٧] وايجاد الله بدله ،[٨] .

---

(١) تفسير البيضاوي ٣ : ١٥٠ .

(٢) حجة القراءات٤٢٧والسبعة في القراءات : ٣٩٧ .

(٣) تفسير مجمع البيان ٣ : ٤٨٧ .

(٤) حجة القراءات٤٢٧ .

(٥) قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ٤٨٨ .

(٦) قاله ابن عباس والحسن ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ٤٨٨ .

(٧) في«ج» بقتل الغلام .

(٨) وردت العبارة في تفسير البيضاوي هكذا : لان التبديل بإهلاك الغلام وايجاد الله بدله .

وثالثاً: الى الله وحده لعدم دخله في بلوغ الغلامين ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ﴾ أي ما رأيته منّي ﴿عَنْ أَمْرِى﴾ عن رأيي، بل بأمر الله تعالى ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ أي تستطع، حذفت التاء تخفيفاً.

[٨٣] ـ ﴿وَيَسْئَلُونَكَ﴾ أي اليهود أو قريش ﴿عَنْ ذِى الْقَرْنَيْنِ﴾ هو الإسكندر الرّومي، قيل هو نبّي، فتح الله على يديه الأرض،[١] وقيل ملك عادل.[٢]

وعن «عليّ» عليه السّلام: كان عبداً صالحاً, احبّ الله فأحبّه، أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه بالسيف، فغاب عنهم ثم رجع اليهم فدعاهم الى الله، فضربوه على قرنه الآخر، فذلك قرناه، وفيكم مثله، يعني نفسه عليه السّلام.[٣]

وروي أنّه عنىٰ: «القائم» عليه السّلام، وقيل سمّى بذلك لانّه ملك فارس والرّوم. أو المشرق والمغرب أو انقرض في وقته قرنان من النّاس أو كان له قرنان أي ظفيرتان ﴿قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُمْ مِّنْهُ﴾ من قصّته ﴿ذِكْرًا﴾ خبراً.

[٨٤] ـ ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ﴾ أمره ﴿فِى الأَرْضِ﴾ في التّصرف فيها كيف شاء ﴿وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ﴾ يحتاج إليه ﴿سَبَبًا﴾ طريقاً يوصله الى مراده.

[٨٥] ـ ﴿فَاَتْبَعَ سَبَبًا﴾ فأخذ طريقاً نحو المغرب، وقطع «الكوفيّون» و«ابن عامر» الألف وخفّفوا التّاء في الثّلاث.[٤]

[٨٦] ـ ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ أي آخر العمارة من جانب المغرب ﴿وَجَدَها تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ذات حماءة، وهي الطّين الأسود، وقرأ «ابن عامر»

---

(١) قاله مجاهد وعبدالله بن عمر ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٨٩.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٩٠ والغارات ٢: ٧٤٠.

(٣) تفسير البيضاوي ٣: ١٥١، تفسير مجمع البيان ٣: ٤٩٠ ـ وفيه: عن الزهري واختاره الزجاج.

(٤) تفسير مجمع البيان ظ: ٤٨٩ والنشر في القراءات العشر: ٣١٤.

و«أبو بكر» و«حمزة» و«الكسائي» «حامية»[١] أي حمئة، فقلبت الهمزة ياء.

أو حارّة فلعلّها جمعت الوصفين فلا تتنافىٰ القرائتان.

وغروبها في العين وهي البحر المحيط في رأى العين وإلاّ فهي أعظم منه ولاتزايل الفلك ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا﴾ عند العين ﴿قَوْمًا﴾ كفّاراً ﴿قُلْنَا﴾ بوحي إن كان نبيّاً وإلاّ فبالإلهام ﴿يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ﴾ القوم بالقتل بكفرهم ﴿وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ بالهداية الى الإيمان، وقيل بالأسر.[٢]

[٨٧] ـ ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ بالإصرار على شركه ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ أنا ومن معي بالقتل ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ﴾ في الآخرة ﴿فَيُعَذِّبُهُ﴾ بالنّار ﴿عَذَابًا نُكْرًا﴾ منكراً غير معهود.

[٨٨] ـ ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ فعلته الحسنى.

أو الإضافة بيانيّة، ونوّنه «حفص» و«حمزة» و«الكسائي» منصوباً حالاً[٣] أي فله المثوبة الحسنى، مجزياً بها، أو مصدراً لفعله المقدّر حالاً أي يجزى بها جزاءً ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا﴾ ممّا نأمر به ﴿يُسْرًا﴾ ذا يسر أي نأمره بما يسهل عليه.

[٨٩] ـ ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا﴾ أخذ طريقاً نحو المشرق.

[٩٠] ـ ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ ابتداء العمارة من جانب المشرق ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَلْ لَّهُمْ مِّنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ من لباس، ولا بناء لانّهم لم يعلموا صنعة البيوت، أو لأنّ أرضهم لا تتحمل بناء.

ولهم اسراب يغيبون فيها عند طلوع الشّمس ويظهرون عند غروبها.

[٩١] ـ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي امرذي القرنين كما حكينا، أو على قوم مثل ذلك القبيل الّذين عند مغرب الشمس في الحكم ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ من الجند والعدّة

---

(١) حجة القراءات: ٤٢٨ والسبعة في القراءات: ٣٩٨.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٩٠ وتفسير البيضاوي ٣: ١٥٢.

(٣) حجة القراءات: ٤٣٠ والسبعة في القراءات: ٣٩٩.

والأسباب ﴿خُبْرًا﴾ علماً.

[٩٢] ـ ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا﴾ طريقاً ثالثاً، آخذاً من الجنوب الى الشمال.

[٩٣] ـ ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ وهما جبلان بمنقطع أرض التّرك، سدّ الإسكندر ما بينهما، وضمّ السّين «نافع» و«ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي» و«أبو بكر»[١] ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أي لا يفهمونه إلاّ بعد بطء لغرابة لغتهم.

وضمّ «حمزة» و«الكسائي» الياء وكسر القاف[٢] أي لا يفهمون احداً كلامهم.

[٩٤] ـ ﴿قَالُواْ﴾ ـ بترجمان ـ: ﴿يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ اسمان أعجميان لقبيلتين من ولد «يافث بن نوح» لمنع الصّرف.

وقيل: عربيّان من «آج» أي: أسرع، واصله الهمز، وبه قرأ «عاصم»[٣].

ومنع صرفه للتّعريف والتأنيث ﴿مُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ﴾ بالقتل والنّهب والإتلاف.

قيل: كانوا يخرجون الرّبيع فيأكلون كلّ اخضر ويحملون كلّ يابس[٤].

وقيل يأكلون الناس ومادبّ[٥] ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ شيئاً نخرجه من مالنا، وقرأ «حمزة» و«الكسائي» «خراجاً»[٦] ﴿عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ حاجزاً، فلا يخرجون علينا، وضمّه «نافع» و«ابن عامر» و«أبو بكر».[٧]

---

(١) حجة القراءات: ٤٣١ والسبعة في القراءات: ٣٩٩.

(٢-٣) حجة القراءات: ٤٣٢ والسبعة في القراءات: ٣٩٩.

(٤) قاله الكلبي كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٩٤.

(٥) نقله البيضاوي في تفسيره ٣: ١٥٣ ـ مع اختلاف يسير.

(٦) حجة القراءات: ٤٣٢.

(٧) تفسير البيضاوي ٣: ١٥٣ وفيه: قدضمّه (اي سداً) من ضم «السدين» غير حمزة والكسائي.

[٩٥] ـ ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى﴾ وقرأ «ابن كثير» بنونين بلا ادغام[١] ﴿فِيهِ رَبِّى﴾ من المال والملك ﴿خَيْرٌ﴾ ممّا جعلتم لي من الخرج، ولا حاجة بي إليه ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ﴾ بما اتقوّى به من عمل أو آلة ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ حاجزاً حصيناً، متراكباً بعضه على بعض.

[٩٦] ـ ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ قطعة على قدر الحجارة الّتي يبنى بها.

ولا ينافي ردّ الخرج والإقتصار على الإعانة، لانّ اعطاء الآلة من الإعانة لا الخرج أو لأنّ الإيتاء بمعنى المناولة بشهادة قراءة «أبي بكر»: «ردماً ايتونى»[٢] بكسر التّنوين ووصل الهمزة أي جيئوني، على حذف الباء من «زبر» ﴿حَتَّى إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ بين جانبي الجبلين، بنضد الزّبر وجعل الفحم بينها، وضمّ «ابن كثير» و«ابن عامر» والبصرّيان الحرفين[٣] وضمّ «أبو بكر» الصّاد وسكّن الدّال[٤] ﴿قَالَ انْفُخُواْ﴾ بالمنافخ في النّار في الحديد، فنفخوا ﴿حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ﴾ أي الحديد ﴿نَارًا﴾ كالنّار ﴿قَالَ ءَاتُونِى أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ نحاساً مذاباً، تنازعه الفعلان، فاعمل الثاني وحذف من الاول، إذ لو اعمل الأوّل لأ ضمر في الثاني.

وقرأ «حمزة» و«أبو بكر» قال ائتوني[٥] بوصل الهمزه من المجيء، فافرغ النّحاس المذاب على الحديد المحمى، فدخل بين زبره فصار جبلاً صلداً.

[٩٧] ـ ﴿فَمَا اسْطَاعُواْ﴾ بحذف التاء استثقالاً، وادغمها «حمزة» في الطّاء[٦] فجمع ساكنين لا على حدّه ﴿أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ يعلوه لارتفاعه وملاسته ﴿وَمَا اسْتَطَاعُواْ لَهُ نَقْبًا﴾ خرقاً لصلابته وثخنه.

---

(١) حجة القراءات: ٤٣٣.

(٢-٤) حجة القراءات: ٤٣٤.

(٥) حجة القراءات: ٤٣٤ والسبعة في القراءات: ٤٠١.

(٦) السبعة في القراءات: ٤٠١.

قيل: كان ارتفاعه مأتي ذراع وثخنه خمسين.[١]

[٩٨] ـ ﴿قَالَ﴾ ـ ذو القرنين ـ: ﴿هَٰذَا﴾ أي السّدّ والإقدار عليه ﴿رَحْمَةٌ﴾ نعمة ﴿مِّن رَّبِّى﴾ على عباده ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّى﴾ بخروج يأجوج ومأجوج ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ مدكوكاً، مسّوى بالأرض، مصدر بمعنى مفعول.

ومدّه «الكوفيون» غير منّون أي: أرضاً مستوية.[٢]

قيل: يكون ذلك بعد قتل «عيسى» عليه السّلام الدّجال[٣] ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾ كائناً البتّة، قال تعالى:

[٩٩] ـ ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ جعلنا بعض يأجوج ومأجوج يوم خروجهم[٤] ﴿يَمُوجُ﴾ يختلط ﴿فِى بَعْضٍ﴾ كموج البحر لكثرتهم، أو بعض الخلق الجنّ والإنس يختلط ببعض مضطربين منهم، ويعضده ﴿وَنُفِخَ فِى الصُّورِ﴾ القرن لقيام السّاعة ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ﴾ أي الخلائق للجزاء ﴿جَمْعًا﴾.

[١٠٠] ـ ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ أبرزناها لهم.

[١٠١] ـ ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَاءٍ عَن ذِكْرِى﴾ عن آياتي الّتي يعتبر بها فاذكر، ﴿وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ أي يعرضون عن استماع ذكري والقرآن بغضاً له فكأنّهم صمّ عنه.

[١٠٢] ـ ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى﴾ الملائكة و«عيسى» وعزيراً ﴿مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ﴾ آلهة، مفعول ثان لـ«يتخذوا» وحذف ثاني مفعول «حسب» للقرينة أي افظنّوا اتّخاذهم المذكور نافعاً لهم ولا اعاقبهم عليه؟ كلاّ، وفتح

---

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٩٥.

(٢) تفسير البيضاوي ٣: ١٥٣.

(٣) نقله الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٩٥.

(٤) في «ج»: بعد خروجهم.

«نافع» و«أبو عمرو» الياء[1] ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً﴾ أي هيّأناها لهم كالشّيء المهيّا للضّيف.

[١٠٣] ـ ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾ تمييز جمع لمطابقة المميّز أو لتنوّعه.

[١٠٤] ـ ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ بطل عملهم لكفرهم وعجبهم، رفع خبر محذوف[2] أو جرّ بدلاً أو نصب ذمّاً ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ عملاً لزعمهم انّهم على حقّ.

[١٠٥] ـ ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ بدلائله من القرآن وغيره ﴿وَلِقَائِهِ﴾ بلقاء[3] جزائه ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطلت بكفرهم ﴿فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَزْنًا﴾ أي لا نجعل لهم قدراً، بل نهينهم ونعاقبهم.

[١٠٦] ـ ﴿ذَلِكَ﴾ ذلك المذكور من حبوط اعمالهم واهانتهم، وابتدأ ﴿جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أو «ذلك» مبتدأ والجملة خبره، بتقدير عائد، أي: جزاؤهم به، أو جزاؤهم بدله وجهنّم خبره ﴿بِمَا كَفَرُواْ وَاتَّخَذُواْ ءَايَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ مهزوءاً بهما.

[١٠٧] ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علم الله ﴿جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ هو أعلى درجات الجنّة، والإضافة بيانية ﴿نُزُلاً﴾ منزلاً.

[١٠٨] ـ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ﴾ يطلبون ﴿عَنْهَا حِوَلاً﴾ تحوّلاً الى غيرها، إذ لا أطيب منها.

[١٠٩] ـ ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ﴾ أي ماؤه ﴿مِدَادًا﴾ ما يكتب به، وهو اسم ما يمدّ به الشيء ﴿لِّكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ الدّالة على حكمه وعلمه بأن تكتب به ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾ لفنى

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات ـ: ٨٢.

(٢) اي: محلّه الرفع على الخبر.

(٣) في «ج» عقاب بدل «بلقائه».

في كتابتها ﴿قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ فإنّها لا تنفد لعدم تناهيها كعلمه .

وقرأ «حمزة» و«الكسائي» بالياء[1] ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ﴾ أي البحر ﴿مَدَدًا﴾ زيادة فيه لنفد ولم تنفد هي ، ونصب تمييزاً .

[١١٠] ـ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾ آدميّ ﴿مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ أي يوحى اليّ وحدانيّة الإله إذ «ما» الكافّة لم تخرج «أن» عن المصدريّة ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ يأمل لقاء جزائه بالبعث ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا﴾ خالصاً لله ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ بأن يعبده معه أو يرائيه .

عن «الصادق» عليه السّلام في هذه الآية قال : الرّجل يعمل شيئاً من الثّواب لا يطلب به وجه الله ، انّما يطلب تزكية النّاس ، يشتهى أن تسمع به النّاس ، فهذا الّذي اشرك بعبادة ربّه ،[2] الحديث .

وعنه عليه السّلام : من قرأها عند النّوم يتيقّظ في السّاعة التي يريدها .[3]

---

(١) حة القراءات : ٤٣٦.

(٢) تفسير العياشي ٢ : ٣٥٢ وتفسير مجمع البيان ٣ : ٤٩٩.

(٣) تفسير مجمع البيان ٣ : ٤٩٩ ورواه البيضاوي في تفسيره ٣ : ١٥٥ عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم .

سورة مريم

[١٩]

ثمان أو تسع وتسعون آية

وهي مكية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ـ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ أمال «أبو عمرو» «الهاء» و«ابن عامر» و«حمزة» الياء و«أبو بكر» و«الكسائي» كليهما[1] لأن أَلِفَات اسماء التّهجّي ياءآت.

[٢] ـ ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ خبر «كهيعص»، ان اوّل بالسّورة أو القرآن أو خبر محذوف أي هذا ذكر رحمة ربّك ﴿عَبْدَهُ﴾ مفعول «رحمة» ﴿زَكَرِيَّا﴾ بالمدّ والقصر، بدل أو بيان له.

[٣] ـ ﴿إِذْ﴾ ظرف لـ«رحمة» ﴿نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ امّا لانّ الدّعاء الخفّى أقرب للإجابة، أو: لئلاّ يلام على طلب الولد على الكبر.

[٤] ـ ﴿قَالَ رَبِّ﴾ تفسير للنّداء ﴿إِنِّي وَهَنَ﴾ ضعف ﴿الْعَظْمُ﴾ جنسه ﴿مِنِّي﴾.

وخصّ العظم لأنّه أساس البدن وأصلب ما فيه، فإذا وهن، فالباقي اوهن

(١) حجة القراءات: ٤٣٧ والسبعة في القراءات: ٤٠٦.

﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ تمييز محوّل عن الفاعل، شبّه الشّيب في بياضه بالنّار وانتشاره في الشّعر باشتعالها فأبرزه بصورة الإستعارة ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ﴾ بدعائي ايّاك فيما مضى ﴿رَبِّ شَقِيًّا﴾ خائباً، بل عودتني الإجابة، فلا تخيّبني بدعائك فيما يأتي.

[٥] ـ ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ الّذين يلوني في النّسب وهم بنو عمّه ﴿مِنْ وَرَاءِي﴾ بعد موتي أن يرثوا مالي فيصرفوه فيما لا ينبغي، إذ كانوا أشراراً، وهو متعلّق بمقدّر حالاً مقدّرة، أو بالموالي أي الّذين يلون الأمر بعدي، وفتح «ابن كثير» الياء[١] ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ لا تلد ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ ابناً.

[٦] ـ ﴿يَرِثُنِي﴾ صفته، وجزمه «أبو عمرو» و«الكسائي» جواباً للدّعاء[٢] ﴿وَيَرِثُ﴾ بالقراءتين ﴿مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ بن ماثان، عمّ «مريم» بنت عمران من ولد سليمان أو يعقوب بن اسحاق ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ مرضياً عندك.

وهذا ينفي حمل الوراثة على وراثة النّبوّة لشمولها الرّضا فما فوقه، فيلغوا طلبه معها فأجاب تعالى دعاءه وقال:

[٧] ـ ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾ أعجميّ أو منقول من فعل[٣] كـ«يعيش» ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ لم نسمّ احداً قبله[٤] بـ«يحيى»، شرّفه تعالى بأن تولّى تسميته وخصّه باسم لم يسبق إليه.

وقيل: سمياً مثل كـ﴿هل تعلم له سميًّا﴾.[٥]

[٨] ـ ﴿قَالَ﴾ تعجّباً من خرق العادة ـ لا من القدرة ـ: ﴿رَبِّ أَنَّى﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عُتِيًّا﴾ يبساً، وجفافاً وأصله

(١-٢) حجة القراءات: ٤٣٨.

(٣) في «ب»: عن فعل.

(٤) في «ج»: لم يسمى أحد قبل.

(٥) في الآية (٦٥) من هذه السورة.

عتوّ، كسرت التّاء تخفيفاً وقلبت الواو الاولى ياء لمناسبة الكسرة والثّانية ياء لتدغم.

قيل: كان له تسع وتسعون سنة[١] ولإمرأته ثمان وتسعون سنة، وكسر «حمزة» و«الكسائي» و«حفص» اوائل «عتيّاً»[٢] و«صليّاً»[٣] و«جثيّاً»[٤] وكذا «بكيّاً»[٥] للاوّلين وضمّ الباقون كلها.

[٩] ـ ﴿قَالَ﴾ الله أو الملك: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الأمر كذلك من خلق الغلام منكما ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ بأن اردّ عليك قوّة الجماع وافتق رحم امرأتك بالولد ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ﴾ وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «خلقناك»[٦] ﴿مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ موجوداً. ألهمه الله تعالى السّؤال ليجاب بما يدلّ على كمال قدرته.

[١٠] ـ ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي ءَايَةً﴾ علامة لوقت الحمل، وفتح «نافع» و«أبو عمرو» «الياء»[٧] ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ لا تقدر على تكليمهم، اي: نحبس لسانك إلاّ عن ذكر الله وشكر نعمته ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ سليماً بلا آفة، وتدخل الأيام كما في آل عمران «ثلاثة أيّام».[٨]

[١١] ـ ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ من المصلّى ﴿فَأَوْحَى﴾ أومى ﴿إِلَيْهِمْ﴾ وقيل: كتب لهم في الأرض[٩] ﴿أَنْ﴾ مفسّرة أو مصدريّة ﴿سَبِّحُوا﴾ صلّوا

---

(١) قاله قتادة ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٥٠٥.
(٢) في الآية (٨) من هذه السورة وينظر حجة القراءات: ٤٣٩ وتفسير البيضاوي ٣: ١٥٦.
(٣) في الآية (٧٠) من هذه السورة.
(٤) في الآية (٦٨) من هذه السورة.
(٥) في الآية (٥٨) من هذه السورة.
(٦) حجة القراءات: ٤٣٩.
(٧) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ٩٤.
(٨) سورة آل عمران: ٣/ ٤١.
(٩) قاله مجاهد ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٥٠٥.

أو نزهوا الله ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ طرفي النّهار.

كان يخرج اليهم فيأذن لهم بالصّلاة معه، فلمّا اعتقل لسانه خرج على عادته فأذن لهم بغير كلام، فعلموا وقوع الحمل بـ«يحيى».

[١٢]ـ ﴿يَايَحْيَىٰ﴾ أي فوهبناه له وقلنا: يا يحيى ﴿خُذِ الْكِتَابَ﴾ التّوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجدّ ﴿وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ﴾ النبوّة، أو فهم التّوراة ﴿صَبِيًّا﴾ ابن ثلاث سنين.[١]

[١٣]ـ ﴿وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا﴾ ورحمة منّا عليه أو على العباد، عطف على «الحكم» ﴿وَزَكَوٰةً﴾ عملاً زاكياً، أو زكّيناه بالثّناء عليه، أو صدقة منّا على أبويه أو على النّاس ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ مطيعاً، لم يهمّ بخطيئة.

[١٤]ـ ﴿وَبَرًّا﴾ باراً ﴿بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا﴾ متكبّراً ﴿عَصِيًّا﴾ عاصياً لرّبه.

[١٥]ـ ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ﴾ من الله ﴿يَوْمَ وُلِدَ﴾ من عبث الشيطان به ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ من عذاب القبر ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ من هول المطّلع والنّار.

وهذه اخوف ايّام الإنسان إذ يرى فيها ما لم يره قبلها فهو آمن فيها.

[١٦]ـ ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿مَرْيَمَ﴾ أي قصّتها ﴿إِذِ انْتَبَذَتْ﴾ اعتزلت، بدل اشتمال من «مريم» لاشتمال الوقت على ما فيه ﴿مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ في مكان نحو المشرق من بيت المقدس، أو: من دارها.

[١٧]ـ ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ ستراً يسترها لتفلى رأسها[٢] أو تغتسل ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ جبرائيل فإنّ به حياة الدّين، والإضافة للتّشريف ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ في صورة شابّ تامّ الخلق لتستأنس بكلامه.

[١٨]ـ ﴿قَالَتْ إِنِّي﴾ وفتح «الحرميّان» و«أبو عمرو» الياء[٣] ﴿أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ

---

(١) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٥٠٧.

(٢) فلي الرأس: تنظيفه وتنقيته من القمّل.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ٩٤.

إنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ تتّقى الله وترتدع بالإستعاذة، فإنّي عائذة به منك أو فاتّعظ بتعوّذي.

[١٩] ـ ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ﴾ لأكون سبباً للهبة بالنّفخ في الدّرع، وقرأ «ورش» و«أبو عمرو» بالياء[١] ﴿غُلَامًا زَكِيًّا﴾ طاهراً من الأدناس.

أو نامياً على الخير أو نبيّاً.

[٢٠] ـ ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ بالحلال ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ زانية وهو فعول من البغي، قلبت واوه ياء وادغمت وكسرت الغين.

[٢١] ـ ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ﴾ أي نخلقه لنبيّن به قدرتنا ولنجعله ﴿ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ علامة لهم عليها ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ لمن يؤمن به ﴿وَكَانَ﴾ خلقه ﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ قضى الله به في علمه.

[٢٢] ـ ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ بأن نفخ في جيب درعها فأحسّت بالحمل ﴿فَانتَبَذَتْ بِهِ﴾ تنحّت بالحمل ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ بعيداً من أهلها حياء منهم، وكانت مدّة حملها تسع ساعات.[٢]

وقيل: ستّة اشهر[٣] وقيل: ثمانيه اشهر[٤] وقيل: ساعة وسنّها عشر سنين[٥] أو ثلاث عشره سنة.

[٢٣] ـ ﴿فَأَجَاءَهَا﴾ ألجأها، نقل من جاء وخصّ بمعنى الإلجاء ﴿الْمَخَاضُ﴾ الطّلق أي وجع الولادة ﴿إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ ساقها لتستند إليه، واللام للجنس أو العهد إذ لم يكن سواها هناك، وكانت شجرة لا رأس لها، ولعلها ارشدت إليها لتطعم الرّطب الموافق للنّفساء، وترى من الآيات من تطمئنّ به ﴿قَالَتْ﴾ استحياء من النّاس أن يتّهموها للتّنبيه: ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ الأمر ﴿وَكُنتُ نِسْيًا﴾ بالكسر، ما من حقّه

---

(١) حجة القراءات: ٤٤٠.

(٢-٤) تفسير مجمع البيان ٣: ٥١١.

(٥) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٥١١.

أن ينسى ويترك، وفتحه «حمزة» و«حفص»[١] ﴿مَنْسِيًّا﴾ متروكاً لا يذكر.

[٢٤] ـ ﴿فَنَادَاهَا مَنْ تَحْتَهَا﴾ عيسى وقيل: جبرائيل[٢] وقرأ «نافع» و«حفص» و«الكسائي» بالكسر والجرّ[٣] وفاعل «نادى» ضمير احدهما[٤] ﴿أَلَّا﴾ بأن لا، أو: أي لا ﴿تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ جدولاً، ضرب «عيسى» برجله أو جبرائيل، فظهر ما يجرى، وقيل: شريفاً وهو عيسى.[٥]

[٢٥] ـ ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ حرّكيه بجذب ودفع، والباء زائدة، أو أفعلى الهزّبه ﴿تَسَّاقَطْ عَلَيْكِ﴾ تتساقط، ادغمت التّاء الثانية في السّين وحذفها «حمزة» وضمّ «حفص» التّاء من ساقطت[٦] بمعنى: اسقطت ﴿رُطَبًا﴾ تمييزاً ومفعول ﴿جَنِيًّا﴾ طريّاً وكان الجذع يابساً بلا رأس ولا ثمر، والوقت شتاء فأورق وأثمر وتساقط الرّطب.

[٢٦] ـ ﴿فَكُلِي﴾ من الرّطب ﴿وَاشْرَبِي﴾ من السّرى[٧] ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ بالولد، تمييز محوّل عن الفاعل أي لتقرّ عينك به وتسكن سروراً برؤيته، فلا تطمع الى غيره.

جمع لها في الرّطب والسّرى الأكل والشّرب والتّسلية بما فيهما من المعجزات المنزّهة لها ﴿فَإِمَّا﴾ ان الشرطيّة ادغمت في «ما» الزّائدة ﴿تَرَيِنَّ﴾ اصله ترايين، حذفت الهمزة ولام الفعل وكسرت ياء الضمير لالتقاء السّاكنين ﴿مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ يسألك عن ولدك[٨] ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ امساكاً عن تكليم الأُناسيّ بدليل: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ بعد اخبارى بنذري.

---

(١) حجة القراءات: ٤٤١ والسبعة في القراءات: ٤٠٨.

(٢) قاله السدي وقتادة والضحاك ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٥١١.

(٣و٤) حجة القراءات: ٤٤١.

(٥) قاله الحسن وابن زيد والجبائي كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٥١١.

(٦) حجة القراءات: ٤٤٢.

(٧) السّريّ: الجدول وقد مرّ ذكره آنفاً.

(٨) في «ج»: عن ذلك.

وقيل: اخبرتهم به بالإشارة، وامرت بذلك لكراهة الجدال والإكتفاء بكلام «عيسى» الأقوى في نفي التّهمة.[١]

[٢٧] ـ ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ حال عنها أو عنه أو عنهما ﴿قَالُواْ يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ منكراً عظيماً، إذ ولدت من غير زوج.

[٢٨] ـ ﴿يَا أُخْتَ هٰرُونَ﴾ هو رجل صالح، كان في زمانهم، شبّهوها به تهكّماً. أو: طالح شتّموها به، أو: هو أخو «موسى»[٢] لأنّها من ولده وكان بينهما الف سنة[٣] ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾ زانياً ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ زانية، فكيف أتيت بولد؟.

[٢٩] ـ ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ الى «عيسى» أن كلّموه ليجيبكم ﴿قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ «كان» بمعنى صار، أو تامّة أو زائدة، والظّرف صلة «مَن» و«صبيّاً» حال من المستكن فيه.

[٣٠ ـ ٣١] ـ ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ﴾ انطقه الله به ـ اوّلاً ـ ردّاً على من يزعم ربوبيّته ﴿ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ الإنجيل، وسكّن «حمزة» الياء[٤] ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً﴾ نفّاعاً معلّماً للخير.

اكمل الله عقله واستنبأه طفلاً، أو اخبر بما كتب له أو جعل المحقّق وقوعه كالواقع ﴿أَيْنَ مَا﴾ حيث ﴿كُنْتُ وَأَوْصَانِي﴾ أمرني ﴿بِالصَّلٰوةِ وَالزَّكٰوةِ﴾ الصّدقة أو تطهير البدن من الآثام ﴿مَادُمْتُ حَيًّا﴾.

[٣٢] ـ ﴿وَبَرًّا﴾ وجعلني باراً ﴿بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ متكبّراً ﴿شَقِيًّا﴾

---

(١) تفسير البيضاوي ٣: ١٥٨ و١٥٩.

(٢) في «ج»: او اخو موسى.

(٣) تفسير مجمع البيان ٣: ٥١٢ عن ابن عباس وقتادة و. . . وعن سعيد بن جبير مع اختلاف يسير ـ ينظر تفسير البيضاوي ٣: ١٥٩.

(٤) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ٩٤.

عاصياً لربّي.

[٣٣] ـ ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ﴾ من الله ﴿يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ فسّر في قصـّة «يحيى»[١] والتـّعريف لـلعهد أو للجنـس: والتـّعريض بـأنّ ضـدّه وهـو اللـّعن على اعدائه.

[٣٤] ـ ﴿ذَلِكَ﴾ الّذي وصفنـاه هو: ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ لا ما تصفـه النّصارى ﴿قَوْلُ الْحَقِّ﴾ خبر محـذوف، أي هذا الكـلام قول الحقّ، والإضافـة بيانيّـة أو صفة «عيسى» أو بدله، ومعناه كلمة الله ونصبه «عاصم» و«ابن عامر» مصدراً بتقدير قلت[٢] ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يشكون، فقالت اليهود: ساحر، وقالت النّصارى: ابن الله.[٣]

[٣٥] ـ ﴿مَا كَـانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِـنْ وَلَدٍ﴾ زيدت «مِن» لتـأكيد النّفي ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له عن ذلك ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُـولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فهو يكون، ومن ذلك خلق «عيسى» من غير أب.

[٣٦] ـ ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ فسرّ في آل عمران[٤] وكسر «الكوفيّون» و«ابن عامر»: «إنّ» وفتحها غيرهم.[٥]

[٣٧] ـ ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْـزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ اليهود والنّصـارى، أو فرق النّصـارى، يعـقوبيّة قــالت: هو الله، ونسطوريّة قالـت: هو ابن الله، وملكانيّة قــالت: هـو ثـالث ثلاثـة[٦] و قــيل: هــذا قــول الاسـرائيـليـّة[٧].

---

(١) قد مرّ في تفسير الآية (١٥) من هذه السورة.

(٢) حجة القراءات: ٤٤٣.

(٣) تفسير مجمع البيان ٣: ٥١٣.

(٤) عند تفسير الآية (٥١) من سورة آل عمران.

(٥) تفسير مجمع البيان ٣: ٥١٤.

(٦) قاله قتادة ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٥١٤هـ.

(٧) قاله مجاهد ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٥١٤هـ.

وامّا الملكانيّة[1] فقالوا: هو عبد الله ونبيّه ﴿فَوَيْلٌ﴾ شدّة عذاب ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بقولهم في عيسى ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ من حضورهم يوم القيامة وهوله العظيم، أو وقت حضورهم أو مكانه فيه.

أو: من شهادة ذلك اليوم بأن تشهد عليهم الأنبياء والملائكة وجوارحهم فيه بالكفر. أو: من وقت الشّهادة أو مكانها.

[٣٨] ـ ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ أي ما اسمعهم وابصرهم ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ في الآخرة ﴿لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ﴾ اقيم مقام الضّمير ﴿الْيَوْمَ﴾ أي في الدّنيا ﴿فِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ بيّن.

والمعنى انّ سمعهم وابصارهم في الآخرة جديران بأن يتعجب منهما بعد أن كانوا في: الدّنيا صمّاً وعمياً عن الحقّ.

[٣٩] ـ ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ خوّف كفّار مكّة ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ هو يوم القيامة، يتحسّر المسيء فيه، هلاّ احسن العمل ﴿إِذْ قُضِىَ الْأَمْرُ﴾ فرغ من الحساب وادخل قوم الجنّة وقوم النّار، و«إذ» بدل من «يوم» ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ حال متعلقة بـ«انذرهم» تعطي التّعليل أو بقوله: «في ضلال مبين» وما بينهما اعتراض.

[٤٠] ـ ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تأكيد ﴿نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ من العقلاء وغيرهم بأن نهلكهم، فلا يبقى فيها مالك ولا مِلك [لأحد][2] غيرنا ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ يردّون للجزاء.

[٤١] ـ ﴿وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾ مبالغاً في الصّدق، أو كثير التّصديق للحقّ ﴿نَّبِيًّا﴾ لله.

---

(١) الملكانية او الملكيّة فهم طائفة من النصارى، لقّبوا به لاتباعهم الملك وتطلق غالباً على تبعة الكنيسة الرومانية من الروم.

(٢) زيادة اقتضاها السياق. وفي تفسير البيضاوي ٣: ١٦١: لاتبقى لأحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولاملك.

[٤٢] ـ ﴿إِذْ قَالَ﴾ بدل من «ابراهيم» وما بينهما اعتراض ﴿لِأَبِيهِ﴾ آزر وهو عمّه. أو جدّه لأمّه، سمّى أباً مجازاً ﴿يَا أَبَتِ﴾ التاء عوض عن ياء الإضافة ولذا لا يجتمعان وفيها استعطاف، ولذا كرّرت ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا﴾ أي الذي، أو معبوداً ﴿لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنْكَ﴾ لا يكفيك ﴿شَيْئًا﴾ من جلب نفع ودفع ضرّ.

حاول هدايته فبيّن ضلاله بأبلغ حجّة وأرفق أُسلوب، إذ لم يصرّح به بل طلب العلّة الدّاعية له الى عبادة أخسّ الموجودات وهو الجماد مع أنّ العقل السّليم يأبى عبادة كلّما شاركه في الإمكان والحاجة، وان كان أشرف الممكنات كالأنبياء والملائكة فضلاً عن اخسّها كالجماد، إذ العبادة غاية التّعظيم ولا تحقّ إلاّ للواجب الغنّي المنعم السّميع البصير العليم القدير.

[٤٣] ـ ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا﴾ أي شيء ﴿لَمْ يَأْتِكَ﴾ لم يسمّه بفرط الجهالة ولا نفسه بكمال العلم، بل جعل نفسه كذي معرفة بالدّلالة في مفازة[1] دونه ﴿فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيًّا﴾ طريقاً مستقيماً.

[٤٤] ـ ﴿يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ أي لا تطعه في عبادة الأصنام، فتكون كمن عبده ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ﴾ المولى للنّعم كلّها ﴿عَصِيًّا﴾ عاصياً، فالمطيع له عاص والعاصي حرّى بسلب النّعمة واستحقاق النّقمة كما نبّه عليه قوله:

[٤٥] ـ ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمٰنِ﴾ ذكر الخوف والمسّ ونكّر العذاب مجاملة، أو تجويزاً لتوبته، وفتح «الحرميان» و«أبو عمرو» الياء[2] ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ لاحقاً في اللّعن، أو قريناً في النّار.

[٤٦] ـ ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ قابل ملاطفاته بالفضاضة، فقدّم الخبر على المبتدأ مصدّراً بالهمزة لإنكار رغبته مع تعجّب.

---

(١) في «ب» على مفازة.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ٩٤.

وناداه بإسمه ولم يقابل يا أبت، بـ«يا بنيّ» واخّره ثم هدّده بقوله: ﴿لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ﴾ عن التّعرّض لها ﴿لأَرْجُمَنَّكَ﴾ بالحـجارة أو بالشـتّم، فاحـذرني ﴿وَاهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ دهراً طويلاً.

[٤٧] ـ ﴿قَالَ سَـلَامٌ عَلَيْكَ﴾ سـلام تـوديع ومهـاجـرة أي لا اصيبـك بمكـروه ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّى﴾ بأن يـوفّقك لما يـوجب مغفـرته، وفتح «نـافع» و«أبـو عمرو» الياء[1] ﴿إِنَّهُ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ باراً لطيفاً.

[٤٨] ـ ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾ اجانبكم ﴿وَمَا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى﴾ أعبده﴿عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّى﴾ بعبادته ﴿شَقِيًّا﴾ خائباً مثلكم في دعاء الأصنام، و«عسى» للتّواضع.

[٤٩] ـ ﴿فَلَمَّا اعْتَـزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُـدُونَ منْ دُونِ اللهِ﴾ بالهجرة الى الشام ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ عوضاً عمّن فارقهم ﴿وَكُلاًّ﴾ منهما أو منهم ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾.

[٥٠] ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ﴾ للثّلاثة ﴿مِّنْ رَّحْمَتِنَا﴾ نعم الدّين والـدّنيا ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ ثناءً حسناً رفيعاً في جميع أهل الأديان، عبّر باللّسان عمّا يـوجدبه.

[٥١] ـ ﴿وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ مُوسَـى إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا﴾ أخلص عبادتـه أو نفسه لله وحده، وفتحه «الكوفيّون»[2] على انّ الله أخلصـه ﴿وَكَانَ رَسُولاً﴾ من الله الى النّـاس ﴿نَّبِيًّا﴾ ينبئهم عنه، وهو أعمّ من الرّسول، وأخّر لتأخّر الإنباء عن الإرسال وللفاصلة.

[٥٢] ـ ﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾ بـ﴿يا مـوسى إنّني أنـا الله﴾[3] ﴿مِنْ جَانِـبِ الطُّورِ﴾ جبل بالشام ﴿الأَيْمَنِ﴾ الّذي يلـي يمين موسى، أو الميمـون من اليُمن ﴿وَقَرَّبْنَاهُ﴾ تقريب كرامة ﴿نَجِيًّا﴾ مناجياً، شبّهه بمن قرّبه الملك لمناجاته.

[٥٣] ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَّحْمَتِنَا﴾ من أجل نعمتنـا أو بعضها ﴿أَخَاهُ﴾ أي موازرة

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ٩٤.

(٢) حجة القراءات : ٤٤٤ ـ والقراءة لعاصم وحمزة والكسائي.

(٣) سورة طه : ٢٠/١٤.

أخيه اجابة لدعوته ﴿واجعل لي وزيراً من اهلي﴾[1] إذ كان أسنّ من «موسى» وهو مفعول أو بدل ﴿هٰرُونَ﴾ عطف بيان له ﴿نَبِيًّا﴾ حال تدلّ على المقصود بالهبة.

[٥٤]ـ ﴿وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِسْمٰعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ إذا وعد شيئاً وفي به، وقد وعد الصبر على الذّبح فوفى، وانتظر من وعده سنة حتّى أتاه وهو في مكانه[2] ﴿وَكَانَ رَسُولاً﴾ الى «جرهم»[3] بشريعة أبيه ابراهيم.

ويفيد انّه قد لا يكون الرّسول صاحب شريعة ﴿نَّبِيًّا﴾.

[٥٥]ـ ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بالصَّلٰوةِ وَالزَّكَوٰةِ﴾ يبدأ بإصلاح من هو أقرب إليه لأنّه الأهم [كما قال تعالى:][4] ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾.[5] ﴿قوا انفسكم واهليكم ناراً﴾[6] وقيل: أهله: امّته[7] ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ في أفعاله وأقواله، وأصله بواوين، قلبتا يائين، والضّمة كسرة.

[٥٦]ـ ﴿وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ هو جدّ أبي نوح، أعجميّ لمنع صرفه.

وقيل: من الدّرس لكثرة دراسته كتاب الله،[8] ولعلّ معناه بالعجميّة قريب من ذلك، واسمه «اخنوخ» والمنجّمون يسموّنه «هرمس» وهو اوّل من خطّ بالقلم وخاط الثّياب ونظر في علم الهيئة والحساب ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيًّا﴾.

---

(١) سورة طه: ٢٠/ ٢٩.

(٢) وفي بعض التفاسير: ان اسماعيل صادق الوعد هو غير اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام.

(٣) قبيلة عربية قديمة، قيل: انها جاءت من اليمن، منها البائدة والعارية، اما العارية فكانت تقيم في مكة.

(٤) زيادة اقتضاها السياق.

(٥) سورة الشعراء: ٢٦/ ٢١٤.

(٦) سورة التحريم: ٦٦/ ٦.

(٧) قاله الحسن ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٥١٨هـ.

(٨) نقله الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٣: ٥١٩ مع اختلاف يسير.

[٥٧]ـ ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ هو شرف النبوّة وسمّو القدر، وقيل: السّماء الرّابعة أو السّادسة،[١] وقيل الجنّة بعد أن قبض روحه في الرّابعة واحيى.[٢]

[٥٨] ـ ﴿أُولَٰئِكَ﴾ المذكورون من «زكريّا» الى «ادريس» عليهم السّلام ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بالنّعم الدينيّة والدنيوية ﴿مِّنَ النَّبِيِّينَ﴾ بيان للموصول ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ بعضها، والمراد به «ادريس» ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا﴾ في السّفينة ﴿مَعَ نُوحٍ﴾ أي: أو من ذرّيّة من حملنا وهو «ابراهيم» من ذريّة سام ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: «اسماعيل» و«اسحاق» و«يعقوب» ﴿وَإِسْرَاءِيلَ﴾ أي: ومن ذريّة اسرائيل وهو «يعقوب» أي: «موسى» و«هارون» و«زكريا» و«يحيى» و«عيسى».

ويفيد أنّ ولد البنت من الذّريّة ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ أي: من جملتهم ﴿وَاجْتَبَيْنَا﴾ واخترنا ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا﴾ خبر «اولئك» ـ إن جعل الموصول صفته ـ، واستئناف ـ إن جعل خبره ـ. ﴿سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ حالان جمع ساجد وباك.

وأصل بكيّ بكوى، قلبت الواو ياء وادغمت وكسر ما قبلها.

قيل: لعلّ المراد بالآيات: الكتب المنزلة عليهم.[٣]

[٥٩] ـ ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ جاء بعدهم عقب سوء والخلف بالفتح: الصّالح، وبالسكون لضدّه ﴿أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ﴾ بتركها أو تأخيرها عن وقتها، ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ فيما حرّم عليهم ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ شراً أو جزاء غيّ كـ﴿يلق اثاماً﴾،[٤] أو: غيّاً عن طريق الجنّة، أو: هو واد في جهنم.[٥]

(١) قاله انس وابوسعيد وابن عباس والضحاك ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٥١٩.

(٢) روى عن الباقر عليه السّلام ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٥١٩.

(٣) معناه في تفسير مجمع البيان ٣: ٥١٩ عن ابن عباس.

(٤) سورة الفرقان: ٢٥ / ٦٨.

(٥) قاله ابن مسعود ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٥٢٠ وتفسير البيضاوي ٣: ١٦٣.

[٦٠] ـ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ وبناه للمفعول «ابن كثير» و«أبو عمرو» و«أبو بكر» من أدخل[1] ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ ولا ينقصون شيئاً من ثوابهم، ويجوز كون «شيئاً» مصدراً.

[٦١] ـ ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ بدل بعض من «الجنّة» و«عدن» علم لمعنى العدن وهو: الإقامه أو: لأرض الجنّة، لكونها مكان إقامة، ولذلك وصف ما اضيف إليه بقوله: ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ حال أي غائبين عنها أو غائبة عنهم ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ﴾ أي موعوده ﴿مَأْتِيًّا﴾ بمعنى: آتٍ، أو: موعوده الجنّة يأتيها أهلها.[2]

[٦٢] ـ ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ قولاً لاطائل تحته ﴿إِلَّا﴾ لكن يسمعون ﴿سَلَامًا﴾ من الملائكة عليهم، أو من بعضهم على بعض، أو الإستثناء متّصل أي: إن كان التّسليم لغواً فلا يسمعون سواه[3] ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أي على قدرهما في الدّنيا إذ لا نهار ثمّ، ولا ليل، بل ضوء ونور، وقيل: اريد دوام الرّزق.[4]

[٦٣] ـ ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ﴾ نعطي ونملك كما يملك الوارث مال مورّثه ﴿مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ بطاعته.

[٦٤] ـ ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ نزل لمّا استبطأ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم «جبرئيل» فقال له: ما يمنعك أن تزورنا اكثر ممّا تزورنا؟.[5]

والتّنزل: النزول على مهل، أي: ما ننزّل وقتاً غبّ وقت[6] إلّا بأمر الله تعالى

(١) حجة القراءات: ٤٤٥ـ وجملة: «من ادخل» ليست موجودة في«ج».

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٥٢١.

(٣) وفي تفسير البيضاوي: كقوله:

ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم   بهنّ فلول من قراع الكتائب

(٤) نقله البيضاوي في تفسيره ٣: ١٦٤.

(٥) رواه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٣: ٥٢١ عن ابن عباس ـ.

(٦) يقال غب الرجل، اي جاء زائراً بعد ايام، او كل اسبوع ومنه الحديث: «زرغبًّا تزدد حبًّا»

﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ من الأماكن أو الأزمنة الماضية والآتية ﴿وَما بَيْنَ ذلِكَ﴾ من المكان أو الزّمان الّذي نحن فيه، أي: لا ننتقل من مكان الى مكان، أو في زمان دون زمان إلاّ بأمره.

وقيل: له ما يستقبل مـن امور الآخرة وما مضى من امور الـدّنيا وما بين النفختين أربعون سنة[1] أي: له علم جميع ذلك ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ناسياً تاركاً لك، أي: إنمـا تـأخّر النّـزول لعدم الأمـر به لا لتـرك الله لـك: كقـولـه: ﴿ما ودّعـك ربـّك ومـا قلى﴾.[2]

[٦٥] ـ ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَـا بَيْنَهُمَا﴾ خبر محذوف ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ خطاب للرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم مرتـب على ما قبلـه أي: لما عـرفت انّـه ربّ [السماوات والأرض وربّ][3] العالمين فاعبده وحده ﴿وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ أي اصبر عليها.

وعدّى باللّام لتضمنّه معنى الثّبات للعبادة ومشاقّها، تشبيهاً لها بالقرن المحارب ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ أي ليس لـه مثل، أو لا شـريك لـه في إسمه فـإنّ الصّنم وإن سمّى إلهاً لم يسمّ «الله» قطّ.

[٦٦] ـ ﴿وَيَقُولُ الإِنْسَانُ﴾ أي جنسه، اسند إليه باعتبار انّ القائل منهم.

أو: المنكر للبعث، نزلت في «أُبيّ بن خلف» حين أخـذ عظماً بالياً ففتّه وقال: زعم «محمّد» انّا نبعث بعد أن نموت[4] ﴿أَئِذَا مَامِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ من القبر أو من حال الموت، وقـدّم الظّرف مصدّراً بهمزة الإنكار لأنّ المنكر كـون ما بعد الموت وقت الحياة ونـاصبه ما دلّ عليـه «اخرج» لا نفسه، لأنّ مـا بعد «اللام» لا يعمـل فيما

(١) قاله مقاتل ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٥٢١.

(٢) سورة الضحى: ٩٣/ ٣.

(٣) مابين المعقوفتين ليس في «أ» و«ب».

(٤) نقله البيضاوي في تفسيره ٣: ١٦٥.

قبلها، وتمحّضت للتّأكيد وجرّدت عن معنى الحال، فدخلت على «سوف»، وعن «ابن ذكوان»: «إذا» بهمزة واحدة مكسورة، على الخبر.[1]

[٦٧] ـ ﴿أَوَلاَ يَذّكّرُ الإنْسانُ﴾ أصله «يتذكّر» قلبت التّاء ذالاً وادغمت في الذّال وقرأ «نافع» و«عاصم» و«ابن عامر»: «يذكر» من الذّكر بمعنى التّفكّر[2] عطف على «يقول» ووسطت همزة الإنكار بينه وبين العاطف ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ كائناً فيستدّل بالإبتداء على الإعادة.

[٦٨] ـ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ أي منكري البعث، اقسم باسمه مضافاً الى رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم تحقيقاً للإعادة وتشريفاً للرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ عطف أو مفعول معه أي نجمع كلّ كافر مع شيطانه بسلسلة، وإذا حشر الجنس بأسره وفيهم الكفرة مقرونين بالشّياطين، فقد حشر الكلّ معهم، وان عاد الضمير الى الكفرة فواضح ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ على الرّكب لما يدهشهم من الهول جمع «جاث» وأصله جثوواً أو جثوى، فعول من جثا يجثو ويجثي.

[٦٩] ـ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ﴾ لنميزنّ ﴿مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾ فرقة ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمٰنِ عِتِيًّا﴾ أي الأعتى فالأعتى فنلقيهم فيها، و«ايّهم» قيل: مبنيّ على الضمّ لأنّه من الموصولات لكنّه أُعرب حملاً على كلّ وبعض للزوم الإضافة، فإذا حذف صدر صلته عاد الى البناء لزيادة نقصه، ومحلّه النّصب بـ«ننزعنّ».

وقيل: مرفوع بالابتداء على انه استفهام وخبره «اشدّ»، والجملة محكيّة والتّقدير لننزعنّ من كل شيعة الذين يقال فيهم ايّهم أشدّ، أو: معلّق عنها لننزعنّ وان لم يكن فعل قلب أو مستأنفة والمفعول «من كل شيعة» على زيادة «من» أو كونها للتبعيض و«على» متعلّق بـ«أشدّ».

---

(١) تفسير البيضاوي ٣: ١٦٥.

(٢) حجة القراءات: ٤٤٥ وتفسير التبيان ٧: ١٤٠.

[٧٠] ـ ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا﴾ أحقّ بجهنّم ﴿صِلِيًّا﴾ دخولاً فنقدّم أولاهم بها فأولاهم.

[٧١] ـ ﴿وَإِنْ﴾ وما ﴿مِّنكُمْ﴾ أحد ﴿إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ واصلها ومشرف عليها.

وقيل: داخلها، فلا يبقى برّ ولا فاجر إلاّ ويدخلها[١] فتكون برداً وسلاماً على المؤمنين وعذاباً لازماً للكافرين، وقوله تعالى: ﴿اولئك عنها مبعدون﴾[٢] أي: عن عذابها.

وعنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: انّ الله تعالى يجعل النّار كالسّمن الجامد ويجمع عليها الخلق ثمّ ينادي المنادي: أن خذي أصحابك، وذرى اصحابي، فوالذي نفسي بيده لهى أعرف بأصحابها من الوالدة بولدها[٣] ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ واجباً اوجبه على نفسه وقضى بأنّه يكون.

[٧٢] ـ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ وخفّفه «الكسائي» و«يعقوب»[٤] ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشّرك ﴿وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾ بالشّرك على حالهم ﴿فِيهَا جِثِيًّا﴾ على الرّكب.

[٧٣] ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ ظاهرات الإعجاز أو الحجج ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ أي أنحن أم أنتم ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ موضع قيام، وضمّه «ابن كثير»[٥] أي موضع اقامة أو منزلاً ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ مجلساً.

والمعنى انّهم عجزوا عن معارضة الآيات فعدلوا الى المفاخرة بحظّهم من الدّنيا، والإستدلال بما نالوه منه على حسن حالهم عند الله فردّ عليهم بقوله:

[٧٤] ـ ﴿وَكَمْ﴾ وكثيراً، مفعول، ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ﴾ أهل عصر، بيان

---

(١) قاله ابن عباس وجابر ـ كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٥٢٥.

(٢) سورة الأنبياء: ٢١/ ١٠١.

(٣) رواه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٣: ٥٢٦.

(٤) حجة القراءات: ٤٤٦.

(٥) تفسير التبيان ٧: ١٤٢.

لـ«كم» ﴿هُمْ أَحْسَنُ﴾ صفة لها ﴿أَثَاثًا﴾ تمييز أي متاعاً وزينة ﴿وَرِءْيًا﴾ ومنظراً من الرّؤية، وشدّد «الياء» بلا همزة «قالون» و«ابن ذكوان»، [١] فكما أهلكنا اولئك لكفرهم، نهلك هؤلاء.

[٧٥] ـ ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ أمر بمعنى الخبر للتّأكيد أي يمدّه بطول العمر والتّمتّع استدراجاً له ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ غاية المدّ وتفصيل الموعود ﴿إِمَّا الْعَذَابَ﴾ بالقتل والأسر ﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ أي: القيامة ودخولهم النّار فيها ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ أهم أم المؤمنون؟ جواب «إذا» مقابل لـ«خير مقاماً» ﴿وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ أعواناً، مقابل لـ﴿أحسن ندّياً﴾ [٢] من حيث انّ حسن النّدى [٣] باجتماع أعيانهم وأعوانهم.

[٧٦] ـ ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ الواو للإستئناف أو العطف على الشّرطيّة الواقعة بعد القول. كأنّه قيل: يزيد الضّلّال ضلالاً بالخذلان، ويزيد المهتدين هداية بالتّوفيق ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ الطّاعات الباقي ثوابها.

وتعمّ ما فسّرت به من الصّلوات الخمس ومودّة أهل البيت عليه السّلام والتّسبيحات الأربع [٤] ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ عاقبة ومنفعة، يردّ اليها ممّا متّع به الكفرة من النّعم الزّائلة الّتي يفتخرون بها، والخير هنا لمجرّد الزّيادة.

[٧٧] ـ ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ أي: اخبر بقصّة هذا الكافر عقيب قصّة اولئك، وهو العاص بن وائل ﴿وَقَالَ﴾ لـ«خباب بن الأرت» حين طالبه بدين وقال له: تبعث بعد الموت؟ ﴿لَأُوتَيَنَّ﴾ على تقدير البعث كما تزعم ﴿مَالًا وَوَلَدًا﴾ فأقضيك

(١) حجة القراءات: ٤٤٦ ـ والقراءة لنافع وابن عامر.
(٢) في آخر الآية ٧٣ من هذه السورة.
(٣) في «ج» انّ احسن الندى.
(٤) مرّ مثله في سورة الكهف: ١٨/ ٤٦.

ثمة[١] وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «وُلْداً» جمع ولد، كأُسُد لأسد[٢] أو: لغة فيه كحزن وحزن وكذا فيما بعده.

[٧٨] ـ ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ أي: أشرف على علم الغيب المتفـرّد به الله تعالى حتّى علم أن يؤتى مالاً وولداً، حذفت همزة الوصل استغناء بهمزة الإستفهام ﴿أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْدًا﴾ أم عهد الله إليه أن يؤتيه ذلك.

وقيل: العهد: العمل الصّالح أو كلمة الشّهادة.[٣]

[٧٩] ـ ﴿كَلاَّ﴾ ردع وتنبيه على خطئه فيمـا قاله ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ سنظهر له بالتّعذيب انّـا كتبنا قوله، إذ الحفظة يكتبـونه في الحال ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِـنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ ونزيده بذلك عذاباً فوق عذاب كفره.

[٨٠] ـ ﴿وَنَرِثُهُ﴾ بإهلاكه ﴿مَا يَقُولُ﴾ من المال والـولد ﴿وَيَأْتِينَا﴾ يوم القيامة ﴿فَرْدًا﴾ لا مال له ولا ولد.

[٨١] ـ ﴿وَاتَّخَذُواْ﴾ أي كفّـار مكّـة ﴿مِنْ دُونِ اللهِ ءَالِهَـةً﴾ أصنامـاً، يعبدونهم ﴿لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا﴾ شفعاء عند الله يتعزّزون بهم.

[٨٢] ـ ﴿كَلاَّ﴾ ردع وانكار لما أملوا منها ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ ستجحد الآلهة عبادتهم وتكذّبهم كقوله تعالـى: ﴿فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون﴾[٤] أو ستجحد الكفرة انهم عبدوها ويقولـون: ﴿والله ربّنا ما كنا مشركين﴾[٥] ﴿وَيَكُونُونَ﴾ أي الآلهة ﴿عَلَيْهِم ضِدًّا﴾ لهم. أي: اعداءً وأعـواناً في عذابهم، أو: ضدّ العـزّ وهو الذّلّ أي:

---

(١) نقله البيضاوي في تفسيره ٣: ١٦٧.

(٢) حجة القراءات: ٤٤٧.

(٣) تفسير البيضاوي ٣: ١٦٧.

(٤) سورة النحل: ١٦/ ٨٦.

(٥) سورة الأنعام: ٦/ ٢٣.

يكــونون عليـهم ذلاً فـي مــقابلة ﴿لهـم عـزًّا﴾، [١] ووحّـد لأنّهم كالشّـيء الواحـد باتّفاقهـم فيـما به مضادّتهم ويجـوز كـون «الواو» للكـفرة. أي: يكونـون أعـداء لهـا بعـد أن كانوا يعبدونـها.

[٨٣] ـ ﴿أَلَـمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَـا الشَّيَاطِيـنَ عَلَى الْكَافِـرِينَ﴾ خلّينا بينهم وبينهم. كما يقال لمن خلّى بين الكلب وغيره: ارسله عليه ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ تَغريهم وتحثّهم على المعاصي بالتّسويلات.

[٨٤] ـ ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بطلب هلاكهم ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾ الأيام والأنفاس ﴿عَدًّا﴾ وما دخل تحت «العدّ» فكأنّه قد نفد.

[٨٥] ـ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ نجمعهم نصب بـ«اذكر» مقـدّر أو بـ«لا يملكون» ﴿إِلَى الرَّحْمٰنِ﴾ الى دار كرامته.

ولعل العدول من قوله الينا، لما في لفظ «الرّحمن» من البشارة ﴿وَفْدًا﴾ وافدين.

عن «علي» عليه السّلام: [٢] ركباناً على نوق، رحالها مذهّبة. [٣]

[٨٦] ـ ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ نحثّهم على السّير اليها واردين أي عطاشاً مشاة، كالإبل الّتي ترد الماء.

[٨٧] ـ ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾ أي النّاس المعلـوم من القسمين ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْدًا﴾ إلاّ من استظهر بـالإيمان والعمل الصّالح، أو بكلمـة الشّهادة، أو: إلاّ من وعده أن يشفع كالأنبياء والمؤمنين.

وعن «الصادق» عليه السّلام: هو عهـد الميت، المـرويّ عن النّبيّ صلّى الله عليـه وآله

---

(١) المذكور في الآية السابقة.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٥٣١.

(٣) في «ج»: ذهب.

وسلّم: اللّهم فاطر السّموات. . . الآية،[1] ومحلّه[1] رفع على البـدل من الواو أو نصب على الإستثناء.

[٨٨] ـ ﴿وَقَالُواْ اتَّخَـذَ الرَّحْمٰنُ وَلَدًا﴾ الضمير لليهـود والنّصارى، ومـن زعم انّ الملائكة بنات الله.

[٨٩] ـ ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ﴾ التفات للتسجيـل عليهم بالجـرأة على الله ﴿شَيْئًا﴾ على حذف الباء وايصال الفعل إليه[2] ﴿إِدًّا﴾ منكراً.

[٩٠] ـ ﴿تَكَادُ السَّمٰوٰتُ﴾ وقرأ «نـافع» و«الكسائي» بـالياء[3] ﴿يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ يتشقّقن، وقرأ «أبو عمرو» و«ابن عامر» و«حمزة» و«أبو بكر» بالنون.[4] والتفعّل مطـاوع فعّل فهو أبلـغ من الإنفعال مطـاوع فعل ﴿وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ

(١) الآية مـن سورة الـزمر: ٣٩/٤٦، وعهـد الميت هـو ما رواه الطبـرسي في تفسيـر مجمع البيـان ٣/ ٥٣١: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:
من لم يحسن وصيته عند الموت كان نقصاً في مروءته: قيل يا رسول الله وكيف يوصى الميّت؟ قال: اذا حضرته وفـاته واجتمع الناس اليه قال: اللّهم فاطـر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، الرّحمـن الرحيم، اني اعهد اليك فـي دار الّدنيا انّي اشهد ان لا الـه الاّ انت وحدك لاشريك لك، وانّ محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّـم عبدك ورسولك، وانّ الجنة حق وانّ النار حق، وانّ البعث حقّ والحساب حقّ والقدر والميزان حقّ، وانّ الدّين كما وصفت وانّ الإسلام كما شرعت وانّ القول كما حدثت وانّ القـرآن كما انزلت وانّك انت الله الحقّ المبين، جزى الله محمّداً عنّا خير الجزاء وحيّا الله محمداً وآله بالسلام.
اللهم ياعدتي عند كربتي ويا صاحبي عند شدتي ويا وليي نعمتي.
الهى وإله آبائي لاتكلني الـى نفسي طرفة عين فإنّك ان تكلنى الى نفسي أقـرب من الشرّ وأبعد من الخيـر وآنس في القبـر وحشتى واجعـل له عهـداً يوم القـاك منشـوراً. ثم يـوصى بحاجتـه وتصديق هذه الوصية في سورة مريم [١٩/ ٨٧] في قوله: «لايملكون الشفاعة الاّ من اتّخذ عند الرّحمن عهداً» فهذا عهد الميت. (انتهاء).

(٢) من باب الحذف والايصال.

(٣و٤) حجة القراءات ٤٤٨.

﴿الْجِبَالُ﴾ تسقط عليهم ﴿هَدًّا﴾ كسراً، أو هدماً بشدة صوت، مصدر أو حال.

[٩١] ـ ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَدًا﴾ منصوب بنزع الخافض علّة لـ«تكاد» أو لـ«هدّاً»، أو مجرور بدل من هاء «منه»، أو مرفوع خبر محذوف، أي: الموجب لذلك الدّعا، وهو بمعنى التّسمية، فيكون اوّل مفعوليه متروكاً ليعمّ كلّ ما دعى ولداً له، أو بمعنى النسبة أي: نسبوا إليه ولداً.

[٩٢] ـ ﴿وَمَا يَنْبَغِى لِلرَّحْمٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي لا يليق به اتّخاذ الولد ولا يتطلب له لإستحالته، لأنّ الرّحمان المولى للنّعم كلّها لا يجانس غيره من نعمه، أو منعم عليه، وهذه من فوائد تكرير هذا الإسم في المقام.

[٩٣] ـ ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِى السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أي ما منهم ﴿إِلاَّ ءَاتِى الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ مقرّاً بالعبوديّة خاضعاً ذليلاً، ومنهم «عزير» و«عيسى» والملائكة.

[٩٤] ـ ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ﴾ أحاط بهم علماً وقدرة ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ بعلمه، فلا يخفى عليه شيء من أحوالهم.

[٩٥] ـ ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَرْدًا﴾ لا مال له ولا نصير.

[٩٦] ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدًّا﴾.

عن «ابن عباس»: انّها في «علي» عليه السّلام خاصّة[١] فما من مؤمن إلاّ في قلبه محبّته.

وعن «الباقر» عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعليّ عليه السّلام: «قل: اللّهمّ اجعل لي عندك عهداً واجعل لي في قلوب المؤمنين ودّاً»، فقالها عليّ عليه السّلام، فنزلت الآية.[٢] وعن جابر نحوه.[٣]

---

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ٥٣٢.

(٢) شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ١: ٣٦٠ ـ كتاب العمدة لابن البطريق: الفصل الخامس والثلاثون نقلاً عن تفسير الثعلبي.

(٣) كتاب العمدة لابن البطريق: الفصل الخامس والثلاثون.

وقيل: انّها عامّة في جميع المؤمنين، جعل الله لهم المحبّة في قلوب المؤمنين والصالحين.[١]

[٩٧] ـ ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾ أي القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ بأن أنزلناه بلغتك ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ للشرك والكبائر بالجنّة ﴿وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ جمع «ألدّ» أي شديد الجدل بالباطل، وهم قريش.

[٩٨] ـ ﴿وَكَمْ﴾ أي كثيراً ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ امّة من الأُمم الماضية بتكذيبهم الرّسل، تسلية له صلّى الله عليه وآله وسلّم وتهديد للكفرة ﴿هَلْ تُحِسُّ﴾ تبصر ﴿مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ من مزيدة ﴿أَوْتَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ صوتاً خفيّاً، فكما اهلكناهم نهلك هؤلاء.

---

(١) تفسير مجمع البيان ٣ : ٥٣٣.

سورة طـه

[٢٠]

مائة وأربع وثلاثون آية مكية وهي . [١]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ـ ﴿طه﴾ أمالهما «أبو بكـر» و«حمزة» و«الكسائي»، [٢] وأمال الهاء ـــ خاصّة ـ «ورش» و«أبو عمرو»، [٣] وفتحهما الباقون، وهما من اسماءِ الحروف.

وقيل: معناه: يا رجل بلغة علكّ ـ. [٤]

[٢] ـ ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰ﴾ لتتعب بالعبادة وقيام الليل على ساق، أو بالحزن على كفر قومك.

وقيل: هو ردّ لقول الكفـرة: انّك لتشقى بترك ديننا، [٥] وهو خبر «طه» إن جعل مبتدءٌ اسماً للسّورة، وأُقيم «القرآن» مقام الرّابط.

---

(١) العنوان ومايليه اخذناه من تفسير البيضاوي ٣: ١٦٩.

(٢) حجة القراءات: ٤٥٠.

(٣) حجة القراءات: ٤٤٩ وفيه «ابوعمرو» فقط.

(٤ـ٥) نقله البيضاوي في تفسيره ٣: ١٧٠.

وجواب إن جعل قسماً ، وابتداء كلام إن جعل تعديداً للحروف ، أو منادى .

[٣] ـ ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾ استثناء منقطع ، أي لكن تذكيراً ، أو علّة لمحذوف ، أي أنزلناه تذكيراً ، لا بدل من محلّ «لتشقى» لاختلاف الجنسين ولا علة للمذكور ، إذ لا يعلّل بعلتين ، وقيل : حال من «القرآن»[١] ﴿لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ الله فإنّه المنتفع به .

[٤] ـ ﴿تَنزِيلًا﴾ نصب بتقدير نزّل ، أو على المدح أو البدل من «تذكرة» إن جعل حالاً لا علة ، إذ الشيء لا يعلل بنفسه ﴿مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ﴾ صلة «تنزيلاً» أو صفته . وانتقل من المتكلّم الى الغيبة تفنناً في الكلام وتفخيماً للمنزل بإسناد انزاله الى الواحد المختصّ بصفات العظمة والتمجيد ، وايذاناً بوجوب الإيمان به من حيث انّه كلام الموصوف بهذه الصّفات وبدأ بخلق الأرض لانّها أقرب الى الحسّ ثم ثنّى بقوله : ﴿وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ جمع «عليا» مؤنث أعلى ، لأنّ الحسّ لا يتجاوزها بعد الأرض .

[٥] ـ ﴿الرَّحْمَٰنُ﴾ رفع على المدح ، أي : هو الرّحمن ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ من كلّ شيء ، فليس شيء أقرب إليه من شيء . أو : استقام أمره و[٢] استولى . أو : قصده أي : أقبل على خلقه .

[٦] ـ ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من المخلوقات ملكاً وتدبيراً ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ﴾ هو التّراب النّديّ ، وهو ما جاور البحر من الأرض فما تحته هو سائر طبقاتها وما فيها من المعادن وغيرها .

[٧] ـ ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ﴾ بذكر الله ودعاءه فهو غنيّ عن جهرك ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ ما أسررته[٣] الى غيرك ﴿وَأَخْفَى﴾ منه ما خطر ببالك . أو : السّرّ هذا . وأخفى : الغيب الّذي لا يخطر ببال .

---

(١) في تفسير البيضاوي ٣ : ١٧٠ ـ وقيل : هو مصدر في موقع الحال من الكاف او القرآن .

(٢) في «ب» : او .

(٣) في «ج» : ما أسررت به .

عن الصّادقين عليهما السّلام: السّر ما أخفيته في نفسك[١] و«أخفي»: ما خطر ببالك ثم أنسيته.

وفيه تنبيه على انّ الجهر ليس لإسماع الله تعالى بل لغرض آخر كرسوخ الذّكر[٢] في النفس وكسرها بالتّضرع، ثم ذكر انّ الموصوف بالقدرة والعلم على الوجه المذكور هو المتفرد[٣] بالألوهيّة بقوله:

[٨] ـ ﴿اللهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ مؤنّث الأحسن.

وكونها أحسن الأسماء لدلالتها على أشرف المعاني، ولمّا بيّن رسالته صلّى الله عليه وآله وسلّم قفّاها بقصّة موسى تثبيتاً له ليتأسّى به ويصبر كما صبر فقال:

[٩] ـ ﴿وَهَلْ أَتَيكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ أي لم يأتك الى الآن، وقد أتاك الآن فتنبّه له.

[١٠] ـ ﴿إِذْ رَءَا نَارًا﴾ ظرف لـ«حديث» أو مفعول «اذكر»، قيل: استأذن شعيباً في المسير الى أُمّه، فخرج بأهله فأضلّ الطّريق في ليلة مظلمة مثلجة، وتفرّقت ماشيته، فرأى ناراً من بعيد[٤] ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُواْ﴾: الزموا مكانكم، وضمّ «حمزة» الهاء[٥] ﴿إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا﴾ أبصرتها، وفتح «الحرميّان» و«أبو عمرو» الياء وياء ﴿إِنّي ربّك﴾ و﴿إنّني أنا الله﴾[٦] ﴿لَّعَلِّي ءَاتِيكُمْ مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ بشعلة،[٧] اقتبسها بعود ونحوه وسكّن «الكوفيّون» الياء[٨] ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ هادياً، يهديني الطّريق، أو

---

(١) تفسير مجمع البيان ٤: ٣.

(٢) في «ج»: لرسوخ الذّكر.

(٣) في «ب»: المنفرد.

(٤) تفسير البيضاوي ٣: ١٧١ ـ تفسير الكشّاف ٣: ٥٣.

(٥) حجة القراءات: ٤٥٠.

(٦) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٠٨.

(٧) في «ج»: شعلة.

(٨) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٠٩.

ابـواب الدّين، فـانّ همم الأبـرار معقودة بهـا في كـلّ حال، وبنـى الأمر فيهمـا على الرّجاء، لانّ حصولهما مترقّب، فلم يجزم بالوفاء بالوعد بخلاف الإيناس فإنّه لمّا كان محقّقاً حقّقـه بــ«انّ» تطمينـاً لهم. ومعنـى «على النـار» اشـراف أهلهـا عليهـا أو استعلاؤهم المكان القريب منها.

[١١] ـ ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾ أي النّار، رآها تتّقد في شجرة خضراء ﴿نُودِيَ يَا مُوسَى﴾.

[١٢] ـ ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ بكسرهـا بتـقدير القـول. أو: لإنّ النّداء قـول، وفتحها «ابن كثير» و«أبو عمرو»[١] أي «بأني»، وكرّر الضمير توكيداً للدّلالة.

قيل: لمّا نودي، قال: من المتكلّم؟ قال: «انّـى انا ربّك» فوسوس إليه ابليس: لعلّك تسمع كلام شيطـان، فقال: إنّي عرفت انـه كلام الله بسماعي لـه من كلّ جهة وبكلّ عضو.[٢]

وقيل: رأى النّار في الشجـرة لم تضرّ خضرتها، والخضرة لم تطفئهـا، فعرف انّه لا يقدر عليه إلاّ الله[٣] ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ أُمر به، لأنّ الحفاء تـواضع. وقيل: ليباشر الوادي بقدميه متبـرّكاً به[٤] ﴿إِنَّكَ بِالْـوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ المطهّر أو المبـارك ﴿طُـوًى﴾ عطـف بـيان للـوادي، لـم يصـرف بتأويـل البقعـة، ونوّنـه «ابـن عامر» و«الكوفيّون» بتأويل المكان[٥] وقيل: هو كـ«ثنى» مصدر للقدس، أي قدّس مرّتين.[٦]

[١٣] ـ ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ للرّسالة وقرأ «حمـزة»: «وانّا اخترناك»[٧] ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا

(١) حجة القراءات: ٤٥١.

(٢) تفسير الكشّاف ٣: ٥٤ مع اختلاف يسير ـ وتفسير البيضاوي ٣: ١٧٢.

(٣) تفسير مجمع البيان ٤: ٥.

(٤) قاله السدي وقتادة كما في تفسير الكشّاف ٣: ٥٥.

(٥) تفسير مجمع البيان ٤: ٣.

(٦) ينظر صحاح اللغة مادة «طوى».

(٧) حجة القراءات: ٤٥١.

يُوحَىٰ﴾ اليك منّى، ومتعلّق اللاّم: «استمع» أو: «اخترتك».

[١٤] - ﴿إِنَّنِى أَنَا اللهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا﴾ استئناف لبيان «ما يوحى»، وابتدأ بالتّوحيد ورتّب عليه: ﴿فَاعْبُدْنى﴾ ليعلم انّ عبادته إنّما الزمت لإلهيّته ﴿وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِى﴾ لتذكرني فيها، أو لأذكرك بالثّناء، أو لأنّي ذكرتها وامرت بها، أو لذكري خاصّة لا تشوبها بغيره.

أو لاوقات ذكري أي: لمواقيت الصّلاة، أو لذكر صلاتي لقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من نسى صلاة فليقضها إذا ذكرها، وقرأ ﴿اقم الصلوة لذكرى﴾[1] وفتح نافع و«أبو عمرو» «الياء»: [2]

[١٥] - ﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ لا محالة ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ اريد اخفائها لتأتى بغتة أو اكاد اظهرها من أخفأه: ازال خفائه، اي قرب إظهارها ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ متعلق بـ«آتية» أو بـ«اخفيها» - على الثاني -.

[١٦] - ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ عن الإيمان بالسّاعة أو عن الصّلاة ﴿مَنْ لَّا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ نهى للكافر أن يصدّه، اريد به نهيه عن الإنصداد ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ ميل نفسه الى شهواتها، فأعرض عن غيرها ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ فتهلك إن انصددت عنها.

[١٧] - ﴿وَمَا تِلْكَ﴾ سؤال تقرير ليقع المعجز بها بعد التثّبت فيها ﴿بِيَمِينِكَ﴾ حال من معنى «تلك». وقيل: صلتها ﴿يَا مُوسَىٰ﴾.

[١٨] - ﴿قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ﴾ اعتمد ﴿عَلَيْهَا﴾ إذا مشيت أو وثبت ﴿وَأَهُشُّ﴾ اخبط ورق الشّجر ﴿بِهَا﴾ ليسقط ﴿عَلَى غَنَمِى﴾ فترعاه ﴿وَلِى﴾ وفتح «ورش» و«حفص» «الياء»[3] ﴿فِيهَا مَآرِبُ﴾ جمع مأربة - مثلّث الرّاء - أي حاجات ﴿أُخْرَىٰ﴾

---

(١) هذا من تتمة الحديث اي قرأ رسول الله الآية وقال... - ينظر تفسير مجمع البيان ٤:٦ وتفسير البيضاوي ٣: ١٧٢.

(٢-٣) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٠٩.

كحمل الزّاد والإداوة[١] في السّفر بهـا، وإلقاء الكساء عليهـا للإستظلال بـه، ووصل الرّشاء[٢] بها إذا قصر، وطرد السّباع بها.

وقيل: كأنّـه أحسّ بأنّه تعـالى انّما سـأله عنها لمنـافع عظيمة، فقـال: هي من جنس العصـيّ، تنفع منـافع امـثالـها ولكـنّك لمّا سـألت عنها عـرفت انّ لي فيهـا «مآرب اخرى».

قيل: كـان فيها من المعجـزات ان تضيء باليـل كالشمعـة وتطول بطـول البئر، وتصير شعبتاها دلـواً إذا استقى، ويركزها فينبع الماء وتحـارب عنه العدوّ وإذا اشتهى ثمرة ركزها فتورق وتثمر.[٣]

[١٩] ـ ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾.

[٢٠] ـ **﴿فَأَلْقَاهَا فَـإِذَا هِيَ حَيَّةٌ﴾** اسم يعـمّ الصّغير وهـو الجان، والعظيم وهـو الثّعبان، قيل: صـارت حيّة صفراء دقيقـة ثمّ تورّمت وكبـرت، فالتّعبير عنها بـالجانّ والثّعبان نظراً الى الحالين.[٤]

وقيل: كانت في شخص الثّعبان، وسرعة الجانّ[٥] ولهذا وصفها بقوله **﴿تَسْعَىٰ﴾** أي تمشي بسرعة، فلمّا رآها تسعى وتبتلع الشّجر والحجر، خاف وهرب.

[٢١] ـ **﴿قَالَ خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ سَنُعِيدُهاَ سِيرَتَهَا الأوْلَى﴾** حالتها السّابقة، ونصبها بنزع الخـافض أو على الظّرف أي في طـريقتها، أو بتقديـر فعلها أي سنعيدهـا تسير سيـرتها الاولى، حيـث كنت تنتفع بهـا، فاطمـأنّ بذلـك وادخل يـده في فيها وأخـذ بلحييها فعـادت عصا، وإذا يده في مـوضع مسكها[٦] بين شعبتيهـا، وأُرى ذلك في

---

(١) الإداوة: المطهرة.

(٢) الرشا: الحبل الذي يتوصل به الى الماء.

(٣و٤) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٨ـ.

(٥) نقله الزمخشري في تفسير الكشّاف ٣: ٥٨.

(٦) اي موضع اخذها.

ذلك الوقت لئلاّ يخافها عند عدوّه.

[٢٢] ـ ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ تحت العضد.

يقال لكلّ ناحيتين: جناحان، استعارة من جناحي الطّائر وهما من الجنوح، لانّه يميل بهما إذا طار ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾ تضيء كشعاع الشمس على خلاف لونها من الأدمة ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ مرض وقبح، كنّى به عن البرص لنفرة الطّباع عنه ﴿ءَايَةً أُخْرَى﴾ معجزة ثانية، وهي و«بيضاء» حالان من ضمير «تخرج» أو متداخلان.

[٢٣] ـ ﴿لِنُرِيَكَ﴾ متعلق بمحذوف أي فعلنا ذلك لِنُريك ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَا الْكُبْرَى﴾ صفة «آياتنا» أو مفعول «نريك» والظّرف حال منه.

[٢٤] ـ ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ وادعه اليّ ﴿إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ تجبّر في كفره.

[٢٥] ـ ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِيْ صَدْرِى﴾ وسّعه لتحمّل أعباء الرّسالة، ذكر «لي» ابهاماً للمشروح اوّلاً، ثمّ بيّنه بذكر «الصدر» تاكيداً وكذا:

[٢٦] ـ ﴿وَيَسِّرْ لِى أَمْرِى﴾ أي سهّله بالتّوفيق للقيام بهذا الخطب العظيم، وفتح «نافع» و«أبو عمرو» ياء «لي». [١]

[٢٧] ـ ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِى﴾ حصلت من جمرة ادخلها فاه وهو طفل لمّا امر فرعون بقتله لانّه حمله فأخذ لحيته فنتفها، فقالت آسية: انّه صبّى، لا يميّز بين الدّرّة والجمرة، فأُحضرتا لديه فأخذ الجمرة ووضعها في فيه. [٢]

قيل: انحلّ بعض العقده[٣] لقوله: ﴿ولا يكاد يبين﴾[٤] وردّ بأنّه اراد لا يأتى ببيان وحجّة تمويهاً على النّاس، وقيل: انحلّت كلّها[٥] لقوله: «اوتيت سؤلك».

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٠٩.

(٢-٣) نقله البيضاوي في تفسيره ٣: ١٧٣.

(٤) سورة الزخرف: ٤٣/ ٥٢.

(٥) نقله البيضاوي في تفسيره ٣: ١٧٣.

وردّ بانّه لم يسأل حلّها مطلقاً، بل حلّ عقدة تمنع الافهام لتنكيرها، وجعل:

[٢٨] ـ ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ جواب «احلل».

[٢٩ـ ٣٠] ـ ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي﴾ يعاضدني في التبليغ، وكان أسنّ منه وأفصح وألين.

والوزير من الوِزر ـ بالكسر ـ: الثّقل، لتحمّله ثقل الملك، أو بالفتح: الملجأ، لالتجاء الملك الى رأيه، والمفعولان «وزيراً» و«هارون»[١] قدّم ثانيهما، أو: «لي» و«وزيراً». و«هارون» عطف بيان و«اخي»على الوجهين بدل من «هارون» أو مبتدأ خبره:

[٣١] ـ ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ ظهري على الدّعاء وقرأه «ابن عامر»: بلفظ الخبر جواباً لـ«اجعل»[٢] وكذا:

[٣٢] ـ ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ أي الرّسالة، وفتح «ابن كثير» و«أبو عمرو» ياء «اخي».[٣]

[٣٣] ـ ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ﴾ تسبيحاً ﴿كَثِيرًا﴾.

[٣٤] ـ ﴿وَنَذْكُرَكَ﴾ ذكراً ﴿كَثِيرًا﴾ فإنّ التّعاون يتزايد به الخير.

[٣٥] ـ ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ بأحوالنا عالماً فإليك فوّضنا أمرنا.

[٣٦] ـ ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ السّؤل بمعنى المسئول كالخبز بمعنى المخبوز.

[٣٧] ـ ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا﴾ أنعمنا ﴿عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾.

[٣٨] ـ ﴿إِذْ﴾ تفسير «مرّة» ﴿أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ﴾ الهاماً، أو مناماً أو على لسان

---

(١) اي مفعولي «اجعل» امّا وزيراً والثاني «هارون» الاول وقدم ثانيهما، اي قال وزيراً من أهلي هارون ولم يقل «واجعل لي هارون... وزيراً، وإمّا قوله «لي» و«وزيراً».

(٢) حجة القراءات: ٤٥٢.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٠٩.

ملك أو نبيّ في عصرها، لمّا ولدتك وخافت أن يقتلك «فرعون» في جملة من يولد ﴿مَا يُوحَىٰ﴾ ما يجب أن يوحى لعظم شأنه، أو ما لا يعلم إلاّ بالوحي.

[٣٩] ـ ﴿أَنِ﴾ «بأن» أو: أي ﴿اقْذِفِيهِ﴾ ضعيه ﴿فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ﴾ بالتّابوت ﴿فِي الْيَمِّ﴾: البحر، يعني: «النّيل» ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ أي بشاطئه.

أمر معناه الخبر ﴿يَأْخُذْهُ﴾ جواب «فليلقه» ﴿عَدُوٌّ لِّي﴾ في الحال ﴿وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾ في المآل وهو «فرعون» وكرّر «عدوّ» مبالغة.

قيل: جعلت في التّابوت قطناً ووضعته فيه وقيّرته وألقته في «النّيل» وكان يشرع منه الى بستان «فرعون» نهر، فدفعه الماء فيه الى بركة، كان فرعون جالساً عليها مع «آسية» فأمر به فأخرج ففتح فإذا صبّى أصبح النّاس وجهاً فأحبّه حبّاً شديداً،[1] كما قال: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً﴾ كائنة ﴿مِّنِّي﴾ أي جعلتك بحيث يحبّك من يراك حتّى أحبك «فرعون» أو أحببتك، ومن أحببته أحبّته القلوب ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ تُرَبّى وأنا مراعيك وحافظك. عطف على مقدّر، مثل ليتعطّف عليك، وفتح «نافع» و«أبو عمرو» الياء.[2]

[٤٠] ـ ﴿إِذْ﴾ ظرف لـ«ألقيت» أو «لتصنع» ﴿تَمْشِي أُخْتُكَ﴾ مريم لتتعرّف خبرك، فرأتهم يطلبون لك مرضعة تقبل ثديها بعد أن أحضروا مراضع فلم تقبل جميعها، ﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾ فقالوا: نعم، فجائت بأُمّه فقبل ثديها. ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ﴾ لوعدنا: ﴿انّا رادّوه إليك﴾. ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ برؤيتك ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ بفراقك. ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ هو «القبطيّ» فاغتممت خوفاً من اقتصاص «فرعون» ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ بالأمن منه ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ واختبرناك اختباراً، أو اختبارات متعدّدة، على انّه جمع فتن فخلّصناك من محنة بعد محنة.

---

(١) نقله البيضاوي في تفسيره ٣: ١٧٤ والزمخشري في تفسير الكشّاف ٣: ٦٣ مع اختلاف يسير.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٠٩.

ولد عام قتـل الأطفال، والقى في اليّم وهمّ «فـرعون» بقتله، وقتل قبطيّاً وهـاجر راجلاً خائفاً بلا زاد، وآجر نفسه ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ عشراً ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ عند شعيب بعد هجرتك اليها، وهي علـى ثمان مراحل من مصر ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍيَا مُوسَى﴾ على وقت قدرته لإرسالك، أو يوحى فيه الى الأنبياء وهو رأس اربعين سنة.

[٤١] ـــ ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ اختـرتك لـرسـالتي واقـامـة حجّتـي، وسكّن «الكوفيّون» و«ابن عامر» ياءه وياء «ذكرى»، [١] فيسقطان للسّاكنين.

[٤٢] ـ ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي﴾ التّسع، أو الّتي في العصا واليـد فإنّ فيهما آيات ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ تفترا أو تقصرا ﴿فِي ذِكْرِي﴾ بتسبيح ونحوه، أو في تبليغ رسالتي.

[٤٣] ـ ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ أمر لهما، والأول لموسى فلا تكرار.

قيل: اوحى الى هارون أن يتلقّاه فتلقّاه [٢] ﴿إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ بكفره.

[٤٤] ـ ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾ نحو ﴿هل لك الى أن تزكّى﴾ [٣] بصورة العرض، لئلاّ يزداد عتوّاً أو لحـقّ تربيته لك.

وقيـل: كنّياه، وكنيته: أبو الوليد أو: أبو العبّاس أو: أبو مرّة. [٤]

وقيل: عداه [٥] شبابـاً بلا هرم وملكاً لا ينـزع حتّى يموت [٦] ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿أَوْ يَخْشَىٰ﴾ العقاب فيـرجع أي ادعـواه على رجائكمـا اجابتـه، لا على يأس منهـا لتجهدا في دعائه وفائدته ـ مع علمه تعالى بأنّه لا يجيب ـ: الزامه الحجة.

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٠٩ وفيه: قرأ الحرميان وابوعمرو بالفتح.

(٢) نقله الزمخشري في تفسير الكشّاف ٣: ٦٥.

(٣) سورة النازعات ٧٩ : ١٨.

(٤) نقله الزمخشري في تفسير الكشّاف ٣ : ٦٥.

(٥) فعل امر مثّني من الوعد.

(٦) نقله البيضاوي في تفسيره ٣ : ١٧٥.

[٤٥] ـ ﴿قَالاَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا﴾ أي يعجّل عقوبتنا قبل اظهار الحجّة، من فرط: تقدّم ﴿أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ﴾ يتكبّر علينا أو يزداد كفراً.

[٤٦] ـ ﴿قَالَ لاَ تَخَافَا إِنَّنِى مَعَكُمَا﴾ بالحفظ والنّصرة ﴿أَسْمَعُ﴾ قوله ﴿وَأَرَى﴾ فعله، فأدفع شرّه عنكما.

[٤٧] ـ ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِى إِسْرَاءِيلَ﴾ اطلقهم ﴿وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ﴾ باستعمالهم بالأعمال الشّاقّة وقتل ولدانهم ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ بحجّة تصدّق دعوانا، والمراد جنسها فلا ينافي تعدّدها ﴿وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ أي السّلامة من العذاب لهم.

[٤٨] ـ ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ﴾ بما جئنا به ﴿وَتَوَلَّى﴾ أَعرض عنه، فأتياه وقالا له ما أُمرا به.

[٤٩] ـ ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ خصّه بالنّداء لأنّه الأصل ولتربيته له.

[٥٠] ـ ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ﴾ من المخلوقات ﴿خَلْقَهُ﴾ صورته الّتي هو عليها المطابقة لكماله الممكن له.

أو أعطى خليقته كلّ شيء يحتاجون إليه ـ على تقديم المفعول الثاني ـ ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ دلّه على جلب النّفع ودفع الضّرر اختياراً أو طبعاً.

[٥١] ـ ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى﴾ ما حال الأُمم الماضية كقوم نوح وعاد وثمود من السّعادة والشّقاوة؟ بهت بالحجّة فصرف الكلام عنها.

[٥٢] ـ ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿عِلْمُهَا﴾ أي علم حالهم مثبت ﴿عِنْدَ رَبِّى فِى كِتَابٍ﴾ هو اللّوح المحفوظ ﴿لاَ يَضِلُّ رَبِّى﴾ لا يخطى شيئاً ﴿وَلاَ يَنْسَىٰ﴾ لا يذهل عن شيء.

[٥٣] ـ ﴿الَّذِى جَعَلَ﴾ صفة «ربّي» أو خبر محذف أو منصوب على المدح ﴿لَكُمُ الأَرْضَ مِهَادًا﴾[1] فراشاً، وقرأ «الكوفيّون»:

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «مهداً» وسيشير اليه المصنّف.

«مهداً»،[1] مصدر سمّى به كالفرش ﴿وَسَلَكَ﴾ جعل ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً﴾ طرقاً تسلكونها ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطراً ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ التفت الى التكلّم على الحكاية لقول الله تعالى ايذاناً باختصاصه بانقياد الأشياء المتخلفة لأمره، ولهذا نظائر في آيات أُخر ﴿أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً ﴿مِّنْ نَّبَاتٍ﴾ صفة «أزواجاً» وكذا ﴿شَتَّىٰ﴾ جمع شتيت، كمرضىٰ لمريض من شتّ: تفرّق، اي: متفرّقات في الألوان والطعوم والمنافع.

[٥٤] - ﴿كُلُواْ وَارْعَوْاْ أَنْعَامَكُمْ﴾ حال من ضمير «اخرجنا» بتقدير: قائلين، والأمر للإباحة والتّذكير بالنّعمة، والمعنى: مبيحين لكم الأكل منها ورعى انعامكم فيها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لآيَاتٍ﴾ لعبراً ﴿لأوْلِي النُّهَىٰ﴾ لذوي العقول، جمع «نهية» سمّى بها العقل لنهيه عن القبيح.

[٥٥] - ﴿مِنْهَا﴾ أي الأرض ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ فإنّها اصل خلقة أبيكم آدم والنّطف الّتي خلقتم منها ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ إذا امتناكم ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ إذا بعثناكم ﴿تَارَةً﴾ مرّة ﴿أُخْرى﴾ كما أخرجناكم حين ابتدأنا خلقكم.

[٥٦] - ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ﴾ بصّرنا فرعون ﴿ءَايَاتِنَا كُلَّهَا﴾ التّسع ﴿فَكَذَّبَ﴾ بها عناداً ﴿وَأَبَىٰ﴾ قبولها.

[٥٧] - ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ مصر وتستولى عليها ﴿بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾ نسبه الى السّحر تلبيساً على قومه.

[٥٨] - ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ﴾ يقابله ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ وعداً ﴿لاَّ نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلاَ أَنْتَ مَكَانًا﴾ نصب بما دلّ عليه المصدر لا به،[2] لوصفه أو بإبداله من موعداً، إن جعل مكان الوعد، فالهاء في «نخلفه» للوعد المعلوم من

---

(١) حجة القراءات: ٤٥٣.

(٢) اي: «موعداً».

الموعد ﴿سِوًى﴾ وسطاً، تستوي مسافته الينا واليك، وضمّه «ابن عامر» و«عاصم» و«حمزة». [1]

[٥٩] - ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ إن جعل مصدراً فالتقدير: «وعدكم وعد يوم الزّينة» وإن جعل اسم مكان فالتقدير: مكان وعدكم مكان يوم الزّينة، وهو يوم عيد لهم يتزيّنون فيه ويجتمعون.

وانّما عيّنه ليعلو الحقّ على الباطل على رؤس الأشهاد ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ﴾ عطف على «يوم» أو «الزّينة» اي يجمع أهل مصر ﴿ضُحًى﴾ فينظرون في أمرنا.

[٦٠] - ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ﴾ انصرف ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ أي أسباب كيده من السّحرة وآلاتهم ﴿ثُمَّ أَتَى﴾ الموعد.

[٦١] - ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾ وعظ السّحرة، وهم اثنان وسبعون مع كلّ واحد «حبل» وعصا، أو أربعمائة أو أكثر ﴿وَيْلَكُمْ﴾ نصب على انّه مصدر لا فعل له، أو على النّداء ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بإشراك أحد معه ﴿فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾ فيستأصلكم به، وضمّه «حفص» و«حمزة» و«الكسائي» من «اسحت» [2] لغتان ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنِ افْتَرَى﴾ على الله كذباً كفرعون.

[٦٢] - ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أي السّحرة في أمر موسى حين قال: ﴿ويلكم. . .﴾ الآية، فقالوا: ما هذا بقول ساحر ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ الكلام بينهم بأنّ موسى ان غلبنا اتّبعناه، أو الضمير لفرعون وقومه، ويفسر النّجوى:

[٦٣] - ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ «هذان» اسم «إنّ» على لغة من يجعل المثنّى كالمقصور في تقدير الإعراب، وقيل: اسمها ضمير شأن محذوف، وردّ: بانّ

---

(١) حجة القراءات: ٤٥٣.

(٢) حجة القراءات: ٤٥٤ - وفيه: قال الفراء: هما لغتان، يقال: سحته وأسحته اذا استأصله وأهلكه.

اللاّم لا تـدخل خبر المبتدأ، وكذا جعـل «ان» بمعنى نعم، ولو قدر نعم هـذان لهما ساحران فحذف المبتـدأ ينافي التأكيد، وقرا «أبو عمرو»: «هـذين» وهو واضح و«ابن كثير» و«حفص»: «ان هذان» على المخفّفة[1] واللاّم فارقة أو النّافية واللاّم بمعنى «إلاّ» ﴿يُرِيـدانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْـرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَـرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ﴾ بدينكم الأفضل بـاظهـار دينهما، وقيل: الطّـريقـه أشرف القـوم،[2] أي بـاشرافكم بصـرف وجوههم اليهما، و«المثلى» مؤنث الأمثل، اي: الأفضل والأشبه بالحقّ.

[٦٤] ـ ﴿فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ﴾ احكموه واجعلـوه مجمعاً عليـه، وقرأ «أبـو عمرو» «فاجمعوا» من جمع[3] ﴿ثُمَّ ائْتُواْ صَفًّا﴾ مصطـفّين ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَـوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ فاز من غلب.

[٦٥]ـ ﴿قَالُواْ يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ راعوا الأدب، أي اختر القائك أو القاءنا، أو الأمر القاؤك أو القاؤنا.

[٦٦] ـ ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُواْ﴾ مقابلة لأدبهم، وعدم احتفال بكيـدهم، وجوداً بما مالوا إليه من البدأ كما يفهمه ذكر «اوّل» في شقّهـم، وليبرزوا ما معهم ثم يأتي الحقّ فيبطله ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ «إذا» للمفاجاة وأصلها: الوقت، وتستدعى متعلّقاً ناصباً وهو فعل المفاجاة، وجملة ابتدائيّة تضاف إليها.

والمعنى: فالقوا ففاجأ موسى وقـت تخيّل سعي حبالهم وعصيّهم من سحرهم، قيل: لطخوها بالزّيبق فلمّا حميت الشّمس تحرّك فحرّكها، فخيل إليه انّها تسعى،[4]

---

(١) حجة القراءات: ٤٥٤ و٤٥٦.

(٢) قاله اميرالمؤمنين علي عليه السّلام كما في تفسير مجمع البيان ٤: ١٨.

(٣) حجة القراءات: ٤٥٦.

(٤) تفسير مجمع البيان ٤: ١٨ وتفسير الكشّاف ٣: ٧٣ وتفسير البيضاوي ٣: ١٧٨.

وقرأ «ابن ذكوان»: «تخيّـل» بالتّاء[1] على اسنـاده الى ضمير الحبـال والعصا وبـدليّة «انّها تسعى» منه بدل اشتمال.

[٦٧]ـ ﴿فَأَوْجَسَ﴾ فأضـمر ﴿فِى نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾ مـن أن يشـك النّـاس فلا يتّبعوه أو للّطبع البشري.

[٦٨]ـ ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّـكَ أَنْتَ الأَعْلَى﴾ تعليل النهي[2] مؤكّد بالإستئناف وانّ والفصل ولفظ العلوّ، ومعناه: الغلبة وصيغة التّفضيل.

[٦٩]ـ ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ﴾ أبهم تصغيراً للعصا وتهويـنـاً لأمر السّحرة، أي ألق العويد الّـذي معك، أو تعظيماً لها، أي لا تستعظم ما معهم فإنّ معـك ما هو أعظم منه ﴿تَلَقَّفْ﴾ تتلقّف، حـذف احد التّائيـن، ورفعه «ابن ذكـوان» حالاً أو استئنـافاً، وخفّفه «حفص» جازماً[3] أي تبتلع ﴿مَا صَنَعُواْ إِنَّمَا صَنَعُواْ﴾ انّ الّذي افتعلـوه ﴿كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ أفـرد لقصـد الجنس، ونكّـر لتنكيـر «الكيـد»، وقـرا «حمـزة» و«الكسـائي» سحر،[4] أي ذي سحر، أو سمّـى به السّـاحر مبـالغة أو الإضـافة بيـانيّة ﴿وَلَا يُفْلِـحُ السَّاحِرُ﴾ أي جنسه ﴿حَيْثُ أَتَى﴾ اين كان[5] فألقاها فتلقّفت فحقّقوا انّه ليس سحراً.

[٧٠]ـ ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ لله تعالى، ألقاهم تحقّق الحقّ لهم ﴿قَالُواْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ أخّر للفاصلة، قيل رأوا في سجودهم منازلهم في الجنّة.[6]

[٧١] ـ ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿ءَامَنْتُمْ لَهُ﴾ أي لـ«موسى»، وقرأه «قنبـل» و«حفص»

---

(١) حجة القراءات: ٤٥٦ وفيه: ابن عامر.

(٢) كذا في النسخ ـ وفي تفسير البيضاوي ٣: ١٧٩ تعليل للنهي.

(٣) حجة القراءات: ٤٥٧

(٤) حجة القراءات: ٤٥٨.

(٥) في «ج» اي كائناً.

(٦) نقله البيضاوي في تفسيره ٣: ١٧٩.

على الخبر[١] ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ في ذلك ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ﴾ رئيسكم أو استاذكم ﴿الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ وتواطأتم على ما فعلتم ﴿فَلَأُ قَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ حال أي مختلفات الأيدي اليمنى والأرجل اليسرى، و«من» ابتدائيّة أي ابتداء القطع من الجهتين المتخالفتين ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ شبّه تمكن المصلوب بالجذع بتمكّن المظروف بالظّرف ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا﴾ يعني نفسه و«موسى» أو ربّ «موسى» ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ وأدوم.

[٧٢] ـ ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ نختارك ﴿عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات الظّاهرة ﴿وَالَّذِى فَطَرَنَا﴾ عطف على «ما» أو قسم ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ أي صانعه أو حاكم به ﴿إِنَّمَا تَقْضِى﴾ تصنع أو تحكم بسلطانك ﴿هَٰذِهِ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا﴾ أي فيها ونصير الى النعيم الباقي في الآخرة.

[٧٣] ـ ﴿إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا﴾ من الشّرك والمعاصي ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ أي تعلّمه، وعمله في معارضة المعجزة.

قيل: قالوا لفرعون: ارنا «موسى» نائماً [ففعل][٢] فرأوه تحرسه عصاه، فقالوا: ما هذا بسحر وإلاّ لبطل بنومه، فأبى إلاّ أن يعارضوه[٣] ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ﴾ منك ثواباً للمطيع ﴿وَأَبْقَى﴾ عقاباً للعاصي.

[٧٤] ـ ﴿إِنَّهُ﴾ أي الشأن ابتداء كلام من الله تعالى أو من كلام السّحرة ﴿مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ كافراً ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياة ممتعة.

[٧٥] ـ ﴿وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ الفرائض قيل: والنّوافل ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾ جمع عليا مؤنث «أعلى».

---

(١) حجة القراءات: ٤٥٨ وفيه قرأ القواس عن ابن كثير وورش.

(٢) الزيادة من تفسير الكشّاف ٣: ٧٧.

(٣) قاله عبدالعزيز بن أبان ـ كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٢١ وتفسير الكشّاف ٣: ٧٧.

[٧٦] ـ ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ بدل من «الدّرجات» ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ تطهّر من دنس الذّنوب.

[٧٧] ـ ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾ بعد سنين اقامها بينهم يدعوهم بالآيات الى الله ولا يجيبون ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ بقرائتى: القطع والوصل، أي: سر بهم ليلاً من مصر ﴿فَاضْرِبْ﴾ اجعل أو بيّن ﴿لَهُمْ﴾ بالضّرب بعصاك ﴿طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ يابساً، مصدر وصف به كاليبس ونحوهما العدم والعُدم ﴿لاَ تَخَافُ دَرَكًا﴾ حال أي آمناً أن يدرككم «فرعون»، وجزمه «حمزة» جواباً للأمر [1] ﴿وَلاَ تَخْشَىٰ﴾ غرقاً، استئناف في قراءة «تخف» أو عطف عليه وألفه للإطلاق كـ«السّبيلا». [2]

[٧٨] ـ ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾ أي ألحق بهم جنوده، أو تبعهم ومعه جنوده ﴿فَغَشِيَهُم﴾ أي علاهم ﴿مِّنَ الْيَمِّ﴾ من البحر ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ ايجاز بليغ، أي غشيهم ما سمعته ولا يعلم كنهه إلاّ الله تعالى.

[٧٩] ـ ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾ عن الحقّ ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ ردّ لقوله: ﴿وما اهديكم إلاّ سبيل الرّشاد﴾. [3]

[٨٠] ـ ﴿يَا بَنِى إِسْرَاءِيلَ﴾ خطاب لهم بعد انجائهم من «فرعون» والغرق، أو للمعاصرين بما انعم على آبائهم ﴿قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ فرعون ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ﴾ ليؤتى «موسى» التّوراة بياناً لما يحتاجون إليه ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ﴾ في التّيه ﴿الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ التّرنجبين والطّير السّماني بتخفيف الميم والقصر.

[٨١] ـ ﴿كُلُواْ﴾ بتقدير القول ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ لذائذه، وقرأ «حمزة»

---

(١) حجة القراءات: ٤٥٨.

(٢) سورة الاحزاب: ٣٣/ ٦٧.

(٣) سورة المؤمن: ٤٠/ ٢٩.

و«الكسائي»: «انجيتكم» و«واعدتكم» «ما رزقتكم»[١] ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ﴾ بترك شكره وتعدّي حدود الله فيه ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ بكسر «الحاء» أي: يجب ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى﴾ بكسر «اللام» أي يجب، وضمّهما «الكسائي» من حلّ يحلّ: نزل[٢] ﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾ هلك أو سقط في النّار.

[٨٢] - ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ من[٣] الكفر ﴿وَءَامَنَ﴾ بالله ورسله ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ ادّى الفرائض ﴿ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ استمر على ما ذكر.

قال الباقر عليه السّلام: ثمّ اهتدى الى ولايتنا أهل البيت، فوالله لو انّ رجلاً عبد الله عمره ما بين الرّكن والمقام ثمّ مات ولم يجيء بولايتنا، كبّه الله في النّار على وجهه.[٤]

[٨٣] - ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ سؤال عن سبب عجلته عنهم الى ميعاد اخذ التّوراة، وفيه انكار لها، فقدّم جواب الإنكار لأهميّته.[٥]

[٨٤] - ﴿قَالَ هُمْ أُوْلَاءِ عَلَى أَثَرِى﴾ ما تقدمتهم[٦] إلاّ يسيراً وهم يدركونني عن قريب ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ طلباً لزيادة رضاك.

[٨٥] - ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ امتحنّاهم بتشديد التكليف لمّا اخرج لهم العجل فألزمنا هم النّظر ليعلموا انّه ليس بـ«اله» ﴿مِنۢ بَعْدِكَ﴾ بعد انطلاقك منهم وهم الّذين خلّفهم مع هارون وكانوا ستمئة الف، وما سلم من عبادة العجل منهم إلاّ اثني عشر الفاً ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِىُّ﴾ بالدّعاء الى عبادة العجل فعبدوه.

---

(١) حجة القراءات: ٤٦٠.

(٢) حجة القراءات: ٤٦٠ والسبعة في القراءات: ٤٢٢.

(٣) في«ج»: عن.

(٤) تفسير مجمع البيان ٤: ٢٣ وورد الحديث في تفسير التبيان ٧: ١٩٦ باختصار.

(٥) وهو قوله تعالى في الآية التالية: «هم اولاء على أثري».

(٦) في«ج»: اعدّ منهم.

والسّامري منسوب الى السّامرة، قبيلـة من بنى اسرائيل، وقيل: كان علجاً[١] من كرمان اسمه «موسى بن ظفر» وكان منافقاً. [٢]

[٨٦] ـ ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ﴾ بعد الأربعين وأخـذ التّوراة ﴿غَضْبَانَ﴾ عليهم ﴿أَسِفًا﴾ حزينـاً لضـلالهم ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ أي صدقاً ان يعطيكم التوراة ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ زمان مفارقتي ايّاكم ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَنْ يَحِلَّ﴾ يجب ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ﴾ بعبادتكـم العجل ﴿فَأَخْلَفْتُمْ مَّوْعِدِى﴾ وعدكم ايّاي بالإقامة على ديني أو باللّحاق بي.

[٨٧] ـ ﴿قَالُواْ مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمِلْكِنَا﴾ بالكسر، وفتحه «نـافع» و«عاصم»، وضمّه «حمـزة» و«الكسائي»[٣] لغـات فـي مصـدر «ملك»، أي بأن ملكنـا رأينا، إذ لو ملـكناه ولـم يغـلبنا كيـد السامـري لـما اخلفـناه ﴿وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا﴾ وفتـحه مخفّفاً «أبو عمرو» و«أبو بكـر» وفتحه «حمزة» و«الكسائي»[٤] ﴿أَوْزَارًا مِّنْ زِينَـةِ الْقَوْمِ﴾ اثقالاً من حلّي القـبط، استعـاروها[٥] منهم بعلّة عيدٍ لهم،[٦] فبقيت عندهم، وقيل: هي ما القاه البحر على السّاحل بعد اغراقهم فأخذوه[٧] ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ ألقيناها في النّار بأمر السّامري قال هي حرام فألقوها ﴿فَكَذَلِكَ﴾ كما ألقينا ﴿أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ ما معه منها.

[٨٨] ـ ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا﴾ صاغه من الحليّ المذابة ﴿جَسَدًا﴾ بدل منه لحماً ودماً، أو جسماً بلا روح ﴿لَّهُ خُوَارٌ﴾ صوت العجل ﴿فَقَالُواْ﴾ أي السّامريّ ومن تبعه:

---

(١) العلج بالكسر والسكون: الكافر ويطلق على كل ذي لحية.

(٢) تفسير البيضاوي ٣: ١٨١.

(٣و٤) حجة القراءات: ٤٦١ والسبعة في القراءات: ٤٢٢و٤٢٣.

(٥) في «ج»: استعاروا.

(٦) في «ج» عندهم.

(٧) تفسير البيضاوي ٣: ١٨١.

﴿هَذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ أي فتركه «موسى» هنا وذهب يطلبه أو ترك السامري الإيمان.

[٨٩] ـ ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ يعلمون، ﴿أَنْ﴾ مخفّفة من الثقيلة واسمها محذوف، أي انّه ﴿لايَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ لا يردّ عليهم جواباً ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ لا يقدر على ضرّهم ونفعهم.

[٩٠] ـ ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل عود موسى ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾ امتحنكم الله أو أضلّكم السّامري ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ﴾ لا غيره ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ في عبادته ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ بلزومها.

[٩١] ـ ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ﴾ على عبادته مقيمين ﴿حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾.

[٩٢] ـ ﴿قَالَ﴾ موسى ـ لمّا رجع ـ: ﴿يَا هَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ بعبادة العجل؟

[٩٣] ـ ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ أن تلحقني أو تتّبعني في قتالهم بمن اطاعك إذ لو كنت فيهم لقاتلتهم و«لا» زائدة ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ بإقامتك فيهم أو ترك مجاهدتهم.

ويراد بعصيان الأمر: ترك الأُولى، لعصمة الانبياء.

[٩٤] ـ ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾ بالكسر والفتح أيضاً كما مرّ في «الأعراف»[1] وذكر «الأمّ» ترقيقاً وكانا لأب وامّ ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ أخذ بلحيته وذؤابته، يجرّه فعل الغضبان بنفسه، وفتح «نافع» و«أبو عمرو»: «الياء»[2] ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ لو فارقت أو قاتلت بعضهم ببعض ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ لك:

---

(١) سورة الاعراف: ٧/ ١٥٠.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٠٩.

﴿اخلفنى في قومي واصلح﴾[1] فإنّ الإصلاح كان فيما فعلت.

[٩٥] ـ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾ شأنك الّذي حملك على ما صنعت ﴿يَا سَامِرِيُّ﴾.

[٩٦] ـ ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِ﴾ أي علمت ما لم يعلموه، أو رأيت ما لم يروه، وقرأ «حمزة» و«الكسائي» بالتّاء[2] ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ من تراب موطىء جبرئيل، أو موقع حافر فرسه ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ ألقيتها في حوف العجل أو الحلّي ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ﴾ زينت ﴿لِى نَفْسِى﴾ وحدّثتني أن آخذ القبضة وألقيها فيه.

[٩٧] ـ ﴿قَالَ فَاذْهَبْ﴾ طريداً ﴿فَإِنَّ لَكَ فِى الْحَيَوٰةِ﴾ أي ما دمت حيّاً ﴿أَنْ تَقُولَ﴾ لمن لقيته ﴿لاَمِسَاسَ﴾ أي لاتمسّنى، وكان إذا مسّه أحد حمّ[3] هو ومن مسّه، فسار يهيم[4] في البريّة وحيداً يتحامى النّاس ويتحامونه[5] ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ لعذابك ﴿لَّنْ تُخْلَفَهُ﴾ لن يخلفك الله ايّاه في الآخرة، وكسر اللام «ابن كثير» و«أبو عمرو»[6] أي لن تخلف الوعد ايّاه وستأتيه، فحذف المفعول الأول، أو لن تجده خلفاً ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَٰهِكَ الَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ ظللت على عبادته مقيماً، فحذفت الأولى المكسورة تخفيفاً ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُ﴾ بالنّار ﴿ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِى الْيَمِّ نَسْفًا﴾ نذريه[7] في البحر، ففعل به ماذكر تنبيهاً.

[٩٨] ـ ﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ﴾ المستحق للعبادة ﴿اللهُ الَّذِى لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ تمييز محوّل عن الفاعل أي وسع علمه كلّ شيء.

---

(١) سورة الاعراف: ٧/ ١٤٢.

(٢) حجة القراءات: ٤٦٢.

(٣) أي أخذته الحمى وهي حرارة غريبة تنتشر في البدن، فتحدث فيه مايضر بالأفعال الطبيعية.

(٤) اي لا يدري أين يتوجه.

(٥) تحامى: تباعد.

(٦) حجة القراءات: ٤٦٢.

(٧) ذرأه: طيّره وفرقه، وفي التنزيل «فأصبح هشيماً» (الكهف: ١٨/ ٤٥) تذروه الرياح.

[٩٩] ـ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما قصصنا عليك يا «محمّد» قصّة «موسى» ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ﴾ اخبار ﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾ مضى من الأمور والأمم، تبصرة لك وتكثيراً لمعجزاتك وعظة لأمتك. ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ مِنْ لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ أعطيناك من عندنا قرآناً فيه ذكر ما يحتاج إليه في الدّين والدّنيا.

[١٠٠] ـ ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ عن الذّكر فلم يؤمن به ﴿فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وِزْرًا﴾ حملاً ثقيلاً، من الإثم أي: عقوبته.

[١٠١]ـ ﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾ في الوزر، والجمع لمعنى «من» ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ حِمْلاً﴾ تمييز يفسّر الضمير المبهم في «ساء»، والمخصوص بالذّم محذوف، أي: ساء حملاً وزرهم، واللام للبيان.

[١٠٢]ـ ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ﴾ بدل من «يوم القيامة»، وقرأ «أبو عمرو» بالنون[١] اسناداً الى الأمر.

والصّور: القرن، أو: جمع صورة، ويؤيّده قراءة «الصُّوَر»[٢] ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ عيونهم.

والزّرقة أبغض ألوان العيون الى العرب. أو: عمياً، إذ الأعمى تزرق عينه.

[١٠٣] ـ ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يتسارّون من شدّة الهول ﴿إِنْ لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرًا﴾ ليالي في الدّنيا استقصاراً لمدّة لبثهم فيها لزوالها ودوام عذابهم أو في القبور.

[١٠٤] ـ ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ فيه وهو مدّة لبثهم ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أصوبهم رأياً ﴿إِنْ لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا﴾ وهو بالقياس الى طول لبثهم في النّار أقرب من العشر.

[١٠٥] ـ ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ ما حالها في القيامة ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّى

---

(١) حجة القراءات: ٤٦٣.

(٢) انظر الى هذه القراءات في تفسير البيضاوي ٣: ١٨٣.

نَسْفًا﴾ ويجعلها كالرّمل ثم يطيّرها بالرّياح .

[١٠٦] ـ ﴿فَيَذَرُهَا﴾ فيدع أماكنها أو الأرض المعلـومة من الجبال ﴿قَاعًا﴾ أملس ﴿صَفْصَفًا﴾ مستوياً .

[١٠٧] ـ ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾ انخفاضاً ﴿وَلَآ أَمْتًا﴾ ارتفاعاً .

[١٠٨] ـ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يـوم إذ نسفـت الجبـال ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ داعـي الله الـى المحشر وهو «اسرافيل» بالنّفخ أو بقولـه : هلّموا الى العرض على الرّحمان ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ لا يعوج لـه أحد ولا يميـل عنه ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ سكنت لعظمته ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ صوتاً خفيّاً، وهو صوت وطيءِ الأقدام .

[١٠٩] ـ ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾ إلاّ شفاعة من أذن له أو لا تنفع أحداً إلاّ من اذن أن يشفع له ﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ ورضى قوله في الشفاعة لمكانه عند الله أو رضى لأجله قول الشافع في حقّه .

[١١٠] ـ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ما كان في حياتهم ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ بعد مماتهم ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ لايحيط علمهم بمعلوماته أو بذاته .

[١١١] ـ ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ خضعت له خضوع ألعـاني، أي : الأسير في يد من قهره ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أي شركاً .

[١١٢] ـ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ بعض الطّاعات ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بما يجب الإيمان به إذ لا تصّح طـاعة غيره ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ وقرأ «ابن كثيـر» : «فلا يخف» على النّهى[1] ﴿ظُلْمًا﴾ بزيادة في سيّآته ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ بنقص من حسناته .

[١١٣] ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ عطف علـى ﴿كذلـك نقصّ﴾[2] أي وكمـا انزلنـا ما ذكـر ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ أي القرآن ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ كلّه ﴿وَصَرَّفْنَا﴾ كرّرنا ﴿فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ

(١) حجة القراءات : ٤٦٤ .

(٢) وقد سبق في الآية (٩٩) من هذه السورة .

يَتَّقُونَ﴾ المعاصي ﴿أَوْ يُحْدِثُ﴾ القرآن ﴿لَهُمْ ذِكْرًا﴾ عظة بعقوبات الأمم الماضية فيتّعظون.

[١١٤] ـ ﴿فَتَعَالَى اللهُ﴾ ارتفع عن مماثلة المخلوقين ﴿الْمَلِكُ﴾ النّافذ تصرّفه في ملكوته ﴿الْحَقُّ﴾ الذي يحقّ له الملك أو الثّابت ﴿وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرءَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ لا تعجل بقرائته قبل أن يفرغ جبرئيل من ابلاغه.

كان صلّى الله عليه وآله وسلّم يساوقه في القراءة حرصاً عليه، أو: في تبليغ ما كان مجملاً قبل أن يأتيك بيانه ﴿وَقُلْ رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ الى ما علّمتني.

أو: قرآناً، فإنّه كلّما نزل عليه شيء منه: زاد به علمه.

ومن فضائل العلم انّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يؤمر بطلب الزّيادة إلاّ فيه.

[١١٥] ـ ﴿وَلَقَدْ عَهِدنَا إِلَى ءَادَمَ﴾ أمرنا بالكفّ عن الأكل من الشّجرة ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قبل زمانك يا محمّد ﴿فَنَسِيَ﴾ ترك الأولى وهو ما أُمر به من الكفّ ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[١] ثباتاً وتصلّباً فيما أُمر به، بحيث يُؤيس «الشيطان» من التّسويل.

أو: عزماً في العود الى الذّنب، وقيل: عزماً على الذّنب لأنّه لم يتعمّده[٢] على جعل نسي بمعنى سها، وفيه منافاة السهو للعصمة.

[١١٦] ـ ﴿وَإِذْ﴾ واذكر إذ ﴿قُلْنَا لِلْمَلَـٰئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى﴾ فسر في البقرة.[٣]

[١١٧] ـ ﴿فَقُلْنَا يَا ءَادَمُ إِنَّ هـذا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ﴾

---

(١) في هامش «الف» هنا مايلي: «له» يتعلق بـ: «نجد» او حال من «عزماً» اذا كان معنى الوجود: الإصابة والإدراك، وان كان «نجد» بمعنى العلم، فـ«له» مفعوله الثاني، و«عزماً» مفعوله الاول (ع. ق).

(٢) قاله ابن زيد وجماعة ـ كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٣٢.

(٣) سورة البقرة: ٢/ ٣٤.

فلا يكوننّ سبباً لإخراجكما أي لاتطيعاه ﴿فَتَشْقَىٰ﴾ تتعب بالكدّ في كسب المعاش.

وخصّ بإسناد الشّقاء إليه لأنّ الإكتساب وظيفه الرّجل، ولرعاية الفاصلة.

ثمّ بيّن ذلك الشّقاء بذكر ماله في الجنّة من كفاية المؤمن لأصول المتاعب من الشّبع والرّيّ والكنّ[1] بقوله:

[١١٨]ـ ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾.

[١١٩] ـ ﴿وَأَنَّكَ﴾ بالفتح، عطف على اسم «انّ» وجاز مع امتناع «انّ» انّك قائم، للفصل بالخبر ولأنّه يجوز في المعطوف ما لا يجوز في المعطوف عليه، وكسرها «أبو بكر» و«نافع»[2] عطفاً على الجملة ﴿لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ لا تعطش ولا يصيبك حرّ الشّمس، إذ لا شمس في الجنّة.

[١٢٠]ـ ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ أنهى إليه وسوسته. وبيانها: ﴿قَالَ يَا ءَادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ أي الّتي من أكل منها، خلد ولم يمت ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ لا ينقطع.

[١٢١] ـ ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ فسّر في «الأعراف»[3] ﴿وَعَصَىٰ ءَادَمُ رَبَّهُ﴾ خالف أمره النّدبيّ، فإنّ تارك النّفل يسمّى عاصياً ﴿فَغَوَىٰ﴾ خاب من ثوابه أو ممّا رجاه من الخلد.

[١٢٢]ـ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ اختاره للرّسالة ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ قبل توبته ﴿وَهَدَىٰ﴾ الى حفظ أسباب العصمة.

[١٢٣] ـ ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ خطاب لآدم وحوّاء بما اشتملا عليه من الذّرية ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بعض الذّرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ للتظالم في أمر المعاش ﴿فَإِمَّا﴾

---

(١) الكنّ: السترة والبيت ـ قاموس اللغة ومجمع البحرين.

(٢) حجة القراءات: ٤٦٤.

(٣) سورة الاعراف: ٧/ ٢٢.

«ان» الشرطية، ادغمت في «ما» الزّائدة ﴿يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ شريعة وبيان ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ﴾ في الدّنيا ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾ في الآخرة.

[١٢٤] ـ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ أي: القرآن وسائر كتب الله ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ مصدر وصف به، ولذا استوى فيه المذكّر والمؤنث أي ضيّقة لحرصه على جمع اعراض الدّنيا وازديادها، وخوفه من انتقاصها، فلم يزل نكد العيش.[١]

وقيل: هو عذاب القبر،[٢] وقيل: الضّريع والزّقّوم في جهنم[٣] ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ أعمى القلب أو البصر، ويعضده:

[١٢٥] ـ ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ في الدّنيا وعند البعث، قيل: يخرج من قبره بصيراً فيعمى في حشره،[٤] وفتح «الحرميّان» الياء.[٥]

[١٢٦] ـ ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك فعلت، ثم بيّنه بقوله: ﴿أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا﴾ دلائلنا ﴿فَنَسِيتَهَا﴾ تركتها، وأعرضت عنها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وكما تركتها ﴿الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ تترك في العذاب أو العمى.

[١٢٧] ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ﴾ أشرك ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ﴾ من عذاب الدّنيا وعذاب القبر ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ وأدوم.

[١٢٨] ـ ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ يبيّن لقريش، الله أو الرّسول أو ما دلّ عليه ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ﴾ أي اهلاكنا كثيراً من الأُمم الماضية المكذّبة للرّسل كـ«عاد» و«ثمود» ﴿يَمْشُونَ﴾ حال من ضمير «لهم» ﴿فِى مَسَٰكِنِهِمْ﴾ ويرون آثار هلاكهم فيعتبروا ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ﴾ لعبراً ﴿لِّأُو۟لِى النُّهَىٰ﴾ لذوي العقول.

[١٢٩]ـ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير عذابهم الى الآخرة ﴿لَكَانَ﴾ الأخذ

---

(١) في«ج»: للعيش.

(٢ـ٤) قاله ابن مسعود وابوسعيد الخدري والسّدى والفراء ـ كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٣٤ـ.

(٥) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٠٩.

العاجل ﴿لِزَامًا﴾ لازماً لهم، مصدر وصف به ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ عطف على «كلمة» أي: لولا العده بتأخير عذابهم وأجل مضروب له وهو الآخرة.

أو يوم بدر للزمهم الأخذ العاجل، أو على مستكن «كان» اي: لكان الأخذ العاجل واجلّ مسمّى لازمين لهم.

[١٣٠] ـ ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ من تكذيبك ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ صلّ متلبّساً بحمده ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ صلاة الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ صلاة العصر أو الظّهرين ﴿وَمِنْ ءَانَاءِ الَّيْلِ﴾ ساعاته ﴿فَسَبِّحْ﴾ صلّ العشائين.

وقدّم الظرف عليه اهتماماً بالصلاة فيه، لأنّها أشقّ، والبال[1]، فيه أجمع ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ صلاة الظّهر لأنّ اوّل وقتها نهاية النّصف الأول وبداية النّصف الثاني.

وجُمع لأمْن اللّبس، أو تكريراً لصلاتي الصّبح والعصر اعتناء بهما نحو ﴿والصلاة الوسطى﴾[2] ويمكن حمل الأمر على الرّجحان المطلق، فيعمّ الفرائض والنّوافل النّهاريّة واللّيليّة،

وقيل: التسبيح: التّنزيه[3] والمراد الحثّ على ملازمته في كلّ الاوقات ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ بما يعطيك ربّك في الدّارين وبناه «الكسائي» للمجهول.[4]

[١٣١] ـ ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ لا تنظرنّ ﴿إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ﴾ رغبة فيه ﴿أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾ اصنافاً من الكفّار ﴿زَهْرَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ زينتها وبهجتها، ونصبت على الذّمّ أو البدل من محلّ «به» أو من «ازواجاً» بتقدير: ذوي زهرة، وفتح «يعقوب»

---

(١) البال: الخاطر.

(٢) سورة البقرة: ٢/ ٢٣٨.

(٣) تفسير مجمع البيان ٤: ٣٥.

(٤) حجة القراءات: ٤٦٤.

الهاء[1] لغة فيها ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنختبرهم أو لنعذّبهم به ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ ما وعدك به في الآخرة أو ما رزقك من العلم والنبوّة ﴿خَيْرٌ﴾ ممّا متّعهم به في الدّنيا ﴿وَأَبْقَى﴾.

[١٣٢] ـ ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾ أهل بيتك ﴿بِالصَّلَوٰةِ﴾ قال «الباقر» عليه السّلام: امره الله تعالى أن يخصّ أهله دون الناس، ليعلم الناس أنّ لأهله منزلة عند الله ليست للناس، فأمرهم مع الناس عامّة، ثمّ امرهم خاصّة.[2]

وكان النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بعد نزولها يأتي باب فاطمة وعليّ عليهما السّلام تسعة اشهر، عند كلّ صلاة فيقول: الصلاة رحمكم الله، «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً»[3] ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ حافظ عليها ﴿لَا نَسْأَلُكَ﴾ لا نكلّف ﴿رِزْقًا﴾ لنفسك ولا لأهلك ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ وايّاهم ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ لأهلها.

[١٣٣] ـ ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا﴾ هلاّ ﴿يَأْتِينَا﴾ «محمّد» ﴿بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ مقترحة لم يعتدّوا بما أتى به من الآيات، فردّ عليهم بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَأْتِهِمْ﴾[4] بالياء لـ«نافع» و«ابي عمرو» و«حفص» وبالتّاء للباقين[5] ﴿بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ بيان ما في سائر الكتب المنزلة يعني القرآن، لتضمّنه اصول ما فيها من العقائد والأحكام الكلية مع انّ الاتي به أُميٌّ، لم يقرأها ولم يسمعها من أحد، فهو معجز يشهد بنبوّته وبصحّة تلك الكتب

---

(١) تفسير البيضاوي ٣: ١٨٧.

(٢) تفسير مجمع البيان ٤: ٣٧.

(٣) للحديث مصادر كثيرةيراجع كتاب العمدة لابن البطريق الفصل الثامن ويراجع ايضاً مناقب الخوارزمي/ ٦٠ ـ والآية من سورة الاحزاب: ٣٣/ ٣٣.

(٤) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «تأتهم» ـ كما سيشير اليه المؤلف ـ.

(٥) حجة القراءات: ٤٦٥.

المحتاجة الى مصدّق لها، لعدم اعجازها.

وقيل: اراد به بيان ما فيها من أنباء الأُمم المكذّبة واهلاكهم باقتراح الآيات.[١]

[١٣٤] ـ ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّنْ قَبْلِهِ﴾ قبل «محمّد» أو القرآن المراد بالبيّنة ﴿لَقَالُواْ﴾ يوم القيامة ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ﴾ هلاّ ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ﴾ المرسل بها ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَّذِلَّ﴾ في المحشر أو في الدّنيا بالقتل والأسر ﴿وَنَخْزَى﴾ في جهنّم.

[١٣٥] ـ ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ منّا ومنكم ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾ منتظر عاقبة الأمر ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ تهديد ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ وهو[٢] الدّين المستقيم ﴿وَمَنِ اهْتَدَى﴾ لطريق الحقّ. أنحن أم أنتم.

وكلمتا «مَن» استفهاميّة معلّقة للفعل مرفوعة بالإبتداء.

---

(١) نقله الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٤: ٣٧.

(٢) ليس في «ب»: وهو.

سورة الأنبياء

[٢١]

مائة واثنى عشرة آية مكية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ـ ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ﴾ الكفّار، لوصفهم المتعقّب، واللام صلة «اقترب» أو تأكيد الإضافة في ﴿حِسَابُهُمْ﴾ أي: قرب وقته، وهو يوم القيامة لانّ كلّ ما هو آت قريب، أو بالنسبة الى ما مضى لقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«بعثت أنا والسّاعة كهاتين»[١] أو عند الله [لقوله تعالى:][٢] ﴿ونراه قريباً﴾[٣].

﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿مُّعْرِضُونَ﴾ عن التّأهّب له.

[٢] ـ ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ﴾ من قرآن و«من» زائدة أو تبعيضيّة ﴿مِّنْ رَّبِّهِمْ﴾ صفة «ذكر» أو صلة «يأتيهم» ﴿مُّحْدَثٍ﴾ تنزيله شيئاً فشيئاً ﴿إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ يستهزءون به، حال من الواو وكذا

---

(١) تفسير مجمع البيان ٤: ٣٩.

(٢) الزيادة اقتضاها السياق.

(٣) سورة المعارج: ٧٠/ ٧.

[٣] ـ ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ غافلة عن تدبّره، أو حال من واو «يلعبون» ﴿وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى﴾ بالغوا في اخفائها، أو اخفوا التّناجي فلم يفطن له ﴿الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بدل من واو «اسرّوا» أو ذمّ مرفوع، أو منصوب بتقدير «هم» أو «اعني» ﴿هَلْ هَـذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ بدل من «النّجوى» أو مفعول لـ«قالوا» مضمراً أي: هو ليس بملك، فليس برسول، فما يأتي به سحر ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ﴾ أفتحضرونه وتقبلونه ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ ترون انّه بشر. أو: تعلمون انه سحر.

[٤] ـ ﴿قُلْ﴾[1] وقرأ «حفص» و«حمزة» و«الكسائي»: «قال»[2] بالإخبار عن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ كائناً ﴿فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ فيعلم ما اسرّوه ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالهم.

[٥] ـ ﴿بَلْ﴾ للإنتقال من حكاية تشاورهم في أمر الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم الى حكاية ما قالوا في القرآن ﴿قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلامٍ﴾ تخاليط أباطيل، رآها في النّوم، ثم اضربوا عنه وقالوا: ﴿بَلِ افْتَرَاهُ﴾ اختلقه من نفسه، ثمّ اضربوا عنه وقالوا: ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ فما أتى به شعر.

وجعل الاوّل اضراباً لهم أيضاً عن قولهم انّه سحر أي انّه تخاليط، فتكون الإضرابات كلّها لهم غير ظاهر ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾ به كالنّاقة والعصا.

[٦] ـ ﴿مَا ءَامَنَتْ قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْيَةٍ﴾ أي أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ بتكذيب الآيات المقترحة عند مجيئها ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا يؤمنون لو أتيتم بها، وإذا لم يؤمنوا استحقّوا الإهلاك كمن قبلهم فلم نجبهم ابقاءاً عليهم.

[٧] ـ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً﴾ لا ملائكة، جواب لقولهم: ﴿هل هذا

---

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «قال» ـ كما سيشيراليه المؤلف.

(٢) حجة القراءات: ٤٦٥.

إلاّ بشر مثلكم﴾ .[١] ﴿يُوحَىٰ[٢] إِلَيْهِمْ﴾ وقرأ «حفص» بالنّون وكسر الحاء[٣] ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ أهل الكتاب لوثوقكم بهم، أو أهل العلم، أو أهل القرآن.

وعن أهل البيت عليهم السّلام: «نحن أهل الذّكر والذّكر، الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم[٤] ﴿إِنْ كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فإنّهم يعلمونه.

[٨] ـ ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾ أي الرّسل ﴿جَسَدًا﴾ اجساداً على ارادة الجنس ﴿لايأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ بل جعلناهم اجساداً يأكلونه ﴿وَمَا كَانُواْ خَالِدِينَ﴾ بل يموتون، فهم بشر مثلك، لخلوّهم من خاصّتى الملائكة: عدم الطعم والخلود ـ على اعتقادهم ـ.

[٩] ـ ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ بالإنجاء والنّصر ﴿فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَّشَاءُ﴾ ممّن آمن بهم ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ المكذّبين لهم.

[١٠] ـ ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ يا قريش ﴿كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ شرفكم، أو ما يوجب حسن الذّكر لكم، ان تمسكتم به ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ فتؤمنون به.

[١١] ـ ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ أهلكنا ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي أهلها ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ كافرة ﴿وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ مكانهم.

[١٢] ـ ﴿فَلَمَّا أَحَسُّواْ بَأْسَنَا﴾ أدرك أهل القرية عذابنا بحواسهم ﴿إِذَا هُمْ مِّنْهَا﴾ من القرية ﴿يَرْكُضُونَ﴾ يهربون مسرعين.

والرّكض: ضرب الدّابّة بالرّجل، ويقال للعدوّ بشدّة.

[١٣] ـ ﴿لاَ تَرْكُضُواْ﴾ ـ أي قالت لهم الملائكة استهزاءـ: لا تهربوا ﴿وَارْجِعُواْ

---

(١) الآية ٣ من هذه السورة.

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «نوحي».

(٣) حجة القراءات: ٤٦٦.

(٤) للحديث مصادر كثيره ـ ينظر كتاب العمدة لابن البطريق الفصل الخامس والثلاثون.

﴿إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ﴾ نعّمتم ﴿فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ﴾ عن أعمالكم، أو يسئلكم النّاس شيئاً من دنياكم.

[١٤] ـ ﴿قَالُواْ﴾ ـ ندماً جين عاينوا العذاب ـ: ﴿يَاوَيْلَنَا﴾ هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بتكذيب الرّسل.

[١٥] ـ ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ﴾ الدّعوى أي قولهم: «ياويلنا» ﴿دَعْوَاهُمْ﴾ يدعون بها ويردّونها ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾ كالزّرع المحصود ﴿خَامِدِينَ﴾ موتى، لايتحرّكون كما تخمد النّار أي: أهلكناهم بالعذاب أو بقتل «بخت نصّر» لهم.

[١٦] ـ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ﴾ عابثين، بل خلقناها لغرض صحيح ومنافع للخلق دينيّة ودنيويّة.

[١٧] ـ ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا﴾ ما يلهى به، قيل هو الولد، وقيل الزّوجة[١] ﴿لاَّ تَّخَذْنَاهُ مِنْ لَّدُنَّا﴾ من قدرتنا[٢] أي من الملائكة والحور، لا من الإنس.

ردّ على اليهود والنصارى في نسبة الولد والزّوجة إليه تعالى، أو من عندنا خفية، فلا يعرفونه فيكون ردّاً على كلّ من نسب إليه ولداً ولو من الملائكة ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ذلك، لكنّا لم نفعله ولم نرده، وجوابه علم من جواب «لو»، وقيل: «ان» نافية.

[١٨] ـ ﴿بَلْ﴾ إضراب عن اتخاذ اللهو الى وصفه تعالى بما يضادّه ﴿نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ الذي من جملته اللهو ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ فيعلوه، واستعير لذلك القذف وهو الرّمي بنحو الحجر.

والدّمغ: وهو اصابة الدّماغ بالشّجّة تصويراً لإذهاب الباطل بالحقّ للمبالغة ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ مضمحلّ.

() قاله الحسن وقتادة وابن عباس ـ كما تفسير مجمع البيان ٤: ٤٢.

() في«ج»: من عندنا.

والزّهوق: خروج الرّوح. وهو ترشيح[1] للإستعارة ﴿وَلَكُمُ﴾ ايّها الكفرة ﴿الْوَيْلُ﴾ الهلاك ﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾ الله به ممّا يستحيل عليه.

[١٩] - ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ أي الملائكة المقربون منه بالشّرف لا بالمسافة، وهو عطف على «من في السّماوات».

افرد تعظيماً، أو مبـــتدأ، خـبره: ﴿لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ لا يترفعون ﴿عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ﴾ لا يعـيون منها.

[٢٠] - ﴿يُسَبِّحُونَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ ينزّهونه دائماً ﴿لاَ يَفْتُرُونَ﴾ عن التّسبيح، فهو لهم كالنّفس لنا، لا يشغلهم عنه شاغل.

[٢١] - ﴿أَمِ اتَّخَذُواْ﴾ بل اتّخذوا، والهمزة للإنكار والتوبيخ ﴿ءَالِهَةً﴾ كائنة ﴿مِّنْ الأَرْضِ﴾ الحجر أو غيره، أو «من» ابتـدائيّة تتعلق بـ«اتّخذوا» ﴿هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ يحيون الموتى، إذ من لوازم الإلهيّة القدرة على كلّ ممكن.

واورد الضّمير المخصّص للإنشار بهم مبالغة في التّهكم، يقال انشره ونشره.

[٢٢] - ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا﴾ أي السماوات والأرض ﴿ءَالِهَةٌ إِلاَّ اللهُ﴾ غير الله، وصف بـ«إلاّ» حيـن تعذّر الإستثناء لعـدم دخول ما بعـدها فيما قبلهـا، ولإفادته لـزوم الفساد لوجود آلهـة دونه، ومفـهومه عدم لزومـه لوجودها معه وهـو خلاف المراد ﴿لَفَسَدَتَا﴾ لما استقامتا لوقوع التّمانع بينهم؛ امّا عند تخالفهم في المراد فظاهر، وامّا عند توافقهم فيه فلأنّ تأثير كلّ منهم فيه يمنع تأثيـر الآخر فيه مرة اخرى لاستحالته[2] ﴿فَسُبْحَانَ اللهِ

(١) الترشيح: هو أن يذكـر مايلائم المستعار منه، وهنا حيث استعار القـذف والدمغ لإثبات الحقّ ذكر زهوق الروح الذي يلائم ويلازم القذف والدمغ.

(٢) والغـرض انّ كلّ واحـد مـنها علّـة تامـة، لأنّ واجـب الـوجـود لايكـون جـزء مركـب للـزوم الإفتـقار المـنافي له.

رَبِّ الْعَرْشِ﴾ الحاوي لأجرام العالم ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾من الشريك والصاحبة[1] والولد.

[٢٣] ـ ﴿لاَ يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لأنّ كل ما يفعله حكمة وصواب، ولا يقال للحكيم :لم فعلت الصّواب؟ ﴿وَهُمْ﴾ أي الآلهة أو العباد[٢] ﴿يُسْئَلُونَ﴾ عن أفعالهم.

[٢٤] ـ ﴿أَمِ اتَّخَذُواْ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ كرّر استفظاعاً لكفرهم وزيادة في توبيخهم ليرتب عليه ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ﴾ على ذلك عقلاً أو نقلاً، إذ لا صحّة لدعوى بلا حجّة مع انّ البرهان العقلي قد أبطله من استلزامه للفساد، وكذا النّقليّ المدلول عليه بقوله: ﴿هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَّعِى﴾ عظة امّتي وهو القرآن، وفتح «حفص» «الياء»[٣] ﴿وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِى﴾ من الأُمم وهو سائر كتب الله، ليس فيها انّ مع الله إلهاً، وانّما فيها ما ينفيه من الأمر بتوحيده والنّهي عن الإشراك.

وصحّ اثبات التّوحيد بالنقل لعدم توقّف البعثة عليه ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ أي توحيد الله لتركهم النّظر ﴿فَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ عن الحق لعدم تمييزهم بينه وبين الباطل.

[٢٥] ـ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ يُوحَى إِلَيْهِ﴾[٤] وقرأ «حفص» و«حمزة» و«الكسائي» بالنون وكسر الحاء[٥] ﴿أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ فوحّدوني.

[٢٦] ـ ﴿وَقَالُواْ اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ردّ على القائلين [بأن]:[٦] الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له عن ذلك ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ لديه، والعباد ليسوا بأولاد.

---

(١) في«ج»: الصاحب.

(٢) في«ج»: والعباد.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١١٥.

(٤) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «نوحي» ـ كما سيشير اليه المؤلف ـ.

(٥) حجة القراءات: ٤٦٦.

(٦) الزيادة اقتضاها السياق.

[٢٧] ـ ﴿لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ لا يقولون إلاّ ما يقوله ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ فهم التّابعون لأمره في أقوالهم وأفعالهم.

[٢٨] ـ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي ما عملوا وما هم عاملون ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾ أن يشفع له ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ﴾ من مهابته ﴿مُشْفِقُونَ﴾ وجلون.

[٢٩] ـ ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ من الملائكة ـ فرضاً ـ، وقيل: عنى به ابليس لأنّه دعا الى طاعته[١] ﴿إِنِّى إِلٰهٌ مِّنْ دُونِهِ﴾ من دون الله، وفتح «نافع» و«أبو عمرو»: «الياء»[٢] ﴿فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ والتّعذيب ينافي النبوّة ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِى الظَّالِمِينَ﴾ المشركين.

[٣٠] ـ ﴿أَوَلَمْ﴾ وترك «ابن كثير» «الواو»[٣] ﴿يَرَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعلموا ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ أي جماعتيهما، ولذلك قال: ﴿كَانَتَا﴾ دون كنّ ﴿رَتْقًا﴾ ذواتى رتق، أو مرتوقتين أي ملتصقتين ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ ففصلنا بينهما بالهواء، أو جعلنا كلاًّ منهما سبعاً.

أو كانتا رتقاً السّموات لا تمطر، والأرض لا تنبت، ففتقناهما بالمطر والنّبات.

وتمكّن الكفرة من العلم بذلك بالنّظر أو الإستعلام بمنزلة علمهم به، فذلك صحّ الإستفهام التقريري ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ خلقنا منه كلّ حيوان، لفرط حاجته إليه وقلة صبره عنه، أو صيّرنا كلّ شيء حيّ بسبب من الماء لابدّ له منه.

وقيل: بشمول الحي للنّبات أيضا[٤] ﴿أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ﴾ وقد لزمتهم الحجّة.

---

(١) قاله ابن جريج وقتادة ـ كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٤٥.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١١٥.

(٣) حجة القراءات: ٤٦٧.

(٤) قاله ابومسلم كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٤٥.

[٣١] ـ ﴿وَجَعَلْنَا فِى الْأَرْضِ رَوَاسِىَ﴾ جبالاً ثوابت ﴿أَنْ تَمِيدَ﴾ كراهة أن تتحرّك ﴿بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ «في الأرض» أو «الرّواسي» ﴿فِجَاجًا﴾ طرقاً واسعة ﴿سُبُلاً﴾ بدل أو «فجاجاً» وصف له قدّم، فصار حالاً تفيد انّه خلقها واسعة ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ الى مقاصدهم في الأسفار. أو: الى وحدانيّة الله بالإعتبار.

[٣٢] ـ ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفًا﴾ للأرض في النّظر ﴿مَّحْفُوظاً﴾ عن السّقوط بقدرته، أو الشياطين بالشهب ﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَاتِها﴾ اوضاعها واحوالها الدّالّة على وجود مبدعها ووحدته وقدرته وحكمته ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يتفكرون فيها.

وبيّن بعض آياتها بقوله:

[٣٣] ـ ﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾ التنوين عوض المضاف إليه، أي كلّهم من الشمس والقمر وتابعهما وهو النّجوم ﴿فِى فَلَكٍ﴾ أي جنسه، نحو كسانا الأمير حلّة ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يسيرون كالسّابح في الماء، وجُمع جمع العقلاء تشبيهاً لها بهم في امتثال أمر خالقها، أو لأنّها ذوات انفس عاقلة كما قيل.

[٣٤] ـ ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ أي: البقاء في الدّنيا، نزلت حين قالوا: ان «محمّداً» سيموت ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الخَالِدُونَ﴾ والفاء في الشّرط[١] لتعلقه بما قبله، والهمزة لإنكار جملة الجزاء أي: فهم أيضاً يموتون فلا يشمتوا بموته.

[٣٥] ـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ تقرير للإنكار ﴿وَنَبْلُوكُمْ﴾ نختبركم ﴿بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ بالمحن والمنح[٢] ﴿فِتْنَةً﴾ ابتلاء، مصدر من غير لفظه ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ فنثبكم إن صبرتم وشكرتم، ونعاقبكم إن جزعتم وكفرتم.

[٣٦] ـ ﴿وَإِذَا رَءَاكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ﴾ ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا﴾ مهزواً به، يقولون: ﴿أَهَذَا الَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي يعيبها ﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمٰنِ﴾ بتوحيد المولى للنّعم

---

(١) اي الفاء انما جيء به هنا لتعلق الشرط بما قبله.

(٢) المنحة ـ بكسر الميم ـ: الإعطاء.

كلّها، أو بكتابه المنزل ﴿هُمْ﴾ كرّر تأكيداً أو لبعد الخبر بحيلولة صلته ﴿كَافِرُونَ﴾ جاحدون، فهم أحق بالهزء بهم.

[٣٧] ـ ﴿خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ نزل في استعجالهم العذاب أي لفرط عجله في اموره كأنّه خلق منه.

وقيل: هو «آدم» عليه السّلام همّ بالقيام حين بلغ الرّوح صدره[1] ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَاتِي﴾ وهي القتل في الدّنيا والعذاب في الآخرة ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ فيها وقد أراهم القتل ببدر.

[٣٨] ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ﴾ وعد القيامة ﴿إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه.

قال تعالى:

[٣٩] ـ ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ومفعوله: ﴿حِينَ لَا يَكُفُّونَ﴾ أي لو يعلمون الوقت الذي لا يدفعون فيه ﴿عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾ لإحاطتها بهم من كلّ جانب ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يمنعون منها فيه، وهو الوقت الذي استعجلوا به بقولهم «متى هذا الوعد» وجواب «لو» محذوف أي لما استعجلوا.

[٤٠] ـ ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ﴾ القيامة أو النّار ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة، مصدر أو حال ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ فتحيّرهم أو تغلبهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ عنهم ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ لا يمهلون بعد امهالهم في الدّنيا.

[٤١] ـ ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّنْ قَبْلِكَ﴾ تسلية له صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿فَحَاقَ﴾ حلّ ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُمْ مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ من العذاب أو جزاء استهزائهم، فكذا يحيق بمن استهزء بك.

[٤٢] ـ ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ﴾ يحفظكم ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمٰنِ﴾ من بأسه.

ونبّه بلفظ «الرّحمن» على انه لا كالىء إلاّ رحمته الواسعة ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ

---

(١) نقل نظيره عن ابن عباس والسدي في تفسير مجمع البيان ٤: ٤٨.

رَبِّهِمْ﴾ أي القرآن أو المواعظ ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يلتفتون إليه فضلاً عن أن يخافوا بأسه، فهم لا يصلحون للسّؤال عن الكالىء.

[٤٣] ـ ﴿أَمْ﴾ بمعنى بل، وهمزة الإنكار، أي بل أ﴿لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ﴾ من العذاب ﴿مِّنْ دُونِنَا﴾ من غيرنا ﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي الآلهة، استئناف لبيان عجزهم ﴿نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ﴾ فكيف ينصرونهم ﴿وَلاَ هُمْ مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ بالنّصر. أو من عذابنا يجارون فكيف يجيرون؟ وقيل: ضمير «هم» للكفرة.

[٤٤]ـ ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاَءِ وَءَاباءَهُمْ﴾ اضراب عن ابطال ما زعموه ببيان ما اوهمهم ذلك، وهو تمتيعه تعالى ايّاهم بنعم الدنيا وامهاله ايّاهم ﴿حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ فاغترّوا بذلك وحسبوا انّه بسبب ما هم عليه ﴿أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ﴾ نقصد أرض الشّرك أو الأعمّ منها ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بفتحها على الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم. أو بتخريبها وموت أهلها أو بموت العلماء ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ أي ليسوا غالبين، بل نحن الغالبون.

[٤٥]ـ ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾ بما اوحي اليّ ﴿وَلاَ يَسْمَعُ﴾ وقرأ «ابن عامر» بتاء الخطاب[1] من الإسماء ﴿الصُّمُ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾ أي هم لتصامّهم وعدم التفاتهم الى الإنذار كالصّمّ.

[٤٦] ـ ﴿وَلَئِنْ مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾ أقلّ أثر ﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَاوَيْلَنَا﴾ هلاكنا[2] ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بتكذيب «محمّد».

[٤٧]ـ ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ العدل، وصف بالمصدر مبالغة، أو ذوات العدل ﴿لِيَوْمِ الْقِيٰمَةِ﴾ لأهله أو فيه ﴿فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ من حقّها أو من الظّلم

---

(١) حجة القراءات: ٤٦٧.

(٢) في «ب»: اهلاكنا.

﴿وَإِنْ كَانَ﴾ العمل ﴿مِثْقَالَ﴾ ورفعه «نافع» على كان التّامّة أي زنة[1] ﴿حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ أحضرناها.

وأنث ضمير «مثقال» لإضافته الى الحبّة ﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ عالمين أو محصين.

[٤٨] ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى وَهَٰرُونَ الْفُرْقَانَ﴾ التّوراة الفارقة بين الحقّ والباطل ﴿وَضِيَاءً﴾ يستضاء بها ﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ عظة لهم بها، أو ذكر ما يحتاجون إليه.

[٤٩] ـ ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ صفة أو مدح لهم ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حال أي: غائباً عن حواسهم، أو غائبين عن الناس، أي: في خلواتهم ﴿وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ﴾ من أهوالها ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون.

[٥٠] ـ ﴿وَهَٰذَا﴾ أي القرآن ﴿ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ كثير الخير ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ على محمّد ﴿أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ استفهام توبيخ.

[٥١] ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ هداه أو النبوّة. واضافته تفيد انّ لهذا الرّشد شأناً ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبل «موسى» و«هارون» أو قبل بلوغه ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ أي بأنّه أهل لما آتيناه.

[٥٢] ـ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾ ظرف لـ«آتينا» أو مفعول اذكر مقدراً ﴿مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾ الصّور الممثّلة الّتي لا تضّر ولا تنفع، تحقير لها وتوبيخ لهم ﴿الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ أي على عبادتها مقيمون، وعدّى باللام لتضمينه معنى العبادة.

وقيل: اللام للإختصاص أي فاعلون العكوف لها.

[٥٣] ـ ﴿قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ فاقتدينا بهم، لم يجدوا جواباً سوى التّقليد.

[٥٤] ـ ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ظاهر، لعدم استناد

---

(١) حجة القراءات٤٦٨.

الجميع الى حجّة.

[٥٥] ـ ﴿قَالُواْ أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ﴾ بالجدّ فيما تقوله ﴿أَمْ أَنْتَ مِنَ اللاَّعِبينَ﴾ فيه، قالوه استبعاداً لتضليلهم فيما ألفوه.[١]

[٥٦]ـ ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ خلقهنّ.

اضرب عمّا قالوا بإثبات دعواه بالحجّة و«هنّ» للسّماوات والأرض، أو للتّماثيل وهو ادخل في تضليلهم وإلزامهم الحجّة ﴿وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ﴾ الّذي ذكرته ﴿مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ المتحققين له.

[٥٧] ـ ﴿وَتَاللهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ لأدبرنّ في كسرها، و«التاء» بدل «الواو» المبدلة عن «الباء» وتفيد تعجّباً كأنّه تُعُجِّبَ من كيده لها، لصعوبته ﴿بَعْدَ أَنْ تُوَلُّواْ﴾ إلى عيدكم ﴿مُدْبِرِينَ﴾ عنها، قاله سرّاً، فسمعه رجل فأفشاه.

[٥٨] ـ ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ بعد ذهابهم الى عيدهم ﴿جُذَاذًا﴾ قطاعاً، وكسره «الكسائي» لغة فيه[٢] ﴿إِلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ لم يكسره وعلّق الفأس في عنقه ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ الى «ابراهيم». رجا ذلك لتفرده بسبّ آلهتهم فيبكّتهم بقوله: ﴿بل فعله كبيرهم﴾[٣] أو الى الكبير فيسألونه عن الكاسر كما يرجع الى الرّبّ في المشكل فيعلمون جهلهم.

[٥٩] ـ ﴿قَالُواْ﴾ ـ بعد رجوعهم ـ: ﴿مَنْ فَعَلَ هَـذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ بجرأته عليها أو بتعريض نفسه للقتل.

[٦٠] ـ ﴿قَالُواْ﴾ أي بعضهم: ﴿سَمِعْنَا فَتَى يَذْكُرُهُمْ﴾ يعيبهم، صفة لـ«فتى» تصحّح تعلّق السّمع به أو مفعول ثان لـ«سمع» ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ رفع بـ«يقال»

---

(١) يقال ألف فلان الشيء: اذا تعوّده واستأنس به.

(٢) حجة القراءات: ٤٦٨.

(٣) في الآية (٦٣) من هذه السورة.

أو خبر محذوف أو منادى .

[٦١] ـ ﴿قَالُواْ فَأْتُـوْا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ أي مرئيّـاً مشهوراً ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ بقوله أو فعله أو يحضرون عقابه .

[٦٢] ـ ﴿قَالُواْ﴾ ـ له بعد احضاره ـ : ﴿ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ .

[٦٣] ـ ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَـذَا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كَانُواْ يَنْطِقُونَ﴾ اسند الفعل إليه لتسبّبه له ، لأنّ غيظه لزيادة تعظيمهم له أو لتقرير نفسه مع تبكيت[1] بطريق التّعريض كما لو عملت عملاً وقال لك من لا يحسنـه : أنت عملته؟ فتقول : بل عملته انت أو حكاية لما يلـزمهم كأنّه قال : ما تنكرون أن يفعله كبيرهـم ، فإنّ من حقّ الإله أن يقدر على ذلك؟ أو على تعليقه بالشّرط وتقديره : فعله كبيرهم إن نطقوا ، فأسالوهـم .

[٦٤] ـ ﴿فَرَجَعُـواْ إِلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ الى عقـولهم ﴿فَقَالُواْ﴾ أي بعضهـم لبعـض : ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بعبادة ما لا ينطق ، أو بسؤال ابراهيم .

[٦٥] ـ ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ انقلبوا الى الجدال بعد استقـامتهم بالتفكّر فقالوا : ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ فكيف تأمرنا بسؤالهـم ، وهو اعتراف بما هو حجّة عليهم . فأنكر عليهم عبادتهم لها .

[٦٦] ـ ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ أي بدله ﴿مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا﴾ إن عبدتموه ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ إن تركتموه .

[٦٧] ـ ﴿أُفٍّ﴾ بالـكسر مـع تنــوين وبدونه ، وبالفتح كما مـرّ في «الإسراء»[2] وهو صوت المتضجّر بمعنى نتناً وقبحاً ﴿لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قبح فعلكم .

---

(١) التبكيت : التقريع والغلبة بالحجة(قاموس اللغة) .

(٢) سورة الإسراء : ١٧/ ٢٣ .

[٦٨] ـ ﴿قَالُواْ﴾ ـ حين ألزمهم الحجّة ـ: ﴿حَرِّقُوهُ﴾ إذ لا عقوبة أفظع[1] من النّار ﴿وَانْصُرُواْ ءَالِهَتَكُمْ﴾ بتحريقه ﴿إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ناصريها.

قاله نمرود، وقيل: رجل من أكراد فارس، خسف به الأرض فجمعوا له الحطب الكثير وأضرموا فيه النّار، وجعلوه في المنجنيق مغلولاً ورموه فيها.

فقال له جبرئيل: ألك حاجة؟ فقال: أمّا اليك فلا.

قال: فاسأل ربّك، فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي وكان ابن ستّ عشرة سنة.[2]

[٦٩] ـ ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلاَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ ذات برد وسلامة أي أبردي برداً لا يضرّه، فلم تحرق إلاّ وثاقه، وزال حرّها وبقي نورها، فجلس في روضة ومعه جبرائيل.

[٧٠] ـ ﴿وَأَرَادُواْ بِهِ كَيْدًا﴾ وهو تحريقه ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ﴾ فيما أرادوا لانقلابه عليهم.

[٧١] ـ ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً﴾ من قرية «كوثى»[3] ﴿إِلَى الأَرْضِ الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ بالخصب والسّعة والمنافع الدّينيّة وهي الشّام، فإنّ أكثر الأنبياء بعثوا فيها، فنزل «ابراهيم» بـ«فلسطين» و«لوط» بـ«المؤتفكة» وبينهما مسيرة يوم.

[٧٢] ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ لـ«ابراهيم» حين سأل ولداً ﴿إِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ عطيّةً، حال منهما أو زيادة على ما سأل، وهي ولد الولد فتختصّ بـ«يعقوب» ﴿وَكُلاًّ﴾ من الثلاثة ﴿جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ للنّبوّة، أو وفّقناهم للصّلاح أو حكمنا بصلاحهم.

---

(١) افظع: اشنع وأشد ـ وفي«ج»: أفضح.

(٢) قاله ابن عمر ومجاهد ـ كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٥٤ وتفسير البيضاوي ٣: ١٩٦ ـ.

(٣) في مراصد الاطلاع: ٣٤٦: وكوثى بالعراق في موضعين: كوثى الطريق وكوثى ربا، وبها مشهد ابراهيم الخليل عليه السّلام، وهما قريتان وبينهما تلول من رماد يقال انها رماد النار التي اوقدها نمرود لاحراقه . . . ».

[٧٣] ـ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾ يقتدى بهم ﴿يَهْدُونَ﴾ النّاس الى الحقّ ﴿بِأَمْرِنَا﴾ لهم بذلك ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ أي: أن تفعل ﴿وَإِقَامَ الصَّلَوٰةِ﴾ وأن تقام وحذف تاء «اقامة» تخفيفاً ﴿وَإِيتَاءَ الزَّكَوٰةِ﴾ وأن تؤتى، وعطف الخاص على العام للأفضليّة ﴿وَكَانُواْ لَنَا عَابِدِينَ﴾ مخلصين في العبادة.

[٧٤] ـ ﴿وَلُوطاً ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ فصلاً بين النّاس أو حكمة أو نبوّة ﴿وَعِلْمًا﴾ بما يحتاج الى العلم به ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ﴾ سدوم ﴿الَّتِى كَانَتْ تَّعْمَلُ﴾ أي أهلها ﴿الْخَبَائِثَ﴾ من اللّواط وغيره ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ حال من «قوم» أو خبر ثان.

[٧٥] ـ ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِى رَحْمَتِنَا﴾ في أهلها أو الجنّة ﴿إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ عملاً، تعليل لما قبله.

[٧٦] ـ ﴿وَنُوحًا﴾ واذكره ﴿إِذْ نَادَى﴾ بدل منه، وكذا في الآتي ذكرهم، أي دعا ربّه على قومه بالنّقمة ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قبل من ذكر ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ دعاءه ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ من معه في الفلك ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ الغرق وأذى قومه.

[٧٧] ـ ﴿وَنَصَرْنَاهُ﴾ منعناه أو جعلناه منتصراً أي منتقماً ﴿مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ الدّالّة على صدقه ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ بالطّوفان.

[٧٨] ـ ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى الْحَرْثِ﴾ الزّرع أو الكرم ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ رعته ليلاً ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ لحكم الحاكمين والخصوم عالمين، حكم داود بالغنم لأهل الحرث.

وقال سليمان ـ وهو ابن احدى عشره سنة ـ:

الأرفق أن ينتفع أهل الحرث بدرّها ونسلها وصوفها، ويقوم أهلها على الحرث حتّى يعود كما كان، ثمّ يترادّان وحكمهما بوحي من الله تعالى، والثّاني ناسخ

للأوّل لا بالإجتهاد لقيام الدّليل على نفيه عن الانبياء[١] ويعضده:

[٧٩] ـ ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾ أي الحكومة ﴿سُلَيْمَانَ﴾ وعن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم انّه قال في حائط افسدته ناقة البراء: [٢] «على أهل الماشية حفظها ليلاً، وعلى أهل الحرث حفظه نهاراً». [٣] ﴿وَكُلًّا﴾ منهما ﴿ءَاتَيْنَا حُكْمًا﴾ حكمة أو نبوّة ﴿وَعِلْمًا﴾ بأمور الدّين ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ ينزّهن الله معه بإنطاقه ايّاها، أو بلسان حالها كما فسّر بـ«يسرن معه»[٤] سمّاه تسبيحاً لأنه آية تدعوا إليه وهو حال أو استئناف و«مع» متعلّق به أو بـ«سخّرنا» ﴿وَالطَّيْرَ﴾ عطف على «الجبال» أو مفعول معه ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ لمثل ذلك وإن استغربتموه.

[٨٠] ـ ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ أي الدّرع لأنها تلبس وكانت صفائح فحلّقها وسردها[٥] ﴿لَّكُمْ﴾ صفة «لبوس» أو متعلق بـ«علّم» ﴿لِيُحْصِنَكُمْ﴾ أي داود، أو: اللبوس، وقرأ «ابن عامر» و«حفص» بالتاء[٦] والضمير لـ«صنعة» أو: لـ«لبوس» بتأويل الدّرع و«أبو بكر» بالنون[٧] والضمير لله ﴿مِّنْ بَأْسِكُمْ﴾ حربكم بالسلاح ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ نعمي؟، استفهام اريد به الأمر ـ مبالغة ـ.

[٨١] ـ ﴿وَلِسُلَيْمَانَ﴾ وسخّرنا له ﴿الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ شديدة الهبوب في عملها، طيّبة في نفسها، كما قال «رخاءً»[٨] أو يختلف حالها حسب ارادته ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾

---

(١) على ما فصّله الطبرسي عند تفسيره لهذه الآية ـ ينظر تفسير مجمع البيان ٤: ٥٧.

(٢) اي: البراء بن عازب.

(٣) تفسير مجمع البيان ٤: ٥٨ وتفسير البيضاوي ٣: ١٩٧.

(٤) نقله البيضاوي في تفسيره ٣: ١٩٧.

(٥) سردها: اي نسجها.

(٦) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «لتحصنكم».

(٧) حجة القراءات: ٤٦٩.

(٨) سورة ص: ٣٨/ ٣٦.

حال مرادفة أو مداخلة ﴿إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ وهي الشام ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ فلا نفعل إلاّ ما تقتضيه الحكمة.

[٨٢] ـ ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ﴾ في البحر، فيخرجون جواهره و«مَن» موصوفة عطف على «الرّيح» أو: مبتدأ، خبره ما قبله ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ﴾ سوى الغوص من البناء وغيره ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ أن يمتنعوا عليه أو يفسدوا ما عملوا.

[٨٣] ـ ﴿وَأَيُّوبَ﴾ هو من ولد عيص بن اسحاق ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ لما ابتلى بفقد اولاده وامواله وتناثر لحمه وإلقائه على كناسة[1] خارج القرية لا يقربه أحد سوى زوجته «رحمة بنت افرائيم بن يوسف» عليه السّلام وكانت تأتيه بالقوت سبع سنين أو ثماني عشرة، فصبر ﴿أَنِّي﴾ أي بأنّي ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ الجهد والشدة وسكن «حمزة» الياء[2] ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ألطف في سؤاله بذكر نفسه بما يوجب الرّحمة وربّه بتناهيه فيها.

[٨٤] ـ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ نداءه ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ بإذهاب مرضه ﴿وَءَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ بأن ولد له ضعف ما هلك، أو احياهم وولد له مثلهم ﴿رَحْمَةً﴾ مفعول له، كائنة ﴿مِنْ عِنْدِنَا﴾ عليه ﴿وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ ليصبروا كما صبر، فيثابوا كما اثيب.

[٨٥] ـ ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ﴾ قيل هو «الياس» وقيل «يوشع»[3]

---

(١) انكر السيّد المرتضى ابتلاء ايوب في جسمه بما تستقذره الطباع، لمنافاته مقام العصمة ـ ينظر تنزيه الأنبياء: ٧٥ ـ ٨٢ ـ وهناك من قال: بأن ايوب انما امتحن في نفسه بضعف البدن وانعدام الأموال مما لايميل اليه المشغوفون بالدنيا ولم يكن بالشكل الذي يتصوره العامة قطّ.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١١٥.

(٣) نقله البيضاوي في تفسيره ٣ : ١٩٨.

وقيل: رجل صالح وليس بنبيّ.

وعن الباقر عليه السّلام: انّه نبيّ مرسل اسمه «عدويا بن ادارين»[١] سمّي به لأنّه تكفّل بصيام نهاره وقيام ليله وأن يقضي بالحق ولا يغضب، فوفى به.

أو لأنّه ذو حظّ عند الله، أو له ضعف ثواب انبياء زمانه ﴿كُلٌّ﴾ كلّ المذكورين ﴿مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ على بلاء الله وطاعته وعن معصيته.

[٨٦] ـ ﴿وَأَدخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾ من النّبوّة ونعم الآخرة ﴿إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ عملاً.

[٨٧] ـ ﴿وَذَا النُّونِ﴾ صاحب الحوت وهو يونس بن متي ﴿إِذْ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا﴾ لقومه أي غضبان عليهم لما كابد منهم وهاجر قبل أن يؤذن له، فترك الاولى، وهو الصّبر حتّى يؤذن له ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ نضيّق عليه بشدة أو نقضي عليه ما قضينا من حبسه ببطن الحوت، وبناه «يعقوب» للمفعول بالياء[٢] ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ظلمات اللّيل والبحر وبطن الحوت، أو الظلمة المتكاثفة[٣] ﴿أَن﴾ بأنّه ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ﴾ عما لا يليق بك ﴿إِنِّي كُنتُ﴾ في ذهابي بلا إذن ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ انفسهم بترك الاولى.

[٨٣] ـ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ ببطن الحوت، بأن قذفه الى السّاحل بعد ثلاثة ايّام أو اكثر ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما نجّيناه ﴿نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ من غمهم، إذا دعونا مخلصين وشدّد «ابن عامر» و«أبو بكر» الجيم بنون واحدة على أن اصله «ننجي» من التنجية، فحذفت الثانيه.[٤]

---

(١) في«ب»: ادرين والصحيح ما في «ج» ويؤيده ما في تفسير مجمع البيان ٤: ٦٠.

(٢) تفسير البيضاوي ٣: ١٩٨.

(٣) المتكاثفة: المتراكمة.

(٤) حجة القراءات: ٤٦٩.

وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير مصدره وسكّن آخره، وردّ بمنع جوازه.

[٨٩] ـ ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ بلا ولد يرثني ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ الباقي بعد فناءِ خلقك.

[٩٠] ـ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى﴾ ولداً ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ بجعلها ولوداً بعد عقمها، أو بتحسين خلقها وكان سيئاً ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي زكريّا وأهله، أو من ذكر من الأنبياء ﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ الطّاعات ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ راغبين في ثوابنا وراهبين من عقابنا ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ خاضعين أو ثابتين[1] الخوف.

وبهذه الخصال استحقوا ما منحناهم.

[٩١] ـ ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ من حلال وحرام ـ اي: مريم ـ ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ في «عيسى» فيها[2] ﴿مِنْ رُوحِنَا﴾ أي: أحييناه في بطنها، أو فعلنا النّفخ فيها من جهة روحنا جبرئيل حيث نفخ في جيبها، فحملت بـ«عيسى» ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا﴾ أي حالهما حيث ولدته من غير أب ﴿ءَايَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ دالّة على كمال قدرتنا.

[٩٢] ـ ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ أي ملّة الإسلام ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ ملّتكم التي يجب أن تكونوا عليها ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ حال أي: مجتمعة غير متفرّقة ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾ لا غيري ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ وحدي.

[٩٣] ـ ﴿وَتَقَطَّعُوا﴾ ألتفت من الخطاب الى الغيبة تقبيحاً لفعلهم الى غيرهم ﴿أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ جعلوا أمر دينهم قطعاً مفرّقة، فتفرّقوا فيه ﴿كُلٌّ﴾ كلّ الفرق ﴿إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ فنجازيهم.

[٩٤] ـ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ فلا جحود،

---

(١) كذا في النسخ والصحيح: ثابتي.

(٢) كذا في النسخ وفي تفسير البيضاوي ٣: ١٩٩ مايلي: «فنفخنا فيها» اي في عيسى عليه الصلاة والسّلام «فيها» اي احييناه في جوفها. وقيل: فعلنا النفخ فيها.

استعير لمنع الثّواب كالشكر لإعطائه ونفي جنسه مبالغة ﴿وَإِنَّا لَهُ﴾ لسعيه ﴿كَاتِبُونَ﴾ مثبتون في صحيفته، فنجزيه به.

[٩٥] ـ ﴿وَحَرَامٌ﴾ ممتنع، وكسر «أبو بكر» و«حمزة» و«الكسائي»: «الحاء» وسكّنوا «الرّاء»[1] ﴿عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ قدّرنا اهلاك أهلها ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ مبتدأً، خبره «حرام»، أو فاعل له، سادّ مسدّ خبره أي ممتنع عليهم عدم رجوعهم للجزاء، أو رجوعهم الى الدّنيا على زيادة «لا».

أو تعليل، أو «حرام» خبر محذوف أي ما ذكر.

قيل: حرام على قرية وجدناها هالكة بالكفر لأنّهم لا يرجعون عنه.

وقيل: حرام: واجب وحكم عليهم عدم رجوعهم الى الدّنيا.

[٩٦] ـ ﴿حَتَّى﴾ متعلق بـ«حرام» أو بـ«لا يرجعون» أي يبقى الإمتناع أو عدم الرّجوع الى قرب السّاعة ﴿إِذَا فُتِحَتْ﴾ وشدّده «ابن عامر»[2] و«يعقوب» ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ أي سدّهما، وتأنيث الفعل لأنّهما قبيلتان، وسبق ما فيهما في الكهف[3] ﴿وَهُمْ﴾ أي يأجوج ومأجوج أو الخلق ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾ نشز[4] من الأرض ﴿يَنسِلُونَ﴾ يسرعون.

[٩٧] ـ ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ أي القيامة ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ الفاء جواب الشرط و«إذا» الفجائيّة تنوبها، فإذا اجتمعتا تأكّد ربط الجزاء بالشرط، والضمير للقصّة وخبره جملة ﴿شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أو مبهم، يفسّره «أبصار» وخبره «شاخصة» أي لاتطرف لهول المطّلع ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ أي قائلين: يا هلاكنا ﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ الأمر ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ لأنفسنا بعبادة الاوثان وترك النّظر.

(١ـ٢) حجة القراءات: ٤٧٠.

(٣) عند تفسير الآية (٩٤) من سورة الكهف.

(٤) النشز من الأرض: المكان المرتفع.

[٩٨] ـ ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ أي غيره من الأوثان والشّياطين فإنّهم عبدوهم بطاعتهم، لهم ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ محصوبها ـ وهو ما يحصب فيها، أي ـ: يرمى يعني: وقودها ﴿أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ داخلون.

[٩٩] ـ ﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ﴾ المعبودون ﴿ءَالِهَةً﴾ كما زعمتم ﴿مَّا وَرَدُوهَا﴾ إذ دخولها ينافي الألوهيّة ﴿وَكُلٌّ﴾ من العبدة والمعبودين ﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾ دائمون.

[١٠٠] ـ ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ تنفّس بشدّة، نسبت[1] الى الكلّ تغليباً لغير الجماد ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ ما يسرّهم، أو شيئاً لشدّة العذاب.

ولما نزلت الآيات قال «ابن الزّبعري»: قد عبد «عزير» و«عيسى» والملائكة فهم في النار؟ فقال النبيّ (ص): انّما عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك،[2] ونزل:

[١٠١] ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ الخصلة الحسنى وهي: العدة بالجنّة، أو السّعادة أو التوفيق للطاعة ومنهم المذكورون ﴿أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾،[3]

والآية جواب ابن الزّبعري، كأنّه قيل: نمنع انّهم عبدوا حقيقة، ولئن سلّم فالآية تخصّصهم. وقد يجاب ـ أيضاً ـ: بأن ما تعبدون لا يتناول العقلاء، ويردّه: ﴿والسّماء وما بناها﴾[4] ونحوه.

[١٠٢] ـ ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ حال من ضمير «مبعدون» ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ﴾ من الملاذّ ﴿خَالِدُونَ﴾ أبداً.

[١٠٣] ـ ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ النّفخة الأخيرة، أو: الإنصراف الى النّار،

---

(١) اي نسب التنفس الصادر من ذي نفس الى الكل الذي يعم من الجماد ـ وهي الاوثان التي عبدوها من جهة تغليب غير الجماد على الجماد.

(٢) تفسير مجمع البيان ٤: ٦٤.

(٣) في النسخ هنا زيادة: «فتم من الحديث» ولم يتضح لنا وجهها.

(٤) سورة الشمس: ٩١/ ٥.

أو: إطباقها على أهلها ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلٰئِكَةُ﴾ تستقبلهم بالتّهنئة، قائلين: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمْ﴾ وقت ثوابكم ﴿الَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدنيا.

[١٠٤] ـ ﴿يَوْمَ﴾ مقدر بـ«اذكر» أو: ظرف «لا يحزنهم» أو «تتلقّاهم» ﴿نَطْوِى السَّمَاءَ﴾ طيّاً ﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ﴾ الطومار[١] ﴿لِلْكِتَابِ﴾[٢] لأجل الكتابة.

أو لما كتب فيه، ويعضده قراءة «حمزة» و«الكسائي» و«حفص»: «للكتب»[٣] جمعاً، أي: للمعاني المكتوبة فيه.

وقيل: السجل: ملك يطوى كتب بني آدم إذا ماتوا[٤] ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ الكاف صفة مصدر محذوف و«ما» مصدريّة و«اوّل» مفعول «بدانا» أو فعل يفسّره «نعيده» أي نعيد ما خلقناه اولاً اعادة مثل بدأنا له في كونهما ايجاداً عن العدم أي قدرتنا على الإعادة كقدرتنا على الإبداء.

وقيل: «ما» موصولة و«الكاف» مفعول فعل يفسره «نعيده» أي: نعيد مثل الذي بدأناه. و«اوّل خلق» ظرف «بدأنا» أو حال من العائد المقدّر ﴿وَعْدًا﴾ وعدنا وعداً وهو يؤكّد ما قبله ﴿عَلَيْنَا﴾ انجازه ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ما وعدنا.[٥]

[١٠٥] ـ ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ﴾ جنس الكتاب، أي: الكتب المنزلة ﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ أي اُمّ الكتاب وهي اللوح.

وقيل: الزّبور: كتاب داود، والذّكر: التّوراة[٦] ﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾ أرض الجنّة أو الدّنيا

(١) الطومار: الصحيفة يجمع على طوامير.

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «للكتب» ـ كما سيشير اليه المؤلف ـ.

(٣) حجة القراءات: ٤٧٠.

(٤) حجة القراءات: ٤٧٠ عن ابن عباس مع اختلاف يسير.

(٥) كلمة «ما» غير موجودة في «ج».

(٦) قاله الشعبى كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٦٦.

﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الْصَّالِحُونَ﴾ المطيعون، أو امة «محمّد» صلّى الله عليه وآله وسلّم بالفتوح.

وقال «الباقر» عليه السّلام: هم اصحاب «المهدي» عليه السّلام[1].

ويدلّ عليه مااستفاض من قول النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: لو لم يبق في الدّنيا إلاّ يوم واحد، لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يبعث رجلاً من أهل بيتي، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً[2] وسكّن «حمزة» «الياء»[3].

[١٠٦] ـ ﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾ المذكور ﴿لَبَلاغًا﴾ لكفاية، أو: لوصلة الى البغية ﴿لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ لله بإخلاص.

[١٠٧] ـ ﴿وَما اَرْسَلْنَاكَ اِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الملائكة والثّقلين للبرّ في الدّارين والفاجر في الدّنيا لأمنه به من الخسف والمسخ وعذاب الإستئصال.

[١٠٨] ـ ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ أي ما يوحى اليّ في شأن الإله، إلاّ انّه مقصور على الوحدانيّة لا يتصّف بضدها ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ منقادون للموحى اليّ من وحدانيّة الله فتخلصوا له العبادة؟ وهو أبلغ من: فأسلموا.

[١٠٩] ـ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْاْ﴾ عن ذلك ﴿فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ﴾ اعلمتكم بالحرب أو بما كلّفتم ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ مستوين انتم في الإيذان. أو: أنا وانتم في علمه. أو: ايذاناً على سواء ﴿وَإِنْ﴾ وما ﴿أَدْرِى أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ من نصر المسلمين أو البعث ما لم

---

(١) تفسير مجمع البيان ٤: ٦٦ ونظيره في تفسير التبيان ٧: ٢٨٤.

(٢) هذا حديث مشهور عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وله مصادر كثيرة ينظر تفسير مجمع البيان ٤: ٦٦ وصحيح ابى داود ٤: ١٠٦ ـ ونظيره في فردوس الاخبار لابن شيرويه الديلمي ٤: ٤٩٦ عن حذيفة بن اليمان

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١١٥.

يعلمنيه[1] الله تعالى.

[١١٠] ـ ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ﴾ منكم ومن غيركم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ تسّرونه انتم وغيركم، فيجازيكم به.

[١١١] ـ ﴿وَإِنْ﴾ وما ﴿أَدْرِي لَعَلَّهُ﴾ أي تأخير «ما توعدون» أو ابهام وقته أو نعيم الدّنيا ﴿فِتْنَةٌ﴾ امتحان ﴿لَكُمْ﴾ ليظهر صنيعكم ﴿وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ وتمتيع الى انقضاء آجالكم.

[١١٢] ـ ﴿قُلْ﴾[2] وقرأ «حفص»: «قال»[3] ﴿رَبِّ احْكُمْ﴾ بيني وبين مكذّبي ﴿بِالْحَقِّ﴾ بما يظهر به الحق من تعذيبهم والنّصر عليهم، فعذّبوا ببدر ونصر عليهم ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ﴾ ذو الرّحمة البالغة ﴿الْمُسْتَعَانُ﴾ المسؤول المعونة ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ من شرككم وكذبكم على الله تعالى بنسبة الولد إليه، وعلى رسوله صلّى الله عليه وآله بأنّه ساحر، وعلى القرآن بأنّه سحر.

---

(١) في هامش «أ» في هذا الموضع مايلي:
التقييد بقولنا«ما لم يعلّمنيه الله لدفع ما لو قيل لايصحّ تفسير» ما توعدون بالبعث لانه علم انه قريب بقوله تعالى: «اقترب للناس حسابهم »و «اقترب الوعد الحق» فتدبر(منه).

(٢)في المصحف الشريف بقراءة حفص: «قال» ـ كما سيذكره المؤلف ـ.

(٣) حجة القراءات: ٤٧١.

سورة الحج

[٢٢]

نّيف وسبعون آيةً مكية إلاّ آيات، أو مدنية إلاّ آيات.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ بفعل الطّاعات وترك المعاصي ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ من اضافة المصدر الى فاعله المجازيّ، أي: تحريكها للأشياء. أو: الى ظرفه، أي: تحريك الأشياء فيها.

وقيل: هي زلزلة تتقدّم «السّاعة» فأُضيفت اليها لأنّها من اشراطها[1] ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ فظيع، علّل بذلك أمرهم بالتّقوى حثّاً عليها فإنّها خير زاد الى المعاد.

[٢] ـ ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ أي الزّلزلة ﴿تَذْهَلُ﴾ تغفل بدهشة ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ بالفعل. والمرضع أعمّ وهي ما من شأنها الإرضاع ﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ «ما» مصدريّة أو موصولة، والمراد تصوير هولها بأنّه بحيث لو ألقمت المرضعة الرّضيع ثديها نزعته عن فيه ونسيته لدهشتها ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ جنينها ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى﴾ من شدّة الفزع، وأفرد بعد جمعه لأنّ الزّلزلة يراها الكلّ، والسّكر انّما يراه كلّ واحد من

---

(١) قاله علقمة والشعبي ـ كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٧٠ ـ.

غيره، وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «سكرى» فيهما[1] كان السّكر علّة، فجمع جمع أهل العلل كمرضى ونحوه ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ﴾ من الشراب ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾ فأفزعهم بحيث ازال عقولهم.

[٣] ـ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ﴾ في شأنه، ويعمّ كل مجادل وإن نزل في «النضر بن الحارث» وكان جَدِلا،[2] يقول: الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاوّلين وينكر البعث، واعرابه مّر في البقرة[3] ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ برهان ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في جداله أو الأعمّ منه ﴿كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ متجرّد للفساد.

[٤] ـ ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ على الشيطان في علم الله ﴿أَنَّهُ﴾ أي الشّأن ﴿مَنْ تَوَلَّاهُ﴾ تبعه ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾ خبر أو جواب لـ«مَن» ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ بدعائه الى ما يوجبه.

[٥] ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شكّ ﴿مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾ اي فنظركم في بدأ خلقكم يزيل ريبكم، فإنّا خلقنا أصلكم آدم وما يتكّون منه المنّي ﴿مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ﴾ خلقنا نسل آدم ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ منّي، من نطف: سال ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ دم جامد ﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ﴾ لحمة قدر ما يمضغ ﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ تامّة الخلق وغير تامّة، أو مصوّرة بالتّخطيط وغير مصوّرة ﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ بتقليبكم قدرتنا، فإنّ من قدر عليه اوّلاً، قدر على إعادتكم ثانياً.

وحذف المبيّن ايذاناً بأنّه ممّا لا يحيط به الوصف ﴿وَنُقِرُّ﴾ عطف على «خلقناكم» أو مستأنف ﴿فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو وقت وضعه ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ حال، ووحّد ارادة للجنس، أو كلّ واحد منكم ﴿ثُمَّ﴾ نربيّكم شيئاً

---

(١) حجة القراءات: ٤٧٢.

(٢) الجدل: اللدد في الخصومة.

(٣) عند تفسير الآية (١٩٧) من سورة البقرة.

فشيئاً ﴿لِتَبْلُغُواْ أَشُدَّكُمْ﴾ كمال قوّتكم، جمع شدّة كـ«انعم» لنعمة، وهو من ثلاثين سنة الى اربعين، أو الحلم ﴿وَمِنْكُم مَّنْ يُتَوَفَّى﴾ عند بلوغ الأشدّ أو قبله ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ ارذأه، وهو الهرم والخرف ﴿لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ ليصير كالطّفل في النّسيان وسوّء الفهم.

وتعاقب هذه الأحوال عليه يدلّ أيضاً على انّ من قدر عليها قدر على البعث ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً﴾ دارسةً يابسةً، من همد الثوب: بلى ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾ تحرّكت بالنّبات ﴿وَرَبَتْ﴾ انتفخت ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ بعض كلّ صنف ﴿بَهِيجٍ﴾ حسن نضر، وهذا أيضاً من دلائل البعث.

[٦] ـ ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من احوال الإنسان والأرض ﴿بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ بسبب انّه الثّابت المحقّ للأشياء ﴿وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾ بقدرته وإلاّ لما أحيى موتى النّطف والأرض ﴿وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لاستواء نسبة قدرته الذّاتيّة الى كلّ ممكن، وهذا كالبيان لما قبله إذ إحياء الموتى ممكن فتناله القدره الشّاملة.

[٧] ـ ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ هذا سببان غائبان لخلق الإنسان وما يتعيّش به، فإنّه انّما خلق وكلّف لجزاء الآخرة، ولا يصل إليه إلاّ ببعثه في السّاعة وما سبق من حقّيّته تعالى واحيائه الموتى وعموم قدرته فأسباب فاعليّته لذلك.

[٨] ـ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ كرّر تاكيداً أو الاوّل في الأتباع وهذا في المتبوعين ﴿وَلاَ هُدًى﴾ ولا دلالة عقليّة معه ﴿وَلاَ كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ ذي نور أي: ولا حجة سمعيّة من جهة الوحي.

[٩] ـ ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾ متكبّراً أو معرضاً عن الحقّ.

و«ثني العطف» كناية عن التّكبّر والإعراض عن الشيء ﴿لِيُضِلَّ﴾ النّاس، علّة

للجدال، وفتح الياء «ابن كثير» و«أبو عمرو»[1] و«ورش» على انّ ضلاله كالغرض لجداله الّذي خرج به من الهدى الى الضّلال ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ دينه ﴿لَهُ فِى الدُّنْيا خِزْيٌ﴾ بوقعة بدر ﴿وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ النّار المحرقة.

[١٠] ـ ﴿ذَلِكَ﴾ أي يقال له يوم القيامة: ذلك الخزي والعذاب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ أي قدّمته من الكفر.

وعبرّ عنه بهما لأنّهما آلة لأكثر الأفعال ﴿وَأَنَّ﴾ عطف على «ما» ﴿اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فيأخذ بغير جرم، والمبالغة لكثرة العبيد.

[١١] ـ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ طرف من الدّين مضطرباً فيه كالقائم على طرف جبل، وباقي الآية بيان هذا المجمل ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾ نعمة ورخاء ﴿اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ محنة وبلاء ﴿انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ عاد الى كفره.

قيل: نزلت في قوم قدموا المدينة وكان أحدهم إذا صحّ جسمه ونتجت فرسه وولدله غلام وكثر ماله قال: ما اصبت بدينى هذا إلاّ خيراً واطمأنّ.

وان كان الأمر بخلافه قال: ما اصبت إلاّ شرّاً وانقلب[2] ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا﴾ بفقد عصمته ﴿وَالآخِرَةِ﴾ بدخول النّار بكفره ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ البيّن.

[١٢] ـ ﴿يَدْعُواْ﴾ يعبد ﴿مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُ وَمَا لاَ يَنْفَعُهُ﴾ أي: جماداً عاجزاً عن الضرّ والنفع ﴿ذَلِكَ﴾ الدّعاء ﴿هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ﴾ عن الرّشد.

[١٣] ـ ﴿يَدْعُواْ لَمَنْ ضَرُّهُ﴾ بكونه معبوداً من ايجابه عذاب الدّارين ﴿أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ الّذي زعمه من الشّفاعة، واللاّم معلّقة لـ«يدعو» لتضمّنه معنى الزّعم وهو قول باعتقاد أو داخلة على جملة محكيّة لانّ «يدعو» بمعنى يقول أي يقول ذلك بصراخ حين يرى استضراره به، أو مستأنفة و«يدعو» تكرير للاوّل و«من» في الكلّ مبتدأ، خبره

---

(١) حجة القراءات: ٤٧٢.

(٢) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير التبيان ٧: ٢٩٦ ـ.

﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَى﴾ النّاصر ﴿وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ الصّاحب .

[١٤] ـ ﴿إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من نفع المؤمن المطيع وضرر المنافق العاصي لا يعجزه شيء .

[١٥] ـ ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَّنْ يَنْصُرَهُ اللهُ [فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾](١) الهاء «لمحمد» صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ كان اعداؤه يغيظهم ، نصر الله له ويتوقعون خلافه ، أو لـ«من» ويراد بالنّصر : الرّزق ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ بحبل ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ سماء بيته يشدّه فيه وفي عنقه ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ كسر اللاّم «أبو عمرو» و«ابن عامر» و«ورش» وسكّنها الباقون(٢) أي ليختنق ، من قطع : اختنق ، إذ الإختناق قطع النّفس بسدّ مجراه ، والمعنى : ليجهد في دفع غيظه أو جزعه بأن يفعل فعل المغتاظ أو الجازع بنفسه .

وقيل : فليمدد حبلاً الى السّماء المظلمة ثم ليقطع المسافة اليها ، فيجهد في دفع نصره(٣) أو نيل رزقه(٤) ﴿فَلْيَنْظُرْ﴾ فليتفكّر ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ﴾ صنعه ذلك ﴿مَا يَغِيظُ﴾ غيظه .

[١٦] ـ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الإنزال لما سبق ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي القرآن ﴿ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ ظاهرات ﴿وَأَنَّ﴾ ولأنّ ﴿اللهَ يَهْدِى﴾ يوفّق به أو يثبت على الهدى ﴿مَنْ يُرِيدُ﴾ توفيقه أو تثبيته ، أنزله كذلك مبيّناً .

[١٧] ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ﴾ يميّز بينهم في احوالهم ومحالّهم ، فيكرم

---

(١) مابين المعقوفتين ليس في النسخ .

(٢) حجة القراءات : ٤٧٣ .

(٣) اي نصرالله له .

(٤) تفسير مجمع البيان ٤ : ٧٥ .

المؤمنين ويدخلهم الجنّة، ويهين غيرهم ويدخلهم النار، وكرّرت «انّ» في الخبر زيادة تأكيد ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ مطّلع عليهم.

[١٨]ـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِى الأَرْضِ﴾ ينقاد لقدرته وتدبيره ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ ان عمّت «من» غير العقلاء فإفراد هذه بالذّكر لظهورها ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ عطف عليه ـ ان سوّغ استعمال المشترك في معنييه معاً ـ، إذ المراد بسجودهم: وضع الجبهة لا المعنى المذكور، لشموله لكلّ النّاس.[١]

أو فاعل لمقدّر أي: ويسجد له بوضع الجبهة كثير، أو: مبتدأ حذف خبره بقرينة خبر قسيمه وهو ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ بإبائه أن يسجد طاعة.

وقيل: «وكثير» تكرير للسّابق مبالغة في كثرة من حقّ عليه العذاب ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللهُ﴾ يشقه بالعقاب[٢] ﴿فَمَالَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ مسعد بالثّواب ﴿إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ من اهانة واكرام.

[١٩] ـــ ﴿هَذَانِ﴾ الجمعان من المؤمنين والكفّار، أهل الملل الخمس ﴿خَصْمَانِ﴾ كلّ منهما خصم للآخر ﴿اخْتَصَمُواْ﴾ جمع، نظراً الى المعنى ﴿فِى رَبِّهِمْ﴾ في دينه.

وقيل: نزلت في ستّة تبارزوا ببدر: «عليّ» و«حمزة» و«عبيدة» ـ من المسلمين ـ، وعتبة وشيبة والوليد ـ من المشركين ـ.[٣]

وقيل: في المسلمين واليهود حين قال كلّ منهما: نحن أحقّ بالله[٤] ﴿فَالَّذِينَ

(١) أي لشمول المعنى.

(٢) في «ج» بالعذاب.

(٣) للحديث مصادر كثيرة، ينظر كتاب العمدة لابن البطريق الفصل السادس والثلاثون.

(٤) معناه في تفسير مجمع البيان ٤: ٧٧ عن ابن عباس.

﴿كَفَرُواْ﴾ فصل خصومتهم المعنيّ بقوله: ﴿انّ الله يفصل بينهم﴾.[(١)] ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ﴾ قدرت على مقاديرهم ﴿ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ﴾ نيران تشملهم كالثّياب ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ الماء المغلي.

قيل: لو نقطت منه نقطة على الجبال لأذابتها.[(٢)]

[٢٠] ـ ﴿يُصْهَرُ﴾ يذاب ﴿بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ من الأحشاء ﴿وَالْجُلُودُ﴾ فباطنهم كظاهرهم في التّأثّر به.

[٢١] ـ ﴿وَلَهُمْ مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ يضربون بها.

والمقمعة: ما يقمع به أي: يردع.

[٢٢] ـ ﴿كُلَّمَا أَرَادُواْ أَنْ يَخْرُجُواْ مِنْهَا﴾ من النّار ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ يأخذ بأنفاسهم فقاربوا الخروج ﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾.

قيل: يضربهم لهبها فيرفعهم الى اعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون فيها[(٣)] ﴿وَذُوقُواْ﴾ وقيل لهم: ذوقوا ﴿عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ النّار المحرقة.

[٢٣] ـ ﴿إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ ما مرّ حال أحد الخصمين، وهذا حال الآخر أي: المؤمنين ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾ يلبسون حليّاً ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ جمع أسورة وهي جمع سوار و«من» للإبتداء ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ بيان لها ﴿وَلُؤْلُوءٍ﴾[(٤)] عطف عليها أو على «ذهب» بأن يرّصع به، ونصبه «نافع» و«عاصم» عطفاً على محلّها، أو بتقدير «ويؤتون»[(٥)] ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

---

(١) في الآية (١٧) من هذه السورة.

(٢) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير الكشّاف ٣: ١٥٠.

(٣) تفسير الكشّاف ٣: ١٥٠ عن الحسن.

(٤) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «ولؤلؤاً» ـ بالنصب ـ كما سيشير اليه المؤلّف ـ.

(٥) تفسير البيضاوي ٣: ٢٠٥ والنشر في القراءات: ٣٢٦ ـ وفيه العاصم والمدنيان.

[٢٤] ـ ﴿وَهُدُوا۟ إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ هو كلمة التوحيد وقول «الحمد لله».
أو القرآن ﴿وَهُدُوا۟ إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ دين المحمود وهو الله، أو طريق المحلّ المحمود وهو الجنة.

[٢٥] ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ﴾ عطف على الماضي بقصد الإستمرار أو حال من واو «كفروا» وخبر «انّ» مقدّر أي: معذّبون. بدليل عجز الآية[١] ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ عن طاعته ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِى جَعَلْنَاهُ لِلنَّاس سوَاءٌ﴾[٢] بالرّفع خبر، مبتدأه ﴿الْعَاكِفُ فِيهِ﴾ المقيم ﴿وَالْبَادِ﴾ الطّارىء والجملة ثاني مفعولي «جعلناه» و«للنّاس» حال من الهاء، أو هو المفعول أي جعلناه متعبّداً أو مستقرّاً لهم، والجملة حال أو بدل من «جعلناه» ونصبه «حفص» على انّه المفعول أو الحال[٣] و«العاكف» فاعله.

والمراد استواؤهما في العبادة في المسجد، ليس لأحدهما منع الآخر.

وقيل: في السّكنى.[٤] ويراد بالمسجد: مكة، أي لا يمنع احد غيره سكنى دورها وللسّاكن اولويّة السّبق ولا يملك إلاّ ما يعمله فيها واثبت «ابن كثير» الياء مطلقاً و«ورش» و«أبو عمرو» وصلاً[٥] ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ حالان مترادفان، والباء فيهما للملابسة، و«الإلحاد» عدول عن القصد، وترك مفعول «يرد» ليعمّ أي من يرد فيه امراً ما، ملابساً للعدول عن القصد والظّلم ﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ جواب «من».

[٢٦] ـ ﴿وإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ أي واذكر إذ بيّنّاه له ليبنيه.

قيل: رفع البيت وانطمس زمن الطّوفان فبعث الله ريحاً فكنست مكانه فبناه،[٦].

---

(١) اي آخرها.

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «سواء» ـ بالنصب ـ كما سيشير اليه المؤلّف ـ.

(٣) تفسير البيضاوي ٣: ٢٠٥.

(٤) قاله ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير ـ كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٨٠.

(٥) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٢٤ و١٢٣.

(٦) تفسير مجمع البيان ٤: ٨٠ مع اختلاف يسير.

وقيل: اللام زائدة و«مكان» ظرف أي: انزلناه فيه ﴿أَنْ﴾ مفسرة لـ«بوّأنا» لتضمّنه معنى تعبدنا أو بتقدير وامرناه أن ﴿لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾ من الأوثان، وفتح «نافع» و«حفص» و«هشام» ياء «بيتى»[1] ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ حوله ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾ المقيمين عنده أو القائمين في الصّلاة ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ المصلّين، جمع راكع وساجد.

[٢٧] ـ ﴿وَأَذِّنْ﴾ ناد ﴿فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ بالأمر به، روى انّه صعد أبا قبيس فقال: ايّها النّاس حجوا بيت ربّكم.[2]

وقيل: الخطاب لنبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم في حجّة الوداع[3] ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ مشاة جمع راجل، كقيام لقائم ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ بعير مهزول أي ركباناً ﴿يَأْتِينَ﴾ صفة «كلّ ضامر» لأنّه بمعنى الجمع ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ طريق بعيد.

[٢٨] ـ ﴿لِّيَشْهَدُوا﴾ ليحضروا ﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ دينيّة ودنيويّة، والتّنكير للتعظيم أو التكثير ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِى أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ هي أيام النحر الأربعة أي ليسمّوا الله فيها ﴿عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ أي على ذبح ونحر ما رزقهم من الإبل والبقر والغنم، هدايا أو ضحايا، وقيل كنّى بالذّكر عن الذّبح؛ إذ لا ينفكّ ذبح المسلمين عنه ايذاناً بأنّه الغرض ممّا يتقرّب به الى الله.[4]

وقال «الصادق» عليه السّلام: هو التّكبير بمنى عقيب خمس عشرة صلاة، اوّلها: ظهر العيد.[5]

وقيل: الأيام: عشر ذي الحجة[6] وهو خلاف الظّاهر ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ وجوباً

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٢٣.

(٢) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٨١ وتفسير البيضاوي ٣: ٢٠٦.

(٣-٤) تفسير البيضاوي ٣: ٢٠٦.

(٥) تفسير مجمع البيان ٤: ٨١.

(٦) تفسير البيضاوي ٣: ٢٠٦.

في الواجبة وندباً في المندوبة وكذا ﴿وَأَطْعِمُواْ الْبَائِسَ﴾ من مسّه: بؤس، أي: ضرّ ﴿الْفَقِيرَ﴾ المحتاج.

[٢٩] ـ ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾ ليزيلوا شعثهم بقصّ الشّارب والظّفر وحلق الشّعر والغسل إذا أحلّوا، وكسر الّلام «ورش» و«قنبل» و«أبو عمرو» و«ابن عامر»[١] ﴿وَلْيُوفُواْ﴾ وشدّده «أبو بكر»[٢] ﴿نُذُورَهُمْ﴾ ما نذروا من البرّ في حجّهم ﴿وَلْيَطَّوَّفُواْ﴾ طواف الزّيارة أو النّساء أو الوداع أو ما يعمّها، وكسر «ابن ذكوان» اللاّمين[٣] ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ القديم لانّه أوّل بيت وضع.

أو: الكريم، أو: المعتق من الغرق، أو: من تسلّط الجبابرة، فمن قصده بهدم هلك، ولم يهلك الحجّاج ببركة نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم لعصمة امّته من عذاب الإستئصال.[٤]

[٣٠] ـ ﴿ذَلِكَ﴾ أي الأمر، ذلك المذكور ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ﴾ وهي ما لا يحلّ هتكه من جميع التكاليف، أو ما يتعلّق بالحجّ.

وتعظيمها: رعايتها وحفظها ﴿فَهُوَ﴾ أي تعظيمها ﴿خَيْرٌ لَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ ثواباً ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأنْعَامُ﴾ كلّها أكلاً ﴿إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه في ﴿حرمت عليكم الميتة﴾[٥] ـ الآية ـ ونحوها، فلا تحرّموا منها ﴿ما احلّ الله﴾ كالبحيرة[٦] ﴿فَاجْتَنِبُواْ الرِّجْسَ مِنَ الأوْثَانِ﴾ «من» بيانيّة أي الّذي هو الأوثان ﴿وَاجْتَنِبُواْ قَوْلَ الزُّورِ﴾ هو الكذب أو شهادة الزّور أو قولهم: «هذا حلال وهذا حرام».[٧]

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١١٦.

(٢) تفسير البيضاوي ٣: ٢٠٦.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١١٦.

(٤) تفسير التبيان ٧: ٣١١ ـ ونظيره في تفسير البيضاوي ٣: ٢٠٦.

(٥) سورة المائدة: ٥/ ٣.

(٦) تقدم الكلام عنها في سورة المائدة: ٥/ ٨٧ وهي الناقة والشاة التي كانوا يحرمونها في الجاهلية.

(٧) سورة النحل: ١٦/ ١١٦

والزّور من الزَّوْر: الميل. [١]

[٣١] ـ ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾ موحّدين له ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ تأكيد لـ«حنفاء» وهما حالان من «الواو» ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي فقد أهلك نفسه هلاك من سقط منها ﴿فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾ تأخذه بسرعة، فترفعه قطعاً في حواصلها.

وشدّده «نافع» [٢] ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ﴾ تسقطه ﴿فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ بعيد، و«أو» للإباحة في التّشبيهين.

[٣٢] ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الأمر ذلك ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ دينه أو مناسك الحجّ أو الهدايا، ويعضده ظاهر ما بعده.

وتعظيمها: استحسانها والمغالاة بأثمانها ﴿فَإِنَّهَا﴾ فإنّ تعظيمها ناش ﴿مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ أي قلوبهم.

[٣٣] ـ ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ درّها وظهرها ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ وقت نحرها ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا﴾ مكان حلّ نحرها ﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي ما يقرب منه.

قيل: هو الحرم كلّه. [٣]

وعندنا انّه في الحجّ: منى، وفي العمرة المفردة «مكّة» بالحزورة. [٤]

ومن فسّرها بالدّين قال: لكم فيها منافع الثّواب مذخوراً الى يوم القيامة، ويأوّل البيت العتيق بالمعمور أو الجنّة.

ومن فسّرها بالمناسك، قال: لكم فيها منافع التّجارات الى وقت عودكم، وانّها

---

(١) في تفسير البيضاوي ٣: ٢٠٧: والزور من الزور هو الاعراف ـ كما ان الإفك من الإفك وهو الصرف، فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع.

(٢) حجة القراءات: ٤٧٦.

(٣) تفسير مجمع البيان ٤: ٨٤.

(٤) تقدم الكلام في الحزورة في الآية ٩٥ من سورة مائدة فيراجع.

تنتهي الى البيت بالتّحلّل بالطّواف به .

[٣٤] ـ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأُمم ﴿جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ قرباناً أو متعبّداً، وكسره «حمزة» و«الكسائي» أي مكان نسك[1] ﴿لِيَذْكُرُواْ اسْمَ اللهِ﴾ علّة للجعل تفيد أنّ الغرض من المناسك تذكّر المعبود ﴿عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ﴾ عند ذبحها ويفيد اختصاص القربان بها ﴿فَإِلٰهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ لا شريك له فلا تذكروا على ذبائحكم إلاّ اسمه ﴿فَلَهُ أَسْلِمُواْ﴾ انقادوا ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ الخاضعين الخاشعين .

[٣٥] ـ ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ لهيبته ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾ من المصائب ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلٰوةِ﴾ في اوقاتها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ في سبيل الخير.

[٣٦] ـ ﴿وَالْبُدْنَ﴾ الإبل، جمع بدنة، من بدن بدانة: ضخم، ونصب بفعل يفسّره ﴿جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ﴾ أعلام دينه ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ نفع دينيّ ودنيويّ ﴿فَاذْكُرُواْ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا﴾ عند نحرها ﴿صَوافَّ﴾ قائمات، قد صففن ايديهنّ وارجلهنّ ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ سقطت الى الأرض أي ماتت بالنّحر ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ الْقَانِعَ﴾ الّذي يقنع بما يعطى ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ المعترض بسؤال أو بدونه ﴿كَذَلِكَ﴾ التّسخير أي هكذا ﴿سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾ مع ضخمها وقوّتها فتقودونها وتحبسونها ثم تنحرونها ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمنا عليكم .

[٣٧] ـ ﴿لَنْ يَنَالَ اللهَ﴾ لن يصعد إليه ﴿لُحُومُهَا وَلَادِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ﴾ يصعد إليه ﴿التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ الموجبة لإخلاص العمل لله وقبوله منه .

وقيل: كان أهل الجاهليّة يلطخون الكعبة بدماء قرابينهم قربة الى الله تعالى فنزلت[2] ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ كرّر ليعلّل بقوله: ﴿لِتُكَبِّرُواْ اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾

---

(١) حجة القراءات: ٤٧٦.

(٢) تفسير البيضاوي ٣: ٢٠٨ .

ارشدكم لإعلام دينه ومناسك حجّه، ولتضمّن «تكبّروا» معنى تشكروا، تعلّقت به على: ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي الموحّدين.

[٣٨] ـ ﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ﴾ بصيغة المغالبة[١] للمبالغة، وقرأ «ابن كثير» و«أبو عمرو»، «يدفع»[٢] ﴿عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ كيد المشركين ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ لله بإشراكه به ﴿كَفُورٍ﴾ جحود لنعمه أي لا يرضى عنهم.

[٣٩] ـ ﴿أُذِنَ﴾ وبناه «ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي» للفاعل، أي: الله[٣] ﴿لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ﴾[٤] المشركين، وحذف المأذون فيه لدلالته عليه، وفتح التّاء «نافع» و«ابن عامر» و«حفص» أي: للّذين يقاتلهم المشركون[٥] ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب انّهم ﴿ظُلِمُواْ﴾ وهم المؤمنون.

كان المشركون يؤذونهم بضرب وغيره فيتظلّمون الى النبّي صلّى الله عليه وآله وسلّم فيقول لهم: اصبروا فإنّي لم أُؤمر بالقتال، حتّى هاجر، فأُنزلت وهي اوّل آية في القتال[٦] ﴿وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ عدة لهم بالنّصر.

[٤٠] ـ ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُواْ﴾ مدح مرفوع أو منصوب ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ مكّة ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُواْ رَبُّنَا اللهُ﴾ أي بغير موجب سوى التّوحيد الموجب للإقرار لا الإخراج.

قال «الباقر» عليه السّلام: نزلت في المهاجرين وجرت في آل محمّد صلّى الله عليه وآله

---

(١) كذا في النسخ.

(٢) حجة القراءات: ٤٧٧.

(٣) تفسير البيضاوي ٣: ٢٠٨.

(٤) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «يقاتلون» بفتح التاء ـ كما سيشير اليه المؤلّف ـ.

(٥) حجة القراءات: ٤٧٨.

(٦) تفسير مجمع البيان ٤: ٨٧.

وسلّم، اخرجوا واخيفوا[١] ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ﴾ وقرأ «نافع» و«دفاع»[٢] ﴿اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ﴾ بدل البعض من النّاس ﴿بِبَعْضٍ﴾ بنصر المسلمين على الكفّار ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ وخفّفه «ابن كثير» و«نافع»[٣] ﴿صَوَامِعُ﴾ للرّهبان ﴿وَبِيَعٌ﴾ كنائس للنّصارى ﴿وَصَلَوَاتٌ﴾ كنائس لليهود، سميّت بها لأنّها يصلّى فيها.

وقيل: هي بالعبريّة «صلوتا» فعرّبت[٤] ﴿وَمَسَاجِدُ﴾ للمسلمين ﴿يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا﴾ صفة للأربع بالنّظر الى ما قبل انحراف من انحرف، أو للمساجد، خصّت بها تشريفاً.

وقيل: الكلّ اسماء للمساجد[٥] ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ ينصر دينه، وقد انجز وعده ﴿إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ﴾ على النّصر ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يغالب.

[٤١] ـ ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ وصف لـ«الذين اخرجوا» أو بدل من «من ينصره».

قال «الباقر»: نحن هم[٦] ﴿أَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ جواب الشرط وهو وجوابه صلة «الّذين» ﴿وَللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ لا يملكها في الآخرة سواه.

[٤٢ـ٤٣] ـ ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ * وَقَوْمُ إِبْراهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾.

---

(١) تفسير مجمع البيان ٤: ٨٧.

(٢-٣) حجة القراءات: ٤٧٩.

(٤) قاله ابن عباس والضحاك وقتادة ـ كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٨٧ ـ وفي تفسير البيضاوي ٣: ٢٠٩ صلوثا.

(٥) تفسير مجمع البيان ٤: ٨٧.

(٦) تفسير مجمع البيان ٤: ٨٨.

[٤٤] ـ ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ تسلية لـه صلى الله عليه وآله وسلّم عن تكذيب قـومه له بتكذيب تلك الأمم لرسلهم ﴿وَكُذِّبَ مُوسَى﴾ كذّبه «القبط» لا قومـه: بنو اسرائيل، ولذا غيّر فيه النّظم ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ فأمهلتهم وأخّرت عقوبتهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ انكاري عليهم بالإنتقام منهم بتكذيبهم، واثبت «ورش» الياء حيث وقع.[1]

[٤٥] ـ ﴿فَكَأَيِّنْ﴾ فكم ﴿مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ وقرأ «أبو عمـرو»: «أهلكتها»[2] ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ أي أهلها بالكفر، حال ﴿فَهِيَ خاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ ساقطة حيطانها على سقـوفها، أو خاليـة مع بقاء سقـوفها، عطف علـى «اهلكناها» لا علـى الحال ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ عطف على «قـرية»، أي بئـر متروكـة بموت أهلهـا ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ مجصّص أو: مرفوع هلك أهله فخلا.

[٤٦] ـ ﴿أَفَلَـمْ يَسِيـرُواْ فِي الأَرْضِ﴾ ليتعـرّفوا حـال المكـذّبين قبلهم فيعتبـروا ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ ما أصاب اولئك بتكذيبهم ﴿أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ اخبـار إهلاكهـم سمـاع تدبـّر ﴿فإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ﴾ الهـاء للقصـة، أو مبهـم يفسّره الأبصار وفاعل «تعمى» ضميره ﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فِي الصُّدُورِ﴾ أي لا عمى لأبصارهـم، وانّما العمـى لقلوبهـم عـن الإعتبـار، وقيّـد بالصـدور تـاكيداً أو رفعاً للتّجوّز.

[٤٧] ـ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ الّذي أوعدوه[3] ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ﴾ بإنزالـه وقد أنجزه يـوم «بدر» ﴿وَإِنَّ يَوْمًا﴾ من ايّام عذابهم ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ في الآخرة ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ في الدّنيا.

(١ـ٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٢٤ و١٢١.

(٣) في «ج» العذاب الذي اوعدوه.

وقيل: المـراد بيان طـول اناتـه باستقصـاره المدّة الطّـويلة،[١] وقـرأ «ابن كثيـر» و«حمزة» و«الكسائي» بياء الغيبة.[٢]

[٤٨] ـ ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَـرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِـىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَـذْتُهَا﴾ المراد أهلهـا، وعطف السّابق بـالفاء لأنّه بدل مـن «فكيف كان نكير» وهذا بـالواو لسوقه لبيـان وقوع العذاب بهم وان امهلوا كالجملتين قبله ﴿وَإِلَىَّ الْمَصِيرُ﴾ مرجع الكلّ.

[٤٩] ـ ﴿قُلْ يـاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ لما انذركم به.

[٥٠] ـ ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ نعيم الجنّة، فإنّه أفضل رزق.

[٥١] ـ ﴿وَالَّذِينَ سَعَوا فِـى ءَايَاتِنا﴾ القـرآن بالإبطـال ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ المعاجزة: المسابقـة أي مسابقيـن لنا، ظانّيـن أن يفـوتونا. أو: يتمّ كيـدهم، وقـرأ «ابـن كثير» و«أبو عمرو» «معجّزين» مشدّداً حيث كان[٣] أي مثبطين من يتّبع الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم أو ناسبيهم الى العجز ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ النّار.

[٥٢] ـ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ﴾ قيل: الرّسول من بعث بشريعة يبلّغها، والنّبيّ يعمّه ومن يحفظها.[٤]

وقيل: الرّسول من يأتيه الملك بالوحي، والنّبيّ يعمّه، ومن يوحى إليه بالمنام.[٥]

وعن أهل البيت عليهم السّلام نحوه[٦] ﴿إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى﴾ بقلبه أُمنية ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ

---

(١) تفسير التبيان ٧: ٣٢٧.

(٢) تفسير البيضاوي ٣: ٢١٠ ـ وورد نظيره في تفسير التبيان ٧: ٣٢٧ وحجة القراءات: ٤٨٠.

(٣) تفسير البيضاوي ٣: ٢١٠ وحجة القراءات: ٤٨٠.

(٤) تفسير البيضاوي ٣: ٢١٠.

(٥) تفسير التبيان ٧: ٣٢٩ وتفسير مجمع البيان ٤: ٩١.

(٦) اصول الكافي ١: ١٧٦.

﴿فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ وسوس إليه فيها بالباطل يدعوه إليه ﴿فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ فيبطله ويزيله بعصمته وهدايته الى ما هو الحق ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ ءَايَاتِهِ﴾ يثبت دلائله الداعية الى مخالفة الشّيطان ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ﴾ بكلّ شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره.

أو المعنى: إذا تمنّى أي قرأ ما يبلّغه قومه حرّفوه وزادوا فيه ونقصوا كما فعله اليهود.

واسند الى الشّيطان لأنّه بتسويله، فيزيل الله تحريفهم بإقامة حجة.

وهذا تسليه له حين افترى عليه المشركون ونسبوا الى قرآنه ما لم يكن فيها من المدح لآلهتهم يوافق تعليل تمكين الشّيطان من الإلقاء بقوله:

[٥٣] ـ ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً﴾ الدّال على ظهور الملقى للنّاس بخلاف الأوّل لخفاء تمنّي القلب فكيف يكون امتحاناً ﴿لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ شك ونفاق ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ المشركين ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ أي الحزبين، وضع موضع ضميرهم ايذاناً بظلمهم ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾ خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحقّ أو عن الرّسول وتبعته.

[٥٤] ـ ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ﴾ بتوحيد الله وحكمته ﴿أَنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿الْحَقُّ﴾ الّذي لا يأتيه الباطل منزلاً ﴿مِنْ رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِ﴾ يثبتوا على إيمانهم أو يزدادوا إيماناً ﴿فَتُخْبِتَ﴾ تخشع وتطمئن ﴿لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ طريق مستو أي يثبتهم على الدّين أو يهديهم الى طريق الجنّة

[٥٥] ـ ﴿وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّنْهُ﴾ من القرآن ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ يوم بدر.

سمّي به لأنّه لا خير فيه للكفّار كالرّيح العقيم الّتي لا تأتي بخير، أو لأنّه لا مثل له، لقتال الملائكة فيه، أو: يوم القيامة لأنّه لا ليل ـ أو: لا مثل ـ له. ويراد بالسّاعة: أشراطها. أو: الموت.

[٥٦] ـ ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم القيامة ﴿لِلَّهِ﴾ وحده ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ بين

المؤمنين والكافرين بما بيّنه بقوله: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

[٥٧] ـ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ لهم، لشدّته.

[٥٨] ـ ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى سَبِيلِ اللهِ﴾ في طاعته من مكّة الى المدينة أو من اوطانهم في سرّية ﴿ثُمَّ قُتِلُواْ﴾ في الجهاد، وشدّده «ابن عامر»[١] ﴿أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ نعيم الجنّة، وسوّى بين من قتل ومن مات بالوعد لاستوائهما في النيّة ﴿وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ لانتهاء كلّ رزق إليه.

[٥٩] ـ ﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُّدْخَلاً﴾ بالضمّ، وفتحه «نافع» وهو مصدر أو اسم مكان[٢] ﴿يَرْضَوْنَهُ﴾ هو الجنّة ﴿وَإِنَّ اللهَ لَعَلِيمٌ﴾ بأحوالهم ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعجّل العقوبة.

[٦٠] ـ ﴿ذَلِكَ﴾ الأمر ذلك ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ جازى من ظلمه بمثل ما ظلمه به.

وسمّى الإبتداء بالظّلم عقوبة وهي الجزاء، للإزدواج[٣] ﴿ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ﴾ عاوده الظّالم بالظّلم ﴿لَيَنْصُرَنَّهُ اللهُ﴾ على الباغي ﴿إِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ للمبغي عليه، إذا انتصر وترك الاولى المندوب إليه وهو العفو.

[٦١] ـ ﴿ذَلِكَ﴾ النّصر ﴿بِأَنَّ اللهَ يُولِجُ الَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِى الَّيْلِ﴾ بسبب انّه القادر الّذي من قدرته ادخال كلّ من الملوين[٤] في الآخر بالزّيادة والنقصان ﴿وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ للأقوال ﴿بَصِيرٌ﴾ بالأفعال.

[٦٢] ـ ﴿ذَلِكَ﴾ الوصف بالقدرة والعلم ﴿بِأَنَّ اللهَ﴾ بسبب انّه ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ الثّابت الإلهيّة المستلزمة للقدرة والعلم ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ يعبدون، وقرأ «نافع»

(١ـ٢) حجة القراءات: ٤٨١.

(٣) الازدواج ـ في البديع ـ: تناسب المتجاورين، نحو: من سباءٍ بنباءٍ يقين (سورة النمل).

(٤) الملوان: الّيل والنهار.

و«ابن عـامر» و«أبو بكـر» بتاء الخطاب للمشـركين[1] ﴿مِنْ دُونِـهِ هُوَ الْبَـاطِلُ﴾ الزّائل المعدوم الإلـهيّة ﴿وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ على كلّ شيء ﴿الْكَبِيرُ﴾ عن أن يعدله شيء.

[٦٣] ـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهام تقرير ﴿أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَـاءِ مَاءً﴾ مطراً ﴿فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ بالنّبات، وهـذا من قدرته الكـاملة ونعمته الشّاملـة، عطف بصيغة المضارع على «انزل» ايذاناً ببقاء أثر المطر مدّة طويلة، ولم ينصب جواباً لإيهامه نفي الإخضرار كقـولك: ألم تر اني زرتـك فتكرمني؟ والمراد اثبـاته ﴿إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ﴾ في أفعاله ﴿خَبِيرٌ﴾ بتدبير خلقه.

[٦٤] ـ ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً ﴿وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن كل شيء ﴿الْحَمِيدُ﴾ المستحقّ الحمد لذاته.

[٦٥] ـ ﴿أَلَمْ تَـرَ أَنَّ اللهَ سَخَّـرَ لَكُـمْ مَـا فِي الأَرْضِ﴾ من البهائم وغيـرها، ذلّلها لمنافعكم ﴿وَالْفُلْكَ﴾ عطـف على «مـا» ﴿تَجْرِي فِـي الْبَحْرِ بِأَمْـرِهِ﴾ حـال منهـا ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ﴾ من أن أو كـراهـة أن ﴿تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ﴾ بأن طبعهـا على الإستمساك ﴿إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ بمشيئته، فإذا شاء أبطـل استمساكها فتهبط ﴿إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث فعل لهم ما فيه منافع الدّارين.

[٦٦] ـ ﴿وَهُـوَ الَّذِي أَحْيَـاكُمْ﴾ بعد ان كنتـم امواتـاً جماداً ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند آجالكم ﴿ثُمَّ يُحيِيكُمْ﴾ عنـد بعثكم ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ﴾ أي المشـرك ﴿لَكَفُورٌ﴾ لجحود للنّعم بشركه.

[٦٧] ـ ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ بالقرائتين، [2] شريعة أو متعبّداً ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ عاملون به، أو فيه ﴿فَلا يُنَازِعُنَّكَ﴾ أي بقايا الأُمم ﴿فِي الأَمْرِ﴾ زجر لهم عن منازعته صلّى الله عليه وآلـه وسلّم فـي أمـــر الدّيـنْ اذ كـانوا يقـولــون مـا لكـم تأكلـون ما قتلتم ولا

(١) تفسير البيضاوي ٣: ٢١٢ وحجة القراءات: ٤٨٢.

(٢) المتقدمين في الآية (٣٤) من هذه السورة.

تأكلون ما قتـل الله؟ .

أو نهي له صلّى الله عليه وآله وسلّم عن منازعتهم لتضمّن المفاعلة للعكس ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ الى دينه الّذي انت عليه ﴿إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ دين قيّم .

[٦٨] ـ ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ﴾ بعد لزوم الحجّة ﴿فَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من المراء وغيره، فيجازيكم به، وعيد برفق .

[٦٩] ـ ﴿اللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ ايّها المؤمنـون والكافرون ﴿يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فِيمَـا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدّين بإثابة المحقّ وتعذيب المبطل .

[٧٠] ـ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ ومنه أمر هؤلاء ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ هو اللّوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ العلم به وكتبه في اللّوح ﴿عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ لاستواء نسبة ذاته الى كلّ المعلومات والمقدورات .

[٧١] ـ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَمْ يُنَـزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ حجّة على صحّة عبادته ﴿وَمَـا لَيْسَ لَهُمْ بِـهِ عِلْمٌ﴾ من ضـرورة العقل ونظـره ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ بالشّـرك ﴿مِنْ نَّصِيرٍ﴾ يمنعهم من العذاب .

[٧٢] ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾ من القـرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ ظاهرات الـدّلالة على الحق ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمُنْكَرَ﴾ الإنكار لها، أي اثره من العبوس لشّدة بغضهم للحقّ ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِـالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـاتِنَا﴾ يبطشـون بهم ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكُمُ﴾ من غيظكم على التّالين، أو بـأكره اليكم من القرآن ﴿النَّارُ﴾ أي هو النّـار. كأنّه جواب قـائل: ما هو؟ أو «النّار» مبتـدأ وخبره: ﴿وَعَدَهَـا اللهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ والجـملة استـئناف، وعـلى الاوّل «وعـــدها» استئنـاف أو حـال ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ هي .

[٧٣] ـ ﴿يـا أَيُّهَـا النَّـاسُ ضُـرِبَ مَثَلٌ﴾ بيّنت قصّـة كـالمثل في الإستغـراب ﴿فَاسْتَمِعُواْ لَهُ﴾ فتدبّروه وهو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَـدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ تعبدونهم غيـره وهـم الأصنام ﴿لَنْ يَخْلُقُواْ ذُبابًا﴾ يعجزون عن خلقـه مع حقارته وهو اسـم جنس، واحده

ذبابة ﴿وَلَوِ اجْتَمَعُواْ لَهُ﴾ «ولو» للمبالغة وجوابها مقدّر، أي: ولو اجتمعوا لخلقه لن يخلقوا ـ أيضاً ـ ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ ممّا عليهم من طيب وزعفران، إذ كانوا يطلونهم به، فيأتي الذّباب فيأكله ﴿لاَّ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ لعجزهم، فإذا عجزت عن خلق هذا الضّعيف بل عن مقاومته واستخلاص ما يسلبها منه كيف تشارك الخالق المتفرد بالقدرة على كلّ شيء في الإلهيّة؟ فهذا أمر مستغرب ومنه يتعجّب ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ العابد والمعبود، أو الذّباب والصّنم أو عكسه.

[٧٤] ـ ﴿مَا قَدَرُواْ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ما عرفوه حقّ معرفته إذا شركوا به ما يعجز عن ذبّ الذّباب عن نفسه ﴿إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ﴾ قادر ﴿عَزِيزٌ﴾ غالب، فكيف يشاركه العاجز المغلوب لأضعف خلقه.

[٧٥] ـ ﴿اللهُ يَصْطَفِى مِنَ الْمَلائِكَـةِ رُسُلاً﴾ الى انبيائه بالوحي ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ رسلاً الى سائرهم يبلّغونهم ما اوحي اليهم، وهذا ردّ لمعتقدهم في الرّسالة من انّ الرّسول لا يكون بشراً بعد ردّ عقيدتهم في الإلهيّة، وعلى من جعل الملائكة أو الأنبياء اولاداً ﴿إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ للأقوال ﴿بَصِيرٌ﴾ بالمصالح والأحوال.

[٧٦] ـ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما مضى وما غبر[1] من احوالهم ﴿وَإِلَى اللهِ﴾ الى علمه أو تدبيره ﴿تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ كلّها.

[٧٧] ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ ارْكَعُواْ وَاسْجُدُواْ﴾ أي صلّوا ﴿وَاعْبُدُواْ رَبَّكُمْ﴾ بكلّ ما تعبّدكم به، ﴿وَافْعَلُواْ الْخَيْرَ﴾ كصلة الرّحم ومكارم الإخلاق ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي: راجين للفوز بنعيم الجنّة، غير قاطعين به، متكلين على أعمالكم.

[٧٨] ـ ﴿وَجَاهِدُواْ فِى اللهِ﴾ لوجهه بخلاف النفس والهوى في طاعته وبقتال الكفرة لإقامة دينه ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾ أي جهاداً حقّ الجهاد فيه بأن تخلصوه لوجهه أو تستفرغوا وسعكم فيه ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ اختاركم لدينه ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي ضيق لا مخرج عنه، بل جعل التوبة والكفارات وردّ المظالم والرّخص

(١) الغبر: البقاء ويستعمل بمعنى المضيّ ايضاً فيكون من الأضداد.

في الضّرورات مخرجاً من الذنوب.

أو: ضيق بتكليفكم ما لا تطيقون أو يصعب عليكم.

وهذا ينفي خلقه تعالى للكفر بدون تأثير لقدرتهم واختيارهم فيه، وإلاّ كان نهيه عنه من أعظم الحرج، ولا يلزم مثله في علمه تعالى بوقوع الكفر، لأنّ العلم لا يرفع قدرة المكلّف لأنّه تابع للمعلوم فلا أثر له فيه ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ نصب على الإغراء ـ أو: الإختصاص أو: بنزع الخافض ـ «الكاف».

وسمّاه أباهم لأنّه أبو الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو كالأب لأُمّته، أو لأنّه أبو أكثر العرب، فغلّبوا على غيرهم ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل القرآن في الكتب السّابقة ﴿وَفِى هَذَا﴾ وفي القرآن، والضّمير لله أو لـ«ابراهيم» وكانت تسميتهم فيه بسبب تسميته من قبل في قوله: ﴿ومن ذرّيّتنا امّة مسلمة لك﴾.[1] ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة بأنّه بلّغكم أو بطاعتكم وعصيانكم ﴿وَتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ بتبليغ رسلهم اليهم ﴿فَأَقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ الزَّكَوٰةَ وَاعْتَصِمُواْ بِاللهِ﴾ وثقوا به ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ومتولّي اموركم ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ أي: النّاصر لكم هو.

عن «الباقر» عليه السّلام في: ﴿يا ايّها الذين ءامنوا﴾ الى آخره ﴿هو اجتباكم﴾قال: ايّانا عنى، ونحن المجتبون، ولم يجعل الله تبارك وتعالى علينا في الدّين من حرج.

«ملّة ابيكم ابراهيم» ايّانا عنى خاصّة، «هو سمّاكم المسلمين» الله ـ عزّ وجلّ ـ سمّانا المسلمين، «من قبل» في الكتب الّتي مضت، «وفي هذا» القرآن «ليكون الرّسول» الى آخره، فرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الشّهيد علينا بما بلغنا عن الله تبارك وتعالى، ونحن الشّهداء على النّاس، فمن صدّق يوم القيامة [صدّقناه] ومن كذّب كذّبناه.[2]

(١) سورة البقرة: ٢/ ١٢٨.

(٢) اصول الكافي ١ : ١٩١ الحديث(٤) ومابين المعقوفتين من المصدر.

سورة المؤمنون

[٢٣]

مائة وتسع عشرة آية[١] وهي مكية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ـ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فازوا بما طلبوا، و«قد» للتّحقيق واثبات المتوقع وتقريب الماضي من الحال، ولاريب انّ المؤمنين كانوا متوقّعين ذلك فصدّرت بها بشارتهم، وعن «ورش» إلقاء فتحة الهمزة على الدّال وحذفها.[٢]

[٢] ـ ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ متذلّلون لله، خاضعون[٣] ساكنون لا تعدوا أبصارهم مساجدهم.

قيل: كان صلّى الله عليه وآله وسلّم يصلّي رافعاً بصره الى السّماء فلمّا نزلت، رمى به الى مسجده.[٤]

---

(١) كذا ورد في الاصول مع انّ عدد آيات السورة هو مائة وثماني عشرة آية، وفي تفسير البيضاوي ٣: ٢١٥: . . . وهي مائة وتسع عشرة آية عند البصريّين وثماني عشرة عند الكوفيّين.

(٢) تفسير البيضاوي ٣: ٢١٥.

(٣) ليس في «ب»: «خاضعون».

(٤) نقله البيضاوي في تفسيره ٣: ٢١٥.

[٣] ـ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾ السّاقط من قول وفعل ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يلتفتون إليه ولا يقاربونه فضلاً عن فعله.

[٤] ـ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَاعِلُونَ﴾ مدحهم باستكمالهم الطّاعات البدنيّة من الخشوع في الصلاة وتجنّب ما يجب شرعاً أو عرفاً تجنّبه، والماليّة من فعل الزّكاة والمراد بها الحدث لأنّ الفاعل انّما يفعله لا العين المخرجة إلاّ أن يقدر مضاف أي لأداء الزّكاة فاعلون.

[٥] ـ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾.

[٦] ـ ﴿إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ زوجاتهم أو سرّيّاتهم و«على» بمعنى «عن» أو: حال بتقدير: إلاّ والين[1] على ازواجهم أي: حفظوها في عامّة الأحوال إلاّ في حال تزوّجهم أو تسرّيهم.

وعبرّ بـ«ما» لقلّة عقولهنّ وتملّكهن كسائر السّلع،[2] وافردت هذه بعد دخولها في الإعراض عن اللّغو لانّ الملامسة ألذّ لهوٍ للنّفس وقمعها عنه صعب ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ على اتيانهنّ.

[٧] ـ ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ المحدود ﴿فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ المتجاوزون ما حدّ لهم.

[٨] ـ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ لما ائتمنوا عليه وعاهدوا من جهة الله أو النّاس ﴿رَاعُونَ﴾ حافظون، وقرأ «ابن كثير»: «لأمانتهم» مفرداً لأنّ أصلها مصدر.[3]

---

(١) قال الزمخشري في تفسير الكشّاف ٣: ١٧٦ ـ«على أزواجهم» في موضع الحال، اي إلاّ والين على ازواجهم، او قوامين عليهنّ، من قولك: كان فلان على فلانة، فمات عنها فخلّف عليها فلان، ونظيره: كان زياد على البصرة اي والياً عليها. . .

(٢) السلعة ـ بالكسر ـ: المتاع.

(٣) تفسير البيضاوي ٣: ٢١٥ ـ ٢١٦.

[٩] ـــ ﴿وَالَّـذِينَ هُـمْ عَلَى صَلَـوَاتِهِـمْ﴾[١] وافـردهـا «حمـزة» و«الكسـائي»[٢] ﴿يُحَافِظُونَ﴾ يؤدّونها لأوقاتها بحدودها، ولفظ المضارع لتجدّدها وتكرّرها.

والمحافظة اعمّ من الخشوع فلا تكرار ولفظها[٣] وقع الإفتتاح والختم بها.

[١٠] ـ ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ دون غيرهم.

[١١] ـ ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ بيان للموروث، واستعيرت الوراثة لإستحقاقهم الفردوس بأعمالهم مبالغة فيه.

وقيل: يرثون منازل الكفّار فيها وهي الجنّة، أو أعلى الجنان[٤] فلذا انّث ضميرها في: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[١٢] ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ﴾ صفوة سلّت[٥] من الكدر ﴿مِّنْ طِينٍ﴾ متعلق بـ«سلالة» أو بمحذوف لأنه صفتها، فـ«من» للإبتداء كالاولى، أو بيانيّة.

و«الإنسان» آدم خلـق من صفوة استلّت مـن الطّين أو الجنس لأنّهم خلقـوا من نطف استلّت موادّها من طين أو من آدم على تسميته طيناً لخلقه منه.

[١٣] ـ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ أي الإنسان نسل آدم يعني جوهـره، أو جعلنا السّلالة على تأويل الماء ﴿نُطْفَةً﴾ منياً ﴿فِي قَرَارٍ﴾ مستقّر هـو الرّحم ﴿مَّكِينٍ﴾ وصف المحـلّ بصفة الحال مبالغة.

[١٤] ـ ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا﴾ صيّرنا ﴿النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ دماً جامداً ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ قطعـة لحم ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَـةَ عِظَامًـا فَكَسَوْنَـا الْعِظَامَ﴾ جمعت لاختـلافها شكـلاً

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «صلوتهم» ـ بالإفراد ـ.
(٢) تفسير البيضاوي ٣: ٢١٦ وتفسير التبيان ٧: ٣٥٠ وحجة القراءات: ٤٨٣.
(٣) اي الصلاة.
(٤) تفسير البيضاوي ٣: ٢١٦.
(٥) في «ج» سلمت.

وصلابة، ووحّدها «ابن عـامر» و«أبو بكر» فيهما على ارادة الجنس[١] ﴿لَحْمًا﴾ انبتناه عليها ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ بنفخ الرّوح فيـه و«ثمّ» في الموضعين لتراخـي الرّتبة ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ﴾ دام خيره وتعالى شأنه ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ المقدّرين.

[١٥] ـ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ المذكور من تمام الخلق ﴿لَمَيِّتُونَ﴾ عند آجالكم.

[١٦] ـ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ للحساب والجزاء.

[١٧] ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَـوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ سماوات، جمع طريقـة لأنّها طريق الملائكة والكـواكب فيها مسيرها، أو لأنّها طـورق بعضها على بعض أي اطبق ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ﴾ أي كلّ المخلوقات ﴿غَافِلِينَ﴾ تاركين تدبيرها، بل ندبّر أمرها ونتقن صنعها على مقتضى الحكمة والمصلحة.

[١٨] ـ ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَـاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ بمقدار يـوافق المصلحة أو بتقديـر يعمّ نفعه ويؤمن ضرّه ﴿فَأَسْكَنَّاهُ﴾ أثبتناه ﴿فِى الأَرْضِ﴾ مدداً للينـابيع والآبار ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ﴾ على اذهابه ﴿لَقَادِرُونَ﴾ ولو فعلنا لهلك كلّ حيوان ونبات.

[١٩] ـ ﴿فَأَنْشَـأْنَا لَكُـمْ بِهِ﴾ بالمـاء ﴿جَنَّـاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَـابٍ لَّكُـمْ فِيهَا﴾ في الجنّات ﴿فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ تتفكّهون بها ﴿وَمِنْهَا﴾ من[٢] الجنّات أي ثمارهـا وزرعها ﴿تَأْكُلُونَ﴾ تطعمون أو تتعيشون، أو الضّمير لـ«نخيل» و«الأعناب» أي لكم من ثمرها انواع من الفواكهة وطعام تأكلون.[٣]

[٢٠] ـ ﴿وَشَجَرَةً﴾ عطف على «جنّات» ﴿تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ وطور سينين جبل «موسى» بين «مصر» و«ايلة».[٤]

---

(١) تفسير التبيان ٧ : ٣٥٢ ـ حجة القراءات : ٤٨٤.

(٢) كلمة«من» موجود في«ج».

(٣) في«ج» تأكلونه.

(٤) ايلة ـ بالفتح ـ: مدينة على ساحل بحر القلزم ممايلي الشام. ـ مراصد الاطلاع/ ٥٣.

والطّور: الجبل. وسيناء: بقعة اضيف اليها، أو: هما علم مركّب له، ومنع صرفه ـ لأنّه فعلاء كصحراء، وعلى قراءة الكسر لـ«نافع» و«أبي عمرو» و«ابن كثير»[1] فللتّعريف والعجمة، أو التّأنيث بتأويل البقعة، لا بالألف لأنّه فيعال كقيراط ﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ الباء للمصاحبة أي متلبساً بالدهن أو للتّعدية، وقرأه «ابن كثير» و«أبو عمرو» رباعيّاً [2] بتقدير: تنبت زيتونها متلبّساً (بالدّهن. أو: من انبت بمعنى: نبت)[3] ﴿وَصِبْغٍ لِلآكِلِينَ﴾ عطف على «الدّهن» أي ادام يصبغ فيه الخبز أي يغمس فيه للإئتدام.

[٢١] ـ ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأنْعامِ لَعِبْرَةً﴾ اعتباراً ﴿نُسْقِيكُمْ﴾ استئناف لبيان العبرة، وفتحه «نافع» و«ابن عامر» و«أبو بكر»[4] ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ من اللّبن ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ في أصوافها وأوبارها وغير ذلك ﴿وَمِنْهَا﴾ من لحومها ﴿تَأْكُلُونَ﴾.

[٢٢] ـ ﴿وَعَلَيْهَا﴾ على الإبل منها لأنّها المحمول عليها عادة وسفن البرّ فتناسب الفلك ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ في البرّ والبحر.

[٢٣] ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ﴾ وحده ﴿مَا لَكُمْ﴾ خبر «ما» ﴿مِّنْ إِلَهٍ﴾ اسمها بزيادة «من» ﴿غَيْرُهُ﴾ صفته على المحلّ، وجرّه «الكسائي» على اللفظ[5] ﴿أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ تخافون نقمته بعبادتكم غيره.

[٢٤] ـ ﴿فَقَالَ الْمَلَؤُاْ﴾ الأشراف ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ قَوْمِهِ﴾ لتبعتهم ﴿مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ﴾ يترأس ﴿عَلَيْكُمْ﴾ فيجعلكم اتباعاً له ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ﴾ ارسال رسول ﴿لأَنْزَلَ مَلاَئِكَةً﴾ رسلاً ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ الّذي يدعونا إليه «نوح» من

---

(١) تفسير التبيان ٧ : ٣٥٥ وحجة القراءات : ٤٨٤.

(٢) من باب الإفعال ـ تفسير التبيان ٧ : ٣٥٥.

(٣) مابين القوسين ليس في «ج».

(٤) حجة القراءات : ٤٨٥.

(٥) تفسير البيضاوي ٣ : ٢١٧.

التّوحيد ﴿فِى ءَابَائِنَا الأَوَّلِينَ﴾ قالوه عناداً أو لطول فترة كانوا فيها .

[٢٥] ـ ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾ جنون ﴿فَتَرَبَّصُواْ بِهِ﴾ فانتظروه ﴿حَتَّى حِينٍ﴾ الى زمن افاقته أو زمن موته .

[٢٦] ـ ﴿قَالَ﴾ ـ بعد يأسه من اجابتهم ـ: ﴿رَبِّ انْصُرْنِى﴾ عليهم بإهلاكهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾ بسبب تكذيبهم ايّاي .

[٢٧] ـ ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ برعايتنا وحفظنا ﴿وَوَحْيِنَا﴾ وتعليمنا ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بتعذيبهم ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ ارتفع منه الماء، وموضعه في مسجد الكوفة أو في الشّام ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾ ادخل في الفلك ﴿مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾ ذكر وانثى من انواعهما ﴿اثْنَيْنِ﴾ ذكراً وانثى، ونوّن «حفص» كلّ[1] أي من كلّ نوع زوجين اثنين ﴿وَأَهْلَكَ﴾ هم: زوجته وبنوه ﴿إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ الوعد بإهلاكه وهو ابنه: «كنعان» وامّه: «واغلة» ﴿وَلاَ تُخَاطِبْنِى فِى الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ كفروا بإمهالهم ﴿إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾ لا محالة .

[٢٨] ـ ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ﴾ ركبت واعتدلت ﴿أَنْتَ وَمَنْ مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِى نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ بإشراكهم .

[٢٩] ـ ﴿وَقُلْ رَّبِّ أَنْزِلْنِى﴾ في السّفينة وفي الأرض ﴿مُنْزَلاً﴾ بضمّ الميم وفتح الزّاي، مصدر أو اسم مكان، وقرأ «أبو بكر» بفتح الميم وكسر الزّاي[2] ﴿مُّبَارَكًا﴾ يكثر فيه خير الدّارين ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ أمره أن يشفع الدّعاء بهذا الثّناء المطابق له لأنّه ادعى الى الإجابة .

[٣٠] ـ ﴿إِنَّ فِى ذَلِكَ﴾ في امر نوح وقومه ﴿لآيَاتٍ﴾ دلالات وعبراً للمعتبرين ﴿وَإِنْ﴾ هي المخفّفة ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ مختبرين عبادنا ليتذكّروا، أو مصيبين قوم

---

(١) حجة القراءات: ٤٨٦.

(٢) تفسير التبيان ٧: ٣٦١ وحجة القراءات: ٤٨٦.

«نوح» بالبلاء، واللاّم فارقة.

[٣١] ـ ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ هم عاد.

[٣٢] ـ ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ هو «هود» وعدّي «ارسل» بـ«في» ايذاناً بأنّه اوحى إليه وهو بين اظهرهم ﴿أَنِ﴾ أي: أو: أي ﴿اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ عذابه.

[٣٣] ـ ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَاءِ الآخِرَةِ﴾ أي بالبعث فيها ﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ﴾ نعّمناهم ﴿فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ بضروب الملاّذ ﴿مَا هَٰذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ حذف عائده منصوباً، أي: تشربونه أو: مع «من» بقرينة قرينه.

[٣٤] ـ ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾ فيه قسم وشرط، والجواب للقسم يغني عن جزاء الشّرط وهو: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ مغبونون باتّباعه.

[٣٥] ـ ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ من قبوركم احياء، و«مخرجون» خبر «انكم» الاوّل، ولطول الفصل بينهما اكّد بالثاني، أو: «انّكم مخرجون» مبتدأ، خبره: الظّرف المقدّم، أي اخراجكم إذا متّم أو فاعل لفعل يقدّر جزاء للشّرط أي: إذا متّم وقع اخراجكم، والجملة الإسميّة أو الشّرطيّة خبر الأوّل.

[٣٦] ـ ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ اسم فعل ماض أي: بعد الثبوت ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ أو بعد ما توعدون، واللاّم زائدة لبيان المستبعد ما هو بعد التّصويت بهيهات.

وفي إضمار الفاعل وتبيينه تأكيد كما في التّكرير، وقيل: هو بمعنى البعد[١] لما توعدون.

[٣٧] ـ ﴿إِنْ هِيَ﴾ ما الحياة، جيء بضميرها لدلالة: ﴿إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ عليها.

والمعنى لا حياة إلاّ هذه الحياة لأنّ مدخول «ان» في معنى الجنس، فتنفيه

(١) فيكون هيهات مبتدأ، وخبره: «لما توعدون».

نفـي لا للجنس ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ (يموت قـوم ويـولد قـوم)[١] ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ بعد موتنا.

[٣٨] ـ ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَـذِبًا﴾ بدعواه الرّسـالة ووعده بالبعث ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ بمصدّقين.

[٣٩] ـ ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ﴾ سبق مثله.[٢]

[٤٠] ـ ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ من الزّمان و«ما» زائدة لتـوكيد معنى القّلة ﴿لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ على تكذيبهم إذا رأوا العذاب.

[٤١] ـ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ صاح بهم جبرئيل صيحة فمـاتوا، وبه استدل على انّ القرن: ثمود[٣] ﴿بِالْحَقِّ﴾ بإستحقاقهم اخذها ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ هو ما احتمله السّيل من نبات بالٍ ونحوه، شبّهوا به في هلاكهم ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي بعدوا من الـرّحمة بعـداً. دعاء عليهم بـالهلاك، وهـو من المصادر المحـذوفة النّـاصب، و«الّلام» للبيان، وأحل الظّاهر محلّ ضميرهم للتّعليل.

[٤٢] ـ ﴿ثُمَّ أَنْشَـأْنَا مِنْ بَعْـدِهِمْ قُـرُونًا ءَاخَـرِينَ﴾ هم قـوم «صـالح» و«لـوط» و«شعيب».

[٤٣] ـ ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ بأن تهلك قبله ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه، وذكّر ضميرها للمعنى.

[٤٤] ـ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرا﴾ فَعلى، من المتواترة أي: متـواترين يتبع بعضهم بعضاً، وأصلها «وتـرى» فأُبدلت الواو تـاء، ونوّنه «ابن كثيـر» و«أبو عمرو»[٤] على انّه

(١) مابين القوسين ليس في«ج».
(٢) في الآية (٢٦) من هذه السورة.
(٣) اي القرن المذكور في الآية (٣١) «ثمّ انشأنا من بعدهم قرناً آخرين».
(٤) حجة القراءات: ٤٨٧.

مصدر كالمتواترة، وقع حالاً ﴿كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ الرّسول يضاف الى المرسل والمرسل إليه لملابسته لكليهما ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ في الإهلاك ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لم نبق منهم سوى اخبار يتحدّث بها، وهو اسم جمع للحديث أو جمع احدوثة ﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٤٥] ـ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِآيَاتِنَا﴾ المعجزات ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ برهان ظاهر، ويحتمل أن يراد به: العصا، وافردت لاشتمالها على معجزات شتّى وان يراد بكليهما المعجزات فإنّها آيات للنبّوّة وحجج بيّنة عليها،

[٤٦] ـ ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن قبول الحقّ ﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ قاهرين بالظّلم.

[٤٧] ـ ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا﴾ أي بنو اسرائيل ﴿لَنَا عَابِدُونَ﴾ مطيعون خاضعون كالعباد.

[٤٨] ـ ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ بالغرق.

[٤٩] ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي قومه بني اسرائيل لاقوم «فرعون» لأنّهم اغرقوا قبل نزولها ﴿يَهْتَدُونَ﴾ به الى الدّين.

[٥٠] ـ ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً﴾ بأن ولدته بغير فحل، فهي آية واحدة فيهما. أو: ابن مريم آية بكلامه في المهد، وامّه آية بولادتها بلا فحل، فحذفت الاولى لقرينة الثّانية ﴿وَءَاوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ﴾ ارض مرتفعة هي ارض بيت المقدس أو الرّملة[1] أو دمشق أو مصر، وفتح «عاصم» و«ابن عامر»: «الرّاء» وضمّها الباقون[2] ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ استواء، يستقرّ عليها، أو ثمار لأجلها يستقرّ فيها ﴿وَمَعِينٍ﴾ ماء جار ظاهر للعيون، مفعول من عنته اعينه: ادركته، أو: فعيل من معن الماء: جرى.

(١) الرملة مدينة بفلسطين. . . وكانت رباطاً للمسلمين (مراصد الاطلاع: ١٩٣).
(٢) حجة القراءات: ٤٨٨.

[٥١] - ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ الْطَّيِّبَاتِ﴾ المستلذّات المباحات وهو إعلام بأنّ كلّ رسول في زمانه نودى بذلك، وحثّ للسامع على العمل به.

وقيل خطاب لـ«عيسى» بلفظ الجمع لشرفه أو لنبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم[1] ﴿وَاعْمَلُواْ صَالِحًا﴾ أي الطّاعات ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فأجازيكم به.

[٥٢] - ﴿وأَنّ﴾ أي ولأنّ، علّل به «فاتّقون» أو «واعلموا» أو: عطف على «ما» وخفّفها «ابن عامر» وكسرها «الكوفيّون» استئنافاً[2] ﴿هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي ملّة الإسلام ملّتكم حال كونها ملّة مجتمعة، أو ملل الأنبياء ملّتكم ملّة متّحدة في اصول الشرائع، أو هذه جماعتكم جماعة متّفقة على التّوحيد ﴿وَأَنَاْ رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ في التّفرق في الدين.

[٥٣] - ﴿فَتَقَطَّعُواْ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ جعلوا أمر دينهم اديانا مختلفة ﴿زُبُرًا﴾ كتباً، يدينون بها جمع «زبور» أو قطعاً وهو مفعول ثان لـ«تقطّعوا» أو حال من «أمرهم» أو من الواو. وهذا على تفسير الأمّة بالجماعة، أي: تفرّقوا احزاباً متخالفين ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ فريق ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ من الدّين ﴿فَرِحُونَ﴾ مسرورون، يرونه الحق.

[٥٤] - ﴿فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ﴾ ضلالتهم، شبّهت بغمرة الماء الّتي تغمر القامة لانغمارهم فيها ﴿حَتَّى حِينٍ﴾ الى وقت موتهم.

[٥٥] - ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ﴾ نعطيهم ﴿مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ بيان لـ«ما».

[٥٦] - ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِى الْخَيْرَاتِ﴾ خبرها. والرّابط محذوف، أي: «به» أي: ليس الأمر كما يظنّون، وانّما ذلك استدراج لهم ﴿بَلْ لَّا يَشْعُرُونَ﴾ انّه استدراج.

[٥٧] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ﴾ من خوفه ﴿مُّشْفِقُونَ﴾ لازمون لطاعته.

[٥٨] - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ القرآن وغيره ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ يصدّقون.

[٥٩] - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ غيره في عبادته.

---

(١) تفسير التبيان ٧ : ٣٧٤.
(٢) حجة القراءات : ٤٨٨.

[٦٠] ـ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتُواْ﴾ يعطون ما اعطوا من الصّدقة أو اعمال البرّ كلّها ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ خائفة، أن لا يقبل منهم ﴿أَنَّهُمْ﴾ أي لأنّهم ﴿إِلى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ وهو علام السّرائر.

[٦١] ـ ﴿أُولَـٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِى الْخَيْرَاتِ﴾ يبادرون الطّاعات، رغبة فيها أو يتعجّلون خيرات الدّنيا بمبادرتهم الطّاعات الموجبة لها ليقابل اثباته لهم نفيه عن اضدادهم ﴿وَهُمْ لَهَا﴾ لأجلها ﴿سَابِقُونَ﴾ النّاس الى الجنّة أو فاعلون السّبق.

[٦٢] ـ ﴿وَلاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ دون طاقتها، وفيه حثّ على ما وصف به الصّالحون بتسهيله ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ﴾ اللّوح أو صحيفة الأعمال ﴿يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾ بالصّدق فيما كتب فيه من اعمالها ﴿وَهُمْ﴾ أي النّفوس ﴿لاَ يُظْلَمُونَ﴾ بنقص ثواب أو زيادة عقاب.

[٦٣] ـ ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي الكفّار ﴿فِى غَمْرَةٍ﴾ غفلة ﴿مِّنْ هَذَا﴾ ممّا وصف به هؤلاء، أو من كتاب الأعمال ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ﴾ سيئة ﴿مِّن دُونِ ذَلِكَ﴾ سوى ما هم عليه من الكفر، أو متجاوزة لما ذكر للصّالحين ﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ لا يتركونها.

[٦٤] ـ ﴿حَتّى إذا اَخَذْنا مُتْرَفِيهِمْ﴾ منعميهم ﴿بِالْعَذَابِ﴾ في الآخرة أو القتل ببدر أو الجوع حين دعا عليهم النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم به، فقحطوا حتّى أكلوا الجيف والكلاب ﴿إِذَا هُمْ يَجْئَرُونَ﴾ يصرخون بالإستغاثة.

[٦٥] ـ ﴿لاَ تَجْئَرُوا الْيَوْمَ﴾ مقدّر بالقول ﴿إِنَّكُمْ مِّنَّا لاَ تُنْصَرُونَ﴾ لا تمنعون منّا أو لا يأتيكم نصر من جهتنا.

[٦٦] ـ ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَاتِى تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ أي القرآن ﴿فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ﴾ تدبرون عن سماعها وقبولها كمن رجع القهقرى.

[٦٧] ـ ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ الهاء للبيت[1] وسوّغ اضماره شهرة استكبارهم

---

(١) اي بيت الله الحرام.

وافتخارهم بولايته ولنكوصهم، [١] أو: للقرآن بتضمين الإستكبار معنى التكذيب أو: لأنّ استكبارهم بسبب سماعه. أو: لتعلّق الباء بقوله ﴿سَامِرًا﴾ أي تسمرون بالطّعن فيه، ونصبه على انّه مصدر على فاعل، أو على الحال لأنّه اسم جمع، أو جمع كالحاضر [٢] ﴿تَهْجُرُونَ﴾ تتركون القرآن أو تهذون في شأنه من الهجرة بمعنى: القطيعة أو الهذيان، وقرا «نافع» «تهجرون» من الإهجار، وهو: الإفحاش. [٣]

[٦٨] ـ ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ الْقَوْلَ﴾ أي القرآن فيستدلّوا بإعجاز نظمه ووضوح حججه على صدق رسولنا ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَائَهُمُ الأَوَّلِينَ﴾ من الرّسل، تقرير انّه أتى آباءَهم رسل كـ«نوح» ومن بعده وقد عرفوا مجيئهم ونجاة مصدّقيهم وهلاك مكذّبيهم أفما دعاهم ذلك الى تصديق هذا الرّسول؟!

[٦٩] ـ ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ﴾ بالصّدق والأمانة ومكارم الأخلاق وكمال العلم وشرف النّسب ﴿فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ بل عرفوا كلّ ذلك فلا وجه لإنكارهم له.

[٧٠] ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ وكانوا يعلمون انّه أكملهم عقلاً ﴿بَلْ﴾ للإنتقال ﴿جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ الدّين القيّم ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ لمخالفته أهوائهم.

ولعلّ التّقييد بالأكثر لأنّ منهم من لم يكره الحقّ لكنّه لم يؤمن لقلّة فطنته أو حسداً له صلّى الله عليه وآله وسلّم.

[٧١] ـ ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ﴾ الدّين [٤] ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ بأن أتى بما يهوونه من الشّركاء ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ لما استقامت، للتّمانع [٥] كما قرّر في

(١) نكص: تكأكأ واحجم، ومنه: نكص على عقبيه (سورة الانفال٨/ ٤٨) رجع الى ورائه يمشي القهقرى.

(٢) في الإطلاق على الجمع لأنّ السامر اسم جمع كالحاضر.

(٣) حجة القراءات: ٤٨٩.

(٤) كلمة: «الدين» ليست في«ج».

(٥) كلمة: «للتمانع» ليست في«ج».

﴿لو كان فيهما ءالهة إلاّ الله لفسدتا﴾[1] وقيل: لو اتّبع الله اهوائهم بأن انزل ما يشتهونه من الشّرك لما كان إلهاً، فلا يقدر على امساك السماوات والأرض ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ بالقرآن الّذي هو شرفهم أو وعظهم ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ﴾.

[٧٢] ـ ﴿أَمْ تَسْئَلُهُمْ خَرْجًا﴾ أجراً على تبليغ الرّسالة، وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «خراجاً»[2] ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ رزقه في الدّنيا وثوابه في الآخرة ﴿خَيْرٌ﴾ منه لدوامه وكثرته، وقرأ «ابن عامر»: «فخرج»[3] ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ أفضل من أعطى.

[٧٣] ـ ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ هو دين الإسلام فإنّه الطّريق السّويّ الى السّعادة الباقية.

[٧٤] ـ ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ بالبعث وما يتبعه ﴿عَنِ الصِّرَاطِ﴾ المستقيم ﴿لَنَاكِبُونَ﴾ لعادلون.

[٧٥] ـ ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِّنْ ضُرٍّ﴾ جوع اصابهم بـ«مكّة» سبع سنين ﴿لَّلَجُّواْ﴾ لتمادوا ﴿فِى طُغْيَانِهِمْ﴾ كفرهم وعتوّهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتردّدون.

[٧٦] ـ ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ بالجوع ﴿فَمَا اسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ﴾ ما خضعوا له ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ ما يرغبون إليه في الدّعاء أي: ما من عادتهم ذلك.

[٧٧] ـ ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ هو القتل ببدر أو الجوع، ويراد بالعذاب السّابق: القتل ﴿إِذَاهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ متحيّرون، آيسون من كلّ خير.

[٧٨] ـ ﴿وَهُوَ الَّذِى أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ وحدّ لأنّه في الأصل مصدر أو بتقدير حواسّ السّمع ﴿وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾ القلوب، لتدركوا الدّلائل المسموعة والمبصرة وتتفكّروا فيها، وغير ذلك من منافع الدّارين ﴿قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ «ما» مزيدة، أي:

---

(١) سورة الأنبياء: ٢١/ ٢٢.

(٢) تفسير التبيان ٧: ٣٨٢ وحجة القراءات: ٤٨٩.

(٣) حجة القراءات: ٤٨٩.

تشكرونها شكراً قليلاً.

وشكرها: استعمالها فيما خلقت له والإخلاص لخالقها.

[٧٩] ـ ﴿وَهُوَ الَّذِى ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿فِى الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تجمعون بالبعث.

[٨٠] ـ ﴿وَهُوَ الَّذِى يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ مختصّ به اختلافهما بالظّلمة والضّياء والطّول والقصر، أو تعاقبهما أي ذهاب احدهما ومجيء الآخر ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ تتفكّرون، فتعلمون انّ من هذا صنعه لا يستحقّ الإلهيّة سواه وانّه قادر على البعث.

[٨١] ـ ﴿بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ﴾ المنكرون للبعث.

[٨٢] ـ ﴿قَالُواْ﴾ ـ استبعاداً له ـ: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ ولم يتفكّروا في بدأ خلقهم.

[٨٣] ـ ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذاَ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ أكاذيبهم الّتي سطروها، جمع اسطورة أو: أسطار جمع سطر.

[٨٤] ـ ﴿قُلْ لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فأجيبوني.

[٨٥] ـ ﴿سَيَقُولُونَ للهِ﴾ يقرّون بأنّه خالقها لأنّ ذلك لا يجهله من له أدنى نظر ﴿قُلْ﴾ عند ذلك ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تتذكّرون، فتعلمون انّ من قدر على ابتداء الخلق، قدر على إعادته.

[٨٦] ـ ﴿قُلْ مَنْ رَّبُّ السَّمَوٰاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ زيادة في الحجّة.

[٨٧] ـ ﴿سَيَقُولُونَ للهِ﴾ باللّام فيه وفيما بعده على المعنى، وقرأهما «أبو عمرو» و«يعقوب» بدونها على اللّفظ[1] ﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عذابه على جحد وحدانيّته وقدرته على البعث.

---

(١) تفسير البيضاوي ٣: ٢٢٣ وحجة القراءات: ٤٩٠ وليس فيه «يعقوب».

[٨٨] ـ ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ملكه، والتّاء للمبالغة ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ يمنع من يشاء ولا يمنع منه أحد ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

[٨٩] ـ ﴿سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ فمن اين تخدعون، ويخيّل اليكم الحقّ باطلاً مع وضوحه.

[٩٠] ـ ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ﴾ من نفي الولد والشّريك ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في اثباتهما.

[٩١] ـ ﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ لتنزّهه عن مجانسة خلقه ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ إِذًا﴾ جواب لمن حاجّه وجزاء شرط مقدّر، علم ممّا قبله اي لو كان معه آلهة اذن[1] ﴿لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ﴾ منهم ﴿بِمَا خَلَقَ﴾ وانفرد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين. ﴿وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بالتّغالب كفعل ملوك الدّنيا ﴿سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من الولد والشّريك.

[٩٢] ـ ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما حضر، صفة، ورفعه «نافع» و«الكوفيّون» غير «حفص»[2] خبر محذوف ﴿فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تعظّم عن اشراكهم أو ما يشركونه به.

[٩٣] ـ ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا﴾ «ان» الشّرطيّة ادغمت في «ما» الزّائدة ﴿تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾ من النّقمة.

[٩٤] ـ ﴿رَبِّ فَلاَ تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ معهم فيها وهو اظهار للعبوديّة والتضرّع ويؤكّده تكرير: «ربّ».

[٩٥] ـ ﴿وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾ وانّما نمهلهم لمصلحة

---

(١) في «ج» إذا.

(٢) تفسير مجمع البيان ٤: ١٢٦ وحجة القراءات: ٤٩١.

وحكمة، قيل: وقع ما وعدهم بعد موته ولم يره، وقيل: أراه وهو قتل بدر.[١]

[٩٦] ـ ﴿ادْفَعْ بِالَّتِى﴾ بالخلة التي ﴿هِىَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾ وهي الإغضاء عنها والصّفح ومقابلتها بإحسان ما لم يؤدّ الى محذور.

وقيل «هي» كلمة التّوحيد، و«السيئة»: الشّرك[٢] ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ يصفونك به أو بوصفهم ايّاك بغير صفتك فنجازيهم به.[٣]

[٩٧] ـ ﴿وَقُلْ رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينَ﴾ وساوسهم.

والهمز: النّخس، شبّه حثّهم النّاس على المعاصي بهمز الرّائض الدّابّة ـ بمهمازه ـ على المشي.

[٩٨] ـ ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ فيقرّبوني في حال من الأحوال.

[٩٩] ـ ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ وعاين ما اعدّ له من النّكال وهو متعلّق بـ«يصفون» وما بينهما اعتراض ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ الى الدّنيا، والجمع للتّعظيم.

[١٠٠] ـ ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ من الإيمان أي: لعلّي آتي به واعمل صالحاً فيه.

وقيل: في تركتي أو في الدّنيا، وسكّن «الكوفيّون» الياء[٤] ﴿كَلَّآ﴾ ردع أي لا يرجع ﴿إِنَّهَا﴾ أي: مسألة الرّجعة ﴿كَلِمَةٌ﴾ وهي الطّائفة من الكلام ﴿هُوَ قَائِلُهَا﴾ وحده لايجاب إليها ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ﴾ امامهم ﴿بَرْزَخٌ﴾ حاجز بينهم وبين الرّجوع وهو مدّة ما بين الموت ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ والضّمير امّا لجماعة مخصوصة أو للناس.

---

(١) تفسير البيضاوي ٣: ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

(٢) تفسير البيضاوي ٣: ٢٢٤.

(٣) في «ج»: فيجازيهم به.

(٤) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٣٢.

ويخصّص بما نطق به القرآن مـن احياء «عزير» والأُلوف[1] وغيرهم في الدّنيا وما صحّ عن أهل البيت عليه السّلام من وقوع رجعتهم.

[١٠١] ـ ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ نفخة الصّعق أو نفخة البعث ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يتعاطفون بها لدهشتم بحيث ﴿يفـرّ المرء من اخيه وأمّه وأبيه﴾[٢] أو يفتخرون بها ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ لا يسئل بعضهم بعضاً لشغله بنفسـه ولا ينافيه: ﴿واقبل بعضهم على بعض يتسائلون﴾[٣] لاختلاف الموطنين.

[١٠٢] ـ ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالطّاعات ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالمراد.

[١٠٣] ـ ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالمعاصي ﴿فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ ضيّعوها ولـم ينتفعوا بهـا ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ بـدل مـن «خسـروا» أو خبـر آخـر لـ«اولئك» أو لمحذوف.

[١٠٤]ـ ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ تضربها فتحرقها ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ عابسون، تقلّصت شفاههم عن اسنانهم.

[١٠٥] ـ ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي يقـال لهم ذلـك ﴿فَكُنْتُمْ بِهَا﴾ بالآيات وهي القرآن ﴿تُكَذِّبُونَ﴾.

[١٠٦] ـ ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ ملكتنـا سـوء عاقبتـنا الّـذي استوجبـناه بسـوء عملنـا، وقرأ «الكسـائي»: «شقاوتنـا» كضلالتنا[٤] ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ عن الحقّ.

---

(١) اشارة الى«الأُلوف» التي ذكرها الله تعالى في الآية (٢٤٣) من سورة البقره.

(٢) سورة عبس: ٨٠/ ٣٧.

(٣) ذكر ذلك في الكتاب العزيز في مواضع منها سورة الصافات: ٣٧/ ٢٧ وسورة الطور: ٥٢/ ٢٥.

(٤) حجة القراءات: ٤٩١.

[١٠٧] ـ ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ من النّار ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ الى الكفر ﴿فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ قيل: هذا آخر ما يتكلّمون به ثمّ لا يكون لهم إلاّ زفير وشهيق وعواء.[١]

[١٠٨] ـ ﴿قَالَ اخْسَئُواْ فِيهَا﴾ انزجروا صاغرين، من خسأت الكلب: زجرته فخسأ ﴿وَلاَ تُكَلِّمُونِ﴾ رأساً أو في رفع العذاب.

[١٠٩] ـ ﴿إِنَّهُ﴾ أي الشّأن ﴿كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي﴾ هم أهل الصّفّة أو من الصّحابة: «سلمان» و«عمّار» و«صهيب» و«بلال» ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾.

[١١٠] ـ ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ هزوءًا، وضمّه «نافع» و«حمزة» و«الكسائي»[٢] وهما مصدرا «سخر» أُلحقاياء النّسبة مبالغة، وقيل: المكسور الهزء والمضموم التّسخير[٣] والإستعباد ﴿حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾ لاشتغالكم بالإستهزاء بهم، نسب الإنساء اليهم لأنّهم سببه ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾.

[١١١] ـ ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ على أذاكم ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ مفعول ثان أي جزيتهم فوزهم بمرادهم دون غيرهم، وكسرها «حمزة» و«الكسائي» استئنافاً.[٤]

[١١٢] ـ ﴿قَالَ﴾ أي الله بلسان الملك، وقرأ «ابن كثير» و«حمزة» و«الكسائي»: «قُلْ» امراً له[٥] ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ في الدّنيا والقبور ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ مميّزكم.

[١١٣] ـ ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ استقلّوا لبثهم فيها بالنّسبه الى خلودهم

---

(١) قاله الحسن ـ كما في تفسير مجمع البيان ٤: ١١٨ ـ.

(٢) حجة القراءات: ٤٩١و٤٩٢.

(٣) قاله الكسائي والفراء ـ كما في تفسير الكشّاف ٣: ٢٠٥.

(٤) حجة القراءات: ٤٩١و٤٩٢.

(٥) حجة القراءات: ٤٩٢.

في النّـار، أو نسوه لعظم الهـول فقالـوا: لا ندري غيـر انّا نستقلّـه ﴿فَسْئَلِ الْعَادِّينَ﴾ المتمكنين من العـدّ، فإنّه ليس من شـأننا لما نحن فيـه من العذاب. أو: المـلائكة المحصين أعمار الخلق وأعمالهم.

[١١٤] ـ ﴿قَالَ﴾ وقرأ «الكـوفيون» «قُلْ»[1] ﴿إِنْ لَبِثْتُـمْ إِلاَّ قَلِيـلاً لَّـوْ أَنَّكُمْ كُنْتُـمْ تَعْلَمُونَ﴾ نسبة لبثكم الى خلود النّار.

[١١٥] ـ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ عـابثين أو لأجل العبث والتّلهـيّ بكم ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُـرْجَعُونَ﴾ وبناه «حمـزة» و«الكسائي» للفـاعل؛[2] ليس الأمـر كما حسبتم بل لنتعبدّكم وترجعوا الينا ونجازيكم بعملكم.

[١١٦] ـ ﴿فَتَعَالَى اللهُ﴾ عمّا لا يليـق به ﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ الّذي يحقّ لـه الملك بالذّات ﴿لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَـرْشِ الْكَرِيمِ﴾ وصفه بالكرم لنـزول الرّحمة والخير من جهته، أو لأنّه عرش الكريم.

[١١٧] ـ ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلٰهًا ءَاخَرَ﴾ يعبده ﴿لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ صفة ثانيه لـ«إله» لازمة له، إذ لا برهـان للباطل، وتفيد[3] انّ ما لا دليـل له لا يصحّ التّديّـن به ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ فيجـازيه بقـدر ما يستحقّه ﴿إِنَّهُ﴾ أي الشأن ﴿لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ لا يظفرون بخير، بدأ السّورة بتقرير الفلاح للمؤمنين وختمها بنفيه عن الكافرين.

[١١٨] ـ ﴿وَقُلْ رَّبِّ اغْفِـرْ﴾ للمـؤمنين ﴿وَارْحَمْ﴾ وانعم عليهـم ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ المنعمين، لأنّك المنعم الحقيقي.

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٣٢ .

(٢) حجة القراءات: ٤٩٤.

(٣) في «ج»: يفيد.

سورة النّــور

[٢٤]

اثنان أو اربع وستون آية مدنية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ـ ﴿سُورَةٌ﴾ أي هـذه سورة، أو فيمـا اوحينـا اليك سـورة ﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾ صفتها ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ فرضنـا احكامها الّتـي فيهـا، وشـدّده «ابن كثير» و«أبو عمـرو» مبالغـة أو لكثرة فرائضها[1] ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ ظاهرات الدّلالة ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ بإدغام التّاء الثّانية في الذّال، تتعظون بها.

[٢] ـ ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِى﴾ مبتـدأ حـذف خبره، أي: فيما انـزلنا وفرضنا حكمهما، أو الخـبر ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ و«الـفاء» لتضـمّنها معنى الشّرط، إذ اللّام موصول.

وقدّم «الزّانية» لأنّ المرأة هي الأصل في الزّنا ولأنّه منهنّ أشنع.

والجلد: ضرب الجلد، هذا حكم الحرّ المكلّف، وقد ثبت بالسّنة الرّجم له إذا كان محصنـاً ويضمّ الى الجلـد امّا مطلقـاً وهو الأقـوى. أو: في الشّيخ والشّيخـة،

(١) حجة القراءات: ٤٩٤.

والتّغريب للحرّ غير المحصن امّا مطلقاً أو فيمن املك ولم يدخل على الخلاف، وهل يختصّ بالذّكر أو يعمهما، قولان.

والإحصان بالحرّيّة والتكليف والإصابة لفرج مملوك بعقد دائم أو ملك يمين يغدو عليه ويروح، والمملوك يجلّد خمسين مطلقاً ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ رحمة، وفتح الهمزة «ابن كثير»[1] ﴿فِي دِينِ اللهِ﴾ في حكمه، فتعطّلوا حدّه أو تسامحوا فيه ﴿إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ فيه تحريض على ما قبله الدّال على جواب الشّرط، إذ الإيمان يقتضي الجدّ في أمر الدّين ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾ ليحضر جلدها للتّشهير ﴿طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

عن «الباقر» عليه السّلام: اقلّها واحد[2] وقيل: اثنان وثلاثة واربعة.[3]

[٣] ـ ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَو مُشْرِكٌ﴾ أي: الّذي من شأنه الزّنا لا يرغب في نكاح الصّوالح غالباً، والمسافحة لا يرغب فيها الصّلحاء غالباً، وانّما يرغب الإنسان الى شكله.

وقدّم «الزّاني» لأنّ الرّجل هو الأصل في الرّغبة والخطبة، ولذلك لم يقل «والزّانية لاتنكح إلاّ زانياً» للمقابلة ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ﴾ أي صرف الرّغبة في الزّواني ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي نزّهوا عنه لأنه تشبّه بالفسقة وتعرّض للتّهمة والطّعن في النّسب.

وعبّر بالتّحريم مبالغة في التّنزيه، وقيل: النّفي بمعنى النّهي[4] والحرمة على ظاهرها.

والحكم مخصوص بفقراء المهاجرين حين همّوا أن يتزوّجوا بغايا موسرات

(١) حجة القراءات: ٤٩٥.

(٢) تفسير مجمع البيان ٤: ١٢٤.

(٣) تفسير مجمع البيان ٤: ١٢٤ عن قتادة والزهري وعكرمة.

(٤) تفسير مجمع البيان ٤: ١٢٥.

لينفقن عليهم، فاستأذنـوا الرسول صلّى الله عليه وآلـه وسلّم فنـزلت،[1] أو عـامّ نسخـه: ﴿وانكحوا الأيـامى منـكم﴾[2] وقيـل: هــو بـاق، ويعضـده بعـض الأخـبار الغير السّليـمة سـنداً ومـتناً.[3]

والأقـوى: الكــراهة جمـعاً بيـن عمـومات الكتـاب والأخبار الصحيحة الـدّالة على الجواز.

[٤]ـ ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ يقذفون العفائف بالزّنا وكذا الرّجال اجماعاً، وتخصيصهنّ لخصوص الواقعة، وكسر «الكسائي»: «الصّاد»[4] ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ بأنّهم رأوهنّ يـزنين ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ ويستـوي في ذلك الحـرّ والملوك عند أكثر اصحابنا[5] ومنهم من وافق العامّة فـي تنصيف الحدّ على المملوك وهو ضعيف[6] ﴿وَلاَ تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَادَةً﴾ في شيء قبل الجلد وبعده.

وقال «أبو حنيفـة»: لا ترّد قبله نظراً الى تـرتيب العطف وفيه منع افـادة «الواو» له ﴿أَبَدًا﴾ مـا لـم يتب، وقـال «أبــو حـنيفة»: الى موتـه[7] ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ بفـعل الكبيرة.

[٥]ـ ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ عن القذف بأن يكذّبوا أنفسهم، والإستثناء من الجملتين. وقيل: من الأخيرة ومحلّه النّصب بالإستثناء، ويجوز الجرّ على البدل

---

(١) تفسير الكشّاف ٣: ٢١١.

(٢) هي الآية: ٣٢ من هذه السورة.

(٣) يراجع وسائل الشيعة ١٤: ٣٢ الباب(١٢).

(٤) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٤٩.

(٥) ينظر كتاب الخلاف ٣: ١٥٧ باب الحدود.

(٦) كتاب المبسوط ٨: ١٦ باب الحدود.

(٧) كتاب الخلاف ٣: ٢٣٩ باب الشهادات المسأله (١١).

[من هم في لهم][1] إن جعل للاولى ﴿وَأَصْلَحُواْ﴾ عملهم ﴿فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

[٦] ــ ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ بالزّنا ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَّهُمْ شُهَدَاءُ﴾ عليه ﴿إِلاَّ أَنْفُسُهُمْ﴾ بدل من «شهداء» وقع ذلك لـ«هلال بن اميّة» أو غيره، فنزلت ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ﴾ مبتدأ حذف خبره، أي: تقوم مقام الشّهداء في درءِ حدّ القذف عنه، أو خبر محذوف اي فالواجب شهادة أحدهم ﴿أَرْبَعَ[2] شَهَادَاتٍ﴾ نصب مصدراً ورفعه «حمزة» و«الكسائي» و«حفص» خبر شهادة[3] ﴿بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيما رماها به من الزّنا.

[٧] ــ ﴿وَالْخَامِسَةُ﴾ والشّهادة الخامسة: ﴿أَنَّ لَعْنَتَ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ في ذلك، فإذا فعل الرّجل ذلك سقط عنه الحدّ وحرّمت عليه مؤبداً ولا يفتقر الى حكم الحاكم بالفرقة خلافاً لأبي حنيفة[4].

وانتفى عنه الولد وثبت حدّ الزنا على المرأة لقوله:

[٨] ـ ﴿وَيَدْرَؤُاْ﴾ يدفع ﴿عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ أي الجلد ﴿أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فيما رماها به.

[٩] ـ ﴿وَالْخَامِسَةُ﴾ مبتدأ، وما بعدها الخبر، ونصبها «حفص» عطفاً على «أربع»[5] ﴿أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في ذلك، واختير «الغضب» هنا تغليظاً عليها لأنّها أصل الفجور، وخفّف «نافع» «نون» «انّ لعنة» و«انّ غضب»

---

(١) مابين المعقوفتين من تفسير البيضاوي ٣: ٢٢٧.

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «اربع و ـ الضّم ـ» ـ كما سيشير اليه المؤلّف ـ.

(٣) حجة القراءات: ٤٩٥.

(٤) كتاب الخلاف ٣: ٦٣ كتاب اللعان، المسئلة (٢٥).

(٥) حجة القراءات: ٤٩٥.

ورفع «التّـاء» وكسر «الضّاد» وفتـح «الباء»[1] ورفع «هاء» الجـلالة، والباقون بتشـديد «النّون» ونصب «التّاء» وفتح «الضّاد» وجرّ «الهاء».[2]

[١٠] ـ ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بالإمهال والسّتر ﴿وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ﴾ يقبل التّوبِ ﴿حَكِيمٌ﴾ فيمـا يحكـم بـه، وحـذف جـواب «لو لا» أي لعاجلكـم بالعقـوبة وفضحكم.

[١١] ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو[3] بِالإِفْكِ﴾ بالكذب العظيم، وأصلـه القلب، لأنّه قول قلب عن وجهه، وهو ما افتـرى على عائشة وكان النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم استصحبها في غزاة وفي قفوله.[4]

اذن ليلة بـالرّحيـل فمشت لحاجـة ثم عادت الـى الرّحل فإذا عقـدها قـد انقطع فرجعت تلتمسه فحملوا هودجها يحسبونهـا فيه، فعادت بعد ما ساروا، فجلست كي يرجع اليها أحد.

وكان صفوان قد عرّس من وراء الجيش فأدلج فأصبح عندها فعرفها فأناخ راحلته فركبتهـا فقـادها حتّى أتيـا الجيش، فرميـت بـه ﴿عُصْبَةٌ﴾ جمـاعة ﴿مِنكُمْ﴾ هم: «ابن ابـيّ» و«حسّـان» و«مسطح» و«زيـد بن رفـاعـة» و«حمنـة» بنت «جحـش» ومن عضدهم ﴿لاَتَحْسَبُوهُ﴾ أي الإفك ﴿شَرًّا لَكُمْ﴾ خطاب لجميـع من سائهـم ذلك من المؤمنين ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ لأنّ الله يثيبكم عليه ويبـرىء «عائشة» و«صفـوان» منه ﴿لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ﴾ جزاء مـا اكتسب منه بقدر ما خـاض فيه ﴿والَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ تحمل معظمه ﴿مِنْهُمْ﴾ من الإفكين وهو «ابن ابي» بدأ به وأشاعه

---

(١) ليس في«ج»: وفتح الباء.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٣٤.

(٣) يراجع تعليقنا على الآية (٦١) من سورة البقرة.

(٤) اي رجوعه.

أو «حسّان» و«مسطح» ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخـرة أو في الدنـيا بجلدهـم وطرد «ابن ابيّ» وعمي حسان ومسطح.

[١٢] - ﴿لَّوْلَا﴾ هلاّ ﴿إِذْ﴾ حين ﴿سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ﴾ ظنّ بعضهم ببعض ﴿خَيْرًا﴾ وعدل عن الخطاب الى الغيبة مبالغـة في التّوبيخ وايذاناً باقتضاء الإيمان ظنّ الخير بالمؤمنين.

وردّ الطّعن عنهم كردّهم لـه عن انفسهم وفصل «لو لا» عن فعله بالظّـرف اتّساعاً تنزيـلاً له منزلتـه لأهميّته لوجـوب ظنّ الخير اوّل مـا سمعوا ﴿وَقَالُواْ هَـذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ كذب بيّن.

[١٣] ــ ﴿لَّوْلَا﴾ هـلاّ ﴿جَاءُو﴾[١] أي العصبـة ﴿عَلَيْهِ بِأَرْبَعَـةِ شُهَدَاءَ﴾ شاهدوه ﴿فَإِذْ﴾ فحـين ﴿لَمْ يَأْتُـوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِـكَ عِنْدَ اللهِ﴾ في حكمـه ﴿هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ انتهى المقول.

[١٤] - ﴿وَلَوْلَا﴾ هي الإمتناعيّة ﴿فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ أي فضله عليكم في الدّنيا بالنّعم الّتي منها امهالكم للتّوبة ورحمته لكم بالعفو في الآخرة ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ عاجلاً أو في الآخرة ﴿فِى مَا أَفَضْتُمْ﴾ خضتم ﴿فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٥] ــ ﴿إِذْ﴾ ظـرف «لمسّكـم» أو «افضتـم» ﴿تَلَقَّوْنَهُ﴾ بحـذف احد التّـائين ﴿بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي يأخذه بعضكم من بعض بـالسّؤال عنه ﴿وَتَقُولونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَّا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي قولاً لا وجود له إلاّ بالعبـارة ولا حقيقة لمؤدّاه في الواقع ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾ لا اثم فيه ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ﴾ في الإثم.

[١٦]- ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ﴾ ما يحلّ ﴿لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ تعجّب ممّن يقوله أو تنزيه له تعـالى عن أن تكون زوجـة نبيّه فاجرة إذ فجورها منفّر عنه بخلاف كفرها.

---

(١) ينظر الهامش (٤) في الصفحة السابقة.

[١٧] ـ ﴿يَعِظُكُم اللهُ﴾ ينهاكم أو يحرّم عليكم ﴿أَنْ تَعُودُواْ لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾ ما حييتم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ تقبلون الوعظ.[١]

[١٨] ـ ﴿وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَـاتِ﴾ الدّالّـة على حكمتـه فيما شـرع لعباده ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره لهم.

[١٩] ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيـعَ الْفَاحِشَةُ﴾ تفـشوا ﴿فِى الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بأن ينسبوها اليهم ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى الدُّنْيَا﴾ بالحدّ للقذف ﴿وَالآخِرَةِ﴾ بالنّار ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ﴾ ما في القلوب فيعاقـب على حبّ الإشاعة ﴿وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ فعـاقبـوا على ما يظهر لكم.

[٢٠] ـ ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ تكرير للمنّة بترك المعـاجلة بالعقاب مع المبالغة فيها بقوله: ﴿وَأَنَّ اللهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وحذف الجواب اكتفاءً بذكره سابقاً.

[٢١] ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُـواْ لاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ اثره وتسويله، اشاعة الفاحشة، وسكّن طاءها «نـافع» و«أبو بكر» و«حمزة»[٢] ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ﴾ أي المتّبع أو الشيطان بتقدير عائد ﴿يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ اقبح القبيح ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ شرعاً وعقلاً ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بتـوفيقـكم لـما تـصيرون به ازكياء ﴿مَا زَكَى مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ ما طهر من دنـس الذّنوب ﴿وَلَكِنَّ اللهِ يُزَكِّى﴾ يطهّر بلطفه ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ ممّن يعلمه اهلاً للطفه ﴿وَاللهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم ومن يصلح للطفه.

[٢٢] ـ ﴿وَلاَ يَأْتَلِ﴾: ولا يحلف ـ من الأليـة ـ أو: لا يقصر ـ مـن الإلو ـ ﴿أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ أهل الغنى ﴿وَالسَّعَةِ﴾ في المال ﴿أَن يُؤْتُواْ﴾ أن لا يـؤتـوا، أو في أن يؤتوا ﴿أُوْلِى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِى سَبِيلِ اللهِ﴾.

---

(١) في «ج» تقبلوا الوعظ.

(٢) النشر في القراءات العشر ٢: ٢١٦.

قيل: نزلت في أبي بكر، كان ينفق على مسطح ـ وهو ابن خالته، مسكين مهاجر بدريّ ـ فلمّا خاض في الإفك حلف أن لا ينفق عليه.[١]

أو: ناس من الصّحابة حلفوا أن لا يتصدّقوا على من خاض فيه ﴿وَلْيَعْفُواْ﴾ اسائتهم ﴿وَلْيَصْفَحُواْ﴾ عنهم ﴿أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ﴾ على عفوكم وصفحكم عمن أساء اليكم ﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ للمؤمنين.

[٢٣] ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ العفائف ﴿الْغَافِلاَتِ﴾ عن الفواحش ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ بالله ورسوله ﴿لُعِنُواْ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وعيد عامّ لكلّ قاذف ما لم يتب.

[٢٤] ـ ﴿يَوْمَ﴾ ظرف لمتعلّق «لهم» أي استقرّ ﴿تَشْهَدُ﴾ وقرأ «حمزة» و«الكسائي» بالياء لتقدّمه[٢] وفصل: ﴿عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ بها وبغيرها بانطاق الله اياها.

[٢٥] ـ ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ جزائهم المستحقّ ﴿وَيَعْلَمُونَ﴾ ضرورة ﴿أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ الثابت البيّن الإلهيّة، أو العادل الظّاهر العدل.

[٢٦] ـ ﴿الْخَبِيثَاتُ﴾ من الكلمات ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾ من النّاس من الرّجال والنّساء ﴿وَالْخَبِيثُونَ﴾ من النّاس ﴿لِلْخَبِيثَاتِ﴾ من الكلمات ﴿وَالطَّيِّبَاتُ﴾ منها ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ منهم ﴿وَالطَّيِّبُونَ﴾ منهم ﴿لِلطَّيِّبَاتِ﴾ منها ﴿أُوْلَئِكَ﴾ أي الطّيّبون ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ أي أهل الإفك، أو «الخبيثون» أي مبرّءُونَ من أن يقولوا كقولهم ﴿لَهُمْ﴾ أي للطّيّبين ﴿مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنّة.

وقيل: الخبيثات من النّساء للخبيثين من الرّجال، وكذا الطّيبات

---

(١) قاله ابن عباس وعائشة وابن زيد ـ كما في تفسير مجمع البيان ٤: ١٣٣.

(٢) يعني لتقدم الفعل على الفاعل المؤنث المجازي واسناده الى الظاهر مع الفصل بـ«عليهم» بينها ـ حجة القراءات: ٤٩٦.

للطـّيّبين[1] والإشارة للرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وعائشة وصفوان وكذا ضمير «لهم»: قيل فيه وعد لعائشة بالجنّة. [2]

قلنا: مشروط بـالثّبات على الإيمان ولم تثبت لمحـاربتها علياً عليه السّلام، وحربه حرب الرسول صلّى الله عليه وآلـه وسلّم لقوله له: حـربك حربي، [3] ودعوى توبتها ممنوعة كيف والبغل[4] يشهد بالإصرار على الجمل.

والمبالغة في هذه الآيات المبرّءة لها انما هي لإظهار جلالة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ورفعة شأنه وعلّو مرتبته.

[٢٧] ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُواْ﴾ تستأذنوا من آنسـه: ابصـره، فإنّ المستـأذن مستبصـر أي مستعلـم للحال أيراد دخوله أم لا؟ أو يؤذن لكم من الإنس خلاف الوحشة فـإنّ المستأذن مستوحش خوفاً أن يرّد فإذا أذن لـه استأنس، أو: تتبيّنـوا هل ثـمّ انسان مـن الإنس؟ ﴿وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ فيقول الواحد:[5] السّلام عليكم، ءادخـل ثلاثاً، فإن اذن لـه دخل وإلاّ رجع ﴿ذَلِكُم﴾ أي الإستئذان ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الدّخول فجأة أو بتحيّة الجاهليّة.

كان أحدهم إذا دخل بيتاً قال: حيّيتم صباحاً أو مساءً ودخل، فرّبما رأى الرّجل وزوجته في لحاف ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي انزل عليكم هذا ارادة ان تتّعظوا وتعملوا به.

[٢٨] ـ ﴿فَإِنْ لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَا أَحَدًا﴾ يأذن لكم ﴿فَلاَ تَدْخُلُوهَا﴾ إذ ربّما اطّلعتم

---

(١) قاله ابن مسلم والجبائي ـ كما في تفسير مجمع البيان ٤:١٣٥.

(٢) تفسير البيضاوي ٣: ٢٣٠.

(٣) حديث مشهور ثابت عن رسول الله صلّى الله عليه وآلـه وسلّم نقله أكثر الحفاظ والمحدثين منها الفقيه ابن المغازلي في مناقبه/ ٥٠ ـ والسيوطي في تفسير الدر المنثور في تفسير آية التطهير.

(٤) يريد ركـوبها البغل في وفاة الإمام الحسن عليـه السّلام لمنع بني هاشم من اطـافة جنازة الحسن بقبر جده الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم.

(٥) هكذا في النسخ ولعله تحريف عن الوارد.

فيها على عورة: أو حال يخفيها النّاس عادة، مع أنّه تصرّف في ملك الغير بغير إذنه وهو حرام ﴿حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ حتى تجدوا من يأذن لكم ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُواْ فَارْجِعُواْ هُوَ﴾ أي الرّجوع ﴿أَزْكَى﴾ أطهر ﴿لَكُمْ﴾ من الإلحاح والوقوف على الباب أو أنفع لكم دنياً ودينا ﴿وَاللهِ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه شيء منه فيجازيكم به.

[٢٩] - ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ كالرّبط[١] والحوانيت أي بغير استئذان ﴿فِيهَا مَتَاعٌ﴾ استمتاع ﴿لَّكُمْ﴾ كإستكان ومعاملة ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ في دخولكم من افساد وغيره.

[٣٠] - ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ أي شيئاً منها وهو ما يكون الى محرّم ﴿وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾ عمّن لا يحلّ لهم.

وعن «الصادق» عليه السّلام: حفظها - هنا خاصّة -: سترها[٢] ﴿ذَلِكَ أَزْكَى﴾ أطهر وأنفع ﴿لَهُمْ﴾ لما فيه من نفي التّهمة ﴿إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ بأبصارهم وفروجهم وجميع جوارحهم فليحذروه في كلّ حال.

[٣١] - ﴿وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ عمّا لا يحلّ لهنّ نظره ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عمّن لا يحلّ لهنّ ﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ كالحلّي والثياب والأصباغ فضلاً عن مواقعها لمن يحرم ابداؤها له ﴿إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ كالثّياب:

وقيل: اريد بالزّينة: مواقعها[٣] والمستثنى هو الوجه والكفّان.

وفي تفسير علي بن ابراهيم: الكفّ والأصابع.[٤]

والأحوط ستر بدنها كلّه إلاّ لضرورة كعلاج ونحوه ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى

---

(١) الربط جمع رباط، وهو مصدر رابط وماتربط به والدابة وغيرها من حبل ونحوه.

(٢) تفسير مجمع البيان ٤: ١٣٨.

(٣) تفسير مجمع البيان ٤: ١٣٨ـ تفسير الكشّاف ٣: ٢٣٠.

(٤) تفسير القمي ٢: ١٠١ وفيه: الكّف والسوار.

جِيُوبِهِنَّ﴾ لستر نحورهنّ وصـدورهنّ، وضمّ «الجيم» «نافع» و«عاصـم» و«أبو عمرو» و«هشام»[١] ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الخفيّة، وكرّر تـاكيداً ولإستثناء من يحلّ الإبـداء له بقوله ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ إذ الزّينـة لهم، فلهم النّظر الى كلّ بـدنهنّ حتّى الفرج بكـراهة ﴿أَوْ ءَابَائِهِنَّ أَوْ ءَابَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَـاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِى إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِى أَخَوَاتِهِنَّ﴾ نسباً ورضاعـاً لاحتياجهنّ الى مخالطتهم ولبعدهـم عن وقوع الفتنة لنفرة الطّباع عن مماسّة القرائب، ولهم النّظر الى ما يبدو منهنّ عند المهنة ويعمّ الآباء من علا والأبناء من سفل، ولم يذكـر الأعمام والأخوال لأنّهم في معنى الآباء والإخوان ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ أي المسلمـات، فلا يتجـردن للكافـرات وقيل كلّ النّسـاء[٢] ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ يعمّ العبيد والإماء.

ويعضـده بعض الاخـبار[٣] والمشـهور عندنـا اختصـاصه بالإماء وهـو الأحوط ﴿أَوِ التَّابِعِينَ﴾ النـّاس لفـضل طعـامـهم ﴿غَيْرِ أُوْلِى الْإِرْبَةِ﴾ الحاجـة الى النّساء ﴿مِنَ الرِّجَالِ﴾ وهم البله الّذين لا يعرفون امورهنّ.

وقيل: الشّيـوخ الصّلحاء وأهل العنّـة[٤] ونصب «ابن عـامر» و«أبـو بكر» «غيـر» حالاً[٥] ﴿أَوِ الطِّفْلِ﴾ جنس اريد به الجمع أي الأطفال ﴿الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا﴾ لم يطّلعوا ﴿عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ أي لـم يـعرفوها لـعدم شهوتهم ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ ليقعقع خلخالها فيعلم انّها ذات خلخال.

وفي النّهي عن اظهار صـوت الزّينة بعد النّهي عن اظهارها مبـالغة في النّهي عن اظهار مواقعها ﴿وَتُوبُواْ إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ من تقصير لا يكاد احدكم يخلو

---

(١) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٢٦ ـ مع اختلاف يسير.

(٢) تفسير البيضاوي ٣: ٢٣١.

(٣) ينظر كتاب وسائل الشيعة ١٤/ ١٦٤ ـ كتاب النكاح الباب ١٢٤.

(٤) تفسير القمي ٢: ١٠٢ ـ مع اختلاف يسير.

(٥) حجة القراءات: ٤٩٦و٤٩٧.

منه أو ممّا فعلتموه فى الجاهليّة، إذ تجديد التّوبة كلّما ذكر الذّنب واجب أو راجح وغلب المذكّر، وقرأ «ابن عامر» ايّه بضمّ الهاء[1] ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تسعدون في الدّارين.

[٣٢] ـ ﴿وَأَنْكِحُواْ الأيَامَى مِنْكُمْ﴾ مقلوب «ايائم» جمع «ايّم» وهو العزب ذكراً كان أو انثى، بكراً أو ثيّباً، أمر للأولياء بتزويج الأيامى الحرائر والأحرار بعضهم من بعض وللسّادة بتزويج عبيدهم وامائهم بقوله ﴿وَالَّصَالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ وتذكير الصّالحين للتّغليب وتخصيصهم لأهميّة الإهتمام بهم وتحصين دينهم.

وقيل: اريد بالصّلاح: القيام بحقوق النّكاح[2] و«عباد» جمع «عبد».

والأمر للنّدب وقد يجب إذا طلبته المرأة أو خيف الوقوع في الزّنا ﴿إِنْ يَكُونُواْ فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وعد منه تعالى بإغنائه من تزوّج لكنّه بشرط المشيّة لقوله: ﴿وان خفتم عليه فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء﴾[3] ويشعر بأنّ الفقر لا يمنع من النّكاح فإنّ فضله يغني عن المال ﴿وَاللهُ وَاسِعٌ﴾ افضاله ﴿عَلِيمٌ﴾ بما تقتضيه الحكمة من بسط الرّزق وتقديره فيفعله.

[٣٣]ـ ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾ وليجهد في العفّة ﴿الَّذِينَ لاَيَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أسبابه أو ما ينكح به من المال ﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ فيتمكّنوا من النّكاح ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾ المكاتبة وهي قول السيّد لمملوكه: كاتبتك على كذا، ومعناه: كتبت على نفسي اعتاقك وكتبت عليك الوفاء بالمال ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من عبد أو أمة ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ خبر «الذين» والفاء لمعنى الشّرط، أو مفسّر لمضمر ينصبه.[4]

---

(١) حجة القراءات: ٤٩٦و٤٩٧.

(٢) تفسير البيضاوي ٣: ٢٣٢.

(٣) سورة التوبة: ٩/ ٢٨.

(٤) اي«الذين».

والأمر للندب والقول بالوجوب شاذ ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ صلاحاً وامانةً وقدرةً على اداء المال بالتكسّب ﴿وَءَاتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِى ءَاتَاكُمْ﴾ أمر للسّادة باعطائهم شيئاً من اموالهم ومثله حطّ شيء ممّا التزموه والمشهور وجوبه.

فقيل: يقدّر بالرّبع[1] وقيل: بالثّلث[2] وقيل: يجزي أقلّ ما يتمول به.[3]

وقيل: ان كان على السيّد زكاة وجب وإلاّ استحبّ وقيل: أمر لعامّة المسلمين باعطائهم سهمهم من الزّكاة[4] ويحلّ للسيّد مع غناه لأنّه كالمشتري ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ﴾ امائكم ﴿عَلَى البِغَاءِ﴾ على الزّنا ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ تعفّفاً شرط للنّهي ولا يلزم من عدمه جواز الإكراه لإمتناع الإكراه بدونه، على انّ المفهوم انّما يعتبر إذا لم يكن للتّقيد وجه سواه، والوجه ـ هنا ـ سبب النّزول وهو انّه كان لابن اُبّي جوارٍ يكرههّن على الزّنا ويضرب عليهّن ضرائب، فشكى بعضهنّ الى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فنزلت[5] ﴿لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لهنّ، وقيل: له، اما مطلقاً أو بشرط التّوبة، والأظهر: الاوّل.

[٣٤] ـ ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ هي المبيّنة في الحدود والأحكام في السّورة، وكسرها «ابن عامر» و«حفص» و«حمزة» و«الكسائي» في الموضعين[6] أي بيّنت هي الحدود والأحكام أو من بيّن بمعنى تبيّن ﴿وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وقصّة عجيبة من جنس قصصهم وهي قصّة عائشة أو شبهاً من حالهم بحالكم لتعتبروا ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ خصّوا بها لأنّهم المنتفعون بها وقيل «الآيات»: القرآن.

---

(١) تفسير البيضاوي ٣: ٢٣٢ عن علي عليه السّلام.

(٢) تفسير البيضاوي ٣: ٢٣٢ عن ابن عباس.

(٣) تفسير البيضاوي ٣: ٢٣٢.

(٤) تفسير البيضاوي ٣: ٢٣٢ ـ وفيه: ويدل عليه آية «الرقاب».

(٥) تفسير مجمع البيان ٤: ١٤١. وتفسير البيضاوي ٣: ٢٣٢.

(٦) حجة القراءات: ٤٩٨ وفيه: اهل الشام والكوفة سيأتي الموضع الآخر في الآية ٤٦.

[٣٥] ـ ﴿اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ كونه تعالى نورهما على حذف مضاف أي ذو نورهما أو على تجوّز بمعنى منوّرهما بالنيّرات، أو بالملائكة والأنبياء، أو مدبّرهما كما يقال للرّئيس المدبّر: نور القوم لإهتدائهم به، أو هادى أهلهما.

واضيف اليهما لإستضاءة أهلهما به أو ايذاناً بسعة اضائته ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ صفته العجيبة واضافته الى ضميره تعالى تقتضى التّأويل في حمله عليه ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ هي كوّة غير نافذة ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ سراج.

وقيل: المشكوة: انبوبة القنديل[1] والمصباح: الفتيلة المتّقدة ﴿الْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ في قنديل زجاج ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ مضيء كالزّهرة في تلألؤه، منسوب الى الدّرّ، أو فعيّل كمريق من الدّر، لدفعه الظّلام، قلبت همزته ياء، وقرأ بها «حمزة» و«الكسائي» و«أبو بكر» على الأصل وكذا «أبو عمرو» و«الكسائي» لكن بكسر الدّال كسكّيت[2] ﴿تَوَقَّدَ﴾[3] بفتح الجميع مشدّداً، قرأه «ابن كثير» و«أبو عمرو».

وبناه «حمزة» و«الكسائي» و«أبو بكر» للمفعول مضارع «اوقد» وكذ الباقون لكن بالياء[4] ﴿مِنْ﴾ أي ابتداء توقّده من: ﴿شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ كثيرة المنافع ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ بدل من «شجرة» ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾[5] أي لا تصيبها الشّمس بشروقها أو غروبها فقط تصيبها كلّ النّهار فإنّ زيتها أصفى، أو منبتها الشام وسط العمارة لا شرقها وغربها فزيتونه أجود أو: لا في مضحى للشّمس دائماً فتحرقها أو في مقناة[6] لا تصيبها

---

(١) انبوبة القنديل: عموده (تفسير مجمع البيان ٤: ١٤٣).

(٢) حجة القراءات: ٤٩٩.

(٣) في المصحف الشريف بقراءة حفص «يوقد».

(٤) حجة القراءات: ٥٠٠.

(٥) في هامش «أ» مايلي: لاشرقية ولاغربية عطف على قوله من شجرة مباركة والمعنى من شجرة مباركة لاهي شرقية ولاهي غربية [كلمات لاتقرأ].

(٦) المقناة: المكان الذي لاتطلع عليه الشمس.

فلا تنضج ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ لفرط صفائه ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ نور متضاعف حيث انضمّ الى نور المصباح صفاء الزّيت والزّجاجة.

وجمع «المشكاة» للنّور.

واختلف في هذا التّمثيل فقيل: «المشكاة»: صدر «محمّد» صلّى الله عليه وآله وسلّم و«الزّجاجة»: قلبه و«المصباح»: النّبوّة.

و«الشّجرة المباركة»: شجرة النّبوة وهي «ابراهيم» عليه السّلام.

«لا شرقيّة» و«لا غربيّة»: لا نصرانيّة قبلتها المشرق ولا يهوديّة قبلتها المغرب «تكاد»: محاسن «محمّد» صلّى الله عليه وآله وسلّم تظهر قبل أن يوحى إليه.

وقيل: «المشكاة»: عبد المطّلب و«الزّجاجة»: عبد الله و«المصباح»: «محمّد» صلّى الله عليه وآله وسلّم «لا شرقية» و«لا غربية» بل مكّيّة لأنّ مكّة وسط الدّنيا.

وعن «الرضا» عليه السّلام: نحن المشكاة، فيها المصباح «محمّد» صلّى الله عليه وآله وسلّم يهدى الله لولايتنا من احبّ.

وقيل: المصباح: القرآن و«الزّجاجة»: قلب المؤمن و«المشكاة»: فمه و«الشّجرة»: الوحي «تكاد»: حجج القرآن تتضح وان لم يقرأ نور تزداد به سائر الحجج نور على نور.

وقيل: «المشكاة»: صدر المؤمن و«الزّجاجة»: قلبه و«المصباح» فيه الإيمان والشّجرة: الإخلاص، فهي خضراء كشجرة التفّ بها الشّجر فلا تصيبها الشّمس من شرق ولا غرب «نور على نور» كلامه نور، وعلمه نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره الى نور يوم القيامة[1] ﴿يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ﴾ يوفّق لدينه بلطفه ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ ممّن يعلمه أهلاً للّطف ﴿وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ يبيّنها لهم تقريباً الى افهامهم ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيضع الأشياء مواضعها.

---

(١) الحديث بطوله، والأقوال كلّها في تفسير مجمع البيان ٤: ١٤٣.

[٣٦] ـ ﴿فِى بُيُوتٍ﴾ يتعلّق بقـوله: «كمشكاة» أو بــ«توقد» مبـالغة فـي عـظم الممثّل به، إذ قناديل المساجد أعظم. أو بــ«يسبّح» الآتي، وتكرير «فيها» للتّأكيد، وهي: المساجد.

وروى انّه صلّى الله عليه وآله وسلّم قرأها فسئل أيّ بيوت هـذه؟ فقال: بيوت الأنبياء. فقال «أبـو بكر»: هذا البيت منهـا ـ لبيت «علي» و«فـاطمة» عليهما السّلام ــ؟ قال: نعم، من افاضلها[1] ﴿أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ أمر بتعظيهما أو بنائها ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ يتلى فيها كتـابه أو عامّ فـي كلّ ذكر ﴿يُسَبِّحُ لَهُ﴾ يصلّى له أو ينـزّهه ﴿فِيهَا بِالْغُدُوِّ﴾ مصدر اريد به الوقت أي الغدوات ﴿وَالآصَالِ﴾ العشايا من بعد الزّوال، جمع اصيل.

[٣٧] ـ ﴿رِجَالٌ﴾ فاعـل «يسبّح» ـ بـالكسر ــ، وفتحه «ابن عـامر» و«عـاصم» مسنداً الى احد الظـّروف الثلاثة و«رجـال» فاعـل لمـقدّر[2] دل عـليه: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ﴾ لا تشغلهم ﴿تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾ خصّ بعـد التّجارة الشّاملـة وله للشّراء لأنّـه ادخل في الإلهاء لأنّ الرّبح فيه يقين وفي الشّراء مظنون.

أو: اريـد بالتّجـارة: الشّراء تسميـة للنّـوع باسـم الجنس ﴿عَنْ ذِكْـرِ اللهِ وَإِقَـامِ الصَّلَوةِ﴾ الإضافة عوض الهاء المعوّضة عن واو «إقوام» ﴿وَإِيتَاءِ الزَّكَوةِ﴾ المفروضة أو اخلاص الطّاعة له ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ تضطرب من الهول أو تتغيّر احوالها فتتيقّن القلوب بعد الشّك وتبصر الأبصار بعد العمى وهو يوم القيامة.

[٣٨] ــ ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ﴾ متعلّق بــ«يسبّح» ﴿أَحْسَنَ مَـا عَمِلُواْ﴾ احسن جـزائه ﴿وَيَزِيدَهُمْ﴾ على ذلـك ﴿مِّنْ فَضْلِـهِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَـاءُ بِغَيْرِ حِسَـابٍ﴾ تفضلاً إذ الثّواب له حساب لأنّه بحسب الإستحقاق بخلاف التّفضّل.

[٣٩] ـ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَعْمَالُهُمْ﴾ الّتي يحسبونها طاعة نافعة عند الله ﴿كَسَرَابٍ﴾

---

(١) تفسير مجمع البيان ٤: ١٤٣.

(٢) حجة القراءات: ٥٠١ وفيه: قرأ ابن عامر وابوبكر.

وهو ما يرى في الفلاة من ضوء الشّمس في الظهيرة كماء يسرب أي يجرى ﴿بِقِيعَةٍ﴾ بمعنى قاع أو جمعه وهو الأرض المستوية ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْئَانُ مَاءً﴾ أي العطشان.

وخصّ ليشبّه الكافر به في خيبته عند شدّة حاجته ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ﴾ جاء ما حسبه ماءً ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ ممّا حسبه ﴿وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ﴾ زبانيته أو جزائه ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ فأتمّ له جزائه ﴿وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يحاسب الكلّ في حالة[1] واحدة.

قيل: نزلت في عتبة بن ربيعة، التمس الدّين في الجاهليّة وكفر في الإسلام.[2]

[٤٠] - ﴿أَوْ﴾ اعمالهم في خلوّها عن نور الحق ﴿كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾ عميق منسوب الى اللجّ وهو معظم الماء ﴿يَغْشَاهُ﴾ يغشى البحر ﴿مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ﴾ أي الموج ﴿مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ﴾ أي الموج الثّاني ﴿سَحَابٌ﴾ حجب نور الكواكب ﴿ظُلُمَاتٌ﴾ أي هذه ظلمات متراكمة ﴿بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ وجرّ «ابن كثير» «ظلمات» بدلاً من الاولى، وعنه «البزّي» بإضافة سحاب اليها[3] ﴿إِذَا أَخْرَجَ﴾ أي الواقع فيها ﴿يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ لم يقرب أن يراها فضلاً أن يراها ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا﴾ لطفاً وتوفيقاً ﴿فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ فهو في ظلمة الباطل.

[٤١] - ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم بالوحي أو النّظر ﴿أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ينزّهه عمّا لا يليق به، بدلالة المقال أو الحال و«من» لتغليب العقلاء ﴿وَالطَّيْرُ﴾ تخصيصها لما فيها من الحجّة الواضحة كما يؤذن به: ﴿صَافَّاتٍ﴾ باسطات اجنحتهن في الهواء فإنّ ذلك يدّل على كمال قدرة خالقهنّ ﴿كُلٌّ﴾ ما ذكر أو من الطّير ﴿قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ أي علم الله دعائه وتنزيهه: أو علم «كلّ» لجواز أن يلهم الله الطّير دعاءً وتسبيحاً كما ألهمها علوماً تخفى على العقلاء

---

(١) في «ج» في ساعة.

(٢) قاله مقاتل ـ كما في مجمع البيان ٤:١٤٦ ـ.

(٣) حجة القراءات: ٥٠١ و٥٠٢.

﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ غلّب العقلاء .

[٤٢] ـ ﴿وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ على الحقيقة لا يشاركه فيه غيره ﴿وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾ المرجع .

[٤٣]ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ يسوقه برفق ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ بين قطعه، بضمّ بعضها الى بعض، وترك «ورش» همز «يؤلّف» [1] ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ متراكماً بعضه على بعض ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ من مخارجه، جمع خلل كجبال لجبل ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من السّحاب وكلّ مظلّ سماء ﴿مِنْ جِبَالٍ فِيهَا﴾ في السّماء .

واريد بالجبال الكثرة كقولك : لفلان جبال من ذهب ﴿مِنْ بَرَدٍ﴾ بيان للـ«جبال» والاوليان للإبتداء والمفعول محذوف أي «ينزّل» مبتدأ من السّماء «من جبال» من برد برداً، أو الثّانية للتّبعيض فالمفعول «من جبال» .

وقيل : اريد بالسّماء : المظلّة وفيها جبال برد كما في الأرض جبال حجر [2] ﴿فَيُصِيبُ بِهِ﴾ بالبرد ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ في نفسه أو ماله ﴿وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ﴾ فهو يقبض ويبسط بمقتضى حكمته ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ﴾ ضوء برق السّحاب ﴿يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾ يخطفها لشدّة لمعانه .

[٤٤]ـ ﴿يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يعاقب بينهما أو يدخل احدهما في الآخر أو ما يعمّ ذلك وتغيير احوالهما بالحرّ والظلمة وضدّهما ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَعِبْرَةً﴾ دلالة ﴿لِأُولِي الأَبْصَارِ﴾ لذوي البصائر على توحيد الصّانع وقدرته وعلمه وحكمته .

[٤٥] ـ ﴿وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ حيوان، يدبّ على الأرض، وقرأ «حمزة» و«الكسائي» : «خالق كلّ» بالإضافة [3] ﴿مِنْ مَاءٍ﴾ من نطفة على التّغليب إذ منها

(١-٢) تفسير البيضاوي ٣ : ٢٣٦ .

(٣) حجة القراءات : ٥٠٢ .

ما لا يتـولد عـن النّطفة، أو مـن نــوع من المـاء هـو جـزء مادّته ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِى عَلَى بَطْنِهِ﴾ كالحيّة. وسمّى الزّحف مشياً، استعارة أو للمشاكلة ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِى عَلَى رِجْلَيْنِ﴾ كالإنـس والطـّير ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِى عَلَى أَرْبَعٍ﴾ كالنّعـم والـوحش ولم يذكر ما له أكثر من اربع لندرته أو دخوله في ذي الأربع لإعتماده على اربع.

وتذكير الضّميـر ولفظ «من» لتغليب العقلاء، والتّرتيب لتقـديم الأغرب ﴿يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ من حيوان وغيره على اختلاف الصّور والطّبائع مع اتّحاد المادّة بمقتضى حكمته ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيخلق ما يشاء.

[٤٦] ـ ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا ءَايَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ﴾ بيّنات هـي القرآن ﴿وَاللهُ يَهْدِى مَـنْ يَشَاءُ﴾ بتوفيقه لتدبّرها ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ هو الإيمان المؤدّي الى الجنّة.

[٤٧] ـ ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ﴾ قيل: اشترى عثمـان من علي عليه السّلام ارضـاً، فخـرج فيها احجـار فأراد ردّهـا بالعيـب، فلـم يأخـذها ودعــاه الى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقـال الحـكم بن العاص: ان حاكمته الى ابن عمّه حكم له، فلا تحاكمه إليه، فنزلت.[1]

وقيل: في «بشـر» المنافق، خاصم يهـوديّاً فدعـاه الى النبيّ صلّى الله عليـه وآلـه وسلّم و«بشر» يدعوه الى كعب بن الأشرف[2] ﴿وَأَطَعْنَا﴾ لهما ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ يعرض عن قبول حكمه ﴿مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ القول منهم ﴿وَمَا أُوْلَئِكَ﴾ القائلون كلهم أو الفريق منهم ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ المعهودين المواطئة قلوبهم لألسنتهم.

[٤٨] ـ ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي الى رسول الله صلّى الله عليه وآلـه وسلّم وذكر الله تفخيماً لـه وايذاناً بأنّ حكمـه حكم الله ﴿لِيَحْكُمَ﴾ أي الرّسـول ﴿بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ عن الإتيان إليه إذا كان الحقّ عليهم.

[٤٩] ـ ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ منقادين لعلمهم بأنّه يحكم لهم

(١-٢) تفسير مجمع البيان ٤: ١٥٠ ـ عن ابي جعفر عليه السّلام.

و«الى» صلة «يأتوا» أو «مذعنين» وقدّم للإختصلاص.

[٥٠] - ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ كفر ﴿أَمِ ارْتَابُواْ﴾ في نبوّته ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾ في الحكم ﴿بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي لا يخافون حيفه وانّما الظّلم صفتهم ولا يستطيعونه بحضرته صلّى الله عليه وآله وسلّم فلذا يأبون المحاكمة إليه.

[٥١] - ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنّصب، وعن «علي» عليه السّلام رفعه[١] ﴿إِذَا دُعُواْ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ عقب الإنكار على المنافقين بذكر سيرة المؤمنين على عادته تعالى ليقتدى بهم.

وعن «الباقر» عليه السّلام: انّ المعنيّ بها «علي» عليه السّلام.[٢]

[٥٢] - ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيما امراه به ونهياه عنه ﴿وَيَخْشَى اللهَ﴾ لسالف ذنوبه ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ فيما يستقبل، وسكّن «أبو بكر» و«أبو عمرو» الهاء وكسرها «قالون» باختلاس، وسكّن «حفص» القاف وكسرهما الباقون[٣] ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بالجنّة.

[٥٣] - ﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ غايتها، مصدر بمعنى الحال أي جاهدينها ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾ بالخروج من ديارهم وأموالهم ﴿لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُواْ﴾ كاذبين ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ لانفاق فيها اولى بكم من أيمانكم الكاذبة، أو المطلوب منكم طاعة معروفة لانفاقيّة، أو طاعتكم طاعة معروفة بأنّها نفاقيّة ﴿إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيعلم ما تضمرون.

[٥٤] - ﴿قُلْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ﴾ امر بحكاية خطابه تعالى لهم لمزيد التّبكيت ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْاْ﴾ تتولّوا عن الطّاعة ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ﴾ على الرّسول ﴿مَا حُمِّلَ﴾ من

---

(١) تفسير مجمع البيان ٤: ١٤٩.

(٢) تفسير مجمع البيان ٤: ١٥٠.

(٣) حجة القراءات: ٥٠٣.

التبليغ ﴿وَعَلَيْكُمْ مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ من طاعته ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ الى الرّشد ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ التّبليغ البيّن المبيّن وقد بلّغ، فإن قبلتم فلكم وإلاّ فعليكم.

[٥٥] ـ ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْكُمْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ «من» للبيان أو التّبعيض ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ﴾ يجعلهم خلفاء متصرّفين فيها.

وهو جواب «الوعد» لأنّه كالقسم في تحقّقه، أو بتقدير: واقسم ليستخلفنهم ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي بني اسرائيل بدل الجبابرة، وبناه «أبو بكر» للمفعول[1] ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ﴾ وهو الإسلام بتثبيته ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ﴾ وخفّفه «ابن كثير» و«أبو بكر»[2] ﴿مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ من اعدائهم أو عذاب الآخرة ﴿أَمْنًا﴾ منهم أو منه ﴿يَعْبُدُونَنِى﴾ حال من «الذين» أو استئناف للتّعليل ﴿لاَ يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا﴾ حال من «الواو» ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ بهذه النّعم ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الوعد الصادق ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الخارجون الى أقبح الكفر.

قيل: الآية في اصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم[3] وقيل: في امّته.[4]

وعن أهل البيت عليهم السّلام: انّها في المهديّ من آل «محمّد» صلّى الله عليه وآله وسلّم.[5]

فعن عليّ بن الحسين عليه السّلام انّه تلاها وقال: هم والله شيعتنا أهل البيت، يفعل الله ذلك بهم على يدي رجل منّا وهو مهديّ هذه الأمّة وهو الذي قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لو لم يبق في الدّنيا إلاّ يوم، لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يلي رجل من عترتي اسمه اسمي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت

(١و٢) حجة القراءات: ٥٠٤.

(٣و٤) قاله ابن عباس ومجاهد ـ كما في تفسير مجمع البيان ٤: ١٥٢ ـ.

(٥) قاله ابن عباس ومجاهد ـ كما في تفسير مجمع البيان ٤: ١٥٢ وتفسير التبيان ٧: ٤٠٧.

جوراً، [1] وعن «الصّادقين» عليهما السّلام نحوه.

فالمراد بـ«الّذين آمنوا» النّبي وأهل بيته عليهم السّلام، ففيها بشارة لهم بالإستخلاف والتّمكين والأمن.

وقوله: «كما استخلف الّذين من قبلهم» أي كما جعل الصّالح للخلافة خليفة كآدم و«داود» و«سليمان» وآل ابراهيم، ويدلّ على ذلك ان التّمكين في الأرض على الإطلاق لم يتّفق فيما مضى فهو مترقّب لأنّ الله تعالى لا يخلف وعده. [2]

وعنهم عليهم السّلام أيضاً: انّ المراد بها خلافة «علي» واولاده الأحد عشر عليهم السّلام فيكون تمام تمكينهم عند قيام المهدي عليه السّلام ويراد بـ«من كفر» الخلفاء المتغلّبون عليهم.

[٥٦] ـ ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ﴾ عطف على «اطيعوا» وان طال الفاصل ﴿وَءَاتُواْ الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ﴾ كرّرت طاعته تأكيداً ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي رجاءً للرّحمة.

[٥٧] ـ ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ يا «محمّد» ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مفعول اوّل ﴿مُعْجِزِينَ فِى الْأَرْضِ﴾ مفعول ثان، وقرأ «ابن عامر» و«حمزة» بالياء[3] فمفعولاه «معجزين في الأرض».

والمعنى لا يحسبّن الكفّار احداً معجزاً لنا في الأرض أو فاعله ضمير «الرّسول».

أو لا يحسبنّ انفسهم معجزين، فحذف المفعول الاول لأنّه هو الفاعل ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ عطف على معناه، كأنّه قيل: الكفّار لا يفوتوننا ومأواهم النّار ﴿وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع هي.

[٥٨] ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ قد سبق الأمر

(١) تفسير مجمع البيان ٤: ١٥٢ ـ وفيه ظلماً وجوراً.

(٢) تفسير مجمع البيان ٤: ١٥٢.

(٣) حجة القراءات: ٥٠٥.

بالإستئذان العام، وهذا استئذان خاصّ، وهل يشمل الأماء؟ قيل: نعم وهو الظّاهر،[١] وقيل: لا، وهو مروى عن «الصّادقين» عليهما السّلام.[٢]

والخطاب للرّجال والنّساء بتغليب الرّجال لما روى انّ غلام اسماء بنت أبي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت[٣] ولأولويتّهنّ بحفظ العورة ﴿**وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ**﴾ من الأحرار يعمّ الذّكور والأُناث، ويحتمل اشتراط التمييز كما يفهم من ﴿أو الطّفل الّذين لم يظهروا على عورات النّساء﴾[٤]، والأمر بالنّسبة الى البلّغ للوجوب والى الصّبيان للتّمرين، فيكون لمطلق الرّجحان. وقيل: للوجوب مطلقاً ﴿**ثَلٰثَ مَرَّاتٍ**﴾ في اليوم واللّيلة ﴿**مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ الْفَجْرِ**﴾ لأنّه وقت القيام من المضاجع وتبديل لبس اللّيل بلبس النّهار ﴿**وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ**﴾ للقيلولة ﴿**مِّنَ الظَّهِيرَةِ**﴾ بيان لـ«حين» ﴿**وَمِنْ بَعْدِ صَلَوٰةِ الْعِشَاءِ**﴾ لأنّه وقت تبديل لبس اليقظة بلبس النّوم ﴿**ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ**﴾ خبر محذوف بتقدير مضاف، أي: هذه اوقات ثلاث عورات أو بدونه تسمية لهذه الأحوال عورات لاختلال السّتر فيها.

والعورة: الخلل، ونصبها «أبو بكر» و«حمزة» و«الكسائي» بدلاً من «ثلاث مرّات»[٥] ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ**﴾ أي المماليك والصّبيان ﴿**جُنَاحٌ**﴾ في أن لايستأذنوا ﴿**بَعْدَهُنَّ**﴾ بعد هذه الأوقات ﴿**طَوَّافُونَ عَلَيْكُم**﴾ أي هم طوّافون، استئناف يعلّل ترك الإستيذان بالحاجة الى المخالطة، فلو وجب الإستئذان كلّ وقت لزم الحرج ﴿**بَعْضُكُمْ**﴾ طائف أو يطوف بعضكم ﴿**عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ**﴾ التّبيين ﴿**يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ**﴾ الأحكام ﴿**وَاللهُ عَلِيمٌ**﴾ بما يصلحكم ﴿**حَكِيمٌ**﴾ فيما دبّر لكم.

---

(١) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير مجمع البيان ٤: ١٥٤.

(٢) تفسير مجمع البيان ٤: ١٥٤.

(٣) تفسير البيضاوي ٣: ٢٣٩.

(٤) في هذه السورة الآية: ٣١.

(٥) حجة القراءات: ٥٠٥.

[٥٩] ـ ﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ﴾ ايها الأحرار ﴿الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُواْ﴾ في جميع الأوقات ﴿كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الاحرار البلّغ ﴿كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ كرّر تأكيداً.

[٦٠] ـ ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ المسنّات اللاتي قعدن عن الحيض والولد ﴿اللاتِي لاَ يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ لا يطمعن فيه لكبرهنّ ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ الظّاهرة كالملحفة والرّداء، والفاء [فيه][1] لأنّ لام «القواعد» بمعنى اللاتي ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ غير مظهرات زينة خفيّة، أمرن بسترها في ﴿ولا يبدين زينتهن﴾.[2]

وأصل التّبرّج تكلف اظهار ما يخفى وخصّ بكشف المرأة زينتها للرّجال ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ﴾ عن الوضع ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ منه ﴿وَاللهُ سَمِيعٌ﴾ للأقوال ﴿عَلِيمٌ﴾ بالأحوال.

[٦١] ـ ﴿لَّيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ نفي لتحرّجهم من الأكل من بيوت يخلفهم الغزاة عليها أو من مواكلة الأصّحاء خوف استقذارهم، أو من اجابة من يدعوهم الى الأكل من بيوت اقاربه ﴿وَلاَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ حرج ﴿أَنْ تَأْكُلُواْ مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ بيوت عيالكم، ويشمل بيوت الأولاد لقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: انت ومالك لأبيك.[3]

وقوله: انّ أطيب ما يأكل المرء من كسبه وانّ ولده من كسبه[4] أو ثبوت الرّخصة فيهم بالأولويّة لأنّهم أقرب من المذكورين بقوله. ﴿أَوْ بُيُوتِ ءَابَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أو بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاَتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَّفَاتِحَهُ﴾ جمع مفتح، ما يفتح به

---

(١) زيادة اقتضاها السياق اخذناها من تفسير البيضاوي ٣: ٢٣٩.

(٢) هذه السورة الآية: ٣١.

(٣-٤) تفسير مجمع البيان ٤: ١٥٦.

أي مـا وكلتم بحفظه من حائط ونحـوه لغيركم أو بيوت مماليككم ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ أو بيوت اصدقائكم وهو للواحد والجمع .

عـن «الصـّادق» عليه السّلام : هو والله الرّجـل يدخل بيت صـديقه فيأكل طعـامه بغير اذنه .[1]

والظّاهر جواز الأكل من بيوت المذكورين ما لم يعلم عدم الرّضا .

وقيل : انّما يجـوز إذا علـم الرّضـا ، وفيـه انّه لا فـرق حينئـذ بينهم وبين غيرهم فلا وجه لتخصيصهم بالذّكر .

وقيل : الآية منسوخـة[2] وهو ممنـوع ويمكن تعديـة الحكـم الى جـواز الصّلاة في منازل هؤلاءِ ، وعلى فرشهم وثيابهم بمفهوم الموافقة ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ اَنْ تَأْكُلُواْ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ مجتمعين أو متفرّقين .

نزلت في قوم من كنانة تحرجوا أن يأكل الرّجل وحده . أو في قوم من الأنصار إذا نزل بهم ضيـف لا يأكلون إلاّ معه ، أو تحـرّجوا أن يأكلوا جميعـاً خوفاً من حصـول ما ينفر ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا﴾ من هذه البيوت وغيرها ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ على أهلها الذين هم منكم .

وعن «الصّادق» عليه السّلام : هو تسليم الـرّجل على أهل البيت حين يـدخل ، ثم يردّون عليه فهـو سلامكم على انفسكم[3] ﴿تَحِيَّةً﴾ مصدر بمعنـى تسليماً ﴿مِّنْ عِنْدِ اللهِ﴾ مشروعة من لدنه ، أو هو صلة «تحيّة» فإنّها طلب حياة من عنده ﴿مُبَارَكَةً﴾ لأنّها دعـاء بالسّـلامة مـن آفات الـدّارين ﴿طَيِّبَةً﴾ تطيب بهـا النفس بـالتّـواصل والثّـواب ﴿كَذٰلِكَ يُبَيِّـنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ﴾ الدّالّـة عـلى كلّ مـا يتعبّدكـم به ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

---

(١) تفسير مجمع البيان ٤ : ١٥٦ .

(٢) قاله الجبائي ـ كما في تفسير التبيان ٧ : ٤٦٣ .

(٣) تفسير مجمع البيان ٤ : ١٥٧ .

معالم دينكم.

[٦٢] ـ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي الكاملون في الإيمان ﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ بإخلاص ﴿وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُ﴾ مع الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ كالجمعة والأعياد والحروب.

ووصف الأمر بالجمع مبالغة ﴿لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ فيأذن لهم، واعتبر ذلك في كمال الإيمان لأنّه المميّز للمخلص عن المنافق الّذي شأنه التّسلّل، ولتعظيم ذنب الذّاهب عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم بغير اذنه، ولذا اكّد بإعادته بأبلغ اسلوب بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ فجعل الإستئذان كالمصداق لصحّة الإيمان، وعرّض بالمنافقين وتسلّلهم ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِم﴾ مهامّهم ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ فوض تعالى إليه صلّى الله عليه وآله وسلّم الأمر وخيّره بين الإذن وتركه، فأيّهما فعل فهو عن وحي المفوّض[1] لا الإجتهاد ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ﴾ لتركهم الأفضل وهو الكفّ عن الإستئذان ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

[٦٣] ـ ﴿لاَّ تَجْعَلُواْ دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ لا تقيسوا دعائه ايّاكم على دعاء بعضكم بعضاً فإنّ اجابته فرض والرّجوع بغير إذنه حرام.

أو: لا تجعلوا ندائه كنداء بعضكم بعضاً باسمه، بل قولوا: يا نبيّ الله، يا رسول الله، بتعظيم وتواضع وخفض صوت.

أو: لا تجعلوا دعائه ربّه كدعاء فقيركم غنيّكم يجيبه أو يردّه فإنّ دعائه لا يردّ ﴿قَدْ﴾ للتّحقيق ﴿يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ﴾ يخرجون عن الجماعة بخفية ﴿لِوَاذًا﴾ مصدر وقع حالاً أي ملاوذين يستتر بعضهم ببعض ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ

---

(١) كذا في النسخ، والصحيح: وحي مفوض او الوحي المفوض، الاّ أن يقرأ بصيغة الفاعل.

﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ يخالفون امر الله أو رسـوله بترك مقتضاه، و«عن»[1] لتضمنه معنى الإعراض، أو: يصّدون عن أمره دون المؤمنين من خـالفه عن الشيء: صدّ عنه دونه. وحذف مفعوله لأنّ الغرض ذكـر المخالف والمخالف عنه ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ محنة في الدّنيا ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَـذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخـرة ويحتجّ به علـى انّ الأمر للـوجوب للوعيد بالعذاب على مخالفته.

[٦٤] ـ ﴿أَلَا إِنَّ للهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ملكاً مختصّاً به ﴿قَدْ﴾ للتّحقيق ﴿يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ ايّها المكلّفون من الإخلاص والنّفاق ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي المنـافقـون، ويجـوز كـونـه التفاتـاً مـن الخطـاب بتعميمـه أو تخصيص الخطـاب بالمنافقيـن أيضاً و«يوم» عطف على «ما» أو ظـرف لقوله: ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُواْ﴾ من خير وشرّ والفاء لتلازم ما قبلها أو ما بعدها ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه أعمالهم.

---

(١) اي استعمال لفظ «عن» في الآية.

سورة الفرقان

[٢٥]

سبع وسبعون آية . مكية ، وقيل : إلاّ ﴿والذين لا يدعون . . . ﴾ الى : ﴿رحيماً﴾ . [١]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ـ ﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ تكاثر خيره ، أو تزايد وتعالى عن كلّ شيء .

و«الفرقان» مصدر فرق ، سمّي به القرآن لفرقه بين الحق والباطل ، أو لإنزاله مفروقاً بعضه عن بعض ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾ «محمّد» صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿لِيَكُونَ﴾ عبده أو الفرقان ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ أي الثّقلين ﴿نَذِيرًا﴾ مخوّفاً من العذاب . وصحّ الوصل [٢] بهذه الصّفات لأنّها معلومة بدلائل الإعجاز .

[٢] ـ ﴿الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ بدل من الاوّل أو مدح مرفوع أو منصوب ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ كزعم النّصارى وغيرهم ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ﴾ كزعم الوثنيّة والثّنوية ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أوجده على تقدير وتسوية في شكله وجبلّته حسب ما تقتضيه الحكمة ﴿فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ فهيّأه لما يصلح له في باب الدّين والدّنيا .

---

(١) قاله ابن عباس كما في تفسير مجمع البيان ٤/ ١٥٩ .

(٢) اي جعله صلة .

أو: فقدّره للبقاء الى أجل مسمّى.

أو: اريد بالخلق مجرّد الإيجاد بدون نظر الى وجه الإشتقاق وهو تضمّنه لمعنى التّقدير فكأنّه قيل: اوجد كل شيء فقدّره في ايجاده فلم يوجد متفاوتاً.

[٣] ـ ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ لمّا اثبت التّوحيد والنبوّة شرع في الرّد على منكريهما ﴿لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ لأنّ عبدتهم يصنعونهم بالنّحت ﴿وَلاَ يَمْلِكُونَ﴾ لا يستطيعون ﴿لأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا﴾ أي دفعه ﴿وَلاَ نَفْعًا﴾ أي جرّه ﴿وَلاَ يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلاَ حَيَوةً﴾ اماتة واحياء ﴿وَلاَ نُشُورًا﴾ بعثاً للأموات، ومن هذا حاله كيف يُتّخذ إلٰهاً؟!.

[٤] ـ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا﴾ أي القرآن ﴿إِلاَّ إِفْكٌ﴾ كذب ﴿افْتَرَاهُ﴾ اختلقه ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ من أهل الكتاب وهو نظير: ﴿انّما يعلّمه بشر﴾ وسبق في النّحل[1] ﴿فَقَدْ جَاءُو﴾[2] فعلوا ﴿ظُلْمًا﴾ هو تكذيبهم الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿وَزُورًا﴾ هو كذبهم عليه ويجوز انتصابه بنزع الخافض.

[٥] ـ ﴿وَقَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ ما سطره المتقدّمون ﴿اكْتَتَبَهَا﴾ كتبها لنفسه، أو استكتبها ﴿فَهِىَ تُمْلَى﴾ تقرأ ﴿عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ طرفي نهاره ليحفظها أو ليكتبها.

[٦] ـ ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ الغيب ﴿فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ لإعجازه بفصاحته، وتضمّنه لمصالح العباد في المعاش والمعاد واخباره بما لا يعلمه إلاّ علاّم الغيوب ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ فلذلك لم يعاجلكم بما استوجبتموه من العقوبة.

[٧] ـ ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَـذَا الرَّسُولِ﴾ أي الزّاعم انه رسول وفيه تهكّم[3] ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ كما نأكل ﴿وَيَمْشِى فِى الأَسْوَاقِ﴾ لطلب المعاش كما نمشي، زعموا انّه كان يجب أن يكون ملكاً مستغنياً عن الأكل والتّعيّش، ثم نزلوا عن ذلك فقالوا:

---

(١) سورة النحل: ١٦/ ١٠٣.

(٢) ينظر تعليقنا على الآية (٦١) من سورة البقرة.

(٣) التهكم: الإستهزاء.

﴿لَوْلَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ يصدّقه، ثمّ نزلوا عن ذلك فقالوا:

[٨] ـ ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنْزٌ﴾ يغنيه عن طلب المعاش، ثمّ نزّلوا عنه فقالوا: ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ ويرتزق كالدّهاقين، وقرأ «حمزة» و«الكسائي» بالنّون[١] ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ ـ وضع موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بالظّلم فيما قالوا ـ ﴿إِنْ﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ سحر فغلب على عقله.

[٩] ـ ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ أي قالوا فيك الأقوال النّادرة ﴿فَضَلُّوا﴾ عن الرّشد ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ إليه أو الى ابطال أمرك.

[١٠] ـ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي﴾ تكاثر خير الّذي ﴿إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ﴾ في الدّنيا ﴿خَيْرًا مِّنْ ذَٰلِكَ﴾ ممّا قالوا ﴿جَنَّاتٍ﴾ بدل من «خيراً» ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وقد شاءه لك في الآخرة ﴿وَيَجْعَلْ لَّكَ قُصُورًا﴾ جزم عطفاً على محلّ الجزاء ورفعه «ابن كثير» و«ابن عامر» و«أبو بكر»[٢] لجواز الرّفع والجزم في جزاء الشرط الماضي أو استئنافاً.

[١١] ـ ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ عطف على ما حكي عنهم أي بل أتوا بأعجب من تكذيبك وهو تكذيبهم بالسّاعة أو حملهم عليه تكذيبهم بها لا ما طعنوا به عليك ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ ناراً شديدة الإسعار أو هو اسم لجهنّم.

[١٢] ـ ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ كقولهم: دورهم تتراءى: كأنّ بعضها يرى بعضاً على المجاز، والمعنى: إذا كانت منهم بمرأى النّاظر في البعد ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا﴾ صوت تغيّظ ﴿وَزَفِيرًا﴾ شبّه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره.

وقيل: يجوز أن يخلق الله لها حياة فترى وتغضب وتزفر.[٣]

وقيل: ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف مضاف.[٤]

---

(١) حجة القراءات: ٥٠٧.

(٢) حجة القراءات: ٥٠٨.

(٣-٤) تفسير البيضاوي ٣: ٢٤٣.

[١٣] ـ ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا﴾ في مكان ومنها نعت قدّم فصار حالاً ﴿ضَيِّقًا﴾ يراضون [١] فيه ويضيق عليهم كما يضيق الزّجّ في الرّمح وخفّفه «ابن كثير» [٢] ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ قرنت أيديهم الى أعناقهم بالأغلال ﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ﴾ في ذلك المكان ﴿ثُبُورًا﴾ هلاكاً، أي يقولون واثبوراه، فهذا وقتك، فيقال لهم:

[١٤]ـ ﴿لاَّ تَدْعُواْ الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ لكثرة انواع عذابكم، فكلّ نوع ثبور، أو لدوامه فهو [في][٣] كل وقت ثبور.

[١٥] ـ ﴿قُلْ أَذَلِكَ﴾ المذكور من الوعيد وصفة السّعير ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾ أُضيف إليه تنبيهاً على خلودها والإستفهام للتّبكيت والتّهكّم ﴿الَّتِي وُعِدَ﴾ أي وعدها ﴿الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علمه تعالى لأنّ وعده في تحقّقه كالكائن ﴿جَزَاءً﴾ على أعمالهم ﴿وَمَصِيرًا﴾ ومرجعاً.

[١٦] ـ ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ ما يشاؤونه من النّعيم ﴿خَالِدِينَ﴾ حال لازمة ﴿كَانَ﴾ ما يشاءون ﴿عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا﴾ موعوداً واجباً عليه انجازه ﴿مَّسْئُولاً﴾ يسأله النّاس بقولهم: ﴿ربّنا وآتنا ما وعدتنا﴾[٤] أو الملائكة بقولهم: ﴿ربّنا وادخلهم جنّات عدن الّتي وعدتهم﴾[٥] أو من حقّه أن يسئل.

[١٧] ـ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾[٦] وقرأ «ابن كثير» و«حفص» بالياء[٧] ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ من الملائكة و«عيسى» و«عزيراً» والأصنام ينطقها الله، أو ما يعمّ الكلّ.

---

(١) الروض والرياضة: التذليل (مجمع البحرين).

(٢) حجة القراءات: ٥٠٨.

(٣) الزيادة اقتضاها السياق، واخذناها من تفسير البيضاوي ٣: ٢٤٣.

(٤) سورة آل عمران: ٣/ ١٩٤.

(٥) سورة غافر: ٤٠/ ٨.

(٦) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «يحشرهم» ـ كما سيشير اليه المؤلّف ـ.

(٧) حجة القراءات: ٥٠٨.

ولفظ «ما» لوضعه عاماً، ولذا يسئل به عن شبح يرى ولا يعرف، أو: اريد به الوصف كأنّه قيل: ومعبوديهم ﴿فَيَقُولُ﴾ ـ للمعبودين تبكيتاً والزاماً للعبدة وقرأ «ابن عامر» بالنون ـ:[١] ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَـٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ أي عنه، وحذف «عن» مبالغة ولم يقل: أضللتم أم ضلّوا لأنّ السؤال ليس عن الفعل لأنّه متحقّق و إلاّ لما توجّه العتاب، بل عن متولّيه فلزم ايلاؤه حرف الإستفهام.

[١٨] ـ ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ تعجّباً مما قيل لهم، لأنّهم ملائكة وأنبياء معصومون، أو جمادات عجزة، أو ايذاناً بأنّهم الموسومون بتسبيحه فكيف يليق بهم أن يضلّوا عباده، أو تنزيهاً له عن الإنداد ﴿مَا كَانَ يَنبَغِي﴾ ما يصحّ ﴿لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ نتولاّهم ونعبدهم للعصمة أو العجز، فكيف نأمر غيرنا بعبادتنا و«من» زائدة و«اولياء» مفعول و«من دونك» حال مقدّم أو مفعول ثان إن جعل «نتّخذ» متعدّياً الى اثنين كقراءة البناء للمفعول وتنسب الى «الصادق» عليه السّلام[٢] و«يعقوب» ومفعوله الاوّل ـ عليها ـ: «نحن» والثّاني: «من اولياء» و«من» للتّبعيض ﴿وَلَـٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ﴾ بأنواع النّعم ﴿حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ﴾ تركوا ذكرك أو القرآن وتدبّره ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ هالكين جمع «بائر» كحائل وحول.

أو مصدر يوصف به الواحد والجمع ويفيد أنّه تعالى لا يضلّ عباده حقيقة وإلاّ كان الجواب أن يقولوا: بل أنت أضللتهم، لا أن يقولوا: بل أنت تفضّلت عليهم. فجعلوا النّعمة الّتي حقّها أن تكون سبب الشّكر سبب الكفران ونسيان الذّكر، فهم ضلّوا بأنفسهم وهلكوا بإختيارهم الضّلال.

[١٩] ـ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾ التفات للإلزام بتقدير شرطه، أي: إن زعمتم انّهم آلهة

---

(١) حجة القراءات: ٥٠٩.

(٢) تفسير مجمع البيان ٤: ١٦٢.

فقد كـذّبوكم ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ في قـولكم انّهـم آلهـة، فالبـاء بمـعنى «فـي» أو مع مجرورها بـدل مـن «كـم» وعـن «ابـن كـثير» بـالـياء[1] أي بـقـولـهم «سـبحانـك» الآيـة ﴿فَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[2] أي آلهتكم، وقرأ «حفص» بالتّاء، أي: أنتم[3] ﴿صَرْفًا﴾ دفعاً للعذاب عنكم ﴿وَلاَ نَصْرًا﴾ منعاً لكـم منه ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ﴾ ايّها المكلفون بشرك أو فسق ﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ وهو النّار ما لم يتب أو نعف عن الفسق.

[٢٠] ـ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى الأَسْوَاقِ﴾ الجملة بعـد «إلاّ» صفة محذوف دلّ عليـه «المرسلين» أي ما ارسلنـا قبلك رسلاً إلاّ آكلين وماشين، وكسر «انّ» للجملة لا للام.

وهـو ردّ لقولهم: ﴿مـا لهـذا الرّسـول يأكل الطّعـام ويمشي في الأسـواق﴾[4]، ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ ابتلاء كإبتلاء الشّريف بـالوضيع يسلّم قبله فيأنف أن يسلّم لئـلاّ يفضله بـالسّبق، والمبتلى بـالمعافـى يقول لمَ لـم أجعل مثله فـي الخلق والخلق وغيرهما، والـرّسل بالمرسل اليهم وايذائهم لهم وهـو تصبير له صلّى الله عليه وآله وسلّم على ما قالوه بعد ردّه ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ أي ليظهر انّكم تصبرون على البلاء أم لا، أو: مستأنف بمعنى: اصبروا ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بالصّواب فيما يبتلـى به وغيره أو فيمن يصبر وغيره.

[٢١] ـ ﴿وقَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ﴾ لا يأملـون أو لا يخافـون ﴿لِقَاءَنَا﴾ أي جزاءه ﴿لَوْلاَ﴾ هلاّ ﴿أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلٰئِكَةُ﴾ فيخبروننا بصـدق «محمّد» أو يكونون رسـلاً الينا ﴿أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾ فيأمـرنا بتصـديقه واتبـاعه ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِى أَنْفُسِهِمْ﴾ اضمروا

---

(١) حجة القراءات: ٥٠٩.

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «تستطيعون» ـ كما سيشير اليه المؤلّف ـ.

(٣) حجة القراءات: ٥١٠.

(٤) الآية: (٧) من هذه السورة.

الإستكبار عن الحقّ وهو الكفر في قلوبهم وأعتقدوه ﴿وَعَتَوْ﴾[1] وأفرطوا في الظّلم ﴿عُتُوًّا كَبِيراً﴾ بالغاً الغاية بقولهم هذا.

و«عتّو» بالواو على أصله وفي «مريم» «عتا»[2] بالقلب واللام جواب قسم محذوف.

[٢٢] - ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلٰئِكَةَ﴾ عند الموت أو في القيامة، ونصب بـ«اُذكر» مضمراً أو بما دلّ عليه: ﴿لاَ بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ أي يمنعون البشرى و «يومئذ» تكرير و«للمجرمين» في موضع ضميرهم أو عام فيشملهم ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ أي ويقول الكفرة حينئذ للملائكة بهذه الكلمة، استعاذة منهم كما كانوا يقولونها في الدّنيا عند لقاء عدوّ أو نحوه، أي: اسأل الله أن يمنع ذلك منعاً. أو: تقولها الملائكة أي حراماً محرماً عليكم الجنّة أو البشرى ووصف بـ«محجوراً» تأكيداً «كشعر شاعر».

[٢٣] - ﴿وَقَدِمْنَا﴾ عمدنا ﴿إِلَى مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ﴾ من الخير كصلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً﴾ هو غبار يرى في شعاع الشّمس الخارج من الكوّة ﴿مَّنثُورًا﴾ متفرّقاً صفته أو مفعول ثالث كتعدّد الخبر في ﴿كونوا قردة خاسئين﴾.[3]

والمعنى: احبطناه لعدم شرطه، شبّه عملهم بالهباء في حقارته وعدم نفعه ثمّ بالمنثور في تفرّقه بحيث يمتنع جمعه.

[٢٤] - ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ مكاناً، يستقرّ فيه. والتّفضيل بالنسبة الى ما للمترفين في الدّنيا، أو اريد به الزّيادة مطلقاً وكذا: ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾ مكاناً، يأوى إليه للإسترواح بالأزواج والتّمتّع بهنّ على التّشبيه

---

(١) ينظر تعليقنا على الآية (٦١) من سورة البقرة.

(٢) سورة مريم: ١٩/ ٨ و٩٦.

(٣) سورة البقرة: ٢/ ٦٥.

بمكان القيلولة، إذ لا نوم في الجنّة، ويفيد انقضاء الحساب في نصف نهار.

روى انّه لا ينتصف نهار ذلك اليوم حتّى يقيل أهل الجنّة فيها، وأهل النّار فيها، وفي «احسن» ايماء الى ما في مقيلهم من التّحاسين[1] كحسن الصّورة وغيره.

[٢٥] ـ ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ﴾ تتشقّق، حذفت التّاء وادغمها «نافع» و«ابن كثير» و«ابن عامر»[2] أي تتفتّح ﴿بِالْغَمَامِ﴾ بسبب خروج الغمام منها ﴿وَنُزِّلَ الْمَلَٰئِكَةُ تَنزِيلاً﴾ في ذلك الغمام بصحائف أعمال العباد، وقرأ «ابن كثير»، «وننزل» ونصب «الملائكة»[3].

[٢٦] ـ ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ لِلرَّحْمٰنِ﴾ الثّابت له، لزوال كلّ ملك يومئذ إلاّ ملكه فهو الخبر و«للرّحمن» صلته و«يومئذ» معمول للملك لا له[4] أو صفة[5] والخبر «يومئذ» [أو] «للرّحمن»[6] ﴿وَكَانَ﴾ اليوم ﴿يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ لا المؤمنين ﴿عَسِيرًا﴾ شديداً.

[٢٧] ـ ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ ندماً وتحسّراً، وعضّ اليدين كناية عن الغيظ والتّحسّر للزومه لهما غالباً كأكل البنان ونحوه، واريد جنس الظّالم.

وقيل: عقبة بن أبي معيط دعا النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم الى ضيافته، فأبى أن يأكل طعامه حتّى يأتي بالشّهادتين، ففعل، فعاتبه ابيّ بن خلف وقال: صبأت؟[7]

فقال: لا، ولكن أبى أن يأكل طعامي وهو في بيتي فاستحيت منه فشهدت له فقال: لا ارضى عنك حتّى تأتيه فتبزّق في وجهه ففعل.

---

(١) التحاسين: الأشياء الحسنة.

(٢-٣) حجة القراءات: ٥١٠.

(٤) اي ليس معولاً للحقّ لأنّه متأخّر.

(٥) اي الحقّ صفة.

(٦) الزيادة من تفسير البيضاوي ٣: ٢٤٦.

(٧) صبأ: خرج من دين الى دين آخر.

فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: لا ألقاك خـارجاً من مكّـة إلاّ علوت رأسك بـالسّيف فأُسر ببدر فأمر «علياً» عليه السّلام بقتله وطعن ابيّاً بأُحد ومات بمكّة[1] ﴿يَقُولُ يَا﴾ للتّنبيه ﴿لَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ طريقاً الى الهدى، وفتح «أبو عمرو» الياء.[2]

[٢٨] ـ ﴿يَاوَيْلَتَىٰ﴾ بإبدال ياء الإضافة الفاً، أي: يا هلكتا، احضرى فهذا وقتك ﴿لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً﴾ أي من اضلّه، وفلان كناية عن الإعلام.[3]

[٢٩] ـ ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ الذِّكْرِ﴾ عن القرآن أو موعظة الرّسول ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِى﴾ مع الرسول ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ﴾ أي الخليل المضـلّ أو ابليس أو كلّ متشيطـن جنّي أو إنسيّ ﴿لِلإِنْسَانِ خَذُولاً﴾ يسلمه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه.

[٣٠] ـ ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ ـ «محمّد» صلّى الله عليه وآله وسلّم يشكو قومه في الدّنيا أو يوم القيامة ـ: ﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِى﴾ قريشـاً، وفتح «نافع» و«أبـو عمرو» و«البـزّى» الياء[4] ﴿اتَّخَذُواْ هَذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ متروكاً، أو: زعموا انّه هُجـر وهذيان، أو: هجروا فيه ولغوا أي مهجوراً فيه.

وفيه تخويف لهم لأنّ الأنبياء إذا شكوا إليه قومهم عجلّ عذابهم.

[٣١] ـ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جعلنا لك عـدوّاً من كفّار قومك ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنْ الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين بـأن لم نمنعهم من العداوة لهم فاصبـر كما صبروا ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ الى الإعتصام منهم ﴿وَنَصِيرًا﴾ لك عليهم.

[٣٢] ـ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ﴾ هلاّ ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ﴾ أي انزل بقـرينة: ﴿جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ مجتمعاً كـالكتب الثّلاثة، وهي شبهـة واهية إذ اعجـازه لا يختلف

---

(١) تفسير مجمع البيان ٤: ١٦٦.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٤٩.

(٣) كما ان«هنا» كناية عن الاجناس(تفسير البيضاوي ٣: ١٤٦).

(٤) الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ١٤٩.

بنزوله جملة ومفرّقاً مع انّ من حكم التّفريق ما افاده قوله: ﴿كَذٰلِكَ﴾ نزل مفرّقاً ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ﴾ لنقوّى بتفريقه ﴿فُؤَادَكَ﴾ على حفظه إذ كان أُمّياً بخلاف الأنبياء الثلاثة، فلو ألقي عليه جملة تعنّى بحفظه ولأنّ نزوله بحسب الحوادث يزيده بصيرة، ولأنّ نزول جبرائيل به حيناً بعد حين ممّا يقوّى قلبه، ومنها اقتضاء النّاسخ والمنسوخ التّفريق ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ نزّلناه شيئاً بعد شيء بتمهّل في نحو عشرين سنة أو أمرنا بترتيله أي تبيينه والتأني في قرائته.

[٣٣] ـ ﴿وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ بسئوال عجيب كالمثل في البطلان للقدح فيك ﴿إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ الرّادّ له في جوابه ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ وبما هو أحسن بياناً، أو: معنى: من سؤالهم.

[٣٤] ـ ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ﴾ مسحوبين اليها، ذمّ منصوب أو مرفوع أو مبتدأ، خبره: ﴿أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ ممّن حقّروا مكانه وضلّوا سبيله وهو الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ووصف السّبيل بالضّلال من المجاز الحكمي.[1]

[٣٥] ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التّوراة ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هٰرُونَ وَزِيرًا﴾ معيناً في الدّعوة.

[٣٦] ـ ﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ أي فرعون وقومه فذهبا اليهم فكذبوهما، ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ أهلكناهم اهلاكاً.

[٣٧] ـ ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ الرُّسُلَ﴾ نوحاً ومن قبله، أو نوحاً وحده إذ تكذيبه تكذيبهم أو بعثة الرّسل كالبراهمة[2] ونصب بما يفسّره ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ بالطّوفان ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ عبرة ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ هيّأنا ﴿لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ عامّ أو

(١) المجاز الحكمي: نسبة الفعل الى غير ماهو له.

(٢) البراهمة: هم من انكروا بعثة الرسل ـ انظر الملل والنحل.

خاصّ في موضع الضمير، تظليماً له.

[٣٨] ـ ﴿وَعَادًا﴾ عطف على «هم» في «جعلناهم» أو «الظّالمين» إذ المعنى وعدناهم ﴿وَثَمُودًا﴾ ونوّن بتأويل الحيّ ومنعه «حمزة» و«حفص» بتأويل القبيلة ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ هو البئر الغير المطويّة[1] وكانت لعبدة أصنام، فبعث اليهم شعيب فكذّبوه، فانهارت بهم وبدارهم.

أو قرية بفلج اليمامة[2] وكان فيها بقيّة ثمود فقتلوا نبيّهم فأُهلكوا، أو بئر بإنطاكية، قتلوا فيها حبيباً النّجار.

أو هم قوم رسّوا نبيّهم أي دفنوه في بئر. أو أصحاب الأُخدود. أو أصحاب النّبيّ حنظلة بن صفوان قتلوه فأُهلكوا ﴿وَقُرُونًا﴾ أهل أعصار ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿كَثِيرًا﴾.

[٣٩] ـ ﴿وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ﴾ بيّنّا له القصص العجيبة فلم يعتبروا ﴿وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ كسّرنا تكسيراً، ومنه التبر لكسار الذّهب والفضة أي اهلكناهم، ونصب «كلاًّ» الاوّل بما دلّ عليه «ضربنا» كحذّرنا والثاني بـ«تبّرنا».

[٤٠] ـ ﴿وَلَقَدْ أَتَوا﴾ أي مرّ قريش ﴿عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ الحجارة وهي «سدوم» من قرى قوم لوط ﴿أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا﴾ في مرورهم فيعتبرون، استفهام تقرير ﴿بَلْ كَانُواْ لاَ يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ لا يتوقّعون بعثاً لكفرهم، ولذلك لم يعتبروا أو لا يأملونه كما يأمله المؤمنون للثّواب أو لا يخافونه.

[٤١] ـ ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ﴾ ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا﴾ محلّ هزؤ، أي: مهزواً به، يقولون: ﴿أَهَذَا﴾ استحقاراً ﴿الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولاً﴾ لم يقيدوه بزعمه بل اخرجوه في معرض الإقرار مع فرط انكارهم استهزاء.

---

(١) البئر الغير المطويّة: البئر التي لم تبن بالحجارة.

(٢) فلج ـ بفتح اوله وثانيه ـ مدينة بأرض اليمامة لبني جعدة وقشير وكعب «مراصد الاطلاع».

[٤٢] ـ ﴿إِنْ﴾ المخفّفة أي انّه ﴿كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ يصرفنا، والّلام فارقة ﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ عن عبادتها ببذل جهده في دعائنا ﴿لَوْلاَ أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ ثبتنا[1] على عبادتها لصرفنا عنها ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ عياناً في الآخرة، وعيد يفيد انّه يلحقهم لا محالة وان اخّر ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ اخطأ طريقاً أهم أم أنت حيث زعموك مضلاًّ والمضلّ ضالّ.

[٤٣] ـ ﴿أَرَأَيْتَ﴾ أخبرني ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَيٰهُ﴾ لطاعته له في دينه.

وقدّم المفعول الثاني عناية به ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾ حافظاً تجبره على الإسلام والإستفهام الأوّل للتّقرير والثّاني للإنكار.

[٤٤] ـ ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهّم ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبّرون ما تأتى به من الحجج، اضرب عن ذمهم السّابق الى ما هو أشنع.

وخصّ الأكثر إذ فيهم من عقل وكابر حبّاً للرّئاسة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ﴾ في عدم تفهّم قولك وتدبّر حججك ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ منها، لأنّها تعرف المحسن اليها من المسيء، وتطلب المنافع وتجتنب المضارّ.

وهؤلاء لا يعرفون احسان ربّهم من اساءة الشيطان، ولا يطلبون نفع الثّواب، ولا يتّقون ضرر العقاب، ولأنّها لم تمكن من المعرفة وهم تمكّنوا فقصّروا.

[٤٥] ـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾ الى صنعه ﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ بسطه من الفجر الى طلوعها، وهو أعدل الأحوال، إذ الظلمة تسدّ البصر والشّعاع يبهره.

أو ألم تنظر الى الظّلّ كيف مدّه ربّك على القلب،[2] أو ألم تعلم أي ينته علمك الى ربّك كيف مدّه ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ لا يتقلّص ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً﴾ إذ لا يعرف وجوده ولا يتفاوت إلاّ بطلوعها وحركاتها، وفيه التفات الى التكلّم.

---

(١) في «ج»: اثبتنا.

(٢) اي القلب في الكلام.

[٤٦] ـ ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا﴾ أي ازلنا الظّلّ الممدود ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ قليلاً، قليلاً، بحسب ارتفاع الشّمس لمنافع جمّة، وحرفا «ثُمَّ» للتّفاضل بين الامور، كأنّ اللّاحق أعظم ممّا قبله.

وقيل، مدّ ظلّ السّماء على الأرض حين خلقهما، ولو شاء لجعله ثابتاً على تلك الحال ثم خلق الشمس وجعلها دليلاً مسلّطاً عليه يتبعها كما يتبع السّائر الدّليل يتفاوت بحركتها ثم قبضه تدريجاً الى غاية نقصانه، أو قبضاً سهلاً عند قيام الساعة بقبض أسبابه.[1]

[٤٧] ـ ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ لِبَاسًا﴾ ساتراً بظلامه كاللّباس ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ راحة للأبدان بقطع الأعمال.

والسبت: القطع، أو موتاً لأنّه قطع الحياة ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ منتشراً فيه للمعاش وغيره، أو بعثاً من النّوم إذ هو واليقظة كالموت والبعث.

[٤٨] ـ ﴿وَهُوَ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ ووحّدها «ابن كثير»[2] ﴿نُشُرًا﴾[3] منتشرة، جمع نشور كرسول وسكّنه «ابن عامر» تخفيفاً وكذا «حمزة» و«الكسائي» وفتحا نونه مصدراً و«عاصم» بالباء مخفّفاً جمع بشير أي مبشّرات[4] ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ﴾ قدّام المطر ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ مطهّراً لقوله: ﴿ليطهّركم به﴾[5] وهو اسم لما يتطهّر به كالوقود لما يوقد به، أو بليغاً في الطّهارة، والمبالغة لأنّه مطهّر.

[٤٩] ـ ﴿لِنُحْيِىَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾ بالنّبات وذكّر «ميتاً» بتأويل البلد ﴿وَنُسْقِيَهُ﴾

---

(١) تفسير الكشّاف ٣: ٢٨٣.

(٢) حجة القراءات: ٥١١.

(٣) في المصحف الشريف بقراءة حفص «بشراً» ـ كما سيشير اليه المؤلّف ـ.

(٤) حجة القراءات: ٢٨٥ مع اختلاف.

(٥) سورة الأنفال: ٨/ ١١.

بالضّمّ ﴿مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ جمع إنسيّ أو انسان، وأصله اناسين، قلبت النّون ياء، وهم: المتعيشون بالحيا[1] كأهل البوادي، ولذا نكّرهم والأنعام.

وتخصيصهم لأنّ أهل القرى واشباههم منيخون بقرب المنابع والأنهار، فهم وانعامهم[2] في غنى عن سقي السّماء وباقي الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها[3] الشّرب، ولأنّ الأنعام قنية[4] الاناسي وعامّة منافعهم متعلّقة بها، فسقيها إنعام عليهم، ومن ثمّ قدّم على سقيهم كتقديم احياء الأرض عليهما لأنّه سبب لحياتهما.

[٥٠] ـ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾ أي المطر ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين الناس في البلدان والأوقات والصّفات من وابل وطلّ[5] وغيرهما أو صرّفنا ما ذكر من الدّلائل في القرآن وسائر الكتب ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ ليتفكّروا ويعرفوا سعة القدرة وحقّ النّعمة به ويشكروا، وخفّفه «حمزة» و«الكسائي» من ذكر بمعنى تذكر[6] ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ جحوداً للنّعمة، فيقولون: امطرنا بنوء[7] كذا، ويرون استقلال الأنواء بالمطر بخلاف من يراها وسائط وامارات بجعله تعالى.

[٥١] ـ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ نبيّاً يخوّف أهلها، فتخفّف عليك أعباء الرّسالة لكن خصّصناك بعموم الدّعوة اجلالاً لك وتعظيماً لأجرك، فقابل ذلك بالتّشدّد في الدّين.

---

(١) الحيا: المطر.

(٢) في «ج»: اغنامهم.

(٣) اي لا تحتاج او لا يلزمها.

(٤) القنية: النعمة او الرزق.

(٥) الوابل: المطر الشديد ـ والطّل: المطر الخفيف.

(٦) حجة القراءات: ٥١١.

(٧) النوء: النجم، كان اهل الجاهلية يرون انه اذا غرب نجم منها وطلع آخر فإنه يوجب نزول المطر.

[٥٢] ـ ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ فيما يدعونك إليه، تهيج له صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ بالقرآن أو بترك طاعتهم الدّالّ عليه فلا تطع.

والمراد: انّهم يجتهدون في توهين امرك فاجتهد في أن تغلبهم ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ تتحمل فيه المشاقّ بإقامة الحجج أو بجهاد أهل جميع القرى.

[٥٣] ـ ﴿وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ خلّاهما متلاصقين،[١] من مرج الدّابّة: خلّاها ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ بليغ العذوبة ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديد الملوحة أو مرّ ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ حاجزاً من قدرته يمنعهما التّمازج ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ كلمة المتعوّذ، كأن كلاًّ منهما يتعوّذ من الآخر كـ﴿لا يبغيان﴾.[٢]

أو اريد بالبحر العذب: النّهر العظيم كالنّيل، وبالبحر الملح: البحر المعروف.

والبرزخ بينهما: الحائل من الأرض، فاختلافهما مع اقتضاء الطّبيعة التّساوي انّما يكون بصنع قادر مختار.

[٥٤] ـ ﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ﴾ الّذي هو العنصر أو النّطفة ﴿بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ أي قسمين ذوي نسب أي ذكوراً ينتسب اليهم وذوات صهر أي اناثاً يصاهر بهنّ، نحو: ﴿فجعل منه الزّوجين الذّكر والانثى﴾[٣] ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ على كلّ شيء اراده.[٤]

[٥٥] ـ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾ بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ تبركها وهو الأصنام ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ﴾ أي جنسه أو ابو جهل ﴿عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ عويناً للشيطان باتّباعه أو هيّناً مهيناً من قولهم ظهرت به أي جعلته خلف ظهرك.

(١) في «ج» خلاهما متلاطتين، اي متلاصقين.

(٢) سورة الرحمن: ٥٥/ ٢٠.

(٣) سورة القيامة: ٧٥/ ٣٩.

(٤) في شواهد التنزيل ١/ ١٤٤ انّها: «نزلت في النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم و علي بن ابي طالب، زوّج فاطمة علياً وهو ابن عمه وزوج إبنته فكان نسباً وكان صهراً».

[٥٦]ـ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا﴾ لمن آمن ﴿وَنَذِيرًا﴾ لمن كفر.

[٥٧] ـ ﴿قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ ما ارسلت به ﴿مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَنْ شَاءَ﴾ إلاّ فعل من يشاء ﴿أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ﴾ الى ثوابه ﴿سَبِيلاً﴾ بالتّقرّب إليه بالإيمان والطّاعة.

واستثنى من الأجر حسماً[1] لشبهة الطّمع واظهاراً للشّفقة باعتداده ما ينفعون به انفسهم اجراً له.

وقيل: الإستثناء منقطع، أي: ولكن من شاء أن يتّخذ الى ربّه سبيلاً بالإنفاق في مرضاته فليفعل.

[٥٨]ـ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِى لاَ يَمُوتُ﴾ في دفع المضارّ وجلب المنافع فإنّه الكافي لمن توكّل عليه لا غيره ممّن يموت ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ ونزّهه عمّا لا يليق به، مثنياً عليه بنعوت كماله، شاكراً له على افضاله ﴿وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ عليماً، فيجازيهم بها.

[٥٩]ـ ﴿الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ في قدرها إذ لا شمس حينئذٍ.

والخلق التّدريجي مع القدرة على الدّفعي دليل الإختيار وتعليم للتّثبّت ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾ بالنسبة الى كلّ شيء، أو استقام امره أو استولى ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ هو الجسم المحيط بالعالم، شبّه بسرير الملك ﴿الرَّحْمٰنُ﴾ خبر محذوف أو بدل من ضمير «استوى» ﴿فَسْئَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ فاسئل عن المذكور من الخلق أو الإستواء عالماً وهو الله أو جبرائيل يخبرك به، أو فاسئل عن الرّحمان ان انكروه من يخبرك به من أهل الكتاب ليعرفوا انّه مذكور في كتبهم.

والسّؤال يعدّى بعن و«الباء» لتضمّنه معنى البحث والإهتمام.

---

(١) الحسم: القطع.

وقيل: «الباء» صلة «خبيراً».

[٦٠] - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ سؤال عن المسمّى به، جهلوا انّه من اسمائه تعالى أو عرفوه وجحدوا ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ أي تأمرنا بالسّجود له، أو لأمرك لنا ولم نعرفه، وقرا «حمزة» و«الكسائي» «بالياء»[1] كأنّهم قالوه بينهم ﴿وَزَادَهُمْ﴾ أي المقول وهو «اسجدوا للرّحمان» ﴿نُفُورًا﴾ عن الإيمان.

[٦١] - ﴿تَبَارَكَ﴾ تعظّم وتعالى ﴿الَّذِى جَعَلَ فِى السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ هي الإثنى عشر، شبّهت بالقصور العالية.

والبرج من التّبرّج لظهوره ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾ هو الشمس، وقرأ «حمزة» و«الكسائي» «سرجاً»[2] وهي الشمس وكبار الكواكب ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ مضيئاً باللّيل.

[٦٢] - ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ يخلف كلّ منهما صاحبه بقيامه مقامه فيما يحتاج أن يعمل فيه، أو بتعاقبهما أو يخالفه كيفاً أو كمّاً ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ يتذكّر، وخفّفه «حمزة» من ذكر بمعنى تذكّر[3] ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ شكراً لله، اي: ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته ورده في احدهما فعله في الآخر.

أو داعيين للمتفكّرين في صنع الله الى العلم بوجوده وقدرته وحكمته، وللشّاكرين الى شكره على نعمه فيهما.

[٦٣] - ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ﴾ مبتدأ مضاف الى «الرّحمان» للتّشريف وخبره «اولئك يجزون» وما بينهما صفات سوى ما اعترض فيه، أو ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ مصدر وصف به أي هينيّن، أو مشياً هيّناً أي بسكينة ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ بما يكرهونه ﴿قَالُواْ سَلَامًا﴾ تسلّماً منكم، ومتاركة لكم أو قولاً يسلمون

(١) حجة القراءات: ٥١١.

(٢) حجة القراءات: ٥١٢.

(٣) حجة القراءات: ٥١٣.

فيه من الإثم والايذاء. ولا تنسخه آية السيف لعدم المنافاة.[١]

[٦٤] ـ ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ في الصلاة جمع «قائم» أو مصدر وصف به واخّر للرّوى.

[٦٥] ـ ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ لازماً ومنه الغريم لملازمته، وصفوا بحسن السّيرة مع الخلق والإجتهاد في طاعة الحقّ وهم مع ذلك فَرِقُونَ[٢] من العذاب، يسألون ربّهم صرفه عنهم غير معتدّين بأعمالهم.

[٦٦] ـ ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ﴾ بئست، وضميره مبهم يميّزه ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ موضع استقرار واقامة هي[٣] والتّعليلان[٤] متداخلان أو مترادفان من قولهم أو قوله تعالى.

[٦٧] ـ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾ لم يجاوزوا الحدّ في النّفقة ولم يضيّقوا فيها، أو: لم ينفقوا في المعاصي ولم يمنعوا الحقوق، وضمّ «الياء» «نافع» و«ابن عامر» من «اقتر» وفتحها الباقون مع كسر التّاء لابن كثير و«ابي عمرو» وضمّها لغيرهم[٥]ا ﴿وَكَانَ﴾ انفاقهم ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ بين الإسراف والإقتار ﴿قَوَامًا﴾ وسطاً، من استقامة الطّرفين كالسّواء من استوائهما، خبر ثان أو حال مؤكّدة.

[٦٨] ـ ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهًا ءَاخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ﴾ قتلها، وبه يتعلّق ﴿إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ أو بـ«يقتلون» ﴿وَلاَ يَزْنُونَ﴾ نفى عنهم اصول السّيّئات بعد وصفهم بأُصول الحسنات ايذاناً بأنّ الجزاء الموعود مختصّ بمن جمع ذلك

---

(١) قال في تفسير التبيان ٧: ٥٠٥: وقال قوم: هذا منسوخ بآية القتال وليس الأمر على ذلك لأنّ الأمر بالقتال لاينافي حسن المجاورة في الخطاب وحسن العشرة.

(٢) يقال: فرق فرقاً: اذا جزع واشتد خوفه ـ.

(٣) هذا الضمير مخصوص بالذّم ورابط للجملة.

(٤) اي قوله: انّ عذابها وانّها ساءت.

(٥) حجة القراءات: ٥١٣.

وتعريضاً بما عليه اضدادهم ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ جزاء اثم أو اثماً بإضمار الجزاء.

[٦٩] ـ ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ﴾ بدل من «يلق» ورفعه «أبو بكر» استئنافاً وكذا: ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ كإبن عامر في «يضعّف» مشدداً وشدده أيضاً «ابن كثير» جازماً وقرأ «أبو عمرو» «ويخلد» مجهولاً من اخلد و«ابن كثير» و«حفص» «فيه» بالإشباع،[1] ومضاعفة العذاب لضمّ المعاصي الى الشرك بدليل:

[٧٠] ـ ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ بمحوها بالتّوبة واثبات حسناتهم اللاحقة مكانها أو بالتّوفيق لأضداد ما اسلفوا أو بإبدال العقاب ثواباً ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا﴾ لمعاصي عباده ﴿رَّحِيمًا﴾ منعماً عليهم.

[٧١] ـ ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ عن ذنوبه بتركها والنّدم عليها، تعميم بعد تخصيص ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ بدلها ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا﴾ يرجع إليه بذلك مرجعاً مرضيّاً دافعاً للعقاب، جالباً للثّواب أو يتوب متاباً الى الله الّذي يحبّ التّائبين ويكرمهم أو يرجع الى ثوابه مرجعاً حسناً.

[٧٢] ـ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ لايحضرون محاضر الباطل، أو لا يقيمون شهادة الكذب ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ﴾ بأهله وهو السّاقط من قول أو فعل ﴿مَرُّواْ كِرَامًا﴾ معرضين عنهم، مكرمين أنفسهم عن الخوض معهم فيه.

[٧٣] ـ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ بالقرآن أو الوعظ ﴿لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ نفي للحال دون الفعل أي لم يكبّوا عليها غير منتفعين بها كالصّمّ والعميان بل اكبّوا عليها واعين لها متبصّرين ما فيها.

[٧٤] ـ ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ ووحّدها «أبو عمرو»

---

(١) اي أمالا الهاء بإشباع الكسرة الى الياء ـ حجة القراءات: ٥١٤.

و«حمزة» و«الكسائي»[١] ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ بأن نراهم مطيعين لك، فإنّ المؤمن يسّر بأهله وتقرّ عينه بهم إذا رآهم صلحاء معاونين له في دينه، راجياً لقائهم في الجنّة و«من» للإبتداء أو البيان كـ«لقيت منك اسداً» ونكّرت «أَعين» كتنكير «القرّة» تعظيماً وقلّلت[٢] لقلّة «أعين» المتّقين بالنّسبة الى عيون غيرهم ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ يقتدون بنا في الدارين بأن توفّقنا للعلم والعمل.

ووحدّ لدلالته على الجنس أو لإرادة كلّ واحد منّا أو لأنّ اصله مصدر.

وقيل: جمع آمّ كقائم وقيام اي قاصدين لهم، ويعضده قراءة أهل البيت عليهم السّلام: «واجعل لنا من المتقين اماماً».[٣]

[٧٥] ـ ﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ جنسها وهي أعلى منازل الجنّة ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ بصبرهم على الطّاعات وقمع الشّهوات ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾ وقرأ «أبو بكر» و«حمزة» و«الكسائي» «يلقون» من لقى[٤] ﴿فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا﴾ دعاء بالتّعمير والسّلامة من الملائكة أو من بعضهم لبعض.

[٧٦] ـ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ بلا موت ولا زوال ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ اعرابه كـ«ساءت مستقرّاً» ويقابله:

[٧٧] ـ ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى﴾ ما يصنع أو ما يكترث بكم ﴿لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ﴾ عبادتكم له، أو دعاؤه ايّاكم الى الدّين و«ما» مصدر ان جعلت استفهاميّة اي أيّ عب يعبأ بكم ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ بما أعلمتكم به إذ خالفتم ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ جزاء تكذيبكم أو اثره ﴿لِزَامًا﴾ لازماً لكم في الآخرة، وقيل: هو قتل يوم بدر.[٥]

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٤٨ ـ وليس فيه اسم الأشخاص.

(٢) اي أتى بجمع القلّة.

(٣) تفسير مجمع البيان ٤: ١٨٠.

(٤) حجة القراءات: ٥١٥.

(٥) نقله البيضاوي في تفسيره ٣: ٢٥٣.

سورة الشعراء

[٢٦]

مائتان وسبع وعشرون آية مكية إلّا: ﴿والشعراء . . . ﴾ الى آخرها.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ـ ﴿طسٓمٓ﴾ أمالها «أبو بكر» و«حمزة» و«الكسائي» وأظهر «حمزة» النّون.[1]

[٢] ـ ﴿تِلْكَ﴾ آيات الكتاب ﴿ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ السّورة أو القرآن البيّن اعجازه أو المبيّن له.

[٣] ـ ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ قاتلها ﴿أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ من أجل أن لا يؤمنوا، و«لعلّ» للإشفاق أي اشفق عليها أن تقتلها غمّاً لذلك.

[٤] ـ ﴿إِنْ نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِّنَ السَّمَاءِ ءَايَةً﴾ علامة ملجئة الى الإيمان ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ منقادين.

اجريت الأعناق مجرى العقلاء حين وصفت بوصفهم، أو اصله فظلّوا لها خاضعين، فاقحمت، أو اريد بها رؤساؤهم أو جماعاتهم «فظلّت» عطف على «ننزّل» لصحّة نزّلنا بدله.

---

(١) حجة القراءات: ٥١٦.

[٥] ـ ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّنْ﴾ زائده أو تبعيضيّة ﴿ذِكْرٍ﴾ قرآن ﴿مِّنَ الرَّحْمَٰنِ﴾ صفته أو صلة «يـأتيهم» ﴿مُحْدَثٍ﴾ مجدّد تنـزيله ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ إلاّ جـدّدوا اعراضاً عنه وكفراً به .

[٦] ـ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ أي : به ، حين أعـرضوا عنه وجرّهم التّكـذيب الى الإستهزاء ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ﴾ اخبار الشـيء الّذي ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي سيعلمـون بأيّ شيء استهزءوا ، إذا مسّهم العذاب يوم بدر أو يوم القيامة .

[٧] ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ وعجائبها ﴿كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ صنف ﴿كَرِيمٍ﴾ محمود ، ذي فوائد و«كلّ» لإحاطة الأزواج و«كم» لكثرتها .

[٨] ـ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الإنبات أو كلّ واحد من الأزواج ﴿لَآيَةً﴾ على قدرة منبتها على احياء الموتى ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ لأنّهم مطبوع على قلوبهم .

[٩] ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ القادر على عقوبتهم ﴿الرَّحِيمُ﴾ بإمهالهم .

[١٠] ـ ﴿وَإِذْ﴾ واذكـر إذ ﴿نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ﴾ بـأن أو أي ﴿ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ بالكفر وتعذيب بني اسرائيل .

[١١] ـ ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ عطف بيان أو بدل من السابق ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ استئناف بإنكار عليهم ، وتعجيب له من فرط ظلمهم وقلّة خوفهم ، وفيه حثّ على التّقوى لمن عقل .

[١٢] ـ ﴿قَالَ﴾ مـوسى : ﴿رَبِّ إِنِّي﴾ وفتح «الحـرمّيان» و«أبـو عمرو» اليـاء[١] ﴿أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ .

[١٣] ـ ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ بتكذيبهم لي ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ للعقدة ، إن كان هذا قبـل دعوته أو لبقيّتهـا إن كان بعدهـا ، أو لقصور فصاحتـه وان انحلّت ، ونصب «يعقوب» الفعلين[٢] (عطفاً على «يكذبون» فهما)[٣] من المخوف لإستلزام التّكذيب

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٥٣ .

(٢) النشر في القراءات العشر : ٣٣٥ .

(٣) مابين القوسين ليس موجوداً في «ج» .

لضيق الصّدر المستلـزم لاحتباس اللسان ﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هٰرُونَ﴾ أخي أي اجعلـه نبيّاً يعضدني في أمري، طلب المعاونة حرصاً على الإمتثال لا تعلّلاً.

[١٤] ـ ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾ هـو قتـل القبطـي، أي: تبعـة ذنب وهـي القـود ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ به قبل التّبليغ، استدفاع للبلاء المتوقّع، لا تعلّل.

[١٥] ـ ﴿قَالَ كَلَّا﴾ ردع لـه عن الخـوف وعدة بـالـدّفع ﴿فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا﴾ اجابة لسـؤاله، ضـمّ اخيه إليـه وهو عطـف على فعل دلّ عليـه «كلاّ» أي ارتـدع عمـا تظنّ فاذهب أنت ومن طلبته، وخوطبا تغليباً للحاضر ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ اريد به «موسى» واخوه و«فرعون» ﴿مُسْتَمِعُونَ﴾ لما يجري بينكما وبينه، فننصركما عليه.

والإستماع بمعنى الإصغاء بالحاسّة، وصف به تعـالى مجازاً مبالغة في وعدهما بالإمداد، وهو خبر ثان أو هو الخبر و«معكم» متعلّق به.

[١٦] ـ ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أفرد الرّسول لأنّه هنا مصدر، وصف به كالرّسالة أو لاتّحادهما لوحدة مطلبهما وللإخوّة، أو اريد كلّ واحد منّا.

[١٧] ـ ﴿أَنْ﴾ بأن أو اي، لتضمّن الـرّسول الإرسـال وهو بمعنـى القول ﴿أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ خلّهم يذهبوا معنا الى الشّام، فأتياه فقالا له ذلك.

[١٨] ـ ﴿قَالَ﴾ ـ «فرعـون» لموسى ـ: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَـا وَلِيدًا﴾ طفلاً قـريباً من الولادة ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ اثنتى عشرة أو اكثر وكان يدعى ولده.

[١٩] ـ ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِـي فَعَلْتَ﴾ هي قتـل خبّازه القبطي، وبّخـه به بعـد تذكيره نعمته ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ بنعمتي، حال أو ابتـداء، حكم عليه بأنّـه ممّن كفروا بنعمته أو إلهيّته.

[٢٠] ـ ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا﴾ أي حينئذٍ ﴿وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ الجاهلين أي الفاعلين فعل ذوي الجهل، أو الذّاهلين عن مآل الأمر.

أو المخطئين أي لم اتعمّد قتله، أو النّاسين.

[٢١] ـ ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا﴾ علماً ﴿وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ردّ لما وصفه به من الكفر، ثمّ قصد الى ردّ امتناعه بالتّربية بقوله:

[٢٢] ـ ﴿وَتِلْكَ﴾ التّربية ﴿نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِى إِسْرَاءِيلَ﴾ اتّخذتهم عبيداً، تذبّح أبنائهم أي ما امتننت به في الحقيقه، هو تعبّدك ايّاهم فإنّه سبب حصولي عندك وتربيتك، فهو نقمة لا نعمة.

وقد يضمر همزة انكار اي «اَوَ تلك»، ومحلّ «ان عبّدتّ» رفع بأنّه خبر محذوف أو بدل «نعمة» أو نصب بنزع اللّام أي انّما صارت نعمة لأن «عبّدت» ولو لا لكفاني أهلي ولم يلقوني في اليّم.

وقيل: «تلك» اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة، وبيانها «ان عبّدت» والمعنى تعبيدكهم «نعمة» «تمنّها عليّ» ووحّد الضّمير في «تمنّها» وجمع فيما قبله لأنّ المنّة منه والخوف والفرار من ملائه معه.

[٢٣] ـ ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ ـ تعنّتاً حين بلّغه الرّسالة ـ: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الّذي ادّعيت انّك رسوله، أي ايّ شيء هو؟ تفتيش عن حقيقته، ولمّا امتنع تعريفه إلاّ باللوازم عرّفه بأظهر خواصّه

[٢٤] ـ ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي خالق جميع ذلك ﴿إِنْ كُنتُمْ مُّوقِنِينَ﴾ بشيء قطّ، فهذا اولى ما توقنون به لظهور آثار الحدوث في هذه الأشياء، فلها محدث واجب قديم هو ربّ العالمين.

[٢٥] ـ ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ﴾ ـ من أشراف قومه تعجيباً لهم ـ: ﴿أَلاَ تَسْتَمِعُونَ﴾ جوابه لسؤالي عن حقيقته بذكر صفاته أو بنسبة الرّبوبيّة الى غيري.

[٢٦] ـ ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾ انتقال الى ما هو اظهر للنّاظر وأقرب إليه، ولا يشكّ في احتياجه الى صانع يصرفه من حال الى حال.

[٢٧] ـ ﴿قَالَ﴾ ـ غيظاً وتهكّماً ـ: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ يجيب بما لا[1] يطابق السؤال.

[٢٨] ـ ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ الّذي يجري النّيّرات من مشارقها الى مغاربها على نظام مستقيم ﴿إِنْ كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ علمتم ذلك، لاطفهم اوّلاً ثمّ لمّا خاشنوه خاشنهم.

ولمّا بهت فرعون عدل عن جداله الى تهديده:

[٢٩] ـ ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ ممّن عرفت حالهم في سجوني، كان يلقي الشّخص في هوّة[2] عميقة فرداً حتّى يموت فهو أبلغ من لأسجننك.

[٣٠] ـ ﴿قَالَ أَوَلَوْ﴾ واو الحال وَلِيَتِ الهمزة، أي اتفعل، ولو ﴿جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾ صدّق دعواى وهو المعجزة؟

[٣١] ـ ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعواك.

[٣٢] ـ ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ بيّن الثّعبانيّة.

[٣٣] ـ ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ قيل: لمّا بهرته الآية الاولى قال فهل غيرها؟ فأخرج يده. قال: فما فيها؟ فأدخلها في ابطه فنزعها[3] ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَاءُ﴾ ذات شعاع كالشمس ﴿لِلنَّاظِرِينَ﴾ خلاف لونها من الأدمة.

[٣٤] ـ ﴿قَالَ لِلمَلَإِ حَوْلَهُ﴾ ظرف وقع حالاً ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ حاذق في السّحر.

[٣٥] ـ ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ دهش ممّا رأى

---

(١) في «الف» و«ب»: لم.

(٢) الهوّة: الحفرة «مصباح اللغة».

(٣) تفسيرالبيضاوي ٣: ٢٥٦.

حتّى انحطّ من[١] دعوى الرّبـوبيّة الى مؤامرة قـومه واظهاره لهم ما احسّ بـه من غلبة «موسى» على ارضهم.

[٣٦] ـ ﴿قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ اخّر أمرهمـا، وسبـق مـا فيــه من القــراءات في الأعراف[٢] ﴿وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ جامعين.

[٣٧] ـ ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ حاذق يفوق «موسى» بالسّحر.

[٣٨] ـ ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ لوقت موقّت مـن يوم معيّن وهو وقت الضّحى من يوم الزّينة.

[٣٩] ـ ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُمْ مُّجْتَمِعُونَ﴾ حثّ لهم على الإجتماع أي بادروا إليه.

[٤٠] ـ ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُواْ هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ غرضهم من التـرجّي على تقدير غلبتهم أن يستمرّوا على دينهم فلا يتّبعوا «موسى» فكنّوا عنه باتّباع السّحرة.

[٤١] ـ ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾.

[٤٢] ـ ﴿قَالَ نَعَمْ﴾ وكسر عينـه «الكسائي»[٣] أنعم لهم بـالأجر وزيـادة، هي: ﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ عندي.

[٤٣] ـ ﴿قَالَ لَهُمْ مُّوسَى﴾ ـ بعـد ما قـالوا له ﴿إمّـا أن تلقي وامّا أن نكـون نحن الملقين﴾[٤] ـ: ﴿أَلْقُوا مَـا أَنْتُمْ مُّلْقُونَ﴾ أمر اذن[٥] بتقديم إلقائهم تـوسّلاً الى ظهور الحق على الباطل لا أمر بالسّحر.

[٤٤] ـ ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ جزموا بأن

---

(١) في «ج» عن.

(٢) سورة الاعراف: ٧/ ١١١.

(٣) النشر في القراءات العشر: ٢٦٩.

(٤) سورة الاعراف: ٧/ ١١٥.

(٥) في «الف»: امر اذاً.

الغلبة لهم، واقسموا عليها بعزّته ثقة بأنفسهم إذا بذلوا جهدهم في السّحر.

[٤٥] ـ ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلَقَّفُ﴾[1] تتلقّف اي تبتلع، وخفّفه «حفص»[2] ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ يغلبونه بتمويههم فيخيّلون ان حبالهم وعصيّهم حيات تسعى.

[٤٦] ـ ﴿فَأُلْقِىَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ ألقاهم ما بهرهم من الحقّ حتّى لم يتمالكوا أنفسهم، أو الله بإلهامهم ذلك.

[٤٧] ـ ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ولئلاّ يتوهّم ارادة فرعون به ابدلوا منه:

[٤٨] ـ ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَٰرُونَ﴾.

[٤٩] ـ ﴿قَالَ﴾ «فرعون»: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾[3] لموسى، وحقّق الهمزتين «حمزة» و«الكسائي» و«أبو بكر» وقرأ «حفص» آمنتم[4] خبراً ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُمْ﴾ في ذلك ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾ رئيسكم ﴿الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ وتواطئتم على ما فعلتم ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وبال امركم، وعيد بيانه: ﴿لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ من كلّ شقّ طرفاً ﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ليعتبر بكم.

[٥٠] ـ ﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَ﴾ لا ضرر علينا في ذلك ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ الى ثوابه، راجعون بعد الموت بأيّ وجه وقع، أو مصيرنا ومصيرك إليه فيحكم بيننا وبينك، تعليل لنفي الضير وكذا:

[٥١] ـ ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن﴾ لأن ﴿كُنَّآ أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في زماننا أو من رعيّة «فرعون».

---

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «تلقف»، ـ كما سيشير اليه المؤلّف ـ.

(٢) حجة القراءات: ٥١٧.

(٣) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «آمنتم»، ـ كما سيشير اليه المؤلّف ـ.

(٤) حجة القراءات: ٤٥٨.

[٥٢] - ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾ بعد سنين أقامها بينهم يدعوهم بالآيات الى الحقّ فلم يجيبوه ﴿أَنْ﴾ بأن أو أي ﴿أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ بالقطع والوصل أي سر بهم ليلاً، وفتح «نافع» الياء[1] ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ يتبعكم «فرعون» وجنوده، تعليل لـ«أسر» أي بنيت امركم على أن تتقدّموا ويتبعوكم حتّى يلجوا ورائكم البحر فأنجاكم وأغرقهم.

[٥٣] - ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ حين أخبر بسراهم ﴿فِي الْمَدَائِنِ﴾ قيل: كان له ألف مدينة سوى القرى ﴿حَاشِرِينَ﴾ للجنود، فجمعوا فقال لهم:

[٥٤] - ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾ طائفة قليلة ﴿قَلِيلُونَ﴾ جمع قليل، أي هم أسباط كلّ سبط منهم قليل، استقلّهم وكانوا ستمئة وسبعين ألفاً بالنّسبة الى جيشه، إذ كان[2] الف الف ملك مع كلّ ملك الف.

[٥٥] - ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾ فاعلون ما يغيظنا.

[٥٦] - ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ﴾[3] من عادتنا الحذر والتّيقّظ، وقرا «الكوفيّون» و«ابن ذكوان» حاذرون[4] أي آخذون حذرنا، وهذه معاذير لئلاّ يظنّوا به عجزاً.

[٥٧] - ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ جارية فيها.

[٥٨] - ﴿وَكُنُوزٍ﴾ أموال من ذهب وفضّة ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ منازل حسنة ومجالس بهيّة.[5]

[٥٩] - ﴿كَذَلِكَ﴾ مصدر، أي اخرجناهم مثل ذلك الإخراج، أو صفة «مقام» أي مثل ذلك المقام الّذي كان لهم، أو خبر محذوف اي الأمر كذلك ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بعد اغراق «فرعون» وقومه.

---

(١) حجة القراءات: ٣٤٧ و٥١٧.

(٢) في «ج»: اذ كانوا.

(٣) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «حاذرون».

(٤) النشر في القراءات العشر: ٣٣٥.

(٥) اي حسنة الواسعة.

[٦٠] ـ ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾ داخلين في وقت شروق الشّمس.

[٦١] ـ ﴿فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ﴾ حصل كل منهما بمرأىً للآخر ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ لملحقون.

[٦٢]ـ ﴿قَالَ كَلَّا﴾ لن يدركونا ﴿إِنَّ مَعِي رَبِّي﴾ بنصره وحفظه، وفتح «حفص» ياء «معي»[1] ﴿سَيَهْدِينِ﴾ سبيل النّجاة كما وعدني.

[٦٣] ـ ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ﴾ بأن أو أي ﴿اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ القلزم،[2] أو اساف،[3] فضربه ﴿فَانفَلَقَ﴾ انشق فرقاً بينها اثنى عشر مسلكاً ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ كالجبل الشّامخ الرّاسي، فسلك كلّ سبط مسلكاً.

[٦٤] ـ ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ﴾ وقرّبنا هناك ﴿الْآخَرِينَ﴾ «فرعون» وقومه، حتّى سلكوا مسلكهم.

[٦٥] ـ ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ بإمساك البحر أن ينطبق حتّى عبروا.

[٦٦] ـ ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ بإطباقه عليهم.

[٦٧] ـ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المقصوص ﴿لَآيَةً﴾ عجيبة لمن تدبّر ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بعد الإنجاء، فسألوا تمثال بقرة يعبدونه وعبدوا العجل وطلبوا رؤية الله.

[٦٨] ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ المنتقم من اعدائه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بأوليائه.

[٦٩]ـ ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ على قومك ﴿نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ خبره.

[٧٠] ـ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ اي عمّه آزر ﴿وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ سألهم للإلزام.

[٧١] ـ ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ بسطوا جوابه بزيادة «نعبد» وعطف ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾ عليه، ابتهاجاً به أي فندوم عابدين لها.

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٥٣ .

(٢) كذا كان يسمى، ويعرف اليوم بالبحر الأحمر.

(٣) إساف: اسم اليّم الذي غرق فيه فرعون وجنوده لسان العرب.

[٧٢] ـ ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ يسمعون دعائكم[١] حذف لقرينة: ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾ وهو حكاية حال ماضية ليستحضروها لأنّ «إذ» للمضيّ.

[٧٣] ـ ﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ﴾ إذ عبدتموهم ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ إن لم تعبدوهم.

[٧٤] ـ ﴿قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا كَذلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ اضربوا عن جواب سؤاله وتمسّكوا بالتّقليد.

[٧٥ ـ ٧٦] ـ ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ﴾ فإنّ الباطل لا ينقلب حقّاً بتقدّمه.

[٧٧] ـ ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي﴾ أي اعداء لكم لتضرّركم بعبادتهم أو لطاعتكم الشّيطان بها، وهو أعدى عدوّ لكم، فصوّر الأمر في نفسه تعريضاً لهم ليكون أبلغ في النّصح واقرب الى القبول بإرائتهم[٢] انّه نصح نفسه بذلك، وفتح «نافع» و«أبو عمرو» الياء[٣] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ فإنّه وليي، أو استثناء متّصل على تعميم المعبودين وانّ في آبائهم من عبد الله.

[٧٨] ـ ﴿الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ لمصالح الدّارين تدريجاً مستمرّاً الى أن ينعّمني في جنّته.

[٧٩] ـ ﴿وَالَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ لا غيره إذ خلق الغذاء وما يتوقف عليه للإغتذاء به.

[٨٠ ـ ٨١] ـ ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ لم يقل أمرضني لحدوث المرض غالباً بإسراف الإنسان في مطعمه ومشربه وغيرهما، وبتنافر طبائع الأخلاط ما لم يحفظها الله على نسبة مخصوصة بقدرته لتحصل الصّحّه، ولأنّه في مقام تعديد

---

(١) في «ج»: لدعائكم.

(٢) في «ج»: بإرادتهم.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٥٣.

النّعم ونسب الإماتة إليه في: ﴿وَالَّذِى يُمِيتُنِى﴾ لأنّ الموت لا يحسّ به، فلا ضرر إلاّ في مقدّماته وهي المرض ولأنّه وصلة الى الحياة الباقية ﴿ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ في الآخرة.

[٨٢] ـ ﴿وَالَّذِى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ﴾ قاله تواضعاً لله وهضماً لنفسه إذ لا خطيئة له.

[٨٣] ـ ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا﴾ علماً الى علم، أو حكماً بالحقّ بين النّاس ﴿وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ﴾ وفّقني لعمل انتظم به في جملتهم، أو اجمع بيني وبينهم في الجنّة.

[٨٤] ـ ﴿وَاجْعَلْ لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى الآخِرِينَ﴾ ذكراً جميلاً في الّذين يأتون بعدي الى يوم الدّين، وقد أجابه، فكلّ امّة تثنى عليه، أو ولداً صادقاً داعياً الى اصل ديني وهو «محمد» صلّى الله عليه وآله وسلّم.

[٨٥] ـ ﴿وَاجْعَلْنِى مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ ممّن يعطاها، وسبق معنى الوراثة.[١]

[٨٦] ـ ﴿وَاغْفِرْ لأَبِى﴾ بأن توّفقه للإيمان، وفتح «نافع» و«أبو عمرو» الياء[٢] ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ هذا قبل أن يتبيّن له انّه لن يؤمن.

[٨٧] ـ ﴿وَلاَ تُخْزِنِى﴾ تهنّي ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ أي العباد وهو من نحو: ﴿يغفر لي خطيئتى﴾.[٣]

[٨٨ ـ ٨٩] ـ ﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ من الشّرك وحبّ الدّنيا، متّصل[٤] أي إلاّ مال من هذا نعته حيث انفقه في البرّ وبنيه حيث ارشدهم الى الخير أو لا ينفعان احداً إلاّ من سلم قلبه

---

(١) سورة مريم: ١٩/ ٦٣ وسورة المؤمنون: ٢٣/ ١١.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٥٣.

(٣) هذه السورة / ٨٢.

(٤) أي الإستثناء.

من فتنة المال والبنين.

أو منقطع أي لكن نعت من هذا نعته ينفعه.

[٩٠] - ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ قربت ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ ليروها فيزدادوا فرحاً.

[٩١] - ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ﴾ كشفت ﴿لِلْغَاوِينَ﴾ ليروها فيزدادوا غمّاً.

[٩٢ - ٩٣] - ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللهِ﴾ من الأصنام ﴿هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ﴾ بدفع العذاب عنكم كما زعمتم شفاعتهم ﴿أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾ بدفعه عن أنفسهم، إذ هم وآلهتهم وقود النّار، ويحقّقه:

[٩٤] - ﴿فَكُبْكِبُواْ﴾ ألقوا ﴿فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ الآلهة وعبدتها بعضهم على بعض.

[٩٥] - ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ شياطينه أو اتباعه من الثّقلين ﴿أَجْمَعُونَ﴾.

[٩٦] - ﴿قَالُواْ﴾ - أي العبدة ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ مع الأصنام -:

[٩٧] - ﴿تَاللهِ إِنْ﴾ المخفّفه ﴿كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ اللام فارقة.

[٩٨] - ﴿إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ في العبادة.

[٩٩] - ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ﴾ رؤساؤنا أو اوّلونا الّذين اقتدينا بهم.

[١٠٠] - ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ كما للمؤمنين من النّبيّين وغيرهم.

[١٠١] - ﴿وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ يهمّه أمرنا إذ لا تصادق ثَمَّ إلاّ للمتّقين.

عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «انّ الرجل في الجنّة يقول: ما فعل صديقي وصديقه في الجحيم»؟.

فيقول الله تعالى: اخرجوا له صديقه الى الجنّة، فيقول من بقي في النّار: «فما لنا من شافعين... الآيات».[1]

وعن الصادق عليه السّلام: «والله لنشفعنّ لشيعتنا» - ثلاث مرّات - حتّى يقول النّاس

---

(١) تفسير مجمع البيان ٤: ١٩٤.

«فما لنا . . . الى حميم»[1] وجمع الشّافع ووحّد الصّديق لكثرة الشّفعاء عادة وقلّة الصّديق .

[١٠٢] ـ ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعة الى الدّنيا ، و«لو» في معنى التّمنّي أو شرط ، حذف جوابه ﴿فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ جواب التّمنّي أو عطف على «كرّة» إذ معناه أن نكرّ .

[١٠٣] ـ ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ﴾ المقصوص ﴿لَآيَةً﴾ دلالة لمن اعتبر ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾ اكثر قوم «ابراهيم» ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ به .

[١٠٤] ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ القادر على النقمة ﴿الرَّحِيمُ﴾ بتأخيرها للحكمة .

[١٠٥] ـ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ بتكذيبه ، لاشتراكهم في الدعاء الى التوحيد و«قوم» مؤنث معنًى .

[١٠٦] ـ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ نسباً ﴿نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله في الإشراك به .

[١٠٧] ـ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ فيكم .

[١٠٨] ـ ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أمركم به من توحيده وطاعته .

[١٠٩] ـ ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على الدّعاء والنّصح ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ[2] إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وفتح «نافع» و«ابن عامر»[3] و«حفص» ياء «أجرى» في الخمسة .[4]

---

(١) في تفسير مجمع البيان ٤ : ١٩٥ ـ حتى يقول الناس فمالنا من شافعين ولاصديق حميم اي قوله فنكون من المؤمنين ـ وفي رواية حتى يقول عدونا .

(٢) في المصحف «اجرىَ» .

(٣) في «ج» و«ابوعمرو» .

(٤) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٥٣ .

[١١٠]ـ ﴿فَاتَّقُواْ اللهَ وَأَطِيعُونَ﴾ كرّر تأكيداً.

[١١١]ـ ﴿قَالُواْ أَنُؤمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأرْذَلُونَ﴾ الّذين لا مال لهم ولا عزّ ـ عن غير بصيرة ـ، جعلوا اتّباع هؤلاء مانعاً من إيمانهم وموجباً لتكذيبه لجهلهم وقصر هممهم[1] على حطام الدّنيا.

[١١٢]ـ ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي﴾ وأيّ علم لي ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أعن بصيرة أم لا، وما عليّ إلاّ اعتبار الظّواهر.

[١١٣]ـ ﴿إِنْ﴾ ما ﴿حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَى رَبِّي﴾ العالم ببواطنهم لا عليّ ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ ذلك لعلمتموه.

[١١٤]ـ ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تطييباً لنفوسكم طمعاً في إيمانكم.

[١١٥]ـ ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ للإنذار بالحجّة الواضحة.

[١١٦]ـ ﴿قَالُواْ لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ﴾ عمّا تقول ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ بالحجارة أو بالشّتم.

[١١٧]ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ اراد انّه انّما يدعو عليهم لتكذيبهم الحقّ لا لإيذائهم له.

[١١٨]ـ ﴿فَافْتَحْ﴾ فاحكم ﴿بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ حكماً ﴿وَنَجِّنِي وَمَنْ مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ممّا يحلّ بهم، وفتح «ورش» و«حفص» ياء «معي».[2]

[١١٩]ـ ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ المملوّ.

[١٢٠]ـ ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ بعد انجائهم ﴿الْبَاقِينَ﴾ من قومه.

[١٢١]ـ ﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لآيَةً﴾ باهرة ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.

[١٢٢]ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

---

(١) في «الف»: قصرهم.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٥٣.

[١٢٣] ـ ﴿كَذَّبَتْ عادٌ الْمُرْسَلينَ﴾ انّث لمعنى القبيلة.

[١٢٤] ـ ﴿إِذ قَالَ لَهُمْ اَخُوهُمْ هُودٌ أَلاَ تَتَّقُونَ﴾.

[١٢٥ـ١٢٦] ـ ﴿إِنّى لَكُمْ رَسُولٌ اَمينٌ * فَاتَّقُواْ اللهَ وَأَطيعُونَ﴾.

[١٢٧] ـ ﴿وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِى إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ دلّ تصدير القصص بذلك على أنّ الغرض من البعثة الدّعاء الى توحيد الله تعالى وطاعته.

والأنبياء متّفقون فيه وان اختلفوا في بعض شرائعهم ولم يطلبوا به طمعاً[1] دنيوياً.

[١٢٨] ـ ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ مكان مرتفع ﴿ءَايَةً﴾ علماً للمارة ﴿تَعْبَثُونَ﴾ ببنائها إذ كانوا في اسفارهم يهتدون بالنّجوم فيستغنون عنها، أو يجتمعون اليها للعبث بمن يمرّ بهم أو بروج الحمام.

[١٢٩] ـ ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ مآخذ للماء أو حصوناً وقصوراً مشيّدة ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ كأنّكم ﴿تَخْلُدُونَ﴾ أو ترجون الخلود فتحكّمونها.

[١٣٠] ـ ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ﴾ بسوط أو سيف ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ مستعلين بالضّرب أو القتل بلا رأفة ولا تثبّت.

[١٣١] ـ ﴿فَاتَّقُواْ اللهَ﴾ في ذلك ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما امركم به.

[١٣٢] ـ ﴿وَاتَّقُواْ الَّذِى أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ من ضروب النّعم.

[١٣٣] ـ ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾.

[١٣٤ـ١٣٥] ـ ﴿وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ أجمل النّعم اوّلاً ثم فصّل بعضها ممّا يعلمونه مبالغة في تنبيههم عليها وحثهم على التّقوى، ثمّ انذرهم فقال: ﴿إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ في الدّنيا والآخرة، ان عصيتموني، وفتح «الحرميّان»

(١) في «ب»: مطمعاً ـ وفي «ج»: مطعماً.

و«أبو عمرو» «الياء» .[1]

[١٣٦]ـ ﴿قَالُواْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِّنْ الْوَاعِظِينَ﴾ أصلاً فلا نقلع عمّا نحن فيه، لم يقابلوا «اوعظت» بـ«أم لم تعظ» عدولاً الى الأبلغ.

[١٣٧] ـ ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذا﴾ ألّذي جئتنا به ﴿إِلاَّ خلْقُ الأَوَّلِينَ﴾ اختلاقهم وكذبهم أو ما خلقنا إلاّ خلقهم، نحيى ونموت مثلهم ولا بعث، وضمّ «نافع» و«ابن عامر» و«عاصم» و«حمزة» أوّلَيْ «خلق»[2] أي وما هذا الّذي جئت به إلاّ عادة الأوّلين كانوا يفترون مثله، أو ما الّذي نحن عليه من الحياة والموت إلاّ عادة قديمة في الناس.

[١٣٨]ـ ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ كما تزعم.

[١٣٩] ـ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بالرّيح بتكذيبهم ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.

[١٤٠ـ ١٤١]ـ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[١٤٢]ـ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ﴾.

[١٤٣ـ١٤٤]ـ ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُواْ اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

[١٤٥]ـ ﴿وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِى إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١٤٦ـ ١٤٧] ـ ﴿أَتُتْرَكُونَ﴾ انكار ﴿فِى مَا هَهُنَا﴾ من النّعم ﴿ءَامِنِينَ﴾ الزّوال ثمّ بيّن ما هيهنا بقوله: ﴿فِى جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.

[١٤٨]ـ ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ لطيف ضامر[3] للطف طلع اناث

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٥٣.

(٢) اي الحرفين الاولين من كلمة«خلق» ـ وفي تفسير البيضاوي ٣ : ٢٦١ـ وقرأ نافع وابن عامر وحمزة«خلق الاولين» بضمتين.

(٣) في تفسير مجمع البيان ٤: ١٩٩ : والهضيم هو الظاهر بدخول بعضه في بعض عن الضحاك .

النّخل، أو: ليّن نضيج وهو الرّطب، وأفرد النّخل بالذّكر لفضلها.

[١٤٩] ـ ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾[١] حاذقين بنحتها أو بطرين، وقرأ «الكوفيون» و«ابن عامر»: «فارهين».[٢]

[١٥٠] ـ ﴿فَاتَّقُواْ اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

[١٥١] ـ ﴿وَلاَ تُطِيعُواْ أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ لا تطيعوهم[٣] فنسب للأمر مجازاً.

[١٥٢] ـ ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى الأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ﴾ أي فسادهم خالص عن الصّلاح.

[١٥٣] ـ ﴿قَالُواْ إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ الّذين سحروا كثيراً حتّى لم يعقلوا.

[١٥٤] ـ ﴿مَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعواك.

[١٥٥] ـ ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ﴾ أي بعد ما خلقها الله له من الصّخرة كما اقترحوها ﴿لَّهَا شِرْبٌ﴾ نصيب من الماء ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ فلا تجاوزوه الى شربها.

[١٥٦] ـ ﴿وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ كعقر وأذى ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ عظّمه مبالغة في عظم عذابه.

[١٥٧] ـ ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ اسند فعل البعض الى الكلّ لرضاهم به ﴿فَأَصْبَحُواْ نَادِمِينَ﴾ على عقرها حين عاينوا العذاب.

[١٥٨] ـ ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ الموعود ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.

[١٥٩] ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

[١٦٠] ـ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾.

---

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «فارهين» ـ كما سيشير اليه المؤلّف ـ.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٥١.

(٣) في «ج» لاتطيعونهم.

[١٦١] ـ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ .

[١٦٢] ـ ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ .

[١٦٣] ـ ﴿فَاتَّقُواْ اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾ .

[١٦٤] ـ ﴿وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

[١٦٥] ـ ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ من النّاس مع كثرة الأُناث فيهم.

أو: من بين ما ينكح من الحيوان اختصصتم بذلك؟ .

[١٦٦] ـ ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ بيان لـ«ما» ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ متعدّون حدّ الحلال الى الحرام.

[١٦٧] ـ ﴿قَالُواْ لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ﴾ عن نهينا وتقبيح أمرنا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ من بلدنا كأنّهم كانوا يعنّفون بمن يخرجونه.

[١٦٨ ـ ١٦٩] ـ ﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُمْ مِّنَ الْقَالِينَ﴾ المبغضين، أشدّ البغض أي معدود في جملتهم فهو أبلغ من «بعملكم» قال: ﴿رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ من وباله.

[١٧٠] ـ ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ يشمل من آمن به لأنّه يأهلهم.

[١٧١] ـ ﴿إِلاَّ عَجُوزاً﴾ هي إمرأته ﴿فِى الْغَابِرِينَ﴾ الباقين في العذاب، لرضاها بفعلهم وإعانتها لهم.

[١٧٢] ـ ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ﴾ أهلكناهم بالإئتفاك. (١)

[١٧٣] ـ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَرًا﴾ حجارة، اتبعناه ايّاها أو على شدادهم (٢) فأهلكناهم بهم ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ مطرهم واللّام للجنس.

[١٧٤] ـ ﴿إِنَّ فِى ذلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ .

---

(١) الإئتفاك اي الإنقلاب ومنه المؤتفكة: اي المنقلبة.

(٢) كذا في النسخ، وفي تفسير البيضاوي: وقيل امطر الله على شذاذ القوم حجارة فأهلكهم.

[١٧٥] ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ .

[١٧٦ ـ ١٧٧] ـ ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لأيكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ الأيكة: الشّجر الملتّف وهي غيطة[1] بقرب مدين، يسكنها قوم، بعث اليهم شعيب ولم يكن منهم «مدين»[2] فلذا لم يقل أخوهم وقال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلاَ تَتَّقُونَ﴾ وحذف «نافع» و«ابن كثير» و«ابن عامر» همزة «الأيكة»[3] والقوا حركتها على الّلام وكتبت هنا وفي «ص»[4] بلا الف، اتباعاً للفظه، ومن ثمّ توهّم بعض انّها «ليكة» اسم بلدهم ففتح التّاء.[5]

[١٧٨] ـ ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ .

[١٧٩] ـ ﴿فَاتَّقُواْ اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾ .

[١٨٠] ـ ﴿وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِى إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

[١٨١] ـ ﴿أَوْفُواْ الْكَيْلَ﴾ اتّموه ﴿وَلاَ تَكُونُواْ مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ النّاقصين.

[١٨٢] ـ ﴿وَزِنُواْ بِالْقُسْطَاسِ[6] الْمُسْتَقِيمِ﴾ بالميزان السّويّ، بضمّ القاف، وكسره «حفص» و«حمزة» و«الكسائي».[7]

[١٨٣] ـ ﴿وَلاَ تَبْخَسُوْا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ لا تنقصوهم حقوقهم ﴿وَلاَ تَعْثَوْاْ﴾ تفسدوا ﴿فِى الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ بالقتل وغيره، حال مؤكّدة.

[١٨٤] ـ ﴿وَاتَّقُواْ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ﴾ ذوي الجبلّة وهي الخلقة أي والخلائق ﴿الأَوَّلِينَ﴾ .

---

(١) الغوطة: الوهدة في الأرض.

(٢) اي كما بعثه الى مدين ـ ينظر تفسير البيضاوي ٣ : ٢٦٢ .

(٣) حجة القراءات: ٥١٩ .

(٤) سورة ص: ٣٨/ ١٣ .

(٥) اي لم تكتب «ال» التعريف في اول الكلمة بل حذف الألف كتباً ـ كما يحذف لفظاً .

(٦) في المصحف الشريف بقراءة حفص القسطاس بكسر القاف ـ كما سيشير اليه المؤلّف ـ.

(٧) حجة القراءات: ٤٠٢ و٥٢٠ .

[١٨٥] ـ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ .

[١٨٦] ـ ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ الواو تفيد انّه جمع بين وصفين منافيين للرّسالة . ﴿وَإِن﴾ المخفّفة ﴿نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ في دعواك ، واللّام فارقة .

[١٨٧] ـ ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ قطعة ، وفتح «حفص» سينه[1] ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ .

[١٨٨] ـ ﴿قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وبجزائه الّذي استوجبتموه من كسف أو غيره فينزله بكم ، وفتح «الحرميّان» و«أبو عمرو» الياء .[2]

[١٨٩] ـ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ هي سحابة اظلّتهم بعد حرّ شديد ، أصابهم سبعة أيّام فامطرت عليهم ناراً فأحرقتهم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ .

[١٩٠] ـ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ .

[١٩١] ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ قصّ سبع قصص ، هذا آخرها ، تسلية لرسوله صلّى الله وآله وسلّم وتهديداً للمكذّبين به بما أصاب الأُمم بتكذيب الرّسل .

[١٩٢] ـ ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي القرآن المشتمل على هذه القصص وغيرها ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تقرير لحقّيتها واشعار بإعجاز القرآن وصدق «محمّد» صلّى الله عليه وآله وسلّم ، إذ إخبار الأُميّ بها انّما يكون بوحي الله تعالى ويؤكّده :

[١٩٣] ـ ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ عليه جبرائيل ، سميّ روحاً لأنّ به يحيى الدّين ، أو لأنّه روحانيّ ، وشدّد الزّاي «ابن عامر» و«أبو بكر» و«حمزة» و«الكسائي» ونصبوا «الرّوح» .[3]

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ٥١ حجة القراءات : ٥٢٠ .

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٥٣ .

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٥١ وتفسير البيضاوي ٣ : ٢٦٣ .

[١٩٤] ـ ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ أي اثبته فيه وحفظكه ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ .

[١٩٥] ـ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ بيّن المعنى، متعلّق بـ«نزل» أو بـ«المنذرين» أي لتكون ممّن انذروا بلغة العرب، وهم «هود» و«صالح» و«اسماعيل» و«شعيب» و«محمد» صلّى الله عليه وآله وسلّم .

[١٩٦] ـ ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي ذكر القرآن ﴿لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ﴾ كتبهم السّماويّة .

[١٩٧] ـ ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَّهُمْ ءَايَةً﴾ على صحّة القرآن وصدق «محمّد» صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمٰـؤُا بَنِى إِسْرَاءِيلَ﴾ كـ«ابن سلام» وغيره أي علمهم بنعته من كتبهم، وقرأ «ابن عامر» «تكن» بالتّاء ورفع «آية» اسماً[1] والخبر «لهم» و«أن يعلمه» بدل والإسم ضمير القصّة و«آية» خبر «أن يعلمه» والجملة خبر «تكن» و«لهم» حال .

[١٨٨] ـ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ﴾ كما هو ﴿عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ﴾ الّذين لا يحسنون عربيته ليزيد اعجازه، أو بلغة العجم .

[١٩٩] ـ ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَّا كَانُواْ بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ عناداً أو أنفة من اتباع العجم .

[٢٠٠ ـ ٢٠١] ـ ﴿كَذٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي مثل ادخالنا القرآن مكذّباً به في قلوبهم بقراءة الأعجم ادخلناه في قلوبهم بقرائتك عليهم .

واسند إليه تعالى كناية عن تمكّنه مكذّباً به في قلوبهم كأنّهم جبلوا عليه بدليل اسناد: ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ اليهم وهو استئناف يقرّر ما قبله، أو حال أي سلكناه غير مؤمن ﴿بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ .

[٢٠٢] ـ ﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ ـ فجأة ـ ﴿وَهُم لا يَشْعُرُونَ﴾ بمجيئه .

[٢٠٣] ـ ﴿فَيَقُولُواْ﴾ ندماً ﴿هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ لنؤمن .

[٢٠٤] ـ ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ توبيخ لهم بتهكّم، أي كيف يستعجله من إذ

---

(١) حجة القراءات: ٥٢١ .

انزل به سأل النظرة.

[٢٠٥] - ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ أخبرني ﴿إِنْ مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾.

[٢٠٦] - ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾.

[٢٠٧] - ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾ لم يغن عنهم تمتيعهم في دفع العذاب.

[٢٠٨] - ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ رسل تنذر أهلها بالحجج.

[٢٠٩] - ﴿ذِكْرَى﴾ تذكرة، نصبت علّة أو مصدراً لأنّها بمعنى الإنذار، أو رفعت خبر محذوف والجملة معترضة أو صفة «منذرون» بتقدير ذووا، أو بجعلهم «ذكرى» مبالغة ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ فنهلك غير الظالمين.

[٢١٠] — ﴿ومَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ كما زعم الكفرة انّه من جنس ما تلقى الشياطين الى الكهّان.

[٢١١] - ﴿وَمَا يَنْبَغِى﴾ يصحّ ﴿لَهُمْ﴾ التنزّل به ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ذلك.

[٢١٢] - ﴿إِنهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ لكلام الملائكة ﴿لَمَعْزُولُونَ﴾ ممنوعون بالشّهب.

[٢١٣] - ﴿فَلاَ تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ تهييج له صلّى الله عليه وآله وسلّم ليزداد اخلاصاً، ولطف للمكلّفين.

[٢١٤] — ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ مبتدءًا بهم، الأقرب فالأقرب لأهميّة الإهتمام بهم.

روي انّه لمّا نزلت، جمعهم وقال: يا بني عبد المطّلب انّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد، ثمّ قال: من يوازرني ويكون وصيّي وخليفتي؟— يعيدها ثلاثاً - فيسكتون ويقول عليّ: أنا، فقال: أنت، فقاموا وهم يقولون لأبي طالب: أطع ابنَك فقد أمّره عليك.[1]

(١) ينظر تفسير مجمع البيان ٤: ٢٠٦ وشواهد التنزيل ١: ٤٢٠.

[٢١٥] ـ ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ ألن جانبك، استعير من خفض جناح الطّائر حين ينحطّ ﴿لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ «من» للبيان أو للتّبعيض، ويراد بالمؤمنين من صدقوا بألسنتهم.

[٢١٦] ـ ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ أي قومك ﴿فَقُلْ إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ «ما» مصدريّة أو موصولة.

[٢١٧] ـ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ فوّض أمرك الى القاصم لإعدائه، العاصم لأوليائه، يكفك شرّ من يعصيك، وقرأ «نافع» و«ابن عامر» بالفاء بدلاً من «فقل».[1]

[٢١٨] ـ ﴿الَّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ في التّهجّد.

[٢١٩] ـ ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى السَّاجِدِينَ﴾ وتصرّفك في المصلّين بالقيام والرّكوع والسّجود والقعود، حين تأمّهم أو مشيك في تصفّح أحوال المتهجّدين لتطّلع على تهجّدهم.

أو تنقلك في أصلاب النبيين، نبيّ بعد نبيّ.

[٢٢٠] ـ ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لقولك ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنيّتك.

[٢٢١] ـ ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ تتنزّل، حذفت احدى التّائين.

[٢٢٢] ـ ﴿تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ كذّاب فاجر، كالكهنة والمتنبئة لا على «محمّد».

[٢٢٣] ـ ﴿يُلْقُونَ﴾ أي الأفاكون ﴿السَّمْعَ﴾ الى الشياطين فيتلقّون منهم ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ يضمّون الى ما يسمعونه كذباً كثيراً، أو يلقي الشّياطين السّمع الى الملأ الأعلى قبل أن يرجموا فيختطفون بعض المغيبات فيوحونه الى الكهنة.

---

(١) حجة القراءات: ٥٢٢.

أو يلقون المسموع الى الكهنة واكثرهم «كاذبون» فيما يوحونه اليهم.

[٢٢٤] ـ ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ﴾ وخفّفه «نافع»[١] ﴿الْغَاوُونَ﴾ باستحسان باطلهم وروايته عنهم ولا كذلك اتّباع «محمّد» صلّى الله عليه وآله وسلّم و يقرّره:

[٢٢٥] ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ﴾ من أودية الكلام وفنونه ﴿يَهِيمُونَ﴾ يذهبون غير مبالين بما نطقوا من غلوّ في مدح وذمّ وتشبّب[٢] بمحرّم.[٣]

[٢٢٦] ـ ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ﴾ من وعد كاذب وافتخار باطل وحديث مفترى.

[٢٢٧] ـ ﴿إِلاَّ﴾ الشّعراء ﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا﴾ بحيث يكون الذّكر غلب عليهم من الشّعر وإن قالوا شعراً ففيما يرضى الله تعالى كالثّناء عليه والحكمة والموعظة، ومدح النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ورثاهم عليهم السّلام. ﴿وَانْتَصَرُوا﴾ ممّن هجاهم من الكفّار بأن يهجوه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ بالإعتداء عليهم بذلك ﴿ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾،[٤] ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ كلّ من صدر منه ظلم ﴿أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ أيّ مرجع يرجعون بعد الموت.

وفي وعيد «سيعلم» واطلاق «الّذين ظلموا» وابهام «أيّ» أشد ترهيب وأفظع تهويل.

---

(١) حجة القراءات: ٥٢٢.

(٢) التشبيب: التغزل بالنساء.

(٣) في «ج»: بحرم.

(٤) سورة البقرة: ٢/١٩٤.

سورة النمل

[٢٧]

ثلاث أو اربع وتسعون آية مكيّة .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ـ ﴿طسٓ﴾ امالها «أبو بكر» و«حمزة» و«الكسائي» .[١] ﴿تِلْكَ﴾ اشارة الى آي السّورة ﴿ءَايَاتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ للحقّ من الباطل .

والكتاب : اللّوح أو القرآن ، وعطفه عليه كعطف احد النّعتين على الآخر ونكّر تفخيماً .

[٢] ـ ﴿هُدًى﴾ حال أي هادية ، وعاملها الإشارة ، أو بدل من «آيات» أو خبر محذوف وكذا : ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالجنّة .

[٣] ـ ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ﴾ بحدودها ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ بتمامها ﴿وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ من الصّلة ، والواو للحال أو للعطف .

وغيّر النّظم ايذاناً بكمال ايقانهم ، أو جملة معترضة تفيد انّ هؤلاء المؤمنين المتعبّدين هم الموقنون بالآخرة ، فإنّ خوف العاقبة يحملهم على تحمّل المشاقّ

(١) النشر في القراءات العشر ٢ : ٧٠ .

وتكرير «هم» للقصر.

[٤] ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ القبيحة بتحلية الشيطان حتّى زيّنها لهم، أو بتمتيعهم بالنّعم، فبطروا واتّبعوا أهوائهم فكأنّه تعالى زينّها فهو مجاز حكميّ، أو استعارة، أو أعمال الخير بالتّرغيب فيها ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ يتحيّرون فيها كمن ضلّ الطّريق.

[٥] ـ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ أشدّه كالقتل والأسر ببدر ﴿وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾ أشدّ النّاس خسراناً، لإستبدالهم النّار بالجنّة.

[٦] ـ ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْءَانَ﴾ تلقفه ﴿مِنْ لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ أيّ حكيم وايّ عليم، وهو تمهيد لما يسوق بعده من القصص المؤذنة ببلاغة حكمته واحاطة علمه.

[٧] ـ ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ اذكر قصّته إذ قال ﴿لِأَهْلِهِ﴾ ـ لإمرأته في مسيرة «مدين» الى مصر ـ: ﴿إِنِّي﴾ وفتح «الحرميان» و«أبو عمرو» «الياء»[1] ﴿ءَانَسْتُ﴾ أبصرت ﴿نَارًا سَئَاتِيكُمْ مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن الطّريق، وكان قد ضلّه.

وخوطبت بلفظ الجمع كما كنّى عنها بالأهل[2] ﴿أَوْ ءَاتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ بشعلة نار مقبوسة[3] والإضافة للبيان، ونوّنه «الكوفيون» بجعل «القبس» بدلاً أو صفة، أي مقبوس[4] والوعدان[5] على جهة الظّنّ فلا ينافيه ترجيهما في «طه»[6] و«أو» للإيذان بأنّه ان لم ينلهما لم يحرم أحدهما ثقة بكرم الله، ان لا يجمع عليه حرمانين ﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ رجاءَ أن تستدفئوا بها.

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٧٠.

(٢) أي لمّا كنّى عنها بالأهل خاطبها بلفظ الجمع في «سئآتيكم».

(٣) أي مقبوضة.

(٤) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٥٤.

(٥) اي العدتان.

(٦) سورة طه : ٢٠/ ١٠.

[٨] ـ ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ﴾ أي ﴿بُورِكَ﴾ بارك الله، يتعدّى بنفسه وبالحرف ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ من في مكانها وهو البقعة المباركة يعني الملائكة أو الشّجرة أو النّور المتّقدم بها ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي موسى أو الملائكه.

والظّاهر عمومه في كلّ من في تلك البقعة وحواليها من أرض الشّام الّتي بارك الله فيها ﴿وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ممّا نودي به، تنزيه له تعالى عن التّشبيه أو التّعجيب لموسى من عظمة ما قضي له.

[٩] ـ ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ﴾ «الهاء» للشّأن ويفسّره جملة: ﴿أَنَا اللهُ﴾ أو لَمكلّمك و«أنا» خبره «و«الله» بيان له ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ نعتان ملوّحان، لما اراد اظهاره أي أنا القادر على الخوارق كقلب العصا حيّة، الفاعل بمقتضى الحكمة.

[١٠] ـ ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ عطف على «بورك» فألقاها ﴿فَلَمَّا رءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرّك ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ حيّة خفيفة ﴿وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ولم يرجع، رعب منها للطّبع البشريّ فقال تعالى: ﴿يَا مُوسَى لاَ تَخَفْ﴾ منها، أو مطلقاً بدليل: ﴿إِنِّى لاَ يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ لعصمتهم عمّا يوجب عقوبة يخافونها، وان كانوا أخوف الناس هيبة لعظمته تعالى.[1]

[١١] ـ ﴿إِلاَّ﴾ لكن ﴿مَنْ ظَلَمَ﴾ نفسه من غيرهم بذنب، أو منهم بترك الاولى وعلى هذا يجوز جعله متّصلاً ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾ توبة بعد ذنب أو ترك اولى، وسمّى سوءاً كما سمّى ظلماً ﴿فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أقبل توبته واثيبه فإنّه لا يخاف أيضاً.

[١٢] ـ ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ طرف مدرعتك ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾ ذات شعاع ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ برص، آيتان ﴿فِي تِسْعِ ءَايَاتٍ﴾ أي معها وهي الفلق[2] والطّوفان

(١) في تفسير البيضاوي ٣: ٢٦٦: فإنهم اخوف الناس اي من الله تعالى.

(٢) اي إنشقاق البحر.

والجراد والقمل والضّفادع والـدّم والطّمس والجدب ونقص الثّمرات[١] أو في جملتها على عدّ الأخيرتين واحدة وعدم عدّ الفلق إذ لم يدع به «فرعون» ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ أي مرسلاً اليهم، أو يتعلّق الظّرفان[٢] بـ«اذهب» مستأنفاً ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ علّة الإرسال.

[١٣] ـ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ واضحة، كـأنّها تبصر وتهـدى، أو اريد ابصار متأمّليها للملابسة.

وعن «السجاد» عليه السّلام: «مَبْصَرَة» بفتحهما[٣] ﴿قَالُواْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ بيّن.

[١٤] ـ ﴿وَجَحَدُوا﴾ وكذّبوا ﴿بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ الواو للحال بإضمار «قد» ﴿ظُلْمًا﴾ لأنفسهم علّة لـ«جحدوا» وكذا: ﴿وَعُلُوًّا﴾ ترفعاً عن الإيمان ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ من الغرق عاجلاً، والنّار آجلاً.

[١٥] ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ أي علم أو نـوعـاً مـن العلم ﴿وَقَالاَ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ لم يعطفه بـالفاء إشعاراً بأنّ مـا قالا بعض ما قـابلوا به هذه النّعمـة، كأنّه قيل: فعرفا حقّـه وادّياه وقالا: الحمد لله، واريد مجرّد الاخبـار لا التّسبّب، فلا موقع للفاء ﴿الَّذِى فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ممّن لم يـؤت مثل علمهما ودلّ على شرف العلم وأهله.

[١٦] ـ ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ ماله وملكه، وقيل: نبوّته وعلمه بأن قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه،[٤] وهم تسعة عشر، والظّاهـر الاوّل، وهو المرويّ عن

---

(١) في سورة الإسراء: ١٧/ ١٠٢.

(٢) أي قوله «في تسع آيات» و«الى فرعون»...

(٣) اي بفتح الميم والصاد ـ تفسير مجمع البيان ٤: ٢١٢.

(٤) قاله الجبائي ـ كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٢١٢.

أهل البيت عليهم السّلام[1] ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ تحديثاً بنعمة الله ودعاءً لهم الى تصديق معجزته ﴿عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ أصواته وفهم معانيها كما يفهم بعضه من بعض وضمير «عّلمنا» له ولأبيه، أو لـه على عـادة المـلوك وكذا: ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يريد كثرة ما اوتي، كقولك فلان يعلم كلّ شيء ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ البيّن الظّاهر.

[١٧] ـ ﴿وَحُشِرَ﴾ وجمـع ﴿لِسُلَيْمَـانَ جُنُـودُهُ مِنَ الْجِـنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْـرِ فَهُـمْ يُوزَعُونَ﴾ يحبس اوّلهم على آخرهم ليتلاحقوا.

[١٨] ـ ﴿حَتَّى إِذَا أَتَـوْا عَلَـى وَادِ النَّمْلِ﴾ وادٍ بـالشّام أو الطّـائف، كثيـر النّمل والتّعدية بـ«على» لأنّهم أتوا من فوق، أو لقطعهم الوادي، من أتى على الشيء: بلغ آخره ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أيهَا النَّمْلُ ادْخُلُواْ مَسَاكِنَكُمْ﴾ عبرّ عن صياحها بهم بما يفهمونه بالقول، فجعلوا كالعقلاء في الخطاب ﴿لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ نهي بدل من «ادخلوا» أي لا تكونوا بحيث يكسرنّكم، من باب لا ارينّك هاهنا ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ بحطمكم، إذ لو شعروا لم يفعلوا كأنّها عرفت عصمته عن الظّلم.

[١٩] ـ ﴿فَتَبَسَّمَ ضَـاحِكًا مِّنْ قَـوْلِهَا﴾ اخـذاً في الضّحك تعجّبـاً مـن حذرهـا وتحذيرها، أو سروراً بما أتاه الله من ادراك همسها ولذلك دعا ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ اجعلني ازع شكرها، أي: اكفّـه واحبسه لا ينقلب عنّي فـلا انفك عنه، وفتـح «ورش» و«البزّي» يـاء «اوزعني» [2] ﴿وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾ ادرج ذكرهما لأنّ النّعمة عليه نعمة عليهما وبالعكس. ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ في جملتهم الجنّة.

[٢٠] ـ ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ وكانت تظلّه عن الشّمس، فـوقعت نفحة منها على رأسه فنظر فإذا مـوضع الهدهد خال، أو احتاج إليـه ليردّ له الماء لأنّـه يراه من بطن الأرض

---

(١) تفسير مجمع البيان ٤: ٢١٤.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٧٠.

ويدّل عليه فيستخرجه الجنّ فنظر فلم يره ﴿فَقَالَ﴾ ـ ظانّاً أنّه حاضر ولم يره لساتر ـ: ﴿مَالِي﴾ وفتح «ابن كثير» و«عاصم» و«الكسائي» و«هشام» «الياء»[1] ﴿لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ ثم لاح له انّه غائب فقال: ﴿أَمْ﴾ بل أ﴿كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ فلم اره لغيبته، ثم اوعده عليها فقال:

[٢١] ـ ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بنتف ريشه وتشميسه، أو حبسه مع ضدّه. ﴿أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي﴾ مشدّداً، وقرأ «ابن كثير» بنونين والتّشديد[2] ﴿بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ببرهان يبيّن عذره، والمقسم عليه احد الأوّلين ما لم يأت بعذر، ومقتضاه وقوع أحد ثلاثة امور، هما والإتيان بعذر، فلذلك عطفه عليهما وان لم يكن فعله.

[٢٢] ـ ﴿فَمَكُثَ﴾[3] بالضّمّ، وفتح «عاصم»[4] ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ زماناً يسيراً وحضر متواضعاً له بإرخاء ذنبه وجناحيه وأتى بعذره ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾.

قيل: هذا يبطل وجوب كون الإمام أعلم أهل زمانه[5] وفيه: انّ المراد كونه أعلمهم فيما يحتاجون إليه من امر الدّين والدّنيا لا فيما يطّلعون عليه ممّا لم يتعلّق بذلك كحال أهل سبأ، وإلاّ لزم وجود من هو أعلم من مدينة العلم «محمّد» صلّى الله عليه وآله وسلّم[6] إذ كثيراً ما يخبره رسله وعيونه بحال قوم غيّب أو بلد ناءٍ ونحوه ممّا يطّلع عليه، ولا يخلّ ذلك بكونه أعلم البشر ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ﴾ منوّناً اسم للحيّ أو

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٧٠.

(٢) حجة القراءات: ٥٢٤.

(٣) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «فمكَث» ـ بفتح الكاف.

(٤) حجة القراءات: ٥٢٥.

(٥) قاله قتادة كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٥٣٨ الا انّ فيه: (الانبياء) بدل: (الإمام).

(٦) اقتباس من قوله (ص): أنا مدينة العلم وعليّ بابها... وللحديث مصادر شتى. ينظر كتاب العمدة لابن البطريق الفصل الخامس والثلاثون.

أبيهم «سبأ بن يشحب ابن يعرب بن قحطان» ومنع صرفه «أبو عمرو» و«البزّي» بتأويل القبيلة أو المدينة[١] ﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ بخبر متيقّن.

[٢٣] ـ ﴿إِنِّي وَجَدْتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ أي ملكة لـ«سبأ» أو أهلها وهي «بلقيس بنت شراحيل» ملك اليمن وابن ملوكها ولم يعقّب غيرها فورثت ملكه ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه الملوك ﴿وَلَهَا عَرْشٌ﴾ سرير ﴿عَظِيمٌ﴾ استعظمه بالنّسبة اليها. أو لأنّه لم يكن لـ«سليمان» مثله وان عظم ملكه، وكان ثلاثين أو ثمانين ذراعاً في مثلها عرضاً وسمكاً من ذهب وفضّة مكلّلاً بالجواهر.[٢]

[٢٤] ـ ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ كانوا مجوساً يعبدونها ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ القبيحة ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ سبيل الحقّ ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إليه. ألهمه الله تعالى معرفته وتفرّده بوجوب السّجود له، فأنكر سجودهم للشّمس ونسبه الى الشيطان.

[٢٥] ـ ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ فصدّهم أن لا يسجدوا، أو زيّن لهم أن لا يسجدوا بإبداله من أعمالهم، أو لا يهتدون لأن «يسجدوا» فزيدت «لا» وخفّف «الكسائي» «ألاَ» على انها للتنبيه، وياء لنداء محذوف اي: ألاَ ياقوم اسجدوا[٣] استئنافاً من الله أو «سليمان» أو «الهدهد» ﴿لله الّذى يُخْرِجُ الخَبْءَ﴾ مصدر بمعنى المخبوء وهو ما خفي ﴿فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[٤] ما يسرّونه وما يظهرونه، وقرأهما «حفص» و«الكسائي» بالتّاء.[٥]

---

(١) حجة القراءات: ٥٢٥.

(٢) في «ج»: بالنجوم.

(٣) حجة القراءات: ٥٢٦.

(٤) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «تخفون وما تعلنون» ـ كما سيشير اليه المؤلّف ـ.

(٥) حجة القراءات: ٥٢٨.

[٢٦] ـ ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ بالنّسبة الى سائر أجرام العالم لإحاطته بها بخلاف عرشها فبينهما بون عظيم.

[٢٧] ـ ﴿قَالَ سَنَنظُرُ﴾ سنتأمّل في أمرك ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ عدل عن «ام كذبت» مبالغة وللفاصلة ثمّ كتب كتاباً وقال له:

[٢٨] ـ ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ﴾[١] وسكّن الهاء «عاصم» و«أبو عمرو» و«حمزة»[٢] ﴿إِلَيْهِمْ﴾ الى الّذين دينهم ما ذكرت، اهتمّ بأمر الدّين فلم يقل اليها ﴿ثُمَّ تَوَلَّ﴾ تنحّ ﴿عَنْهُمْ﴾ متوارياً قريباً منهم ﴿فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ أي بعضهم الى بعض من القول.

فذهب به وأتاها وكانت مستلقية في بيت مغلق الأبواب، فدخل من كوّة وألقاه على نحرها. وقيل: أتاها وجندها حولها وألقاه في حجرها فلمّا قرأته:[٣]

[٢٩] ـ ﴿قَالَتْ﴾ ـ لأشراف قومها ـ: ﴿يَاأَيُّهَا الْمَلَؤُا إِنِّي﴾ وفتح «نافع» الياء[٤] ﴿أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ لكرم مرسله أو مضمونه، أو لأنّه كان مختوماً، ثمّ كأنّه قيل لها ممّن الكتاب وما هو؟ فقالت:

[٣٠] ـ ﴿إِنَّهُ﴾ أي الكتاب أو عنوانه ﴿مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ﴾ أي مضمونه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

[٣١] ـ ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ﴾ «أن» مفسّرة أو مصدريّة هي بصلتها خبر محذوف أي المقصود أن لا تعلوا ﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ منقادين، أو مؤمنين وقد اشتمل مع ايجازه على تمام المقصود من اثبات الصّانع وصفاته بالبسملة والنّهي عن التّكبّر والأمر

---

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص بسكون الهاء ـ كما سيشير اليه المؤلّف ـ.
(٢) حجة القراءات: ٥٢٨.
(٣) معناه في تفسير مجمع البيان ٤: ٢١٩ ـ عن وهب وابن زيد ـ.
(٤) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٧٠.

بالإنقياد، كلّ ذلك بعد اظهار المعجز برسالة الهدهد.

[٣٢]ـ ﴿قَالَتْ يَاأَيها الْمَلَؤُاْ أَفْتُونِى﴾ أجيبوني بما عندكم من الرّأي ﴿فِى أَمْرِى مَا كُنْتُ قَاطِعَةً﴾ قاضية ﴿أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ تحضرون ملاطفة لهم ليقوموا معها.

[٣٣] ـ ﴿قَالُواْ نَحْنُ أُولُواْ قُوَّةٍ﴾ بأجسادنا وعددنا ﴿وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ شجاعة ونجدة ﴿وَالأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ مفوّض ﴿فَانْظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ من حرب أو صلح نطعك.

ولمّا لاح من ادّعائهم القوّة والشّجاعة أي ميلهم الى الحرب زيّفته وأرتّهم أنّ الأصوب: الصّلح.

[٣٤] ـ ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً﴾ عنوة وقهراً ﴿أَفْسَدُوهَا﴾ خرّبوها ﴿وَجَعَلُواْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ أهانوهم بالقتل والأسر ونهب الأموال ﴿وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ تقرير لما وصفتهم به بأنّ هذه عادتهم المستمرّة، أو تصديق لها من الله تعالى.

[٣٥]ـ ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ﴾ رسلاً ﴿بِهَدِيَّةٍ﴾ اصانعه بها عن ملكى ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ من حاله، فأعمل بحسبه، فأرسلت «منذر بن عمرو» في جمع بهديّة منها غلمان في زيّ الجواري وجواري في زيّ الغلمان وحقّاً[1] فيه درّة عذراء وجزعة معوّجة الثّقب وقالت:

ان كان نبيّاً ميّز الغلمان عن الجواري وثقب الدّرة وسلك في الجزعة خيطاً، فلمّا دنوا بهرهم ما رأوا من عظمة شأنه، وكان جبرئيل أعلمه الحال فوقفوا بين يديه فأخبر بما في الحق وأمر ارضة فثقبت الدّرة وأمر دودة فأخذت خيطاً ونفذت في الجزعة وأمر بالماء فكانت الجارية تأخذه بيد فتفرغه في الأُخرى فتضرب به وجهها، ثم ردّ الهدية.

[٣٦]ـ ﴿فَلَمَّا جَاءَ﴾ الرّسول بما معه ﴿سُلَيْمَانَ قَالَ﴾ انكاراً: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ وشدّد النّون «حمزة» و«يعقوب» وأثبت «ابن كثير» و«حمزة» «الياء» مطلقاً و«نافع»

(١) كذا في تفسير البيضاوي وفي النسخ: «حق»، والحقة: وعاء من خشب للطيب ونحوه.

و«أبو عمرو» وصلاً[١] ﴿فَمَآءَاتَانِىَ اللهُ﴾ من النّبوّة والكمالات، والقراءة بإثبات الياء مفتوحة وصلاً وساكنة وقفاً أو حذفها وقفاً أو مطلقاً[٢] ﴿خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتاكُمْ﴾ من حظّ الدّنيا، تعليل للإنكار، ثمّ أضرب عن ذلك الى بيان السّبب الّذي حملهم عليه فقال: ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ﴾ بما يهدىٰ اليكم ﴿تَفْرَحُونَ﴾ حبّاً لزيادة المال لقصر هممكم عليه أو بما تهدونه لتفخروا به على الملوك.

[٣٧] - ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ بما جئت به من الهديّة ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ﴾ لا طاقة ﴿لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا﴾ من سبأ ﴿أَذِلَّةً﴾ بذهاب عزّهم ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ بأسرٍ واهانة إن لم يأتوا مسلمين.

ولمّا رجع اليها الرّسول عرفت انّه نبيّ ولا طاقة لهم به، فشخصت إليه في جندها وغلّقت على عرشها الأبواب ووكّلت به الحرّاس، ولعلّه اوحى إليه ذلك فأراد أن يريها بعض ما خصّه الله به من المعجزات تقريراً لنبوّته فلذلك:

[٣٨] - ﴿قَالَ يٰا أَيُّهَا الْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ إذ لا يحلّ لي أخذه إذا أسلمت.

[٣٩] - ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾ مارد قويّ ﴿مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيْكَ﴾ فعل أو اسم وكذا الآتي ﴿بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ﴾ مجلسك للحكم، ومدّته نصف نهار ﴿وَإِنِّى عَلَيْهِ﴾ على حمله ﴿لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ على ما فيه من جوهر وغيره.

[٤٠] - ﴿قَالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ الكتب المنزلة «آصف بن برخيا» وزيره، كان صدّيقاً، يعلم اسم الله الأعظم، أو الخضر، أو جبرائيل، أو سليمان كأنّه استبطأه فقال له: ﴿أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾.

---

(١) حجة القراءات: ٥٢٨و٥٢٩.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٧٠.

الطّرف: تحـريك الأجفان للنظـر، فوضع مـوضعه[1] ولمّا كـان النّاظر يـوصف بإرساله وصف بـردّه والطّرف بالإرتداد، والمعنى انّك ترسـل طرفك الى شيء فقبل ان تردّه احضـر عرشها عندك، وهـو مثل في السّرعـة، قال له: انظر فنظـر يميناً[2] ودعا آصف فغـار العرش فـي مكـانه فنبـع عنـده ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا﴾ ساكناً ﴿عِندَهُ قَالَ﴾ ـ شكراً ـ: ﴿هَذَا﴾ أي تيسير احضاره في اقصر مدة من مسيرة شهرين معجزة لي ﴿مِن فَضْلِ رَبِّى﴾ عليّ ﴿لِيَبْلُوَنِى﴾ ليختبرني، وفتح «نافع» «الياء»[3] ﴿ءَأَشْكُرُ﴾ باعترافي بنعمته واداء حقّها ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ بها ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لإستدامته لها به النّعمة واستـزادتها وحطّه عنها عـبء الواجب ﴿وَمَن كَفَرَ فَـإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ﴾ عن شكره وغيره ﴿كَرِيمٌ﴾ يعطيه مع كفره.

[٤١] ـ ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَـا عَرْشَهَا﴾ بتغييـر هيئته اختبـاراً لعقلهـا إذ رميت بسخفـه ﴿نَنظُرْ﴾ جواب «نكّروا» ﴿أَتَهْتَدِى﴾ لمعرفته أو للجواب الصّـائب أو للإيمان إذا رأت سبـقـه وقد خلقـته مستحفظـة عليـه ﴿أَمْ تَكُـونُ مِنَ الَّذِيـنَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ أبلـغ مـن «أم لا تهتدى».

[٤٢] ـ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾ تشبيهاً عليها ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ عرفته لكن لـوفور عقلها لـم تقل هو هو، لجـواز كونـه مثله ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْـمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّـا مُسْلِمِينَ﴾ قاله «سليمان» عطفاً على مقدّر كأنّه قيل عند جوابها هي عاقلة وقد عرفت قدرة الله تعالى وآمنت به وبنبيّه، أي: واوتينا العلم بالله وقدرته قبلها وكنّا مخلصين له. أو من كلامها أي واوتينـا العلم بقدرة الله وصحّة نبوّة «سليمان» مـن قبل هذه المعجزة أو الحالة بما سبق من المعجزات.

---

(١) اي وضع الطرف موضع الأجفان.

(٢) في «ج» يميناً وشمالاً.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٧٠.

[٤٣]- ﴿وَصَدَّهَا﴾ قبل ذلك عن الإسلام ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ أي عبادة الشمس، أو صدّها الله أو «سليمان» عن عبادتها ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ نشأت بين اظهرهم.

[٤٤]- ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ القصر، أو صحن الدّار، وقد امر قبل قدومها ببناء قصر صحنه من زجاج أبيض، وأجرى تحته ماء فيه سمك، فجلس في صدره على سريره، قصد به تهويل مجلسه، أو تعرّف ما قيل له من أنّ رجلها كرجل حمار ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ ماءً غامراً ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا﴾ لتخوضه فوجدها أحسن النّاس ساقاً وقدماً إلاّ انها شعراء، فأمر الجنّ فعملت لها النّورة ﴿قَالَ﴾ - لها -: ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ﴾ مملّس ﴿مِنْ قَوَارِيرَ﴾ من زجاج ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بعبادة الشّمس، أو بظنّي بسليمان انّه يغرقني في الماء ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فتزوّجها وأقرّها على ملكها، وكان يزورها في كل شهر مرّة فيقيم عندها ثلاثة أيّام، وقيل زوّجها «ذا تبّع» ملك همدان.[1]

[٤٥]- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ﴾ بأن ﴿اعْبُدُوا اللهَ﴾ وحده ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ﴾ فريق مؤمن وفريق كافر ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ في الدّين والواو للمجموع.

[٤٦]- ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ بالعذاب بقولكم: ﴿ائتنا بما تعدنا﴾،[2] ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ قبل الثواب وقد مكّنتم من التّوصّل اليها بأن تؤمنوا ﴿لَوْلَا﴾ هلاّ ﴿تَسْتَغْفِرُونَ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بأن تتوبوا فلا تعذّبون.

[٤٧]- ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا﴾ تطيّرنا، ادغمت «التّاء» في «الطّاء» ووصل بهمزة أي: تشاء منّا ﴿بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ وباتباعك وكانوا قد قحطوا ﴿قَالَ طَائِرُكُمْ﴾ سبب شؤمكم ﴿عِنْدَ اللهِ﴾ وهو قدره أو عملكم المثبت عنده ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ تختبرون

(١) تفسير الكشّاف ٣: ٣٧٠ - وتفسير البيضاوي ٣: ٢٧١.

(٢) سورة الأعراف: ٧/ ٧٠ وهو قوله تعالى: «فأتنا بما تعدنا».

بالرّخاء والشّدّة أو تعذّبون .

[٤٨] ـ ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ ميّز به التّسعة لأنّه بمعنى الجمع وهو من الثّلاثة الى العشرة أي تسعة رجال[١] ﴿يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ﴾ لا يخلطون افسادهم بصلاح .

[٤٩] ـ ﴿قَالُواْ﴾ فيما بينهم ﴿تَقَاسَمُواْ بِاللهِ﴾ أمر، أو خبر، بدل أو حال بتقدير «قد» ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾ بالنّون على التكلّم أي لنقتلنّ صالحاً ﴿وَأَهْلَهُ﴾ ليلاً، وقرأ «حمزة» و«الكسائي» بالتّاء على خطاب بعضهم بعضاً[٢] ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ بالقرائتين ﴿لِوَلِيِّهِ﴾ لوليّ دمه ﴿مَا شَهِدْنَا مُهْلَكَ[٣] أَهْلِهِ﴾ بضمّ الميم، مصدر أو زمان أو مكان من أهلك، وفتحه «أبو بكر» من هلك وكسر «حفص» اللّام[٤] كمطلع أي لا ندري من قتلهم ﴿وَإِنَّا﴾ والحال انّا ﴿لَصَادِقُونَ﴾ إذ الشاهد غير المباشر ـ بزعمهم ـ، أو: ونقسم انّا لصادقون .

[٥٠] ـ ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا﴾ بهذا التّدبير ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ بمجازاتهم بإهلاكهم ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ بذلك .

قيل : كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلّي فيه، فقالوا زعم انّه يفرغ منّا الى ثلاث، فنفرغ منه ومن أهله قبلها، فقصدوا الشّعب ليقتلوه، فوقعت صخرة فطبقت عليهم فم الشّعب فهلكوا ثمّة وهلك قومهم بالصّيحة في ديارهم[٥] كما قال :

[٥١] ـ ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ إِنَّا[٦] دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ «كيف»

---

(١) في «ج» : زيادة : الذين .

(٢) حجة القراءات : ٥٣٠ .

(٣) في المصحف الشريف بقراءة حفص : «مهلك» بفتح الميم وكسر اللام .

(٤) حجة القراءات : ٥٣١ .

(٥) نقله البيضاوي في تفسيره ٣ : ٢٧١ .

(٦) في المصحف الشريف بقراءة حفص : «أنّا» ـ بفتح الهمزة ـ .

خبر «كان» و«انّا دمّرناهم» استئناف، وان تمّت «كان» فـ«كيف» حال، وفتح «الكوفيون» «انا» خبر محذوف أو بدلاً من اسم «كان» أو خبراً لها و«كيف» حال.[1]

[٥٢] ـ ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ خالية، أو ساقطة، حال عاملها الإشارة ﴿بِمَا ظَلَمُواْ﴾ بظلمهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً﴾ لعبرة ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فيعتبرون.

[٥٣] ـ ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صالحاً ومن معه ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ الشّرك والمعاصي.

[٥٤] ـ ﴿وَلُوطًا﴾ واذكر «لوطاً» أو وارسلنا «لوطاً» بقرينة سبق أرسلنا ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ بدل على الأوّل وظرف على الثّاني ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ اللواط ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ تعلمون فحشها، من بصر القلب، والقبيح من العالم به أقبح، أو يبصرها بعضكم من بعض خلاعة فهي أفحش.

[٥٥] ـ ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ بيان لـ«فاحشة» ﴿شَهْوَةً﴾ علّة تقرّر قبحه ﴿مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ اللّاتي خلقهنّ لكم ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ عاقبتها أو تفعلون فعل من يجهل فحشها أو سفيه لا يميّز حسناً، من قبيح ووصف قوم به لأنّه مخاطب معنىً.

[٥٦] ـ ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُواْ أَخْرِجُواْ ءَالَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ يتنزّهون عن افعالنا.

[٥٧] ـ ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا﴾ قدّرنا كونها ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الباقين في العذاب.

[٥٨] ـ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ هو الحجارة ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ مطرهم.

[٥٩] ـ ﴿قُلِ﴾ يا «محمّد» ﴿الْحَمْدُ للهِ﴾ على اهلاك كفرة الأُمم الماضية ونصر رسله عليهم ﴿وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ اختارهم حججاً على خلقه

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٦٣ .

﴿ءَآللهُ خَيْرٌ﴾ لمن يعبده ﴿أَمَّا تُشْرِكُونَ﴾[1] به، يا أهل مكّة من الأصنام لعبدتها.

الزام لهم وتهكّم بهم إذ لا خير فيما اشركوه اصلاً حتى يوازن بمن هو مبدأ كلّ خير، وقرأ «عاصم» و«أبو عمرو» بالياء.[2]

[٦٠] ـ ﴿أَمَّنْ﴾ بل أمَن ﴿خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ الّتي هي أظهر الحسيّات ومنشأ المنافع ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ﴾ التفت الى التكّلم تاكيداً لإختصاص الإنبات به ﴿حَدَائِقَ﴾ بساتين محوّطة ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ حسن ونضارة ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُواْ شَجَرَهَا﴾ أي لم تقدروا عليه ﴿أَءِلٰهٌ مَّعَ اللهِ﴾ يقدر على مثل ذلك أي لا اله معه ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ به غيره أو عن الحقّ.

[٦١] ـ ﴿أَمَّنْ جَعَلَ﴾ وما بعده بدل من «أمّن خلق» ﴿الأَرْضَ قَرَارًا﴾ يستقرّ عليها النّاس والدّوابّ بتسويتها ﴿وَجَعَلَ خِلالَهَا﴾ وسطها ﴿أَنْهَارًا﴾ جارية ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالاً ثبّتها لئلاّ تميد ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ﴾ العذب والمالح ﴿حَاجِزًا﴾ لهما أن يختلطا ﴿أَءِلٰهٌ مَعَ اللهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ الحقّ لعدم تدبّرهم.

[٦٢] ـ ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾ المكروب الّذي ألجاه الضّرّ الى الله ﴿إِذَا دَعَاهُ﴾ بشرائط الدّعاء فـ«لامه» جنسيّة لا استغراقيّة ﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ يزيل عن عباده ما يسوئهم ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ﴾ أي فيها بتوارثكم سكناها والتّصرّف فيها، قرناً بعد قرن ﴿أَءِلٰهٌ مَّعَ اللهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أي تتذكّرون نعمة تذكّراً قليلاً و«ما» زائده والقلّة بمعنى النّفي، وقرأ «أبو عمرو» و«هشام» بالياء.[3]

[٦٣] ـ ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ بالنّجوم وعلامات الأرض، وظلماتهما ظلمات الّيل فيهما أو مبهمات طرقهما ﴿وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ

---

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «يشركون».

(٢) حجة القراءات: ٥٣٣.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٦٤ وحجة القراءات: ٥٣٤.

رَحْمَتِهِ﴾ قدّام المطر، وسبق ما فيه من القراءات في «الأعراف» و«الفرقان»[1] ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللهِ تَعَالَى اللهُ﴾ الخالق ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به من المخلوق.

[٦٤] ـ ﴿أَمَّنْ يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ لمّا ازيح عذرهم في انكـار الإعادة بدلالة الإبـداء وغيره عليهـا احتّج بهـا عليهم ﴿وَمَنْ يَـرْزُقُكُمْ مِّنْ السَّمَـاءِ وَالأَرْضِ﴾ بالمطر والنّبات ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللهِ﴾ يفعل شيئاً ممّـا ذكر ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ﴾ حجّتكم على انّ معه إلٰهاً ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في ذلك، إذ ما لا برهان عليه باطل ومدّعيه كاذب.

[٦٥] ـ ﴿قُلْ لَّا يَعْلَمُ مَنْ فِى السَّمٰوٰاتِ وَالأَرْضِ﴾ من الملائكة والثّقلين و«من» موصولة أو موصوفة ﴿الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ﴾ متّصل واريد بـ«من» فيهما من تعلّق علمه بهما ولو اجمـالاً لا من فيهما حقيقـة ليعم الله واولوا العلـم من خلقه بـالتّشكيك كالعـالم والرّحيم، فليس فيه سوء أدب بإيهام التّسوية بينه تعالى وبينهم.

أو منقطع ورفع مستثناه على لغة «تميم» والمعنى إن كان الله ممّن فيهما، ففيهما من يعلم الغيب لكنّه ليس منهم فلا يعلمونه.

وفيه: انّ استثناء نقيض المقدّم لا ينتج فلا يلزم من امتناع كونه تعالى ممّن فيهما عـدم علمهم الغيـب ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ الـواو لـ«من» أو للمشـركيـن ﴿أَيَّانَ﴾ متـى ﴿يُبْعَثُونَ﴾.

[٦٦] ـ ﴿بَلِ ادَّارَكَ﴾ تدارك، ابدلت التّاء دالاً وادغمت في الدّال ووصل بهمزة أي تتابع واستحكـم، وقرأ «ابن كثير» و«أبو عمـرو» «أدرك» كـ«اكرم»[2] أي انتهى وتكامل ﴿عِلْمُهُمْ فِى الآخِرَةِ﴾ في شـأنها أي حصل لهـم بالحجـج اسباب استحكـام العلم وتكامله بأنّ القيامة كائنة وهم ينكرونه.

وقيل: وصفوا بالعلم تهكّماً بهم ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا﴾ مع تمكّنهم من اليقين

(١) سورة الأعراف: ٧/ ٥٧، وسورة الفرقان ٢٥/ ٤٨.

(٢) حجة القراءات: ٥٣٥.

بتدبّر حججها ﴿بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ﴾ عن ادراك حججها لتركهم تدبّرها .

والإضرابات الثلاث تنزيل لأحوالهم وصفوا اوّلاً بنفي شعورهم بوقت البعث، ثمّ بنفي علمهم بالقيامة فضلاً عن وقتها، أو بالعلم بها تهكّماً ثمّ بأنّهم في شكّ يمكنهم ازالته، ثم بالعمى عن الدّليل الواضح .

[٦٧] ـ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ من القبور، تقرير لعماهم، والعامل في «إذا» ما دلّ عليه «مخرجون» أي: نخرج، لاهو[1] لمنع الهمزة، وانّ والّلام عن عمله فيما قبلها، وكرّرت الهمزة مبالغة في انكارهم، وقرأ «نافع»: «إذا» خبراً[2] و«ابن عامر» و«الكسائي» «انّنا» بنونين خبراً.[3]

[٦٨] ـ ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَـذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ قبل وعده «محمّد» صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ أكاذيبهم الّتي سطّروها .

[٦٩] ـ ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ تهديد لهم على الكفر بأن يصيبهم ما أصاب الكفرة قبلهم .

[٧٠] ـ ﴿وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ حرصاً على ايمانهم ﴿وَلاَ تَكُنْ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ في ضيق صدر من مكرهم، فأنا عاصمك منهم، وكسر «ابن كثير» «الضّاد».[4]

[٧١] ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ العذاب الموعود ﴿إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه .

[٧٢] ـ ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ﴾ لحقكم واللام زائدة أو ضمّن «ردف»

(١) اي: لا«مخرجون» لان كلاً من الهمزة وانّ واللام مانعة من عمله فيما قبلها. كذا في تفسير البيضاوي ٣: ٢٧٣ .

(٢) اي بلا همزة الإستفهام ـ كما في حجة القراءات: ٥٣٥ .

(٣) حجة القراءات: ٥٣٥ .

(٤) حجة القراءات: ٥٣٦ .

معنى دنا وأزف ﴿بَعْضُ الَّذِى تَسْتَعجِلُونَ﴾ وقوعه وهو عذاب بدر.

والتّرجي على قاعدة مواعيد الملوك يريدون به القطع بوقوع الأمر واظهار الوقار.

[٧٣] ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ ومنه تأخير عذاب الكفرة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ فضله عليهم.

[٧٤] ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ تخفيه ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يظهرون فيجازيهم به.

[٧٥] ـ ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِى السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ خافية فيهما وهما إسمان لما يغيب ويخفى كالذّبيحة أو صفتان والتّاء للمبالغة كالرّاوية ﴿إِلاَّ فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ بيّن، أو مبيّن وهو اللّوح، ومنه تعذيب الكفرة.

[٧٦] ـ ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَى بَنِى إِسْرٰءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ كأمر «عزير» و«عيسى» وغير ذلك.

[٧٧] ـ ﴿وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ لمن آمن منهم ومن غيرهم.

[٧٨] ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ﴾ بين من آمن ومن كفر ﴿بِحُكْمِهِ﴾ بما يحكم به وهو عدله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فلا يغالب ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالقضاء بالحقّ.

[٧٩] ـ ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ ولا تكترث بهم ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ البيّن والمحقّ أحقّ بأن يثق بنصر الله.

[٨٠] ـ ﴿إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ تعليل ثان لتوكّل، يقنطه من متابعتهم له وشبّهوا بالموتى لعدم تدبّرهم ما يتلى عليهم كما شبّهوا بالصّمّ في: ﴿وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾ فهم حينئذٍ أبعد عن الإسماع، وقرأ «ابن كثير» بالياء ورفع «الصّمّ».[1]

[٨١] ـ ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِى الْعُمْىِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ﴾ أي ما تبعدهم عنها بالهدى.

---

(١) حجة القراءات: ٥٣٦.

وقرأ «حمزة»: «تهدي»[1] ﴿إِنْ تُسْمِعُ﴾ أي ما يجـدي اسماعك ﴿إِلاَّ مَنْ يُـؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ من علم الله انّه يصدّق بها ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ مخلصون بالتّوحيد.

[٨٢] - ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي قرب وقوع المقول وهـو ما وعدوه من البعث والعذاب ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ﴾ روي انّها تخرج من المسجد الحرام وطولها ستّون ذراعاً ولهـا اربع قوائم وزغب[2] وريش وجناحـان، لا يدركها طالب ولا يفـوتها هارب، ومعها عصا «موسى» وخاتم «سليمـان» فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتختم[3] أنف الكافر بالخاتم.[4]

وعن «علي» عليه السّلام: والله ما لها ذنب، وانّ لها لَلحِيَة ويشعر بأنّها انسان.

وفي بعض خطبه: أنا صاحـب العصا والميسم، و يعضده اخبار[5] ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ فتقـول حاكيـة لقـول الله: ﴿إِنَّ[6] النَّاسَ كَـانُواْ بِـآيَاتِنَـا لاَ يُوقِنُـونَ﴾ أي بـالقـرآن أو بخروجها، لأنّه من آيات الله تعالى، أو هو ابتداء منه تعالى.

وقيل: تكلمهم من الكلم[7] لقرائتـه التخفيف، ويعضد كونه مـن الكلام: فتح «الكوفيّون» «انّ» أي: تكلّمهم بأنّ،[8] وقرىء به و«تنبئهم أن».

[٨٣] - ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِـنْ كُلِّ أُمَّةٍ﴾ «من» للتّبعيـض ﴿فَوْجًا﴾ جماعة ﴿مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾ بيان للفـوج، وهم رؤساؤهم وقـادتهم ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يحبس اوّلهم

---

(١) حجة القراءات: ٥٣٧.

(٢) الزغب - محركة -: صغار الشعر ولينه.

(٣) في «الف» و«ج»: وتحطم.

(٤) تفسير مجمع البيان: ٤: ٢٣٤.

(٥) تفسير مجمع البيان: ٤: ٢٣٤. وكلمة «اخبار» ليست في «الف».

(٦) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «ان» - بفتح الهمزة -.

(٧) الكلم: الجرح، قيل: ومنه اخذ «الكلام» علماً لما يلفظ لأنه يؤثر في السامع.

(٨) نقله البيضاوي في تفسيره ٣: ٢٧٤.

على آخرهم ليجتمعوا

ومنّا من جعل ذلك في الرّجعة[1] وللبحث مجال وان كنّا لا نشّك فيها لقيام الأدلّة عليها .

[٨٤] ـ ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُو﴾[2] الموقف ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا﴾ الواو حالية أي اكذّبتم بها بادىء الرّأي غير متأمّليها ليحيط علمكم بحقيقتها وانّها جديرة بالتّصديق أو التّكذيب، أو عاطفة أي اجمعتم بين جحودها وعدم تأمّلها ﴿أَمَّاذَا﴾ أم أي شيء ﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بها، وهو تبكيت إذ لم يعملوا سوء التّكذيب فلا يسعهم أن يقولوا صدّقنا بها .

[٨٥] ـ ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ غشيهم العذاب الموعود وهو النّار بعد ذلك ﴿بِمَا ظَلَمُواْ﴾ بظلمهم بالتكذيب ﴿فَهُمْ لاَ يَنْطِقُونَ﴾ بعذر لعدمه وشغلهم بالنّار.

[٨٦] ـ ﴿أَلَمْ يَرَواْ أَنَّا جَعَلْنَا الَّيْلَ﴾ خلقناه ﴿لِيَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ بالنّوم والدّعة[3] ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي ليبصروا فيه، فجعل حالاً مجعولاً هو عليها مبالغة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ دلالات لهم على التّوحيد والبعث والنّبوّة، إذ تعاقب النّور والظلمة انّما يتّم بقدرة قاهر ولشبه النّوم بالموت والإنتباه بالبعث، ولأنّ من جعل ذلك لبعض مصالحهم كيف يهمل ما هو مناط جميعها من بعث رسول اليهم .

[٨٧] ـ ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ القرن أو جمع صورة ﴿فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ﴾ عند النّفخة الاولى فزعاً، يميتهم كما في آية اخرى ﴿فصعق﴾.[4]

وعبّر بالماضي لتحقّق وقوعه ﴿إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ﴾ ممّن ثبت قلبه وهم جبرائيل

---

(١) ينظر تفسير مجمع البيان ٤: ٢٣٥ .

(٢) ينظر تعليقنا على كلمة«باءو» في الآية (٦١) من سورة البقرة .

(٣) الدّعة : السكينة والرّاحة .

(٤) سورة الزمر: ٣٩/ ٦٨.

وميكائيل واسرافيل وعزرائيل.

وقيل: حملة العرش والحور والخزنة.[١]

وقيل: الشهداء[٢] وقيل «موسى» لأنّـه صعق مرة[٣] وشمول الكـل ممكن ﴿وَكُلٌّ ءَاتُوْهُ﴾[٤] اسم فاعل، حـاضرون الموقف بعـد النّفخة الثّانية أو منقـادون لأمره، وقرأه «حفص» و«حمزة» فعلاً[٥] ﴿دَاخِرِينَ﴾ صاغرين.

[٨٨]ـ ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ واقفة مكانها ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ الْسَّحَابِ﴾ في السّرعة، وكذا الأجرام العظام إذا تحرّكت لا تكاد تظهر حركتها ﴿صُنْعَ اللهِ﴾ مصدر مـؤكّد لمضمـون الجملة قبلـه أي صنع الله ذلك صنعـاً ﴿الَّذِى أَتْقَنَ﴾ أحكم ﴿كُلَّ شيءٍ﴾ صنعه ﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ بأفعالكم، فيجازيكم عليهـا، وقرأ «ابن كثير» و«أبو عمرو» و«هشام» بالياء.[٦]

[٨٩]ـ ﴿مَنْ جَـاءَ بِالْحَسَنَـةِ فَلَهُ خَيْـرٌ مِّنْهَا﴾ بـالأضعاف وبأنّ العمـل منقض والثّواب دائم.

وقيل الحسنة: كلمة الشّهادة[٧] و«خير منهـا»، أي: خير حاصل مـن جهتها، وهو: الجنّة ﴿وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَـوْمِئِذ[٨] ءَامِنُونَ﴾ اريد بـه خوف العـذاب يوم القيـامة وبالسّابق فزع الهيبـة الّلاحق لكلّ احد لهول المطّلع، ونوّنه «الكـوفيّون» ونصبوا «يوم» أي: من فزع واحد وهو خـوف العذاب، و فتحه «نافع» مع الإضافة لإضـافته الى غير

(١ـ٢) نقله الزمخشري في تفسير الكشّاف ٣: ٣٨٦.

(٣) قاله جابر ـ كما في تفسير الكشّاف ٣: ٣٨٦ سورة: ٧ / ١٤٣.

(٤) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «أتوه» ـ كما سيشير اليه المؤلّف ـ.

(٥) حجة القراءات: ٥٣٨.

(٦) حجة القراءات: ٥٣٩.

(٧) قاله ابن عباس ـ ما في تفسير الكشّاف ٣: ٣٨٨ـ.

(٨) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «يومئذ» بفتح الميم.

متمكّن و«آمن» يعدّى بالجارّ وبنفسه .[١]

[٩٠]ـ ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالْسَّيِّئَةِ﴾ قيل بالشرك[٢] ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى النَّارِ﴾ القوا فيها منكوسين، أو عبّر بالوجوه عن ذواتهم ويقال لهم: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ويحتمل الإلتفات .

عن امير المؤمنين عليه السّلام في قوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة. . . الى تعملون﴾: الحسنة: حبّنا أهل البيت، والسّيّئة: بغضنا،[٣] قل لهم :

[٩١] ـ ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ الْبَلْدَةِ﴾ أي «مكّة» واضافة «ربّ» اليها تشريف لها ﴿الَّذِى حَرَّمَهَا﴾ جعلها حرماً أمناً، وفيه مع التّعظيم منّة عليهم ﴿وَلَهُ كُلُّ شَىْءٍ﴾ ملكاً وخلقاً ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ المخلصين بالتّوحيد .

[٩٢]ـ ﴿وَأَنْ أَتْلُواْ الْقُرْءَانَ﴾ عليكم ادعوكم الى ما فيه أو اتبعه ﴿فَمَنِ اهْتَدَى﴾ بإجابته لي في ذلك ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ﴾ لعود نفعه إليه ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ بترك الإجابة ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَاْ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ فما عليّ إلاّ الإنذار بأنّ وبال ضلاله عليه .

[٩٣]ـ ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ﴾ على نعمة الرّسالة وغيرها ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ﴾ في الآخرة ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾ يقيناً انّها آياته، ولا تنفعكم المعرفة حينئذٍ، أو في الدّنيا كعذاب بدر وغيره ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[٤] بل عالم به وانّما يمهلهم لوقتهم، وقرأ «نافع» و«ابن عامر» و«حفص» بالتاء .[٥]

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٦٩ ـ حجة القراءات : ٥٤٠ .

(٢) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير الكشّاف ٣ : ٣٨٨ـ.

(٣) تفسير مجمع البيان ٤: ٢٣٧ .

(٤) في المصحف الشريف بقراءة حفص : «تعملون» ـ كما سيشير اليه المؤلّف ـ.

(٥) حجة القراءات : ٥٤١ .

سورة القصص

[٢٨]

ثمان وثمانون آية مكية .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

[١ ـ ٢] ـ ﴿طسٓمٓ * تِلْكَ﴾ الآيات ﴿ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ السورة أو القرآن البيّن اعجازه، او المبين له .

[٣] ـ ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ﴾ بتلاوة جبرئيل ﴿مِنْ نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ﴾ بعض خبرهما ﴿بِالْحَقِّ﴾ محقين ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فإنّهم المنتفعون به .

[٤] ـ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ﴾ أرض مصر، استئناف يفسّر النّبأ ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ فرقاً، يشيع [بعضهم بعضاً][1] في طاعته، أو أصنافاً في خدمته أو فرقاً مختلفة متعادين لينقادوا له ﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ﴾ وهم بنو اسرائيل، والجملة حال من «جعل» أو صفة «شيعاً» أو مستأنفة ويبدل منها ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ يستبقيهنّ لأنّ كاهناً أخبره بأنّه يولد في بني اسرائيل مولود يذهب ملكه على يده ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بالقتل لغير طائل، إذ لو صدق الكاهن لم يدفعه القتل

---

(١) مابين المعقوفتين من تفسير البيضاوي ٤: ٢ ـ وفي النسخ ـ يشيعونه في طاعته .

وان كذب فلا وجه له.

[٥] ـ ﴿وَنُرِيدُ﴾ حكاية حال ماضية، عطف على «انّ فرعون» إذ هما تفسير لـ«نبأ» أو حال من «يستضعف» أي ونحن نريد: ﴿أَنْ نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ فِى الأَرْضِ﴾ بخلاصهم من بأسه في المآل، فالمقارن للإستضعاف الإرادة لا المراد ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ مقدّمين في الدّارين وما فيه من القراءة سبق في التّوبة[1] ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ لملك «فرعون».

[٦] ـ ﴿وَنُمَكِّن لَهُمْ فِى الأَرْضِ﴾ أرض «مصر» و«الشام» بتسليطهم فيها ﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهٰامَانَ﴾ وزيره ﴿وَجُنُودَهُمَا﴾ وقرأ «حمزة» و«الكسائي» و«بزى» بالياء ورفع ما بعده[2] ﴿مِّنْهُمْ﴾ من بني اسرائيل ﴿مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ﴾ من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم.

[٧] ـ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾ إلهاماً، أو رؤياً لمّا ولدته ولم يعلم به احد سوى اخته.

وقيل: دعت قابلة من الموكّلات بالحبالى، فلمّا ولد هالها نوره فأحبّته حبّاً منعها من السّعاية به[3] ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ ما لم تخافي أن يشعر به فيقتل ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ ذلك ﴿فَأَلْقِيهِ فِى الْيَمِّ﴾ البحر أي النّيل ﴿وَلاَ تَخَافِى﴾ ضيعته ولا غرقه ﴿وَلاَ تَحْزَنِى﴾ لفراقه ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾ سالماً عن قريب ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فأرضعته ثلاثة أشهر، ثمّ ألحّ «فرعون» في طلب الولدان فوضعته في تابوت مطلّى داخله بالقار، ممهّد له فيه وأغلقته وألقته في النّيل ليلاً.

[٨] ـ ﴿فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ بتابوته فوضع بين يديه وفتح وأخرج «موسى» منه

---

(١) سورة التوبة: ٩/ ١٢.

(٢) حجة القراءات: ٥٤١.

(٣) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٢٦١ـ.

﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ شبّهت عاقبة إلتقاطهم له بـالغرض الدّاعي إليه فعلّل بها، وضمّ «الحاء» «حمزة» و«الكسـائي» وسكّنا «الزّاي»[1] ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَـانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَاطِئِينَ﴾ في كلّ أمر، فليس خطأهم في تربيـة عدوّهم ببدع منهم، أو عاصين فعوقبوا بأن ربّوا عدوّهم في حجورهم.

[٩] ـ ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَونَ﴾ ـ حيـن قيل له: هـو الصبي الّذي نحـذره، دعنا نقتله، فهمّ بذلك هو ـ: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ﴾ لأنّهما لمّا رأياه أحبّاه.

روى انّه قـال لك لا لي، ولو قال لـي ولك لهداه الله كما هـداها[2] ﴿لاَ تَقْتُلُوهُ﴾ الجمع للّتعظيم أو خاطبته وأعوانه ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ فإنّ فيه مخـائِل النّفع، وذلك لما رأت من نـوره وارتضاعه ابهامـه لبناً وبرأ برص ابنتهـا بريقه ﴿أَوْ نَتَخِذَهُ وَلَدًا﴾ فإنّه أهل التّبنّي ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ حال من فاعل «التقطـه» اي وهم لا يشعرون انّهم على خطأ في التقاطه ورجاء نفعه وتبنّيه، وجملة «انّ فرعون» معترضة تؤكّد خطأهم.

[١٠] ـ ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى﴾ لمّا سمعت بـالتقاطه ﴿فَارِغًا﴾ من كـلّ شيء سوى همّه، أو من العقل لدهشها أو من الحـزن لوثوقها بوعد الله ﴿إِنْ﴾ المخفّفة أي انّها ﴿كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ﴾ لتظهر بأنّه ابنهـا جزعاً وضجراً ﴿لَوْ لاَ أَنْ رَّبَطْنَـا عَلَى قَلْبِهَا﴾ سكّنّاه بالصّبر ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدّقين بوعدنا، وجواب «لو لا» دلّ عليه ما قبلها.

[١١] ـ ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ﴾ «مريم» ﴿قُصِّيهِ﴾ اتّبعي اثره وتعـرّفي خبره ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ﴾ عن بعد مخالسة ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ انّها اخته أو بغرضها.

[١٢] ـ ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ منعناه أن يرضع منها، جمع مُرضع أو مَرضع أي الرّضاع أو مكانه أي الثدي ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قبل قصصها اثره ﴿فَقَالَتْ﴾ ـ اخته حين رأت

---

(١) حجة القراءات: ٥٤٢.

(٢) تفسير مجمع البيان ٤: ٢٤١.

حنّوهم عليه ـ: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ بتربيته ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ بالقيام بأمره.

قيل: لمّا قالته، قال هامان: انّها لتعرفه وأهله، فقالت: انّما اردت «وهم» للملك «ناصحون» فذهبت الى اُمّه بأمرهم، فأتت بها فقبل ثديها.

فقال لها «فرعون»: كيف لم يرتضع إلاّ منك؟ قالت: انّي طيّبة الرّيح واللبن، لا اُوتى بصبيّ إلاّ قبلني، فدفعه إليها وأجرى عليها، فذهبت به الى بيتها كما قال تعالى:

[١٣]ـ ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بلقائه ﴿وَلاَ تَحْزَنَ﴾ لفراقه ﴿وَلِتَعْلَمَ﴾ عياناً ﴿أَنَّ وَعْدَ اللهِ﴾ بردّه اليها ﴿حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي النّاس ﴿لاَ يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة وعده، أو انّ الغرض الأصلي من الرّدّ علمها بذلك وغيره تبع، وكأنّه تعريض بجزعها حين سمعت بإلتقاطه فمكث عندها حتّى فطمته، ثم تربّى عند «فرعون» كما حكى تعالى عنه: ﴿الم نربّك فينا وليداً. . .﴾ الآية.[1]

[١٤]ـ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ كمال شدّته وهو ثلاث وثلاثون، أو الحلم ﴿وَاسْتَوَىٰ﴾ أي تمّ استحكامه وبلغ الأربعين ﴿ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ نبوّة ﴿وَعِلْمًا﴾ بالدّين، أو سير الحكماء العلماء قبل بعثه، فلا يفعل ما يستجهل به ﴿وَكَذَلِكَ﴾ وكما فعلنا له ﴿نَجزِى الْمُحْسِنِينَ﴾ بإحسانهم.

[١٥]ـ ﴿وَدَخَلَ﴾ «موسى» ﴿الْمَدِينَةَ﴾ «مصر» أو «منف»[2] من أرض مصر ﴿عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ وقت القائلة، أو ما بين العشائين، أو يوم عيدهم وكان اخرجه إذ رأى منه ما ينكره، أو لإعابته دينهم لمّا شبّ وعقل ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاَنِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ﴾ اسرائيليّ ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ قبطيّ يسخر، الإسرائيليّ لحمل حطب الى مطبخ «فرعون» ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِن عَدُوِّهِ﴾ طلب أن

(١) سورة الشعراء: ٢٦/ ١٨.

(٢) المنف ـ بالفتح ثم السكون ـ اسم مدينه فرعون بمصر(معجم البدان).

يغيثه بالنّصر.

عن «الصادق» عليه السّلام: ليهنئكم الإسم، قيل وما هو قال: الشّيعة، أما سمعت قوله تعالى وتلاها. [1] ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى﴾ ضربه بجمع كفّه ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ فقتله ﴿قَالَ هَذَا﴾ أي الأمر الّذي وقع القتل بسببه، او تزيين تركي الاول وهو الكفّ عنه ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ﴾ للإنسان ﴿مُّضِلٌّ﴾ له ﴿مُّبِينٌ﴾ بيّن الإضلال.

[١٦] ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ ببخسها ثواب النّدب وهو الكفّ عنه، أو بمخاطرتي بقتله ولو علموا لقتلوني به ﴿فَاغْفِرْ لِى﴾ تركي الاولى، أو قاله انقطاعاً الى الله تعالى ﴿فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ﴾ لعباده ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم.

[١٧] ـ ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَىَّ﴾ من القوّة ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ أي فلن استعملها إلاّ في مظاهرة اوليائك، أو قسم أي بحقّ انعامك عليّ بالمغفرة، اعصمني فلن أُظاهر مجرماً.

[١٨] ـ ﴿فَأَصْبَحَ فِى الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ الاخبار وما يقال فيه ﴿فَإِذَا الَّذِى اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ يستغيثه بصراخ على قبطيّ آخر ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾ بيّن الغواية، لكثرة مخاصمتك.

[١٩] ـ ﴿فَلَمَّا أَنْ﴾ زائدة ﴿أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ لموسى والإسرائيليّ ظانّاً انّه يبطش به لوصفه ايّاه بالغواية ﴿قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ﴾ أو قاله القبطيّ إذا حسّ ممّا قاله انّه القاتل للقبطيّ بالأمس لهذا الاسرائيليّ ﴿إِنْ﴾ ما ﴿تُرِيدُ إِلاَّ تَكُونَ جَبَّارًا فِى الأَرْضِ﴾ عالياً بالقتل والظّلم. ﴿وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ بين النّاس، فانتشر الحديث فبلغ «فرعون» فأمر بطلبه وقتله.

[٢٠] ـ ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾ هو مؤمن آل «فرعون» وهو ابن عمّه ﴿مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ

---

(١) تفسير مجمع البيان ٤: ٢٤٤.

﴿يَسْعَىٰ﴾ يسرع، صفة «رجل» أو حال منه، إن جعل الظّرف وصفاً مخصّصاً له لا صلة لـ«جاء» ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ يتشاورون بسببك.

والإئتمار: التّشاور، لأنّ كلاًّ من المتشاورين يأمر صاحبه بشيء ﴿فَاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ «لك» بيان لا صلة «النّاصحين» إن جعلت لامه موصولة، لأنّ معمول صلتها لا يتقدّمها وإن جعلت للتّعريف فـ«لك» صلته.

[٢١] ـ ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا﴾ من المدينة ﴿خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ الطّلب ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ دلّ على انّ قتله القبطيّ لم يكن ذنباً وإلاّ لم يكونوا ظالمين بطلب القود.

[٢٢] ـ ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾ قصد نحوها، وهي قرية شعيب، سمّيت بـ«مدين بن ابراهيم» على مسيرة ثمان من مصر ولم يكن يعرف الطّريق ﴿قَالَ عَسَى رَبِّى﴾ وفتح «الحرميّان» و«أبو عمرو» الياء[1] ﴿أَنْ يَهْدِيَنِى سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ وسطه، وثق بربّه فعنّ له[2] ثلاث طرق، فسلك وسطها.

[٢٣]ـ ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ وصل إليه وهو بئر لهم ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ﴾ فوق شفيره ﴿أُمَّةً﴾ جماعة واصنافاً ﴿مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ مواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ﴾ في مكان اسفل من مكانهم ﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ تمنعان غنمهما عن الماء لئلاّ تزاحماهم[3] ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ شأنكما تذودان ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ جمع راع، يصرفوا مواشيهم من الماء خوف مزاحمتهم، وقرأ «ابن عامر» و«أبو عمرو»: «يصدر» من صدر أي ينصرف[4] ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يقدر أن يسقى فيضطرّ

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٧٦ .

(٢) عنّ له : ظهر امامه واعترض ـ قاموس اللغة .

(٣) كذا في النسخ وفي تفسير البيضاوي ٤ : ٥ لئلاّ تختلط بأغنامهم .

(٤) حجة القراءات : ٥٤٣ .

لإخراجنا، فرحمهما.

[٢٤] ـ ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ غنمهما وحذفت مفاعيل الخمسة، لأنّ الغرض هو الفعل لا المفعول.

قيل: عمد الى بئرٍ عليها حجر لا يقلّه[1] إلاّ عشرة رجال أو اكثر فأقلّه وحده واستقى منها مع ما به من النّصب والجوع وسقوط خفّ القدم[2] ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ﴾ ظلّ سمرة[3] ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا﴾ لأيّ شيء ﴿أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾ طعام ﴿فَقِيرٌ﴾ ضمّن معنى سائل، فعدّى باللّام، فرجعتا الى ابيهما وهو «شعيب» عليه السّلام قبل النّاس فقال ما أعجلكما؟ فأخبرتاه الخبر، فقال لإحديهما: عليّ به.

[٢٥] ـ ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ مستحية وهي الّتي تزوّجها وكانت الصّغرى واسمها صفيراء وقيل: الكبرى واسمها صفرا ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ فأجابها كارهاً قولها ليجزيك، فتقدّمته فألصقت الرّيح ثوبها بجسدها فوصفه، فقال: امشي خلفي، وسدّديني بقولك، فجائه فقدم له طعاماً فامتنع عنه.

وقال: انّا أهل بيت لا نأخذ على المعروف ثمناً، فقال: هذه عادتنا مع كلّ من ينزل بنا، فأكل، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ مصدر بمعنى المقصوص من لدن ولادته الى فراره خوفاً من «فرعون» ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي «فرعون» وقومه، فلا سلطان له بأرضنا.

[٢٦] ـ ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا﴾ وهي المرسلة ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾ لرعي غنمنا ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ حثّ بليغ على استئجاره إذ علّلته بهما على

(١) قلّه: حمله ورفعه ـ قاموس اللغة.

(٢) تفسير الكشّاف ٣: ٤٠١.

(٣) السمرة: شجرة صغار الورق، قصار الشوك وله برمة صفراء يأكلها الناس ـ لسان العرب.

جهة المثل ولم تقل لقوّته وامانته، وجعلت «خيراً» اسماً ودلّت بالماضي[1] على انّه امر قد عرف منه.

قيل: فقال «شعيب»: وما أعملك بقوّته وامانته؟ فذكرت رفعه الحجر وانّه صوّب رأسه حتّى بلغته رسالته وأمرها بالمشي خلفه.

[٢٧] ـ ﴿قَالَ إِنِّى﴾ وفتح «نافع» «الياء» و«ياء» «ستجدني»[2] ﴿أُرِيْدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِى﴾ تكون اجيراً لي ﴿ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾ سنين، ظرف ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ﴾ عملت ﴿عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ فالإتمام تفضّل منك لا الزمكه، وليس عقداً ولكنّه معاهدة بما عزم عليه.

وجعل المهر اجارة نفسه لا مانع منه كما هو سائغ في شرعنا ـ على الأقوى ـ ﴿وَمَا أُرِيْدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ بإلزامك العشر أو بالمناقشة في استيفاء الأعمال ﴿سَتَجِدُنِى إِنْ شَاءَ اللهُ﴾ للتبرّك ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ في حسن الصّحبة والوفاء بالعهد.

[٢٨] ـ ﴿قَالَ ذَٰلِكَ﴾ الّذي شارطتنى عليه قائم ﴿بَيْنِى وَبَيْنَكَ﴾ لا نخرج عنه[3] ﴿أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ﴾ الثّماني أو العشر و«ما» زائدة تؤكّد الإبهام ﴿قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ لا يعتدى عليّ بطلب الزّيادة عليه، أو فلا أكون متعدّياً بترك الزّيادة عليه ﴿وَاللهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾ من التّشارط ﴿وَكِيلٌ﴾ شهيد حفيظ.

قيل: كانت عصا[4] الأنبياء عند «شعيب» فقال لموسى باللّيل: ادخل البيت وخذ عصاً منها، فأخذ عصاً هبط بها آدم من الجنّة فقال: غيرها، فما وقع بيده

---

(١) «استأجرت» اي اتيان اللفظ بصيغة الماضي ـ لاالمضارع.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٧٦ .

(٣) في «ب»: لايخرج عنه.

(٤) في «ج»: عصى.

إلاّ هي ـ سبع مرّات ـ فعلم انّ له شأناً فدفعها إليه .[١]

[٢٩] ـ ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ﴾ وهو أوفى الأجلين، قيل: وزاد عليه عشراً[٢] وعزم على المسير ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ امرأته بإذن أبيها نحو الشّام أو مصر ﴿ءَانَسَ﴾ أبصر ﴿مِنَّ جَانِبِ الطُّورِ﴾ جبل ﴿نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُواْ﴾ وضمّ «حمزة» الهاء[٣] ﴿إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي[٤] ءَاتِيكُمْ مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن الطّريق وكان قد ضلّه، وفتح «الحرميان» و«أبو عمرو» ياء «انّي» وسكّن «الكوفيون» ياء «لعلّي»[٥] ﴿أَوْ جِذْوَةٍ﴾ وفتحها «عاصم» وضمّها «حمزة»[٦] والثّلاث لغات أي قطعة أو شعلة ﴿مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ تستدفئون بها.

[٣٠] ـ ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِيءِ﴾ أتاه النّداء من جانب ﴿الْوَادِ الأَيْمَنِ﴾ لموسى ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ وصفت بذلك لأنّها محلّ الوحي إليه وتكليمه ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ بدل اشتمال لـ«من شاطيء» لنباتها عليه وهي شجرة «عوسج» أو «عنّاب» أو «عُلّيق»[٧] ودلّ على انّ كلامه تعالى أصوات وحروف يوجدها في جسم ﴿أَنْ﴾ أي: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وفتح «الحرمّيان» و«أبو عمرو» «الياء».[٨]

[٣١] ـ ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فألقاها فصارت حيّة واهتزّت ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرّك ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ حيّة سريعة ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾ هارباً منها ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ولم يرجع

(١) تفسير مجمع البيان ٤: ٢٥٠.

(٢) تفسير البيضاوي ٤:٦.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ٩٥.

(٤) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «لعلي» ـ بفتح الياء ـ.

(٥) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٧٦.

(٦) حجة القراءات: ٥٤٣.

(٧) نبت يتعلق بالشجر يشبه الورد ـ اقرب الموارد.

(٨) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٧٦.

فنودي: ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ﴾ من كلّ مخوف.

[٣٢] - ﴿اسْلُكْ يَدَكَ﴾ ادخلها ﴿فِي جَيْبِكَ﴾ طرف مدرعتك ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾ ذات شعاع ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ برص ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ يدك المبسوطة، تتّقى بها الحيّة خوفاً منها بإدخالها في جيبك، فالتّكرير لغرض آخر وهو اخفاء الخوف عند العدوّ مع اظهار معجزة اخرى بخروجها بيضاء، أو اريد بضمّه التّجلّد عند انقلاب العصا حيّة، استعارة من فعل الطّائر يرخى جناحيه إذا خاف ويضمّهما إذا أمن ﴿مِنَ الرُّهْبِ﴾ من أجله أي إذا خفتها فافعل ذلك شدّاً لنفسك، وفتح «حفص» الرّاء وسكّن الهاء وفتحهما «الحرمّيان» و«أبو عمرو» وللباقين ضمّ بتسكين[١] ﴿فَذَانِكَ﴾ أي: العصا واليد، وشدّده «ابن كثير» و«أبو عمرو»[٢] ﴿بُرْهَانَانِ﴾ حجّتان نيّرتان مرسلاً بهما ﴿مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ متمرّدين في الكفر.

[٣٣] - ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ بها.

[٣٤] - ﴿وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ﴾ أبين ﴿مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِي﴾ وفتح «حفص» الياء[٣] ﴿رِدْءًا﴾ معيناً، وخفّفه «نافع»[٤] ﴿يُصَدِّقُنِى[٥] إِنِّى أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ ببيان الحجة ودفع الشّبهة، وجزم جواباً ورفعه «عاصم» و«حمزة» صفة.[٦]

[٣٥] - ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ سنقوّيك به، إذ قوّة البدن بقوة اليد، وقوّتها بشدّ العضد ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ تسلّطاً وحجّة ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ بسوء ﴿بِآيَاتِنَا﴾ متعلّق بمقدّر أي اذهبا بها، أو بـ«نجعل» أي نسلطكما بها، أو

(١و٢) حجة القراءات: ٥٤٤.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٧٦ وتفسير البيضاوي ٤: ٦.

(٤) حجة القراءات: ٥٤٥.

(٥) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «يصدقني» بإسكان القاف - جواباً -.

(٦) حجة القراءات: ٥٤٥.

بمعنى لا يصلون أي تمتنعان عنهم أو صلة لـ«الغالبون» في: ﴿أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ إن كانت لامه للتّعريف، أو بيان له لا صلة إن كانت موصولة لامتناع تقدّم معمول صلتها عليها.

[٣٦] ـ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى﴾ مختلق، كسائر انواع السّحر، أو سحر تعمله ثم تفتريه على الله ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ السّحر، أو ادّعاء النّبوة ﴿فِي ءَابَائِنَا الأَوَّلِينَ﴾ كائناً في زمنهم.

[٣٧] ـ ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ ـ وحذف «ابن كثير» الواو ـ:[1] ﴿رَبِّي﴾ وفتح «الحرمّيان» و«أبو عمرو» «الياء» [2]﴿أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ﴾ فيصدّقه بالمعجزة، أي: يعلم انّي محقّ ﴿وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ الدّنيا أي عاقبتها المحمودة وهي الجنّة فإنّها المعتدّ بها بخلاف عاقبتها المذمومة، وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «يكون» بالياء[3] ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ لا يفوزون بخير.

[٣٨] ـ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ ـ جهلاً أو تلبيساً على قومه حين افحم بالحجّة ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ نفي علمه بـ«اله» غيره دون وجوده، إذ لم يقطع بعدمه فأراد كشف الحال بزعمه فقال: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾ فأطبخ الآجر ﴿فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا﴾ قصراً عالياً ﴿لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ توهّماً أو ايهاماً لقومه انّه لو وجد لكان في السماء، فيصعد إليه، وسكّن «الكوفيون» الياء[4] ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ في ادّعائه الهاً غيري وانّه رسول.

قيل: انّه هو اوّل من اتّخذ الآجر[5] ويعضده امره بعمله بطريق التّعليم

(١) حجة القراءات: ٥٤٦.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٧٦.

(٣) حجة القراءات: ٥٤٦.

(٤) الكشف عن وجوه القراءات ٢ ١٧٦.

(٥) تفسير البيضاوي ٤: ٧.

وقـد تجبر[١] بأمر هامان منادياً[٢] باسمه بـ«يا» في وسط الكلام.

[٣٩] ـ ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِى الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ إذ لا يحقّ التكبّـر إلاّ لله ﴿وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لاَ يُرْجَعُونَ﴾ وبناه للفاعل «نافع» و«حمزة» و«الكسائي». [٣]

[٤٠] ـ ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِى الْيَمِّ﴾ طرحناهم في البحر ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ بتكذيب الرّسول.

[٤١] ـ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾ في الكفر بـالتّسمية، أو بمنع اللّطف، وسبـق في «التّوبة» ما فيه من القراءة[٤] ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ الى موجبها من الكفر ﴿وَيَوْمَ الْقِيَٰمَةِ لاَ يُنْصَرُونَ﴾ بدفع العذاب عنهم.

[٤٢] ـ ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِى هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ ابعـاداً عن الرّحـمة ﴿وَيَوْمَ الْقِيَٰمَةِ هُمْ مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ المبعدين: أو المشّوهين الخلقة.

[٤٣] ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التّوراة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُوْلَى﴾ قـوم «نوح» و«عـاد» و«ثمود» وغيـرهم ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾ انواراً لقلـوبهم تستبصـر بها ﴿وَهُدًى﴾ الى طريق الحق ﴿وَرَحْمَةً﴾ سبباً لنيل الرحمة ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ارادة أن يتذكّروا، استعير الترجّي للإرادة، أو: هو من «موسى».

[٤٤] ـ ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ بجانب المكان، أو الجبل أو الوادي الغربّي من «موسى» ﴿إِذْ قَضَيْنَا﴾ حين اوحـينا ﴿إِلَى مُوسَى الأَمْرَ﴾ أمر رسالته وشريعته، أي لم تحضر مكان وحينا إليه ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ للوحي إليه، فاخبارك به اخبار بغيب لا يعلم إلاّ بالوحي.

---

(١) اي تعظّم.

(٢) في«الف» و«ب» منادي.

(٣) حجة القراءات: ٥٤٦.

(٤) سورة التوبة: ٩/ ٢١.

[٤٥] ـ ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا﴾ أُمماً بعد «موسى» ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ امد انقطاع الوحي فاندرست الشرائع، فاوحينا اليك خبر «موسى» أو غيره فالمستدرك الوحي إليه وحذف واقيم سببه مقامه ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا﴾ مقيماً ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ «شعيب» ومن آمن به ﴿تَتْلُوا﴾ تقرأ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ تعلّماً منهم ﴿ءَايَاتِنَا﴾ المتضمّنة لقصّتهم ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ لك ومعلمينكها.

[٤٦] ـ ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ﴾ حين ﴿نَادَيْنَا﴾ «موسى» أن ﴿خذ الكتاب بقوة﴾[1] أو حين ناجيناه ﴿وَلَكِنْ﴾ علّمناك ﴿رَّحْمَةً مِّنْ رَّبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ﴾ رسول بشريعة وان كان عليهم أنبياء واوصياء حافظون لشرع الرّسول السّابق ظاهرون أو مستترون لإمتناع خلوّ الزمان من حجّة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتّعظون.

[٤٧] ـ ﴿وَلَوْلَا﴾ امتناعيّة حذف جوابها ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ﴾ عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿فَيَقُولُوا﴾ ـ عطف على «تصيبهم» أي لولا قولهم إذا عوقبوا بكفرهم ـ: ﴿رَبَّنَا لَوْلَا﴾ هلاّ ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ﴾ الفاء جواب التحضيض ﴿وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ما ارسلناك[2] أي انّما ارسلناك لقطع عذرهم، فالقول هو سبب الإرسال ولكن لمّا كانت العقوبة سبباً للقول ادخلت «لو لا» عليها وعطف القول بفاء السّببيّة ايذاناً بأنّهم انّما الجاهم الى القول العقوبة لا غير.

[٤٨] ـ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ أي الرّسول المصدّق بالقرآن المعجز ﴿قَالُوا﴾ ـ تعنّتاً ـ: ﴿لَوْلَا﴾ هلاّ ﴿أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ من الكتاب جملة

---

(١) كذا في النسخ، والآية من سورة مريم: ١٩/ ١٢ وهو خطاب ليحيى عليه السّلام، ولعله اراد أن يذكر ما ورد في الشعراء ٢٦/ ١٠: «ان ائت القوم الظالمين» هذا وقد فسّر البيضاوي ٤/ ٨ كما يلي: «اذ نادينا» لعل المراد به وقت ما اعطاه التوراة وبالاول حين ما استنبأه لأنهما المذكوران في القصة.

(٢) جملة «ما ارسلناك» جواب «لولا».

والعصا واليد وغيرهما ﴿أَوَ لَمْ يَكْفُرُواْ بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ أي ابناء جنسهم في الكفر والعناد من كفرة زمن «موسى» أو آباؤهم إذ قيل كان للعرب اصل في زمنه ﴿قَالُوا سَاحِرَانِ﴾[١] أي موسى واخوه، أو موسى ومحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وقرأ «الكوفيون»: «سحران» مبالغة أو ذوا سحر، أو كتاباهما[٢] ﴿تَظَاهَرَا﴾ تعاونا بالسّحر أو الكتابان بتقوية كلّ للآخر والإسناد مجازيّ ﴿وَقَالُواْ إِنَّا بِكُلٍّ﴾ منهما أو من كتابيهما ﴿كَافِرُونَ﴾.

[٤٩] - ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا﴾ من الكتابين[٣] ويعضده تفسير السّاحرين بموسى ومحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم.

[٥٠] - ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ﴾ دعائك بالإتيان بكتاب اهدى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ لا الحجّة ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ أي لا أضل ﴿مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى﴾ حال أي ممنوع الإلطاف ﴿مِّنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾لا يلطف بهم لظلمهم.

[٥١] - ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ أنزلنا عليهم القرآن متّصلاً بعضه في اثر بعض، ليتّصل التّذكر أو متواصلاً حججاً وعبراً ومواعيد ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ارادة أن يتّعظوا.

[٥٢] - ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ قبل القرآن ﴿هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ نزلت في مؤمني أهل الكتاب، أو في اربعين من مسلمي[٤] النّصارى، قدموا من الحبشة ومن الشّام.

---

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «سحران» ـ كما سيشير اليه المؤلّف ـ.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٧٤.

(٣) اي كتاب موسى ومحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

(٤) في «ج» معلمى ــ وفي تفسير الكشّاف ٣: ٤٢١ ـ مسلمى وفيه «لأن الإسلام صفة كلّ موحد مصدق للوحي».

[٥٣]- ﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ القرآن ﴿قَالُواْ ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّنَا﴾ تعليل يبيّن موجب ايمانهم به ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ بيان، لأنّ ايمانهم به متقدم قبل نزوله إذ وجدوا ذكره في كتبهم.

[٥٤]- ﴿أُوْلَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ بصبرهم على الإيمان بالكتابين أو بالقرآن قبل نزوله وبعده، أو على الإيمان وأذى الكفرة ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ يدفعون بالطّاعة المعصية أو بالحلم الجهل ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ في فرض ونفل.

[٥٥] - ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ اللَّغْوَ﴾ السّفه ﴿أَعْرَضُواْ عَنْهُ﴾ حلماً ﴿وَقَالُواْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ﴾ متاركة لهم، أو كلمة حلم ﴿لاَ نَبْتَغِى الْجَاهِلِينَ﴾ لا نريد مخالطتهم.

[٥٦] - ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ لا تقدر على اللطف المقرّب له الى الإيمان.

وجعلها في أبي طالب، الثّابت الإيمان بشهادة ما تواتر من نظمه ونثره واجماع أهل البيت عليهم السّلام،[١] تعصّب من ناصبي العداوة لإبنه امير المؤمنين عليه السّلام ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ﴾ بلطفه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ القابلين لللطف.[٢]

[٥٧]- ﴿وَقَالُوا إِنْ نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾ نستلب منها بسرعة.

قالت قريش أو الحارث بن نوفل للنّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: نحن نعلم انّك على الحقّ ولكنّا نخاف ان اتبعناك أن يتخطّفنا العرب، فقال تعالى ردّاً عليهم: ﴿أَوَ لَمْ نُمَكِّنْ لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ ذا أمن بحرمة البيت، فهم آمنون فيه والعرب يتغاورون[٣]

(١) ينظر كتاب العمدة لابن البطريق: ماجاء في ابي طالب.

(٢) في «أ» اللطف.

(٣) اي يغير بعضهم على بعض.

حولهم ﴿يُجْبَى﴾ يجلب، وقرأ «نافع» بالتّاء[١] ﴿إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من كلّ بلد ﴿رِّزْقًا﴾ مصدر من معنى «يجبى» ﴿مِّنْ لَّدُنَّا﴾ هذا، وهم كفرة فكيف يسلبون[٢] الأمن إذا ضمّوا الى حرمة البيت حرمة الإسلام ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ لا يتأمّلون ليعلموا ذلك.

[٥٨]ـ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي اهلها ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ أي كانوا مثلكم في الأمن وسعة الرّزق فبطروا[٣] فأهلكناهم، وانتصب «معيشتها» بنزع «في» أو بجعلها ظرفاً بنفسها أو بحذف مضاف أي زمن «معيشتها» أو بتضمين «بطرت» معنى كفرت ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ﴾ خربة ﴿لَمْ تُسْكَنْ مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ من السّكنى، للمارّة يوماً أو ساعة ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ لها منهم.

[٥٩]ـ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا﴾ في أصلها الّتي هي توابعها ﴿رَسُولاً يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾ لإلزام الحجّة، وفيه التفات ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ بالكفر وتكذيب الرّسل.

[٦٠]ـ ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ﴾ من أعراض الدّنيا ﴿فَمَتَاعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ تتمتّعون به وتتزيّنون به أيّام حياتكم الفانية ﴿وَمَا عِنْدَ اللهِ﴾ وهو: ثوابه ﴿خَيْرٌ﴾ في نفسه من ذلك ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ لأنّه سرمد ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ ذلك، فتؤثروا الخير الباقي، وقرأ «أبو عمرو» بالياء.[٤]

[٦١]ـ ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾ وهو الثّواب الباقي ﴿فَهُوَ لاَقِيهِ﴾ مدركه لا محالة ﴿كَمَنْ مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ الفاني المنغّص بالآلام ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ

(١) حجة القراءات: ٥٤٨.

(٢) في «ج»: يسلبوا.

(٣) البطر: التجبّر وكفران النعمة.

(٤) حجة القراءات: ٥٤٨.

﴿مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ للنّار، أي لا يستويان، وسكّن «نافع» و«الكسائي» هاء «هو». [1]

[٦٢]- ﴿وَيَوْمَ﴾ واذكر يوم ﴿يُنَادِيهِمْ﴾ الله ﴿فَيَقُولُ﴾ توبيخاً لهم: ﴿أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ تزعمونهم شركائي؟.

[٦٣] - ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ﴾ وجب ﴿عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ الوعيد أي مقتضاه [2] وهو العذاب ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ﴾ مبتدأ ﴿الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ خبره، وعائد «الّذين» محذوف أي اغويناهم، أو صفته والخبر ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾ بالوسوسة، فغووا بإختيارهم غيّاً ﴿كَمَا غَوَيْنَا﴾ مثل غيّنا بإختيارنا ولم نقسرهم على الغيّ ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ منهم ولكونه تقريراً لما قبله ترك العاطف وكذا: ﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ ما كانوا يعبدوننا، وانّما كانوا يعبدون اهوائهم.

[٦٤] - ﴿وَقِيلَ ادْعُواْ شُرَكَائَكُمْ﴾ من جعلتموهم شركاء لله ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ﴾ دعائهم ﴿وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوْا يَهْتَدُونَ﴾ الى الحقّ لما رأوه، أو لعلموا انّ العذاب حقّ أو تمنّوا لو كانوا مهتدين.

[٦٥] - ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ تبكيت بتكذيبهم الرّسل.

[٦٦] - ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾ فصارت الاخبار كالعمى عليهم لا تهتدي اليهم، فعجزوا عن الجواب ﴿فَهُمْ لاَ يَتَسَائَلُونَ﴾ لا يسأل بعضهم بعضاً عنه لدهشتهم، إذ الرّسل تذهل عن جواب مثل هذا السّؤال فتكله الى علمه تعالى فما ظنّك بالضّلال.

[٦٧] - ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ شفّع الإيمان بالعمل ﴿فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ يومئذ و«عسى» وجوب من الله أو ترجّ من التّائب.

---

(١) حجة القراءات: ٥٤٨.

(٢) في «ج» الوعيد اي الوعد الموعود الى مقتضاه.

[٦٨]ـ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ ما يشاء ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ التّخيّر أي ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه، بل له الخيرة عليهم لعلمه بالمصالح.

ردّ لقولهم: ﴿لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾[١] ومثلهم من اختار على الله اماماً غير من اختاره وترك العاطف لأنّه بيان لـ«يختار».

وقيل: معناه ويختار الّذي لهم فيه الخيرة اي الصّلاح، فحذف العائد ﴿سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ عن اشراكهم الحامل لهم أن يختاروا عليه ما لا يختار.

[٦٩] ـ ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ من عداوتك ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ما طعنهم فيك أو الأعمّ منهما.

[٧٠] ـ ﴿وَهُوَ اللهُ﴾ المعبود بالحقّ ﴿لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ﴾ لا معبود بحقّ غيره[٢] ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى﴾ في الدّنيا على نعمه الشّاملة لخلقه ﴿وَالآخِرَةِ﴾ في الجنّة على توفيقهم لما يوجب دخولها ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين﴾.[٣] ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء بين عباده مختصّ به ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بالبعث.

[٧١]ـ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ الَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ دائماً من السّرد أي المتابعة، والميم زائدة ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيٰمَةِ﴾ بحبس الشّمس تحت الأرض ﴿مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ﴾ وقرأ «قنبل» بهمزتين[٤] ﴿أَفَلاَ تَسْمَعُونَ﴾ سماع تعقّل.

[٧٢] ـ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ﴾ بحبسها فوق الأرض ﴿مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ للإستراحة، من نصب العمل وقرن بالضّياء أفلا تسمعون، وباللّيل ﴿أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ لأنّ الضّياء أكثر منافع

---

(١) سورة الزخرف: ٤٣/ ٣١.

(٢) في «ج» سواه.

(٣) سورة يونس ١٠: ١٠.

(٤) اي بضئاء ـ ونقله تفسير البيضاوي ٤: ١١ عن ابن كثير.

من الظـلام، والسّمع أكثر مـدارك مـن الـبصـر، ومن ثمّ لـم يصف الضّيـاء بما يقابل وصف اللّيل.

[٧٣] ـ ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ في اللّيل ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ في النّهار بالكسب ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ولإرادة شكركم له على نعمه.

[٧٤] ـ ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِىَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ كرّر توبيخهم به ايذاناً بأنّ لا شيء أسخط لله من الإشراك به.

[٧٥] ـ ﴿وَنَزَعْنَا﴾ أخرجنا ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وهو نبيّهم، يشهد عليهم بما كان منهم ﴿فَقُلْنَا﴾ لهم: ﴿هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ﴾ على صحّة ما كنتم عليه ﴿فَعَلِمُواْ﴾ حينئذ ﴿أَنَّ الْحَقَّ﴾ في الإلهية ﴿لِلَّهِ﴾ وحده ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ من الباطل.

[٧٦] ـ ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ ممّن آمن به وكان ابن خالته أو ابن عمّه «يصهر بن فاهث بن لاوي» أو عمّه، على انّ عمران بن يصهر ﴿فَبَغَىٰ﴾ تكبّر ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بكثرة ماله وولده، أو ظلمهم حين ولاّه «فرعون» عليهم قبل ذلك ﴿وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ من الأموال المجموعة ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾ جمع مفتح، بالكسر وهو ما يفتح به الغلق، أو بالفتح وهو الخزانة ﴿لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ﴾ خبر «انّ» والجملة صلة «ما» أي تثقّل الجماعة الكثيرة ﴿أُوْلِى الْقُوَّةِ﴾.

وعدّتهم قيل: عشرة[١] وقيل: أربعون[٢] وقيل: ستّون[٣] ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾ ظرف «تنوأ» ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ بطراً بمالك، أو سروراً بزخارف الدّنيا وملاذّها، المتيقّن زوالها،

---

(١) تفسير مجمع البيان ٤: ٢٦٦ عن مجاهد.

(٢) تفسير مجمع البيان ٤: ٢٦٦ عن قتادة.

(٣) تفسير الكشّاف ٣: ٤٣٠.

كقوله تعالى: ﴿ولا تفرحوا بما آتاكم﴾،[1] ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ تعليل للنّهي.

[٧٧] ـ ﴿وَابْتَغِ﴾ اطلب ﴿فِيمَـا ءَاتَاكَ اللهُ﴾ من المـال ﴿الدَّارَ الآخِرَةَ﴾ بإنفاقه في سبل الخير الموصلة اليها ﴿وَلاَ تَنْسَ﴾ تترك ﴿نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ وهو أن تنال بها آخرتك أو اللـذات المباحة ﴿وَأَحْسِنْ﴾ الى النّـاس أو بشكـر الله ﴿كَمَـا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ﴾ في انعامه عليك ﴿وَلاَ تَبْغِ﴾ تطلب ﴿الْفَسَادَ﴾ أي الظّلم والبغي ﴿فِى الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ بغاة الفساد.

[٧٨] ـ ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ﴾ أي المال ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ حال، أي على استحقـاق له لعلمي الّذي فضّلت به على النّاس وهو علمه بوجوه المكاسب أو بالكيمياء أو بالتّوراة وكان اعلمهم بها ﴿عِنْدِى﴾ بفتح الياء واسكانهـا صفة «علم» أو متعلّق بـ«اوتيته» أي الأمر كذلـك في ظنّي ورأيي ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَـدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِـنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿مَنْ هُوَ أَشَـدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَـرُ جَمْعًا﴾ للمـــال أي هو يعلـم ذلك من التّـوراة وغيرهـا فـلايغترّ بقـوتّـه وكثرة مـالـه، فإنّ الله يهلكـه كمـا أهلكهم ﴿وَلاَ يُسْئَلُ عَـنْ ذُنُـوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ استعلاماً لعلمه تعالى بها [واما قوله تعالى:][2] ﴿فوربّك لنسألنّهم﴾[3] تقريعاً[4] أو السّؤال في موقف ونفيه في آخر، وهو تأكيد لما قبله من تهديد قارون.

[٧٩] ـ ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِى زِينَتِهِ﴾ قيل: خرج على بغلة شهباء، عليها سرج من ذهب وعليـه الأرجوان، ومعه اربعـة آلاف في زيّه[5] ﴿قَالَ الَّذِينَ يُـرِيدُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا﴾ ـ من ضعفاء المؤمنين وقيل: كانوا كفّاراً[6] ـ: ﴿يا﴾ للتّنبيه ﴿لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا

---

(١) سورة الحديد: ٥٧/ ٢٣.

(٢) الزيادة اقتضاها السياق.

(٣) سورة الحجر: ١٥/ ٩٢.

(٤) اي سؤال تقريع.

(٥) تفسير البيضاوي ٤/ ١٢.

(٦) تفسير مجمع البيان ٤/ ٢٦٧.

أُوتِيَ قَـارُونُ﴾ غبطــة لا حســداً، إذ تمنّـوا مثلـه لا عينـه ﴿إِنَّهُ لَـذُو حَظٍّ﴾ بخت ﴿عَظِيمٍ﴾ من الدّنيا .

[٨٠] ـ ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ﴾ ـ بـأحوال الدّاريـن ـ: ﴿وَيْلَكُمْ﴾ هلاكاً لكم، كلمة زجر ﴿ثَوَابُ اللهِ﴾ في الآخرة ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ ممّا أُوتي «قارون» بل ممّا في الدنيا ﴿وَلاَ يُلَقَّاهَا﴾ أي الكلمة الّتي قالهـا العلماء أو الثّواب لأنّه بمعنى المثوبة أو الجنّة ﴿إِلاَّ الصَّابِرُونَ﴾ على الطّاعة وعن المعصية .

[٨١] ـ ﴿فَخَسَفْنَا بِـهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ﴾ قيـل : كـان يـؤذى «مـوسى» وهـو يـداريه فبرطل[1] بغيـّة لترميـه بنفسهـا ليفتضـح ، فخـطب «موسى» يومـاً فقال : من زنى غيـر محصـن جلـدناه ومحصنـاً رجمنـاه ، فقـال «قـارون» : وإن كنـت؟ قال و«ان كنت» .

قال : فبنوا اسرائيل زعموا انّك فجرت بفلانـة ، فاحضرت فناشدها «موسى» بالله أن تصدق ، فقالت : برطلنى «قارون» لأرميك بنفسى .

فدعـا «موسى» ربّـه عليه فأوحـى إليه أن مُـر الأرض بما شئت ، فقـال : يا أرض خذيه ، فأخذته الى ركبتيه ثمّ الى وسطه ثمّ الى عنقه ثمّ غيّبته .

وكان يتضرّع إليه في هذه الأحوال فلم يرحمه ، فأوحى الله إليه : استغاث بك فلم تغثه؟! ، لو دعاني لأجبته .

ثـمّ قال بنوا اسرائيل : فعله ليرثـه ، فدعا الله فخسف بداره وماله ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ﴾ أعوان ﴿يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ يمنعونه مـن عذابه ﴿وَمَا كَانَ مِـنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ الممتنعين منه .[2]

---

(١) اي أعطاها البرطيل وهو الرشوة .

(٢) في تفسيـر البيضاوي ٤ : ١٢ ـ ممتنعيـن منه من قـولهم : نصره مـن عدوّه فـانتصر : اذا منعـه منه فامتنع . راجع الحديث في تفسير البيضاوي ٤ : ١٢ .

[٨٢]ـ ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ[١] يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ يوسع لا لكرامة ويضيق لا لهوان، بل بحسب الحكمة.

قيل «وي» للتعجب و«كأنّ» للتشبيه أي ما أشبه الحال بأَنَّ الله يبسط.

وقيل: «ويكَ» بمعنى ويلكَ أي ويكَ اعلم انّ الله، [٢] ووقف «الكسائي» على «وي» و«أبو عمرو» و«يعقوب» على «ويك» ﴿لَوْلاَ أَنْ مَّنَّ اللهُ عَلَيْنَا﴾ فلم يعطنا مثله ﴿لَخُسِفَ بِنَا﴾ كما خسف به، وبناه «حفص» للفاعل[٣] ﴿وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ لنعمة الله أو به أو برسله.

[٨٣] ـ ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ﴾ فيه تفخيم أي تلكَ الّتي بلغك خبرها و«الدار» صفة، والخبر: ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الأَرْضِ﴾ تكبّراً وقهراً ﴿وَلاَ فَسَادًا﴾ بغياً وظلماً ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الذين اتقوا الشرك و][٤] المعاصي.

[٨٤]ـ ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ فسر في آخر النمل[٥] ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُواْ السَّيِّئَاتِ﴾ وضع موضع فلا يجزون تقبيحاً لحالهم بتكرير نسبة السيئة اليهم ﴿إِلاَّ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ إلاّ مثله، وحذف المثل مبالغة في المماثلة.

[٨٥] ـ ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ﴾ اوجبَ تلاوته وتبليغه وامتثال ما فيه ﴿لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ عظيم الشأن، إذا بعثت، أو: هو «مكة» وردّه اليها يوم الفتح.

قيل: لما هاجر وبلغ «جحفة» فاشتاق اليها فنزلت[٦] ﴿قُل رَّبِّى أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ

---

(١) من هنا الى آخر السورة غير موجودة في «ب».

(٢) تفسير البيضاوي ٤/ ١٢.

(٣) حجة القراءات: ٥٤٩.

(٤) مابين المعقوفتين من تفسير مجمع البيان ٤: ٤٦٩.

(٥) الآية: ٨٩ من سورة النمل (٢٧).

(٦) تفسير البيضاوي ٤: ١٣.

بِالْهُدَىٰ﴾ ومـا يستـوجبـه من الثـواب يعني نفسـه ونصـب بــ«يعلم» مضمـراً، وفتح «الحرميان» و«أبو عمرو» «الياء»[١] ﴿وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ وما يستوجبه من العقاب بغيهم.

[٨٦]ـ ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُواْ أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الكِتَابُ﴾ القرآن[٢] ﴿إِلَّآ﴾ لكن القي اليك ﴿رَحْمَةً مِّنْ رَّبِكَ﴾ أو متصل إذ المعنىٰ: وما ألقى اليـك إلاّ رحمة منـه ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾ معيناً ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ على مرادهم وهو وما بعده تهييج.

[٨٧] ـ ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾ أي الكافـرون ﴿عَنْ ءَايَاتِ اللهِ﴾ عن تلاوتهـا واتباعها ﴿بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ الى تـوحيده وعبـادته ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ بإعانتهم.

[٨٨] ـ ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ إلاّ ذاته.

وعن أهـل البيت عليهم السّلام: إلاّ وجهـه الذي يـؤتى منـه وهو حججـه، ونحن وجهه،[٣] فالمراد بالهلاك مـا يجرّ الى الضلال والعذاب ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للجزاء.[٤]

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٧٦.

(٢) كلمة«القرآن» غير موجودة في «ج».

(٣) تفسير القمي ٢ : ١٤٧.

(٤) في«ج»: اليه المرجع والمآب عزوجل شأنه.

سورة العنكبوت

[٢٩]

تسع وستون آية مكية وقيل إلاّ عشراً من أوّلها . [١]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ـ ﴿الٓمٓ﴾ فسُر مثله . [٢]

[٢] ـ ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوٓاْ﴾ أول المفعولين ﴿أَنْ يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ ثانيهما ﴿وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ﴾ حال من واو «يتركوا» أي: أحسبوا تركهم غير ممتحنين لقولهم «آمنّا» ومثله أحسبَ ضربه للتأديب، أو: أنفسهم متروكة غير ممتحنين لقولهم «آمنّا» بل يمتحنون بالتكليف الشّاق كالمهاجرة والجهاد وسائر الطاعات وهجر الشهوات وبضروب البلوى في الأنفس والأموال ليتميز الثابت على الإيمان من غيره، وليضاعف أجر الصابر عليها .

نزلت في «عمّار» أو ناس آمنوا فأذاهم المشركون .

[٣] ـ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ إمتحنّاهم ولم نتركهم لقولهم «آمنّا» فهذه سنة

---

(١) قاله الحسن كما في تفسير مجمع البيان ٤/ ٢٧١ .

(٢) في اوّل سورة البقرة .

جارية في جميع الأمم، لا تتغير ﴿فَلَيَعْلَمَنَ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ في إيمانهم أي ليتعلق علمه به موجوداً ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ فيه: والمعنى ليتميّزنّ الصادق من الكاذب.

وعن «عليّ» و«الصادق» عليهما السّلام: «فليعلمن» من الإعلام أي: ليعرفنّهم الناس أو ليسمنّهم بعلامةٍ يعرفون بها كبياض الوجوه وسوادها.[1]

[٤] ــ ﴿أَمْ﴾ بل أ﴿حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ الكفر والمعاصي ﴿أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ أن يفوتونا، فنعجز عن الإنتقام منهم وهو سادّ مسدّ المفعولين، والإضراب لان هذا الحسبان أشنع من السابق ولهذا ألحقه ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم هذا.

[٥] ـ ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ اللهِ﴾ يأمل الوصول الى ثوابه أو يخاف العاقبة من الموت والبعث والجزاء ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ﴾ الوقت الموقت للقائه ﴿لآتٍ﴾ فليسارع الى ما يوصل الى الثواب، أو إلى ما يؤمن من العقاب ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ للأقوال ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالأعمال.

[٦] ــ ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ لأنَّ فائدته لها ﴿إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ وعن طاعتهم وانما كلّفهَم لمنفعتهم.

[٧] ـ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ السابقة من الكفر والمعاصي بالإيمان والعمل ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أحسن جزائه.

[٨] ـ ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ أمرناه بإيلائهما فعلاً ذا حسن أو ما هو في ذاته حسن مبالغةً، أو قلنا له: أحسن بهما حسناً ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ﴾ بإلهيته ﴿عِلْمٌ﴾ اريد بنفي العلم بها نفيها إيذاناً بأنَّ ما لا يعلم حقيقته لا يسوغ إرتكابه فضلاً عمّا علم بطلانه ﴿فَلاَ تُطِعْهُمَا﴾ في ذلك إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ برّكم وفاجركم ﴿فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

---

(١) تفسير مجمع البيان ٤: ٢٧١.

بالجزاء عليه .

[٩] ـ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى الصَّالِحِينَ﴾ في جملتهم أو في مدخلهم أي : الجنّة .

[١٠] ـ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللهِ﴾ بلسانه ﴿فَإِذَا أُوذِىَ فِى اللهِ﴾ آذاه الكفّار ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾ أذاهم له صارفاً عن الإيمان ﴿كَعَذَابِ اللهِ﴾ الصارف عن الكفر ﴿وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّنْ رَّبِّكَ﴾ فتح لكم ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ في الدّين تقيّة ولتشركوهم إن غنمتم والتوحيد والجمع للفظ «من» ومعناها ﴿أَوَ لَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ من ايمان ونفاق .

[١١] ـ ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بإخلاص ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ فيجازي الحزبين .

[١٢] ـ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾ في ديننا ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ بذلك إن كانت، وكان بعث وجزاء، أمر بمعنى الخبر ﴿وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِّنْ شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في ضمانهم حملها .

[١٣] ـ ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أوزار أنفسهم ﴿وَأَثْقَالاً﴾ آخر ﴿مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ وهي اوزار من اضلّوه من غير أن ينقص من وزره شيء ﴿وَلَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ﴾ تقريعاً ﴿عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ من الكذب .

[١٤] ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ على رأس أربعين ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا﴾ يدعوهم الى الله ولايجيبونه .

وعبرَّ بذلك تنصيصاً على كمال العدد، إذ لو قيل تسعمائة وخمسين، لأحتمل إرادة ما يقرب منه مع أن الغرض تثبيت «الرسول» صلّى الله عليه وآله وسلّم وذكر «الألف» المخيّل للسامع طول المدّة أوصل إليه، واختلف المميّزان تجنّباً للتكرير[1] لا لغرض

---

(١) في النسخ : لتكرير ـ وصححناه على ما في تفسير البيضاوي ٤ :١٥ .

﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ الماء الكثير، طاف بهم وأحاط، فغرقوا ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ بكفرهم.

[١٥] ـ ﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾ أي نوحاً ﴿وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ من ركبوا معه فيها وهم ثمانون أو أقلّ، وعاش بعد ذلك ستّين ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ أي السفينة أو القصة ﴿ءَايَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ يعتبرون بها.

[١٦] ـ ﴿وَإِبْرَاهِيمَ﴾ عطف على «نوحاً» أو نصب بأُذكر مضمراً ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُواْ اللهَ﴾ ظرف لـ«أرسلنا» أي ارسلناه حين كمل وصلح لأنْ يعظ قومه، أو بدل إشتمال منه إن قدر اذكر ﴿وَاتَّقُوهُ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من شرككم ﴿إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخير والشّر.

[١٧] ـ ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا﴾ جمادات ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً﴾ مصدر أي: تكذبون كذباً أو صفة أي: خلقاً ذا إفك بإدّعاء إلهيّتها وشفاعتها عند الله، أو تصنعونها وتنحتونها ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ لا يقدرون أن يرزقوكم شيئاً من الرزق ﴿فَابْتَغُواْ عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ﴾ كلّه فإنه المالك له ﴿وَاعْبُدُوهُ﴾ وحده، تأدية لحقه ﴿وَاشْكُرُواْ لَهُ﴾ تقييداً لنعمه[١] واستزادة لفضله، أو إستعدوا للقائه بهما فإنّكم ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[١٨] ـ ﴿وَإِنْ تُكَذِّبُواْ﴾ وان تكذبوني ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ﴾ رسلهم، فلم يضروهم، بل ضرّوا أنفسهم فكذا انتم ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ التبليغ البيّن.

والآية وما بعدها إلى ﴿فما كان جواب قومه﴾[٢] من قصة «إبراهيم»، أو اعتراض بين طرفيها[٣] بذكر حال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وقريش وهدم شركهم وتهديدهم

---

(١) اي قيدوا النعمة بالشكر.
(٢) الآية: ٢٤.
(٣) اي بين طرفي قصة ابراهيم.

على تكذيبه تسلية له صلّى الله عليه وآله وسلّم بأن حاله فيهم كحال أبيه «إبراهيم» في قومه.

[١٩] ـ ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ﴾ بعقولهم، وقرأ «ابن كثير» و«حمزة» و«الكسائي» بالتاء[١] ﴿كَيْفَ يُبْدِىءُ﴾ ـ بضم أولهِ ـ يبتديء ﴿اللهُ الْخَلْقَ﴾ من العدم ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ كما أبدأه، خبر، عطف على «أو لم يروا» لا على «يبدىءُ» إذ لم تقع الرؤية عليه ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ المذكور من الإبداء والإعادة ﴿عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ إذا أراده، كان.

[٢٠] ـ ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى الأَرْضِ﴾ حكاية قوله تعالى لـ«ابراهيم» أو «محمّد» صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿فَانْظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ المواليد الثّلاثة[٢] وغيرها ﴿ثُمَّ اللهُ يُنْشِىءُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ﴾ بعد الاولى.

وصرح باسم «الله» مبتدءًا ولم يكتف بضميره ايذاناً بأنّه لا يقدر على الإعادة إلّا من عرف بالقدرة على الإبداء وهو الله. وفتح «ابن كثير» و«أبو عمرو» «الشين بعدها ألف»[٣] ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على النشأتين.

[٢١] ـ ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ رحمته ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ تردّون.

[٢٢] ـ ﴿وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ الله عن إدراككم لو هربتم عن حكمه ﴿فِى الأَرْضِ﴾ الفسيحة ﴿وَلاَ فِى السَّمَاءِ﴾ التي هي أفسح منها، أو لو تحصّنتم في أعماق الأرض، أو في القلاع الذاهبة في السماء ﴿وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يمنعكم منه ﴿وَلاَ نَصِيرٍ﴾ يدفع عنكم عذابه.

[٢٣] ـ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللهِ﴾ دلائله أو كتبه ﴿وَلِقَائِهِ﴾ البعث ﴿أُوْلَئِكَ يَئِسُواْ مِنَ رَّحْمَتِي﴾ لإنكارهم البعث والجزاء، أو ييئسون منها يوم القيامة.

---

(١) حجة القراءات: ٥٤٩.

(٢) وهي: المعدن والنبات والحيوان.

(٣) حجة القراءات: ٥٤٩.

وعبّر بالماضي لتحققه ﴿وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٢٤] ـ ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ قوم «إبراهيم» ﴿إِلاَّ أَنْ قَالُواْ اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ فألقوه في النّار ﴿فَأَنْجَاهُ اللهُ مِنَ النَّارِ﴾ بجعلها برداً وسلاماً عليه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ في انجائه ﴿لآيَاتٍ﴾ هي منعه من حرّها وسرعة إخمادها مع عظمها، وجعل مكانها روضاً، وعدم تضرره بالرمي ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأنّهم المتفكرون فيها.

[٢٥] ـ ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةً[١] بَيْنِكُمْ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ بتنوين «مودةً» ونصبها علةً، أي: لتتوادّوا بينكم لإجتماعكم عليها، وثاني مفعولي «اتخذتم» مقدّر، أو هي المفعول الثاني أي: اتخذتموها مودودةً أو سبب مودة، ونصبها مضافة «حفص» و«حمزة» ووجهه ما مر[٢] ورفعها مضافة «ابن كثير» و«أبو عمرو» و«الكسائي»[٣] خبر محذوف أي اتخذتم أوثاناً هي مودة بينكم أو خبر «ان» بجعل «ما» مصدرية أو موصولة، حذف عائدها وهو مفعول أوّل ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ أي يقوم التعادي والتلاعن بين العبدة أو بينهم وبين أوثانهم ويكونون عليهم ضدّاً ﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ﴾ يدفعونها عنكم.

[٢٦] ـ ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ هو ابن أخته وأول مؤمن به ﴿وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ﴾ من قومي ﴿إِلَىٰ رَبِّى﴾ الى حيث أمرني ربّى، وفتح «نافع» و«أبو عمرو» الياء[٤] ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في سلطانه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه، فخرج مع زوجته «سارة» إبنة عمه و«لوط» من «كوثى» ـ سواد الكوفة ـ الى «الشام»[٥] فسكن «فلسطين» و«لوط» «سدوم».

---

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «مودة» ـ بدون تنوين ـ كما سيشير اليه المؤلّف ـ.

(٢ـ٤) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٧٨ .

(٥) مرّ معنى هذه الكلمة في ذيل الآية ٧١ من سورة الانبياء ينظر الهامش.

[٢٧] ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحٰقَ﴾ ولداً ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ نافلة[١] من هرمين، ولذا خصا بالذكر ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ﴾ فكلّ نبيّ بعده منها ﴿وَالْكِتَابَ﴾ أي جنسه، فيعمّ الكتب الأربعة. ﴿وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ وهو الذرية الطيبة وثناء كل الأُمم عليه ﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أُولي الدّرجات العلى.

[٢٨] ـ ﴿وَلُوطًا﴾ عطف على «إبراهيم» ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَئِنَّكُمْ﴾ وقرأ «الحرمّيان» و«ابن عامر»: «إنّكم» خبراً[٢] ﴿لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ الفعلة الشنّعاء ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ إستئناف يقررّ فحشها إذا لم يرتكبها أحد قبلهم لنفرتهم لها طبعاً.

[٢٩] ـ ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ بإعتراض المارّة بالقتل وأخذ المال أو بالفاحشة، أو تقطعون سبيل النّسل بإتيان الرّجال دون النساء ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ﴾ هو المجلس ما دام أهله فيه ﴿الْمُنْكَرَ﴾ كالضّراط واللواط وكشف العورة وغير ذلك ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُواْ﴾ إستهزاء ﴿ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في إستفحاش ذلك.

[٣٠] ـ ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ بقبائحهم وسنّها في الناس.

[٣١] ـ ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ﴾ بالبشارة بـ«إسحاق» و«يعقوب» بعده ﴿قَالُواْ إِنَّا مُهْلِكُواْ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ وهي «سدوم»، واضافة «مهلكوا» لفظيّة لأنه مستقبل ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَالِمِينَ﴾ علّلوا إهلاكهم بإصرارهم على الظّلم وهو كفرهم ومعاصيهم.

[٣٢] ـ ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ جدال لهم بأنّ فيها من لا يظلم إشفاقاً عليه ﴿قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا﴾ أخبر بحاله وحال قومه ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ﴾ وخفّفه «حمزة» و«الكسائي»[٣] ﴿وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الباقين في العذاب.

---

(١) النافلة: ما كان زيادة على الأصل.

(٢) تفسير البيضاوي ٤: ١٧.

(٣) حجة القراءات: ٥٥١.

[٣٣]ـ ﴿وَلَمَّا أَنْ﴾ زيدت للتأكيد ﴿جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾ إغتمّ بسببهم إذ جاءوا في صورة غلمان أضياف، فخاف عليهم قومه ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ صدراً، كناية عن فقد الطاقة ﴿وَقَالُواْ﴾ ـ حين رأوا ما لقيه ـ: ﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾ فنحن رسل ربّك ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾ وخفّفه «ابن كثير» و«أبو بكر» و«حمزة» و«الكسائي»[1] ﴿وَأَهْلَكَ﴾ نصب عطفاً على محل الكاف أو بفعل مضمر ﴿إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾.

[٣٤]ـ ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ﴾ وشدّده «ابن عامر»[2] ﴿عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا﴾ عذاباً ﴿مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ بسبب فسقهم.

[٣٥]ـ ﴿وَلَقَدْ تَّرَكْنَا مِنْهَا ءَايَةً بَيِّنَةً﴾ هي آثار المنازل الخربة، أو قصّتها أو بقية الحجارة، أو الماء الأسود ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتفكرون فيها، ويتعلق بـ«تركنا» أو «آية».

[٣٦]ـ ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ﴾ وأرسلنا إليهم ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ﴾ واعملوا ما ترجون به ثوابه، فأقيم الرّجاء مقام سببه، أو: خافوا ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ﴾ تفسدوا ﴿فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكّدة.

[٣٧]ـ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة أو صيحة «جبرائيل» ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ صرعى على وجوههم.

[٣٨]ـ ﴿وَعَادًا﴾ وأهلكنا عاداً ﴿وَثَمُودًا﴾ بالصّرف وتركه[3] بمعنى الحي والقبيلة ﴿وَقَدْ تَّبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسَاكِنِهِمْ﴾ بعضها أو إهلاكهم من جهتها عند مروركم بها ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ كفرهم ومعاصيهم ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ سبيل الحقّ ﴿وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ متمكنين من النّظر، ولكن لم ينظروا.

[٣٩]ـ ﴿وَقَارُونَ﴾ وأهلكنا «قارون» ولعلّه قدّم لنسبه ﴿وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُواْ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَابِقِينَ﴾ فائتين أمرنا،

(١-٢) حجة القراءات: ٥٥١، ٢ ٥٥.

(٣) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «ثمود» بغير صرف.

بـل أدركهم [امر الله]. [١]

[٤٠]ـ ﴿فَكُلاًّ﴾ من المذكورين ﴿أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ ريحاً عاصفاً فيها حصباء كقوم «لوط» ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ كـ«ثمود» و«مدين» ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ﴾ كـ«قارون» ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ كقوم «نوح» و«فرعون» وقومه ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بالإهلاك ﴿وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالإشراك.

[٤١] ـ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أصناماً يلجؤون إليها، أي: في وهن ما اعتمدوه في دينهم ﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ تأوي إليه من نسجها الذي هو غاية في الوهن ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ﴾ يضمحل بأدنى سبب ولا يقيها حرّاً ولا برداً، كذلك الأصنام لا تنفع عبدتها، فدينهم أوهن الأديان ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ ان هذا مثلهم لندموا.

[٤٢] ـ ﴿إِنَّ اللهَ﴾ أي قل لهم إن الله ﴿يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ﴾[٢] الّذي تعبدونه ﴿مِن دُونِهِ﴾ وقرأ «عاصم» و«أبو عمرو» بالياء حملاً على ما قبله[٣] ﴿مِن شَيْءٍ﴾ بيان لـ«ما» أو «ما» إستفهامية مفعول «تدعون» و«يعلم» معلقة عنها، أو نافية و«من» زائدة و«شيء» مفعول «تدعون» أو مصدرية و«شيء» مصدر.

والغرض توكيد المثل على الوسطين وتهديدهم على الآخرين ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في سلطانه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه فإشراك ما لا يعدّ شيئاً به جهل شنيع وتعرّض لإنتقامه.

[٤٣] ـ ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ﴾ أو هذا ونظائره ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ تفهيماً لهم ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا﴾ ما يعقل فائدتها ﴿إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ المتدبرون.

---

(١) مابين المعقوفتين من تفسير البيضاوي ٤: ١٨.

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «يدعون» ـ كما سيشير اليه المؤلّف ـ.

(٣) حجة القراءات: ٥٥٢.

وعنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه تلاها فقال: العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته وأجتنب سخطه.[(١)]

[٤٤] ـ ﴿خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ بالغرض الحق من الدلالة عليه ومنافع الخلق ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً﴾ على كماله وجلاله ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنّهم المنتفعون بها.

[٤٥] ـ ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ لنفسك وعلى الناس ﴿وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ﴾ بشروطها ﴿إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ بكونها سبباً للإنتهاء عن المعاصي لتذكيرها الله و إيراثها في القلب خوفه ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ﴾ إيّاكم برحمته ﴿أَكْبَرُ﴾ من ذكركم ايّاه بطاعته، أو معناه وللصلاة أكبر من سائر الطاعات.

وسميت ذكره إيذاناً بأن فضلها بتضمنها لذكره، أو لذكره عند المعصية أكبر شيء في النهي عنها ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ من خير وشرّ، فيجازيكم به.

[٤٦] ـ ﴿وَلاَ تُجَادِلُواْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي﴾ بالخصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالحلم، ولم تنسخه آية السّيف لوجوب تقديم الرّفق ﴿إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ بالإعتداء أو العناد ونبذ الذمة أو قولهم بالولد وغل اليد ﴿وَقُولُواْ﴾ في المجادلة، بالتي هي أحسن ﴿ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾.

عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فإن قالوا باطلاً لم تصدقوهم وان قالوا حقاً لم تكذبوهم ﴿وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ﴾ وحده ﴿مُسْلِمُونَ﴾ مطيعون.

[٤٧] ـ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الإنزال ﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن مصدقاً لسائر الكتب المنزلة ﴿فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ كـ«ابن سلام» وامثاله، أو من تقدّم زمن «النبيّ» صلّى الله عليه وآله وسلّم من أهل الكتاب ﴿وَمِنْ هَؤُلاءِ﴾ من أهل مكة، أو ممّن

---

(١) تفسير مجمع البيان ٤: ٢٨٤.

آثروه صلّى الله عليه وآله وسلّم من أهل الكتاب ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ مع وضوحها ﴿إِلاَّ الْكَافِرُونَ﴾ المصمّمون على الكفر.

[٤٨] ـ ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُواْ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ ذكرت زيادة تصوير للمنفي ﴿إِذًا﴾ أي لو كنت تقرأ وتخط ﴿لاَّرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ الذين شأنهم الإبطال، أي كفرة «مكة» وقالوا لعلّه جمعه من كتب الأوّلين، أو أهل الكتاب وقالوا الّذي في كتبنا أنه أميّ.

[٤٩] ـ ﴿بَلْ هُوَ﴾ أي القرآن ﴿ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ﴾ يحفظونه عن التحريف وهم النبيّ وآله صلوات الله عليهم ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ الواضحة ﴿إِلاَّ الظَّالِمُونَ﴾ بالعناد والمكابرة.

[٥٠] ـ ﴿وَقَالُواْ لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ[١] مِّنْ رَّبِّهِ﴾ كناقةَ «صالح» وعصا «موسى» ومائدة «عيسى» وقرأ من عدا «ابن كثير» و«أبا بكر» و«حمزة» و«الكسائي»: آيات[٢] ﴿قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ﴾ ينزّلها كما يشاء ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ للإنذار بما أوتيت من الآيات.

[٥١] ـ ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ آية بالغة ﴿أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ على الدوام، فهو آية ثابتة لا تزول بخلاف سائر الآيات ﴿إِنَّ فِى ذَلِكَ﴾ الكتاب المعجز المستمرّ ﴿لَرَحْمَةً وَذِكْرَى﴾ نعمة وعظة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به.

[٥٢] ـ ﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ بصدقي، إذ صدّقني بالمعجزات أو بتبليغي ومقابلتكم لي بالتكذيب ﴿يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ فيعلم حالي وحالكم ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ بِالْبَاطِلِ﴾ بإلهيّة غير الله ﴿وَكَفَرُواْ بِاللهِ﴾ منكم ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ في صفقتهم حيث اشتروا الباطل بالحق.

---

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «آيات».

(٢) حجة القراءات: ٥٥٢.

[٥٣] ـ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ إستهزاء ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ لعذابهم ﴿لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ عاجلاً ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بإتيانه.

[٥٤] ـ ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ ستحيط بهم أو كالمحيطة بهم لإحاطه الكفر الموجب لها بهم، واللام للجنس فيعمهم حكمه.

أو للعهد بوضع الظاهر موضع الضمير إشعاراً بموجب الحكم.

[٥٥] ـ ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ﴾ ظرف «لمحيطة» ﴿مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ تغطّيهم مبتدئاً من الجهتين ﴿وَنَقُولُ﴾[1] وقرأ «نافع» و«الكوفيون» بالياء[2] والقائل الله أو ملك بأمره ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي جزائه.

[٥٦] ـ ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وحذف الياء وصلاً «أبو عمرو» و«حمزة» و«الكسائي» وفتحها الباقون وصلاً وسكّنوها وقفاً[3] ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ فهاجروا من أرض لم يتيسّر لكم فيها العبادة الى أرض تتيسّر فيها. وفتح «ابن عامر» الياء[4] ﴿فَإِيَّايَ﴾ نصب بما يفسّره ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ والفاء جواب شرط مقدّر أي إن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فاخلصوها في غيرها.

[٥٧] ـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ واجدة كربه ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ بعده للجزاء، وقرأ «أبو بكر» بالياء.[5]

[٥٨] ـ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ لننزلنّهم ﴿مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ علالي، وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «لنثوينّهم» من الثّواء: الإقامة، فنصب «غرفاً» بحذف «في» أو بتضمينه معنى ننزلنّهم، أو تشبيه الظرف الموقت بالمبهم ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ أجرهم.

---

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «يقول» ـ كما سيشير اليه المؤلّف ـ.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٨٠.

(٣-٥) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٨١.

[٥٩] ـ ﴿الَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على أذى الكفـرة والبليّات ومشقّـة الهجرة والطـاعات ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ﴾ لا غيره ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾ في المهمات.

[٦٠] ـ ﴿وَكَأَيِّنْ﴾ وكـم ﴿مِّنْ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ لضعفها عن حمله أو لا تدخره ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا﴾ مع ضعفها ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ مع قوتكم على الكسب والحمل، أي لا يرزق الكل إلاّ هو لأنّه المسبب لأسباب رزقهم.

قيل: لما أمروا بالهجرة، فقال بعضهم: كيف نقدم بلدة لا معيشة لنا فيها؟ فنزلت[1] ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لقولكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بسرّكم.

[٦١] ـ ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ أي أهل «مكـة» ﴿مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ مقرّينَ بأنّه الفـاعل لذلك ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن توحيده مع إقرارهم بذلك.

[٦٢] ـ ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ يضيق ﴿لَهُ﴾ بعد البسط، فـالأمران لواحد أو يقدر لمن يشـاء على وضع الهاء موضعـه مبهمة مثله فليسا لواحد ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يعلم موضع البسط والتقتير.

[٦٣] ـ ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَّنْ نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ فكيف يشركـون به الجماد ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ما وفقكَ لتـوحيده، أو على إلزامهم الحجّة ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ انّ ما أقرّوا به مبطل لشركهم.

[٦٤] ـ ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ الحقيرة ﴿إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ إلاّ كما يلهو ويلعب الصّبيان ساعة ثمّ يتفرقون ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ لهي دار الحياة الحقيقية الأبدية، أو جعلـت حياة مبالغة وهـو مصدر «حيي» واصله حييان، قلبـت الثّانية واواً وأختير هنا على الحيـاة لأنّه أبلغ لتضمن بناءه معنى الحركة الـلازمة للحياة ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك، ما آثروا الحياة الزائلة عليها.

---

(١) ينظر تفسير البيضاوي ٤: ٢٠.

[٦٥] ـ ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى الْفُلْكِ دَعَوُاْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي الدعاء لا يدعون إلاّ إيّاه، إذ لا يكشف الشدة سواه ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى البَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ عادوا إلى الشرك.

[٦٦] ـ ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ من نعمة الإنجاء ﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْ﴾ بعكوفهم على أصنامهم، واللام فيها لام كي[١] أو لام أمر تهديد، ويعضده قراءة «قالون» و«ابن كثير» و«حمزة» و«الكسائي»: «وليتمتعوا» بسكونها[٢] ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ غبّ ذلك.

[٦٧] ـ ﴿أَوَ لَمْ يَرَواْ أَنَّا جَعَلْنَا﴾ بلدهم «مكة» ﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾ أهله من القتل والأسر والنهب ﴿وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ بالتّغاور[٣] قتلاً وأسراً ونهباً دونهم ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾ أبعد هذهِ النعمة وغيرها بالصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ﴾ بإشراكهم بهِ.

[٦٨] ـ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي لا أظلم ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ بإدعاءِ شريك له ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾ الرسول أو الكتاب ﴿لَمَّا جَاءَهُ﴾ من غير تثبّت ولا تروّ ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ تقرير لثوائهم، أي: ألا يثوونَ فيها وقد افتروا وكذبوا مثل هذا الإفتراء والتكذيب.

[٦٩] ـ ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا﴾ في حقّنا ما يجب جهاده من النفس والشيطان وحزبه ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ سبل الجنة أو سبل الخير. بزيادة اللطف ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾.[٤] أو: والذين عملوا بما علموا لنهديّنهم الى ما لم يعلموا ﴿وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالنصر والعون.

---

(١) اي لام العلة.

(٢) حجة القراءات: ٥٥٥.

(٣) التغاور: إغارة بعضهم على بعض.

(٤) سورة محمّد: ٤٧/ ١٧.

سورة الروم

[٣٠]

ستون أو تسع وخمسون آيةً مكية .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[١ ـ ٢] ـ ﴿الٓمٓ * غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ هم «النصارى» غلبتهم فارس المجوس .

[٣] ـ ﴿فِي أَدْنَى الأَرْضِ﴾ أرض العرب منهم وهي اطراف الشام ، أو أدنى ارضهم من عدوّهم وهي الجزيرة ﴿وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ مصدر مضاف الى المفعول أي بعد أن غلبتهم «فارس» ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ فارس .

[٤] ـ ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ وهو ما بين الثلاث والعشر.

قيل : لما غلبهم «فارس» فرح المشركون وقالوا للمسلمين : أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن و«فارس» اُمّيّون ، وقد غلب اخواننا إخوانكم ولنغلبنكم ، فنزلت .

وهي من آيات النبوة لأنّها إنباء بالغيب ، فغلبت «الروم» «فارس» في السنة السابعة من غلبهم ﴿للهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ قبل غلبهم لفارس وهو حين غلبوا وبعد غلب «فارس» ايّاهم وهو حين يغلبون أي كونهم مغلوبين أولاً وغالبين آخراً ليس إلاّ بأمر الله تعالى ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ ويوم تغلب الروم ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ .

[٥] ـ ﴿بِنَصْرِ اللهِ﴾ ايّاهم على «فارس» لإغتمام المشركين بهِ، أو بنصر الله المؤمنين بإظهار صدق نبيّهم فيما أخبر به، أو بتولية بعض الظالمين بعضاً.

ووافق ذلك يوم نصر المؤمنين ببدر فنزل بـه «جبرائيل» ففرحوا بالنصرين ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾ بمقتضى الحكمة ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ بخذلانه لمن يشاء ﴿الرَّحِيمُ﴾ بنصره لمن يشاء.

[٦] ـ ﴿وَعْدَ اللهِ﴾ مصدر مؤكد لنفسه ما سبق في معنى وعد ﴿لاَ يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ﴾ لقبح الكذب فيمتنع عليه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ صحة وعده لجهلهم به.

[٧] ـ ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ أي مكاسبها كالتجارة والزراعة والبناء ونحوها، والجملة بدل من «لا يعلمون».

ويفيد أن علمهم بأُمور الدنيا بمنزلة الجهل المطلق.

ونكّر «ظاهراً» إشعاراً بأنّهم لا يعلمون إلاّ بعض ظاهرها فضلاً أن يعلموا باطنها من انّها مجاز إلى الآخرة ﴿وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ﴾ التي هي الغرض منها ﴿هُمْ غَافِلُونَ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة خبر «هم» الاولى، أو الثانية تكرير للاولى، وعلى الوجهين يفيد رسوخ غفلتهم عن الآخرة.

[٨] ـ ﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِى أَنْفُسِهِمْ﴾ ظرف، كقولك تفكّر في قلبه أو صلة، أي اولم يتفكروا في امرها، فإنّها أقرب شيءٍ اليهم، وفيها ما في العالم من عجائب الصنع ليعلموا أن من قدر على ابدائها، قادر على اعادتها، فيقولوا أو فيعلموا ﴿مَّا خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ينتهي بقاؤها إليه ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ النَّاسِ بِلِقَاىءِ رَبِّهِمْ﴾ بلقاء جزائه والبعث ﴿لَكَافِرُونَ﴾ جاحدون لعدم تفكّرهم.

[٩] ـ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى الأَرْضِ فَيَنْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ تقرير لسيرهم في البلاد، ونظرهم الى آثار الهالكين بعتوّهم ﴿كَانُواْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ كـ«عاد»

و«ثمود» ﴿وَأَثَارُواْ الأَرْضَ﴾ قلبوها للزرع واستحداث الأنهـار والآبار وغيرها ﴿وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ من عمـارة أهل «مكـة» وهو تهكّمّ بهـم إذ لا إثارة لهم ولا عمـارة أصلاً مع تباهيهم بالدنيـا التي عمدة ما يتبـاهى به أهلها الإثـارة والعمارة ﴿وَجَاءَتهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الواضحات ﴿فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بتدميرهم بغير ذنب ﴿وَلَكِنْ كَانُواْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ حيث عملوا ما أوجب تدميرهم.

[١٠] ـ ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاؤُاْ﴾ وضع موضع عاقبتهم ﴿السُّوأَىٰ﴾ العقوبة «السـوأى» تـأنيث أسـوء، أو مصـدر وصـف بـه ﴿أَنْ كَـذَّبُواْ بِـآيَاتِ اللهِ وَكَـانُوا بِهَـا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ علّة أو بدل من «السوأىٰ» أو خبر «كان» و«السوأىٰ» مصدر «أساؤا».

أو مفعوله بمعنى: كـان عاقبة الذين فعلوا الخطيئه أن منعـوا اللطف حتى كذبوا واستهزءوا بالآيات، ونصب «الكوفيون» و«ابن عامر»: «عاقبة»[١] خبراً لـ«كان» واسمها «السوأىٰ» و«أن كذبوا» كما مرّ.[٢]

[١١] ـ ﴿اللهُ يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ﴾ ينشئهم ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بالبعث ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُـرْجَعُونَ﴾ إلتفات الى الخطاب، وقرأ «أبوبكر» و«أبوعمرو» بالياء.[٣]

[١٢] ـ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ يسكتون حيرةً ويأساً.

[١٣] ـ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ﴾ ممَّن اشركوهم بالله ﴿شُفَعَاءُ﴾ يخلّصونهم كما زعموا ﴿وَكَانُواْ بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ جاحدين لإلهيّتهم.

وعبّر بالماضي لتحققه أو كانوا في الدنيا كافرين بسببهم.

[١٤] ـ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ﴾ تأكيد ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ أي المؤمنون والكافرون.

[١٥] ـ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾ أرض ذات خضرة

---

(١) حجة القراءات: ٥٥٦ ـ تفسير البيضاوي ٤: ٢٣.

(٢) مرّ عند قوله اعلاه: او بدل من السّواى وللتفصيل راجع تفسير البيضاوي ٤: ٢٣.

(٣) حجة القراءات: ٥٥٦ ـ تفسير البيضاوي ٤: ٢٣.

[٢٠] ـ ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾ خلق أصلكم منه ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ في الأرض.

[٢١] ـ ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ خلق حوّاء من ضلع آدم أو من فضل طينته وسائر النساء من نطف الرّجال، أو من جنسكم ﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾ لتألفوها ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ﴾ بين الرّجال والنساء أو أشخاص النوع ﴿مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ بالزواج لا لسابقة معرفة أو رحم أو بتوقف تعيّشكم على التعاون المحوج الى التعاطف ﴿إِنَّ فِى ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَأَيَاتٍ﴾ على قدرته وحكمته ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيه.

[٢٢] ـ ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ لغاتكم بأن علّم كل ناس لغة وألهمهم وضعها، أو كيفيّات نطقكم التي يمتاز بها كلّ شخص عن غيرهِ ﴿وَأَلْوَانِكُمْ﴾ من بياض وسواد وغيرهما، فوقع بذلك التمايز والتعارف المترتّب عليهما حكم ومصالح ﴿إِنَّ فِى ذَلِكَ لَأَيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾[1] الثقلين والملائكة، وكسر «حفص» «اللام» أي اولى العلم.[2]

[٢٣] ـ ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ﴾ نومكم في الوقتين للإستراحة وطلب معاشكم فيهما، أو نومكم بالّيل وطلبكم بالنهار، فلّف، لكن فصل بين الفعلين بالوقتين ايذاناً بصلاحية كلٍ منهما للآخر عند الحاجة وان اختص بأحدهما، ويوافقه الآيات المتضمنة له ﴿إِنَّ فِى ذَلِكَ لَأَيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبّر.

[٢٤] ـ ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ منزل منزلة المصدر أو مقدر بأن ﴿خَوْفًا﴾ من الصاعقة للمسافر ﴿وَطَمَعًا﴾ في المطر للحاضر، وهما علّتان لما يلزم إراءتهم وهو رؤيتهم أو حالان ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِى بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِى ذَلِكَ

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «للعالمين» ـ كما سيشير اليه المؤلّف ـ.
(٢) تفسير البيضاوي ٤: ٢٤ وحجة القراءات: ٥٥٧.

وماء، وهي الجنة ﴿يُحْبَرُونَ﴾ يسرون سروراً، يتهلّلون له.

[١٦] ـ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِى الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ مخلصون[١] لايفارقونه.

[١٧] ـ ﴿فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾.

[١٨] ـ ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ أمر بلفظ الخبر أي نزّهوه تعالى: وأثنوا عليه في هذه الأوقات لظهور قدرته وتجدد نعمته فيها.

وخصَّ «التسبيح» بالمساء والصباح لأظهريّة آثار القدرة فيهما، والحمد بالعشيّ وهو آخر النهار والظهيرة وهي وسطه لأكثرية تجدد النّعم فيهما، والأظهر كون «عشياً» عطفاً على «حين تمسون» و«له الحمد» إعتراض يخصّصه بنعوت الكمال والجلال والغنى عن تسبيح خلقه وحمدهم.

وعن «ابن عباس»: أن فيها الصّلوات الخمس، «تمسون» صلاة المغرب والعشاء، و«تصبحون» صلاة الصبح، و«عشياً» صلاة العصر و«تظهرون» صلاة الظهر، وفي الحديث حثّ على تلاوتها.[٢]

[١٩] ـ ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كالإنسان من النطفة والطائر من البيضة ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ﴾ النطفة والبيضة ﴿مِنَ الْحَيِّ﴾ وخفّف «الميّت» «ابن كثير» و«أبوعمرو» و«ابن عامر» و«أبوبكر»[٣] ﴿وَيُحْيِى الأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الإخراج ﴿تُخْرَجُونَ﴾ من قبوركم أحياء، وفتح «حمزة» و«الكسائي» «التاء».[٤]

---

(١) كذا في «أ»، وفي«ب»، و«ج»: «محصولون» ـ وقد فسره البيضاوي في تفسيره ٤: ٢٣ بقوله: مدخلون لايغيبون عنه.

(٢ـ٣) ينظر البيضاوي ٤: ٢٣، ٢٤.

(٤) تفسير البيضاوي ٤: ٢٤ وحجة القراءات: ٥٥٧.

لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتفكرون فيه بعقولهم، ليعلموا قدرة مدبرها وحكمته.

[٢٥] ـ ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ بإرادته بغير عمد ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ عطف على «أن تقوم» بتأويل مفرد أي من آياته قيامهما ثُمَّ خروجكم من القبور إذا دعاكم دعوةً واحدة يا أهل القبور أخرجوا.

والمراد سرعة وجود ذلك بلا توقف كإجابة الداعي المطاع مدعوّه.

و«ثُمَّ» لتراخيه أو لعظم ما فيه، وتعلّق «من الأرض» بـ«دعا» لا بـ«تخرجون» لتوسط «إذا» الفجائية وهي تنوب فاء جزاء السابقة.

[٢٦] ـ ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ منقادون لفعله بهم.

[٢٧] ـ ﴿وَهُوَ الَّذِى يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد اهلاكهم ﴿وَهُوَ﴾ أي الإعادة والتذكير على معنى أن يعيد ﴿أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ من البدء بالقياس على اصولكم وإلاّ فهما عليه سواء في السّهولة.

وقيل أهون بمعنى هين، وقيل: الهاء للخلق[1] ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ﴾ الوصف ﴿الأَعْلَى﴾ الذي ليس لغيره مِثله من الوحدانية والقدرة والحكمة وقد وصف به ﴿فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ نطقاً ودلالة ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

[٢٨] ـ ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَّثَلاً﴾ منتزعاً ﴿مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ التي هي أقرب شيء منكم ﴿هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من مماليككم أي بعضهم ﴿مِّنْ شُرَكَاءَ﴾ «من» زائدة تؤكد الإستفهام المراد به النفي ﴿فِى مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ من الأموال ﴿فَأَنْتُمْ﴾ وهم ﴿فِيهِ سَوَاءٌ﴾ لا فضل بينكم وبينهم مع كونهم بشراً مثلكم ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾ أن تنفردوا بتصرف فيه﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ امثالكم من الأحرار أي لا ترضون بذلك فكيف تشركون بالله مماليكه في الإلهية ﴿كَذَلِكَ﴾ التفصيل ﴿نُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾ نبيّنها ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبّرون بعقولهم.

---

(١) ينظر تفسير البيضاوي ٤: ٢٥ وتفسير مجمع البيان ٤: ٣٠٢.

[٢٩] ـ ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أشركوا ﴿أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ جاهلين يهيمون كالبهائم ﴿فَمَنْ يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ اللهُ﴾ أي لا هادي لمن خذله[1] ولم يلطف به ﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ﴾ ما نعين ممّا إستوجبوا من الخذلان .

[٣٠] ـ ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ قوّمه ﴿لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ مائلاً إليه ، ثابتاً عليه أنتَ ومن تبعك وأفرد بالخطاب تعظيماً له صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿فِطْرَتَ اللهِ﴾ خلقته نصب بتقدير الزموا ﴿الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وهي قبولهم لدين الإسلام إذ لو خلّوا وما فطروا عليه ما اختاروا عليه ديناً ﴿لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾ أي ما ينبغي أن تبدّل[2] تلك الفطرة ﴿ذَٰلِكَ﴾ هو ﴿الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ المستقيم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ ذلك لعدم تفكرّهم .

[٣١] ـ ﴿مُنِيبِينَ﴾ راجعين ﴿إِلَيْهِ﴾ وهو حال من ضمير الزموا المقدر ﴿وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ وَلاَ تَكُونُواْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ .

[٣٢] ـ ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ بدل بإعادة «من» ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ باختلافهم فيما يعبدونه ، وقرأ «حمزة» و«الكسائي» : «فارقوا»[3] أي تركوا دينهم الذي أُمروا بِهِ ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ فرقاً ، كل فرقة تشيّع إماماً ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ مسرورون ، يظنونه الحق .

[٣٣] ـ ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾ شدّة ﴿دَعَوْا رَبَّهُمْ مُّنِيبِينَ﴾ راجعين ﴿إِلَيْهِ﴾ عن غيره ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً﴾ خلاصاً من الشدة ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ في مقابلة رحمته .

[٣٤] ـ ﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ اللام للعاقبة أو للأمر على التهديد ، والتفت في : ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة تمتعكم .

[٣٥] ـ ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ حجة ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ تكلّم دلالة

---

(١) في «ج» من خذله .

(٢) في «آ» : أن تبدله .

(٣) تفسير مجمع البيان ٤ : ٣٠٤ والنشر في القراءات العشر ٢ : ٢٦٦ .

﴿بِمَا كَانُواْ بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ باشراكهم وصحّته.

[٣٦] ـ ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ نعمة ﴿فَرِحُواْ بِهَا﴾ بطراً ﴿وَإِنْ تُصبِهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ شدّة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بسبب ذنوبهم ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ من الرحمة.

[٣٧] ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَواْ﴾ يعلموا ﴿أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء بحسب الحكمة ﴿إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾ على قدرته وحكمته ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بها.

[٣٨] ـ ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ اقربائك، فرضهم من الخمس.

وعن «الصّادقين» عليهما السّلام وغيرهما: أنه صلّى الله عليه وآله وسلّم لما نزلت، أعطى «فاطمة» عليها السّلام فدكاً.[١]

وقيل: أمر له ولأمّته بصلة الرّحم[٢] ﴿وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ حقهما من الزكاة ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ﴾ بمعروفهم ﴿وَجْهَ اللهِ﴾ جهة التقرب إليه، لا جهة اخرى ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالنّعيم الباقي.

[٣٩] ـ ﴿وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِّنْ رِّبًا﴾ زيادة محرّمة في المعاملة، أو عطيّة يطلب بها اكثر منها، وقصّره «ابن كثير» أي ما جئتم به من ربا[٣] ﴿لِّيَرْبُواْ﴾ ليزيد ﴿فِى أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ أكلة الرّبوا، وقرأ «نافع» بالتاء مضمومة وسكون الواو أي ليزيدوا[٤] ﴿فَلَا يَرْبُواْ﴾ فلا يزكو ﴿عِنْدَ اللهِ﴾ بل يمحقه، أو لا يثيب المكافىء ﴿وَمَا ءَاتَيْتُم مِّنْ زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ﴾ لا غيره ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ ذووا الأضعاف من الثواب كالموسر لذوي اليسار أو الذين ضعّفوا اموالهم وثوابهم بالزكاة، والتفت تعظيماً لهم كأنه

(١) يراجع تفسير مجمع البيان ٤: ٣٠٦، صحيح البخارى الجزء الخامس باب غزوة خيبر: ١٣٩ـ صحيح مسلم الجزء الخامس كتاب الجهاد: ١٥٤.

(٢) قاله الحسن كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٣٠٦.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٨٤ وتفسير مجمع البيان ٤: ٣٠٥.

(٤) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٨٤ وتفسير مجمع البيان ٤: ٢٦.

يصفهم لخواصّه ويقدر له رابط بـ«ما»[1] أي المضعفون به .

[٤٠] ـ ﴿اللهُ﴾ مبتدأ والخبر ﴿الَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ أي هو فاعل لهذهِ الأفعال التي لا يقدر على شيء منها غيره ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ ممّن اشركتموهم به من الأصنام وغيرها ﴿مَّنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَٰلِكُمْ﴾ المذكور ﴿مِّنْ شَىْءٍ﴾ حتى تجوز عبادتكم لهم، و«من» الاولى تبعيضيّة، والثانية ابتدائية، والثالثة زائدة، وكل منها تأكيد لتعجيز شركائهم .

ويجوز كون الموصول صفة والخبر «هل من شركائكم» والرابط «من ذلكم» إذ معناه من افعاله ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بهِ .

[٤١] ـ ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ كالقحط والموتان[2] وكثرة المضارّ ومحق البركات .

وقيل: أُريد بالبحر قراه[3] ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ﴾ بسبب ذنوبهم أو ظهر الشّر والظّلم بكسبهم إيّاه ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِى عَمِلُواْ﴾ بعض وباله عاجلاً، واللام للعلة أو العاقبة: وقرأ «قنبل» بالنون[4] ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يتوبون .

[٤٢] ـ ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ من تدميرهم بسوء فعلهم ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ﴾ أي دمّر اكثرهم للشرك، وقليل منهم لما دونه من المعاصي .

[٤٣] ـ ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ المستقيم ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِىَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ﴾ لا يرده أحد ﴿مِنَ اللهِ﴾ متعلق بـ«يأتى» أو بـ«مردّ» أي لا يردّه الله بعد أن يجيء به

---

(١) اي بـ«ما» الموصولة في قوله: «ماآتيتم».

(٢) المَوَتان بالتحريك بمعنى الموت، اقرب الموارد.

(٣) اي التي هي في ساحل البحر، قاله الحسن كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ٤٨٢.

(٤) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٨٥ .

﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ يتصدعون أي يتفرقون الى الجنة والنّار.

[٤٤] - ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ﴾ لا على غيره ﴿كُفْرُهُ﴾ أي وباله وهو النّار ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ﴾ لا لغيرها ﴿يَمْهَدُونَ﴾ منزلاً في الجنة.

[٤٥] - ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ علة لـ«يمهدون» أو لـ«يصّدعون» ولم يقل ليجزيهم بل صرح بوصفهم ايذاناً بعلية الإيمان والصلاح لجزائهم ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ زيادة على ثوابهم الواجب لهم أو من عطائه وهو ثوابهم ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ أي يجازيهم بالعقوبة على كفرهم.

[٤٦] - ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ﴾ الجنوب والصّبا، والشمال وهي للرحمة، وأمّا الدّبور فللعذاب، ووحّدها «ابن كثير» و«حمزة» و«الكسائي» إرادة للجنس[١] ﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾ بالغيث ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ﴾ عطف على معنى «مبشرات» أي لتبشّركم وليذيقكم ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ وهي الغيث المسبّب عنها، أو الخصب التابع له، أو الرّوح الحاصل بهبوبها ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ﴾ بإرادته ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ بتجارة البحر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعمة فتوحدونه.

[٤٧] - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ فكذبوهم ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ بالإهلاك ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في جعلهم مستحقين عليه أن ينصرهم تعظيماً لهم واظهاراً لكرامتهم.

[٤٨] - ﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ﴾ بالقراءتين[٢] ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ تهيّجه ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ﴾ في جهتها ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من قلة وكثرة وغيرهما ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا﴾ قطعاً متفرقة، وسكّنه «ابن عامر»[٣] ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ من مخارجه

---

(١) تفسير البيضاوي ٤: ٢٧ وحجة القراءات: ١١٨.

(٢) المذكورتين في الآية (٤٦) من هذه السورة.

(٣) تفسير البيضاوي ٤: ٢٧ وحجة القراءات: ٥٦٠.

﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون به.

[٤٩] - ﴿وَإِنْ كَانُواْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾ كرّر تأكيداً، وقيل: الهاء للإرسال ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ لآيسين.

[٥٠] - ﴿فَانْظُرْ إِلَى أَثَرِ[1] رَحْمَةِ اللهِ﴾ أثر المطر من النبات والخصب، وجمعه «ابن عامر» و«حفص» و«حمزة» و«الكسائي»[2] ﴿كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ﴾ المحيي للأرض برحمته ﴿لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه إحياء الموتى.

[٥١] - ﴿وَلَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ ضارّة ﴿فَرَأَوْهُ﴾ أي الأثر وهو النبات ﴿مُصْفَرًّا﴾ وقيل: الهاء للسّحاب لأنه إذا اصفرّ لم يمطر ﴿لَظَلُّواْ﴾ لصاروا، جواب سدّ مسدّ الجزاء ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد أن رأوه مصفراً ﴿يَكْفُرُونَ﴾ ذمّهم بأنّهم إذا حبس عنهم المطر قنطوا ولم يستغفروا، وإذا امطروا فرحوا ولم يشكروا، وإذا ضربَ زرعهم بالصّفار كفروا نعمته ولم يصبروا.

[٥٢] - ﴿فَإِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ شبّهوا بهم في عدم تدبّرهم وبالصمّ في: ﴿وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّواْ مُدْبِرِينَ﴾ فإنّهم حينئذٍ أبعد عن الإسماع، وقرأ «ابن كثير» بالياء ورفع «الصمّ».[3]

[٥٣] - ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ﴾ أي ما تبعدهم عنها بالهدى، وقرأ «حمزة» تهدي[4] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿تُسْمِعُ﴾ سماع قبول ﴿إِلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ من علمه الله أنّه يصدق بها ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ منقادون لأمره.

---

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «آثار» - كما سيشير اليه المؤلّف -.

(٢) تفسير البيضاوي ٤: ٢٧ والكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٨٥.

(٣) تفسير البيضاوي ٤: ٢٨ وحجة القراءات: ٥٦١.

(٤) تفسير البيضاوي ٤: ٢٨ وحجة القراءات: ٥٦٢.

[٥٤] ـ ﴿اللهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِّنْ ضُعْفٍ﴾ أي ابتدأكم اطفالاً ضعافاً، أو خلقكم من النّطفة ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضُعْفٍ قُوَّةً﴾ أي قوّة الشباب، أو تعلق الرّوح ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضُعْفًا وَشَيْبَةً﴾ أي في حال الشيخوخة والهرم، وفتح «عاصم» و«حمزة» ضاد الثّلاث[1] ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ من ضعفٍ وقوة وشيبة ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء ﴿الْقَدِيرُ﴾ على ما يشاء.

[٥٥] ـ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ﴾ في القبور أو في الدنيا، أو في ما بين فنائها والبعث وهو وقت انقطاع عذابهم ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ يستقصرون مدّة لبثهم بالنسبة الى مدة عذاب الآخرة أو ينسونها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الصّرف عن الصّدق ﴿كَانُواْ يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون في الدنيا.

[٥٦] ـ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ﴾ من الملائكة وغيرهم ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَابِ اللهِ﴾ في علمه أو اللّوح، أو ما كتبه أي أوجبه أو القرآن من قوله ﴿ومن ورائهم برزخ﴾ ،[2] ﴿إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ ردّوا قولهم واطلعوهم على الحقيقة ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ الذي أنكرتموه ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ وقوعه لتركِكم النّظر، و«الفاء» جواب شرط مقدّر أي إن كنتم منكرين للبعث فهذا يومه، وقد بطل انكاركم.

[٥٧] ـ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ[3] الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ وقرأ «الكوفيّون» بالياء[4] لأن تأنيث «المعذرة» غير حقيقي وقد فصل بينهما[5] ﴿وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم

---

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «ضعف» بفتح الضاد ـ وكذا فيما يليه ـ كما سيشير اليه المؤلّف ـ.

(٢) سورة المؤمنون: ٢٣/ ١٠٠.

(٣) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «لاينفع».

(٤) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٨٦.

(٥) أي بين الفعل والفاعل بقوله: «الذين ظلموا».

العتبى أي الرجوع الى رضى الله.

[٥٨] - ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَـا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُـرْءَانِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ منبّه على التـوحيد والبعث وصدق «الرّسول» ﴿وَلَئِنْ﴾ لام قسم ﴿جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ﴾ من القرآن، أو مما اقترحوه ﴿لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ عناداً ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ﴾ أصحاب أباطيل.

[٥٩] - ﴿كَذَلِكَ﴾ الطّبع ﴿يَطْبَعُ اللهُ عَلَـى قُلُوبِ الَّـذِينَ لاَ يَعْلَمُـونَ﴾ الحق، لتركهم النظر أي يمنعهم ألطافه لعلمه بأنّها لا تجدي فيهم.

[٦٠] - ﴿فَاصْبِرْ﴾ على آذاهم ﴿إِنَّ وَعْدَ اللهِ﴾ بنصرك واعلاء دينك ﴿حَقٌّ﴾ منجز لا محالة ﴿وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾ لا يحملنّكَ على الخفّـة والضّجر ﴿الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾ بالبعث بأن يؤذوك، فتترك الصبّر أي لا تتركه.

سورة لقمان

[٣١]

ثلاث أو أربع وثلاثون آية مكية وقيل: إلاّ ثلاثاً من ﴿ولو أنَّ ما في الأرض. . . ﴾[1]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[١ ـ ٢] ـ ﴿الٓمٓ * تِلْكَ﴾ الآيات ﴿ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ المحكم أو ذي الحكمة.

[٣] ـ ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ حالان عن «آيات» والعامل الإشارة ورفعهما «حمزة» خبر محذوف أو خبراً بعد خبر.[2]

[٤] ـ ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ بيان «للمحسنين» وكرّرهم تأكيداً.

[٥] ـ ﴿أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ فسرّ كلّه في البقرة.[3]

[٦] ـ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ ما يلهي عن الخير، كالغناء

---

(١) قاله ابن عباس ـ كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٣١٢ ـ.

(٢) حجة القراءات: ٥٦٣.

(٣) سورة البقرة: ٢/ ٥.

والأحاديث الكاذبة والمضاحيك وفضول القول، والاضافة بيانّية.

وقيل: نزلت في «النّضر بن الحارث» إشترى كتب الأعاجم، فكان يحدث بها ويقول: انَّ محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم يحدّثكم بحديث «عاد» و«ثمود» وأنا أحدثكم بحديث «رستم» و«الأكاسرة»[1] ﴿لِيُضِلَّ﴾ النّاس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ دينه أو قراءة كتابه، وفتح «ابن كثير» و«أبو عمرو» الياء[2] أي ليثبت على ضلاله ويزيد فيه ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بالتجارة حيث يشترى الباطل بالحق ﴿وَيَتَّخِذُهَا﴾[3] أي السبيل، ونصبه «حفص» و«حمزة» و«الكسائي»[4] عطفاً على «ليضلّ» ﴿هُزُوًا﴾ سخرية ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة.

[٧] ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا﴾ متكبّراً ﴿كَأَنْ لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ مشبهاً من لم يسمعها ﴿كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ مشبهاً الأصمّ، والاولى حال من «مستكبراً» والثانية من «لم يسمعها» أو الأحوّال الثلاث مترادفة من «ولّى» وجوّز كونهما استئنافين وسكّن «نافع» الذّال[5] ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ اعلمه بأنّه مصيبه، وذكر البشارة تهكّم.

[٨] ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾.

[٩] ـ ﴿خَالِدِينَ﴾ مقدراً خلودهم ﴿فِيهَا﴾ إذا دخلوها ﴿وَعْدَ اللهِ حَقًّا﴾ مصدران اوّلهما مؤكّد لنفسه وثانيهما لغيره، لأنّ لهم جنّات وعد، وما كلّ وعد حقاً ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا مانع له عن إنجاز وعده ووعيده ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي لا يفعل إلاّ بمقتضى حكمته.

---

(١) ينظر تفسير البيضاوي ٤: ٢٩.

(٢) حجة القراءات: ٥٦٣ وتفسير البيضاوي ٤: ٢٩.

(٣) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «يتخذَها» بالنصب ـ كما سيشير المؤلّف ـ.

(٤) حجة القراءات: ٥٦٣.

(٥) تفسير البيضاوي ٤: ٢٩.

[١٠] ـ ﴿خَلَقَ السَّمَـوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَـرَوْنَهَا﴾ فسّـر في «الرّعـد» [١] ﴿وَأَلْقَى فِى الأَرْضِ رَوَاسِىَ﴾ جبالاً ثوابت ﴿أَنْ﴾ كراهـة أن ﴿تَمِيدَ بِكُـمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُـلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا﴾ التفات الى التكلّم ﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَـا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ صنف ذي منافع.

[١١] ـ ﴿هَذَا﴾ الذي ذكـر ﴿خَلْقُ اللهِ﴾ مخلوقه ﴿فَأَرُونِى مَاذَا خَلَـقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي إلهتكم حتى أشركتمـوها به، و«ماذا» مفعول «خلـق»، أو «ما» مبتدأ و«ذا» موصول وهو بصلته خبره و«اروني» معلّق عنه ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِى ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾ اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال البيّن.

ودلّ على ظلمهم بإشراكهم بوضع الظاهر موضع ضميرهم.

[١٢] ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ﴾ هو «ابن بـاعور» ابن أُخت «ايّوب» أو خـالته وعمّر حتى أدرك «داود» وأخذ منه العلم، وكان حكيماً لا نبياً في الأصحّ ﴿الْحِكْمَةَ﴾ تشمل العقل والعلم والعمل به، والإصابة في القول وحكمه كثيرة مأثورة ﴿أَنِ﴾ لأن، أو: أي ﴿اشْكُرْ للهِ﴾ إذ إيتاء الحكمة فـي معنى القول ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لعود نفعـه إليهـا ﴿وَمَنْ كَفَـرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِىٌّ﴾ عن الشـكر ﴿حَمِيـدٌ﴾ حقيق بالحمد، وان لم يحمد.

[١٣] ـ ﴿وَإِذْ﴾ واذكر إذ ﴿قَالَ لُقْمَانُ لِإِبْنِهِ﴾ «أنعم» أو «أشكم» ﴿وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ﴾ تصغير إشفاق، وسكّنَ «ابن كثيرو ياءه [٢] و«قنبل» ياء الأخير [٣] وفتح «حفص»

---

(١) سورة الرعد: ١٣/ ٢.

(٢) كذا في النسخ وفي تفسير البيضاوي ٤: ٣٠: قرأ ابن كثير هنا وفي «يـابني أقم الصلاة» بإسكان الياء، وحفص فيهما وفي«يابني انها ان تك» بفتح الياء ومثله البزي في الأخير.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ١: ٥٢٩.

ياء الثلاثة، ومثله «البزّي» في الأخير وكسرها الباقون في الثلاثة[1] ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللهِ﴾ قيل: كان كافراً فما زال به حتى اسلم[2] ﴿إِنَّ الشِرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لأنّه تسوية بين أشرف الموجودات وأخسّ المخلوقات.

[١٤] ـ ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا﴾ تهن وهناً ﴿عَلَى وَهْنٍ﴾ أي تضعف ضعفاً فوق ضعف، إذ كلما إزداد الحمل إزداد الضعف، والجملة في محل الحال، وجملته إستئناف يؤكد التوصية في حقها خصوصاً ﴿وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ﴾ فطامه في إنقضائهما وهما مدة رضاعه ﴿أَنِ اشْكُرْ لِى وَلِوَالِدَيْكَ﴾ تفسير لـ«وصيّنا» وشكرهما: برّهما ﴿إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ فاجازيك بعلمك.

[١٥] ـ ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ اريد بنفي العلم به نفيه أي ما ليس بشيء يعني الأصنام ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في ذلك ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ صحاباً معروفاً، شرعاً وعرفاً ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ﴾ رجع ﴿إِلَيَّ﴾ بالطاعة ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ جميعاً ﴿فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بمجازات كلّ بعمله.

والآيتان إعتراض في اثناء وصيّة «لقمان» يؤكد إنكار الشرك حتى انّه يلزم فيه مخالفة من تجب طاعته تلو طاعة الله.

[١٦] ـ ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا﴾ أي الخصلة من الإساءة والإحسان ﴿إِنْ تَكُ مِثْقَالَ﴾ زنة ﴿حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ ورفعه «نافع» على ان الهاء للقصة وكان تامة وتأنيثها لإضافة مثقال الى الحبّة[3] ﴿فَتَكُنْ فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى السَّمَوَاتِ أَوْ فِى الأَرْضِ﴾ في أخفى موضع كجوف الصخرة أو أعلاه كالسماوات، أو أسفله كالأرض ﴿يَأْتِ بِهَا اللهُ﴾ يحضرها فيحاسب عليها ﴿إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ﴾ نافذ القدرة ﴿خَبِيرٌ﴾ بكلّ خفي.

---

(١) تفسير البيضاوي ٤: ٣٠ وحجة القراءات: ٥٦٤.

(٢) تفسير الكشّاف ٣: ٤٩٣.

(٣) حجة القراءات: ٥٦٥.

[١٧] ـ ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ من المصائب في ذلك أو مطلقاً ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ من معزوماتها التي عزمها الله أي قطعها قطع إيجاب.

[١٨] ـ ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ لا تمله عنهم تكبّراً، من الصّعر: داء يلوي عنق البعير، وقرأ «نافع» و«أبو عمرو» و«حمزة» و«الكسائي»: «تصاعر»[١] ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ تمرح، أو لأجل المرح وهو البطر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ علة النهي.

والمختال: مقابل للماشي مرحاً، والفخور: للمصعّر خدّه وعكس الترتيب للفاصلة.

[١٩] ـ ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ توسط فيه بين الدّبيب والإسراع بسكينةٍ ووقار ﴿وَاغْضُضْ﴾ أقصر وأخفض ﴿مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾ اقبحها ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ الحمار ونهاقه مثلان في الذم، فتمثيل الصوت المرتفع بنهاقه وإخراجه مخرج الإستعارة مبالغة في الذّم، ووحّد الصوت قصداً للجنس لا افراده.

[٢٠] ـ ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ من النيّرات لمنافعكم ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من الحيوان وغيره ﴿وَأَسْبَغَ﴾ أوسع وأتمّ ﴿عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ[٢] ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ محسوسة ومعقولة، أو معلومة لكم وغير معلومة.

وقال «الباقر» عليه السّلام: الظاهرة: النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وما جاء به، والباطنة: ولايتنا أهل البيت.[٣] وقرأ «نافع» و«أبو عمرو» و«حفص»: «نعمه» جمعاً مضافاً[٤]

---

(١) حجة القراءات: ٥٦٥.

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «نعمه» ـ كما سيشير اليه المؤلّف ـ.

(٣) تفسير مجمع البيان ٤: ٣٢٠.

(٤) تفسير البيضاوي ٤: ٣١ وحجة القراءات: ٥٦٥.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِى اللهِ﴾ في توحيده ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أخذ عن حجّة ﴿وَلاَ هُدًى﴾ من رسول ﴿وَلاَ كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ انزله الله، بل بالتقليد.

[٢١] - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُواْ مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ ذمهم على التقليد ﴿أَوَلَوْ﴾ إنكار أي ايتبعونه والحال «لو» ﴿كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ الى ما يوجبه.

[٢٢] - ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ﴾ ليسلم نفسه إليه ويفوّض أمره إليه، وحيث عدّي باللام فلتضمّنه معنى: أخلص ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ لعمله ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ المحكمة، وهو تمثيل للمعلوم بالمحسوس ﴿وَإِلَى اللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ مصيرها.

[٢٣] - ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلاَ يَحْزُنْكَ﴾ لا يهمّك ﴿كُفْرُهُ﴾ فإنّه لا يضرّك ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُواْ﴾ بالعقاب عليه ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما فيها كغيره فمجاز عليه.

[٢٤] - ﴿نُمَتِّعُهُمْ﴾ بدنياهم زماناً ﴿قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد، ثقيل عليهم.

[٢٥] - ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ مقرّينَ بأنّه خالقها ﴿قُلِ الْحَمْدُ للهِ﴾ على الزامهم الحجة ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ لزومها لهم.

[٢٦] - ﴿للهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ على الإطلاق ﴿الْحَمِيدُ﴾ بالإستحقاق.

[٢٧] - ﴿وَلَوْ﴾ ثبت ﴿أَنَّمَا فِى الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ﴾ الأعظم مداد، واغنى عن ذكره[1] ﴿يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ لأنه من مدّ الدواة[2] وأمدّها.

---

(١) اي اغنى عن ذكر كلمة «مداد» قوله: يمده من بعده سبعة ابحر.

(٢) في «ج»: مداد الدوات.

ورفع «البحـر» عطفاً على محلّ «أنّ» ومعمـولها و«يمـدّه» حال أو مبتـدأ، والواو للحال ونصبه «أبو عمرو» عطفاً على اسم «أنّ»[1] ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ﴾ الدالة على علمه وحكمه بكتبها بتلك الأقلام بذلك المداد لعدم تناهيها.

وجمع القلّة[2] يشعر بأنّ ذلك لا يفي بقليلها دون كثيرها ﴿إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يخرج عن علمه وحكمته شيء.

نزلـت جواباً لقـول اليهود: اوتينـا التوراة وفيهـا كل الحكم، أو لقول «قـريش»: سينفد الوحي.

[٢٨] ـ ﴿مَّـا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِـدَةٍ﴾ كخلقها وبعثها فـي قدرته فيكفي فيه إرادته ﴿إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر لا يشغله شيء عن شيء.

[٢٩] ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُـولِجُ الَّيْلَ﴾ يدخله ﴿فِي النَّهَارِ وَيُـولِجُ النَّهَارَ﴾ يدخله ﴿فِي الَّيْلِ﴾ فينقص من كلّ ما يـزيد في الآخر ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِي﴾ في فلكـه ﴿إِلَى أَجَـلٍ مُّسمًّى﴾ الى وقتٍ معلـوم للشمس الى آخـر السنة وللقمر إلى آخر الشهر، أو إلى يوم القيامة ﴿وَأَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[٣٠] ـ ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من قـدرته وحكمته ﴿بِأَنَّ اللهَ هُـوَ الْحَقُّ﴾ بسبب أنه الثابت ﴿وَأَنَّ مَا تَـدْعُونَ[3] مِنْ دُونِهِ الْبَـاطِلُ﴾ الـزائل، وقرأ «أبـو عمـرو» و«حفص» و«حمزة» و«الكـسائي» بـالـياء[4] ﴿وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ علـى كل شيء ﴿الْكَبِيرُ﴾ عن أن يعدله شيء.

(١) حجة القراءات: ٥٦٦.

(٢) اي الجمع السالم في «كلمات».

(٣) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «يدعون» ـ كما سيشير المؤلّف ـ.

(٤) حجة القراءات: ٥٦٧.

[٣١] - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللهِ﴾ بفضله ورحمته ﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ ءَايَاتِهِ﴾ الدالة على تفرّده بالإلهية والقدرة والحكمة[١] ﴿إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دلالات ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على بلائه ﴿شَكُورٍ﴾ لنعمائه.

[٣٢] - ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ﴾ غطا الكفار ﴿مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾ هي ما يظلّ من جبل[٢] أو سحاب أو غيرهما ﴿دَعَوُاْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ الدعاء، لا يدعون سواه ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ متوسّط في الكفر، منزجر بعض الإنزجار، أو ثابت على الطريق القصد وهو الإيمان ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ ومنها الإنجاء من البحر ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾ غدار شديد الغدر ﴿كَفُورٍ﴾ لنعم الله.

[٣٣] - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَاخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ لا يقضي عنه شيئاً فيه ﴿وَلَا مَوْلُودٌ﴾ مبتدأ وسوّغه النفي، وخبره، ﴿هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾.

وغيّر النّظم تأكيداً لعدم نفع المولود وحسماً لأن يطمع في نفع مؤمن أباه الكافر ﴿إِنَّ وَعْدَ اللهِ﴾ بالبعث والجزاء ﴿حَقٌّ﴾ لا خلف فيه ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾ الشيطان بأن يمنّيكم المغفرة، فيجرئكم على الذنوب.

[٣٤] - ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ علم وقت قيامها ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾[٣] بوقته المعين له في علمه، وشدّده «نافع» و«عاصم» وابن عامر»[٤] ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى الْأَرْحَامِ﴾ أذكر أم انثى، تام أم ناقص ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ من خير أو شرّ ويعلمه الله ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ويعلمه الله.

قيل: مرَّ ملك الموت بسليمان فجعل يديم نظره الى رجل من جلسائه، فقال

---

(١) في «ب»: والحكم.

(٢) في «ب»: جبال.

(٣) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «ينزل» - كما سيشير اليه المؤلّف -.

(٤) حجة القراءات: ٥٦٧.

الرجل: من هذا؟ فقال: ملك الموت، قال كأنه يريدني، فمُر الرّيح أن تحملني الى الهند ففعل، فقال الملك: كان نظري إليه تعجباً منه إذ أُمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك[١] وجعل العلم لله والدراية للعبد لمحاً[٢] لمعنى الحيلة، فيفيد أنّه وأن اعمل حيلته لم يعرف ما يخصه من كسبه وعاقبته فضلاً عن غيره[٣] ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ﴾ بكل شيء ﴿خَبِيرٌ﴾ بباطنه كظاهره.

وعن أهل البيت عليهم السّلام: ان هذه الخمسة لا يعلمها إلاّ الله تعالى.[٤]

---

(١) نقله البيضاوي في تفسيره ٤: ٣٣.

(٢) اللمح: الإشارة.

(٣) تفسير البيضاوي ٤: ٣٣ وتفسير الكشّاف ٣: ٥٠٥.

(٤) تفسير مجمع البيان ٤: ٣٢٤.

سورة السجدة

[٣٢]

ثلاثون أو تسع وعشرون آية مكية .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[١ ـ ٢] ـ ﴿الٓمٓ﴾ إن إسماً للسورة فمبتدأ وخبره: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ وإن كان تعديد حروف فـ«تنزيل» خبر محذوف، أو مبتدأ خبره: ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ وقوله ﴿مِنْ رَّبِ الْعَالَمِينَ﴾ حال من الهاء، إذ لا عمل للمصدر فيما بعد خبره، أو هو الخبر و«لا ريب فيه» حال من «الكتاب» أو إعتراض والهاء لمضمون الجملة، أي: في تنزيله منه، ويعضده:

[٣] ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ لأنّه إنكار لكونه منه وكذا: ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ لأنّه تقرير له أشار بـ«الم» إلى إعجازه، ثُم أثبت أن تنزيله منه، وقرر ذلك بنفي الريّب عنه، ثُمّ أضرب عن ذلك بـ«أم» المنقطعة إلى انكار قولهم فيه بخلاف ذلك، ثُم أضرب عنه إلى اثبات أنّه الحق المنزل منه ﴿لِتُنْذِرَ﴾ علة لـ«تنزيل» ﴿قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ﴾ رسول بشريعة ولا ينفي وجود وصيّ فيهم حافظ لشرع رسول سابق ظاهر أو مستتر، لامتناع خلّو الزمان من حجة ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بإنذارك .

[٤] ـ ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿الَّذِى خَلَقَ السَّمَـوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ فسّر في الأعراف[١] ويجوز كونه صفة، والخبر: ﴿مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ﴾ إذا جاوزتم رضاه ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ ينصركم ﴿وَلاَ شَفِيعٍ﴾ يشفع لكم ﴿أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون بذلك.

[٥]ـ ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ أمر الدنيا مدّة حياتها وأيامها، فينزله ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ﴾ يرجع الأمر كلّه ﴿إِلَيْهِ﴾ بعد فنائها ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ في الدنيا، وهو يوم القيامة.

وقيل: ينزل الوحي مع «جبرائيل» ثم يرجع إليه ما كان من قبوله أو ردّه مع «جبرائيل»، وذلك في وقت هو كألف سنة، لأن مسافة نزوله وعروجه مسير الف سنة إذ ما بين السماء والأرض مسير خمسمائة سنة.[٢]

وقيل: يقضي قضاء ألف سنة فينزل به الملك ثمّ يعرج بعد الألف لألف آخر.[٣]

[٦] ـ ﴿ذَلِكَ﴾ الخالق المدبّر ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب عن الخلق وما حضر ﴿الْعَزِيزُ﴾ المنيع في ملكه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده.

[٧] ـ ﴿الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أحكمه وأتقنه، أو علم كيف يخلقه من قولهم فلان يحسن كذا اي يعلمه ﴿خَلْقَهُ﴾[٤] بدل إشتمال من «كل شيء»، وفتح «نافع» و«الكوفيّون» اللام على الوصف،[٥] فالشيء مخصوص بمتصل، وعلى الأول بمنفصل ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ﴾ آدم ﴿مِنْ طِينٍ﴾.

---

(١) سورة الاعراف: ٧/ ٥٤.

(٢) تفسير الكشّاف ٣: ٥٠٨.

(٣) تفسير البيضاوي ٤: ٣٤.

(٤) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «خَلَقَه».

(٥) حجة القراءات: ٥٦٨.

[٨] ـ ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾ ما أنسل منه وأنفصل أي ذرّيته ﴿مِّنْ سُلاَلَةٍ﴾ صفوة، انسلّت من الصّلب ﴿مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ حقير أي النطفة، وهو بدل من «سلالة» أو صلتها فيراد بها العلقة.

[٩] ـ ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ قومه وأتمّ تصويره ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ﴾ إضافة تشريف، وتفيد أنه خلق عجيب لا يعلم كنهه إلاّ الله كآية ﴿ويسألونك عن الروح﴾[١] ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ عدل إلى الخطاب تنبيهاً على جسامة[٢] نعم الجوارح ﴿السَّمْعَ﴾ أي الإسماع ﴿وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾ القلوب ﴿قَلِيلاً مَّا﴾ زائدة أي شكراً قليلاً ﴿تَشْكُرُونَ﴾.

[١٠] ـ ﴿وَقَالُواْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ﴾ غبنا فيها بالدفن، أو بأن صرنا تراباً مخلوطاً بترابها.

وعن «علي» عليه السّلام و«ابن عباس» كسر اللام[٣] وقرأ «ابن عامر» «إذا» خبراً[٤] وناصبها ما دلّ عليه ﴿أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي نبعث. وقرأ «نافع» و«الكسائي» «انّا» خبراً[٥] ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿كَافِرُونَ﴾ جاحدون.

[١١] ـ ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ يقبض[٦] ارواحكم لا يبقي منها شيئاً أو منكم أحداً ﴿مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ للجزاء.

[١٢] ـ ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ خجلاً وندامة، قائلين: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا﴾ صدق وعدكَ ﴿وَسَمِعْنَا﴾ منك تصديق رسلك ﴿فَارْجِعْنَا﴾ الى الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ الآن، فما ينفعهم ذلك.

---

(١) سورة الإسراء: ١٧/ ٨٥.

(٢) الجسامة: العظمة.

(٣) تفسير الكشّاف ٣: ٥٠٩.

(٤ـ٥) تفسير البيضاوي ٤: ٣٤.

(٦) في «ج»: بقبض.

وجواب «لو» [محذوف تقديره:][١] لرأيت أسوء حال. والمضي فيها وفي «إذ» لتحقق الوقوع، ولا مفعول لـ«ترى» إذ معناه لو رميت ببصرك أو مقدّر دلّ عليه صلة «إذ» والخطاب له صلّى الله عليه وآله وسلّم، أو لكلّ أحد.

[١٣] ـ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ بالإلجاء والقصر ﴿وَلَكِنْ﴾ بنينا الأمر على الإختيار، فلذلك: ﴿حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ وعيدي لمن إختاروا الضلال وهو: ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ باختيارهم نسيان العاقبة وترك التفكّر فيها كما يفيده:

[١٤] ـ ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ بفعلكم ما أذهلكم عنه من الإنهماك في المعاصي، أو بترككم التفكر فيه.

وهذا مفعول «ذوقوا» أو صفة «يومكم» والمفعول مقدّر أي العذاب ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ جازيناكم بنسيانكم، أو تركناكم من الرّحمة وفي استئنافه وبناء الفعل على «إن» واسمها مبالغة ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والمعاصي.

[١٥] ـ ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا ﴿بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾ خشيةً وتواضعاً لله ﴿وَسَبَّحُوا﴾ نزهوه عما لا يليق به، متلبّسين ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ شكراً على نعمه ﴿وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[٢] عن عبادته.

[١٦] ـ ﴿تَتَجَافَى﴾ ترتفع وتتنحى ﴿جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ الفرش ومواضع الإضطجاع للتهجّد أي صلاة اللّيل ﴿يَدْعُونَ﴾ داعين ﴿رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ من عذابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمته ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ في سبيل الخير.

وقيل: نزلت في الّذين لا ينامون حتى يصلّون صلاة العتمة.[٣]

---

(١) الزيادة من تفسير البيضاوي ٤: ٣٤.

(٢) هذه الآية من الآيات التي تجب السجدة لقراءتها.

(٣) تفسير مجمع البيان ٤: ٣٣١.

[١٧] ـ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ لا ملك ولا نبيّ ﴿مَّا﴾ الّذي أو أيّ شيء ﴿أُخْفِيَ﴾ خبىء[١] وأدّخر ﴿لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ مما تقرّبه أعينهم مِمّا لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وعن «الصادق» عليه السّلام»: كل حسنة لها ثواب مبيّن إلاّ صلاه الّيل فإن الله لم يبين ثوابها لعظم خطرها، قالَ: ﴿فلا تعلم نفس﴾ الآية،[٢] وقرأ «حمزة» «أخفى» مضارع أخفيت[٣] ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ علّة لـ«اخفى» أو مصدر أي جزوا جزاءاً.

[١٨] ــ ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ إنكار بمعنى النّفي، ويؤكده صريحاً: ﴿لَّا يَسْتَوُونَ﴾ عند الله، وجمع لمعنى «من».

[١٩] ـ ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ﴾ يأوون إليها، أو هي نوع من الجنان ﴿نُزُلًا﴾ فسّر في آل عمران[٤] ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٢٠] ـ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ فسّر في الحجّ[٥] ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

[٢١] ـ ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ﴾ مصائب الدنيا والقتل والأسر والقحط ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ قيل عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي من بقى منهم ﴿يَرْجِعُونَ﴾ يتوبون.

قيل: فاخر «الوليد بن عقبة» «علياً» عليه السّلام يوم «بدر» فنزلت الآيات.[٦]

---

(١) خبأه: ستره.

(٢) تفسير مجمع البيان ٤: ٣٣١.

(٣) حجة القراءات: ٥٦٨.

(٤) سورة آل عمران: ٣/ ١٩٨.

(٥) سورة الحج: ٢٢/ ٢٢.

(٦) تفسير البيضاوي ٤: ٣٥.

[٢٢] ـ ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ فلم يتدبرها و«ثمَ» لإستبعاد الأعراض مع وضوحها وإيضاحها سبيل النجاة بعد[١] التذكير بها ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ فالأظلم أحق بذلك.

[٢٣] ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ كما آتيناك ﴿فَلَا تَكُنْ فِى مِرْيَةٍ﴾ شكّ ﴿مِّن لِّقَائِهِ﴾ من لقائك الكتاب ونحوه: ﴿وانك لتلقّى القرآن﴾[٢] أي لقيناك مثل ما لقيناه من الكتاب، أو من لقائك موسى ليلة الإسراء ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ أي كتاب موسى ﴿هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

[٢٤] ـ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ﴾ الناس الى ما فيه من الدين ﴿بِأَمْرِنَا﴾ إيّاهم به أو بتوفيقنا ﴿لَمَّا صَبَرُواْ﴾ وخفّفه «حمزة» و«الكسائي» وكسر «لامه»[٣] أي لصبرهم على الدّين، أو عن الدنيا ﴿وَكَانُواْ بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

[٢٥] ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ﴾ فيميّز المحق من المبطل ﴿فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدّين.

[٢٦] ـ ﴿أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ يبيّن لقريش، الله أو ما دلّ عليه[٤] ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ أي كثرة من أهلكنا ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم بكفرهم ﴿يَمْشُونَ﴾ حال من ضمير «لهم» ﴿فِى مَسَاكِنِهِمْ﴾ ويرون آثارهم في اسفارهم ﴿إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ لعبراً ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ سماع اعتبار.

[٢٧] ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَواْ أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ التي جرز نباتها أي قطع وأذهب، لا ما لا تنبت بدليل: ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ﴾ من الزرع ﴿أَنْعَامُهُمْ﴾

(١) متعلق بالأعراض.

(٢) سورة النمل: ٦/٢٧.

(٣) حجة القراءات: ٥٦٩.

(٤) اي الفاعل «الله» او ما دلّ عليه.

كالعصف ﴿وَأَنْفُسُهُمْ﴾ كالحبّ ﴿أَفَلاَ يُبْصِرُونَ﴾ فيعلمون كمال قدرتنا.

[٢٨] ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ النصر، أو الفصل بالحكومة بيننا وبينكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في انه كائن.

[٢٩] ـ ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لاَ يَنْفَع الَّذِينَ كَفَرُواْ إِيمَانُهُمْ وَلاَ هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ وهو يوم القيامة، قصدوا بسؤالهم عن وقته الإستعجال استهزاءاً، فأُجيبوا بما يمنع الإستعجال فينطبق الجواب على ما عرف من غرضهم.

وقيل: يوم «بدر» أو فتح «مكّة»[1] ويراد بـ«الذين كفروا» من قتل منهم فيه إذ لم ينفعهم إيمانهم حال القتل ولا يمهلون.

[٣٠] ـ ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ تكرماً، وقيل: نسخ بآية السّيف[2] ﴿وَانْتَظِرْ﴾ الغلبة عليهم ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾ الغلبة عليك.

(١) قاله مجاهد والحسن كما في تفسير البيضاوي ٤: ٣٦ وتفسير الكشّاف ٣: ٥١٧ـ وقاله الفراء ومجاهد كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٣٣٤.

(٢) قاله ابن عباس كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٣٣٤.

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

الفهرست